خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلة
الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦هـ الى سنة ١٣٨٧هـ

وممن كتب فيها

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب

الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفا محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس

الناشر

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية ت/ ٠٤٨٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ت/ ٠٢٣٥٨٦٤٢٤٠






١٣٦١هـ




خير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت: ٢٥٨٦٤٢٤٠٠

المحرم سنة ١٣٦١ العددان ١ و ٢ السنة السادسة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير : محمد حامد الفقى

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ١٥ قرشا داخل القطر المصرى والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الإدارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

فاتحة السنة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

تستقبل مجلة الهدى النبوى عامها السادس ، شاكرة لله جزيل نعمائه ، ذاكرة كريم آلائه ، مقرّةً بأنه لولا فضل الله ورحمته ما كتبت صفاً ، ولا خطت حرفا ، ولولا تأييده ماشرعت قلما ولا حركت قدما . ولولا توفيقه ماصبرت ولا صابرت ، ولا كدّت ولا جاهدت ، ولا قاومت الصعاب ، ولا اقتحمت العقاب ، فله تعالى الحمد ماجرى قلم على قرطاس ، وما عاذ المؤمنون الموحِّدون برب الناس ، من شر الوسواس الخناس .

أما بعد ، فقد خار الله لجماعة أنصار السنة المحمدية أن تصدر هذه المجلة لتكون لسانها الناطق وترجمانها الصادق ، وعُدتها فى الجهاد وعَتادها فى الجلاد ، تجادل بها عن دين الله وتكافح ، وتذود بها عن الحق وتنافح ، وتردُّ بها من سنة رسول الله ﷺ ماغبر ، وتجدد بها من هديه عليه الصلاة والسلام ما اندثر ، وتجاًلى بها من رسوم الدين ماطُمس ، وتنشر من الخلق الكريم مادُرس ؛ وءضت فى هذه السبيل خمس سنين دأبا ماونى لها عزم ، ولا فتر حزم ، ولا عثر قلم ، ولا زلت قدم ولا سقط عَلم ، ولا خالجتها فى النصر الظنون ، ولا مسها بتوالى الظفر الفتون .

جرّدت على البدع أقلاما من نار ، حديدة الشبوَات ، مسنونة الشفار ، وطعنت فى صدور الخرافات بمقالات كأسنّة المرّان ، استخذى لها الباطل وخسىء الشيطان ، فإذا البدع تولّى فراراً وتخلى الميدان ، وإذا الخرافات تمتلىء رعبا وتجدُ فى الوجدان ، وإذا السنة البيضاء تشرق شموسها بعد أفول ، وتخصب جنابها بعد محول ، وترفع رأسها بعد إطراق ، ويُفرخ روعها بعد إشفاق .

جعلت شعارها فى دعوتها إلى الله قول الله الكريم (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) ومضت على هذه الطريقة المثلى وهذا السنن الأقوم ، تلين حتى تكون كالماء ، وترق حتى تصير كالهواء ؛ فكم من نافر بلينها جذبته حتى أسلس قياده ، وكم من حرون برقتها عطفته حتى سل عناده ، وكم من جموح فتلت منه فى الغارب والسنام حتى ذل وألقى بيمينها الزمام وتغلظ على المعاندين والمكابرين حتى يتضح الحق للملأ ويستبين ، ويظهر لكل ذى مسكة أنهم ينكرون الشمس فى وضح النهار ، ويتطلبون من الماء جذوة نار ؛ فاذا هم بعد عنادهم يصحبون وإلى حظيرة الحق يثوبون .

وتتولى بالموعظة الحسنة أهل الجهل الغافلين ، الذين همتهم الدنيا ولم يهمهم الدين ، فما تزال بهم تروضهم وتتلطف لهم حتى تقنعهم بأن الدين من أنفس الأعلاق ، وأنهم جد خاسرين إن لم يأخذوا منه بخلاق ؛ فاذا هم على الدين يقبلون وبحبل الله يعتصمون ، وبسنة رسوله يستمسكون ، وبطاعة ربهم يتنزون .

وتجادل بالتى هى أحسن الزائغين والشاكين والملحدين ، حتى تشرق فى آفاق قلوبهم أنوار اليقين ، فاذا هم يأتون الى الحق مذعنين ، ويصبحون عنه مناضلين .

فتحت من السنة كنوزاً قامت دونها من الجهل أسداد ومن التقليد أرصاد ، فلما تجلت جواهرها للأنظار ، ولاحت لآلئها للأبصار ، سدرت من ضيائها نواظر وتحيرت فى لألائها خواطر ، فأنكرها الجامدون ، وتنكر لها الجاهلون ، وأغضت دونها الأعين الرمد ، ورفعت عقائر القوم اللد .

ولكنها ثبتت لصيحة الصائح وهجمة الكاشح ؛ وما زالت تشع الضياء فى جميع الأرجاء حتى ألفته العيون وسكنت اليه ، وراحت تنشده وتتفتح عليه ؛ وترى فيه الدواء الذى يمحو غشاوتها ويجلو غشاواتها ، وأقبل على السنة يرتوى من منهلها العذب من كان لها منكراً ، وعلى القرآن يعب من ينبوعه الفياض من كان

عنه مدبرا ، وطفق يتروّى من آياته ويستشفى بعظاته من كان لايتخذه إلا للتمائم ولا يتلوه إلا فى المآتم .

فلله ما أبلتْ فى هذه السنوات الخمس من أحسن البلاء ؛ ولله ما نشرت فى بلاد الاسلام من باهر الضياء .

رأت أن كتاب الله هو الحق الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه هدى الله الذى لا يضل من اهتدى به ، ولا يشقى من استمد سعادته منه ؛ ففتحت صدرها لتفسيره وراحت تفسره تفسيرا يستنبط العبر من آياته ويستخرج الحكم من بيناته ؛ ويداوى النفوس الدنِيّة بدوائه ، ويشفى القلوب السقيمة بشفائه ويستحث الهمم بطاعة الله تعالى ؛ ويحفز العزائم لصادق عبادته ؛ ويسمو بالعواطف الانسانية الى المثل العليا ؛ ويوقظ الغافل وينبه الخامل ، وينشط الوكل ، ويشجع الرعديد ، ويغرى الشحيح الـكزّ بالبذل ، والقاطع الجافى بالوصل ؛ ويدفع الجبان الهيوب الى الاقدام ؛ ويحبب أعداء الاسلام فى الاسلام .

ثم شرعت لرواد السنة منهلا عذب الموارد يرتوى منه من يريدون أن يقتبسوا نور الأحكام الشرعية من المشكاة النبوية ؛ ومن يودون أن ينهلوا من هذا النبع الطهور الذى لم ترنقه الأقذاء ، ولم تشُبه الشوائب . ولا جرم أن هذا المشرع قد أروى الغلل ، وشفى العلل ؛ واطمأنت به القلوب ، وسكنت إلى حقائقه النفوس

وأقامت منبرا لأنصار الحق والفضيلة ، ودعاة الاصلاح الدينى والاجتماعى ؛ يتبارون فى أن يُلقوا من فوق أعواده صيحة الحق مدوّية فى الآفاق ليسمعها من كانت له أذنان تسمعان ، ويتنافسون فى أن يُسمعوا صوت النذير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فتنبهت الأذهان ، وفتحت العيون على الفساد المتغلغل فى مناحى حياتنا : فى عقائدنا ، فى عباداتنا ، فى عاداتنا ، فى معاملاتنا ، فى أخلاقنا . وأهابت بمن بيدهم السلطان أن يسارعوا إلى تدارك الأمر قبل استفحال الداء ، واستشراء الفساد ، وقبل أن يعز التلافى ويعم البلاء .

وقد بدرت ولله الحمد بوادر الاصلاح ، وتفتحت بواكير الخير فى كثير من الجهات .

لقد جملت هذه المجلة هدفها الأول الذى ترمى اليه : إعادة الحياة الاسلامية الرشيدة جذعة ، زاخرة بالمعانى السامية ، جياشة بالعواطف النبيلة ، فهى بما تنشره من نفثات أقلام كاتبيها تعمل على إحياء العقائد الاسلامية السليمة ، وغرس الخلق الاسلامى الكريم ، والدعوة إلى العبادة الاسلامية الصحيحة ، والقضاء على البدعة والخرافة حتى تنهض الأمم الاسلامية من كبوتها ، وتستعيد مجدها الغابر وعزها التليد

لقد أخرج الاسلام من قلب الصحراء أمة كانت مستضعفة فى الأرض ، تخشى أن يتخطفها الناس ، فبسط سلطانها على شعوب كانت تعتز بقوتها وعظمتها ، وتتيه ببأسها وسلطانها

ولقد أسعد الاسلام الأمم التى خضعت لسلطانه جميعاً ، وقادها نحو المثل العليا فى جميع مناحى حياتها ، وسار بها فى طريق الكمال فى جميع أسبابها وصلاتها ومعاملاتها ، فلما فرطت فى جنب الله وقصرت فى ذات الدين ، وفسدت القلوب ، ودخلت الضمائر ، ونغلت النيات ، ودب بين الناس التحاسد ، وفشت العداوة والبغضاء ، وقام قائم الأثرة ، وانصرف الناس عن التضحيات الحق يزدلفون بها إلى الله تعالى ، والتمسوا الزلفى لديه بأباطيل ابتدعوها ، وأكاذيب اختلقوها ، وأنصاب أقاموها وقباب رفعوها ، وألاعيب اجتمعوا عليها ، وأسماء هتفوا بها وموتى نذروا لهم النذور ، وأحرقوا لهم البخور ، ونحروا لهم النحائر ، ورفعوا عندهم المقائر .. أقول : لما ظهر كل هذا الفساد تخاذلت دول الاسلام وتهافتت ، ودب فيها الضعف والفتور و ... وكدت أكتب كلمة الموت ، لولا أن ذكرت أن الحياة بدأت تدب فى بعض هذه الامم فطفقت تتحرك ، وشرعت تشعر بدائها وتبحث عن شفائها ، وما شفاؤها — لو علمت — إلا فى رجوعها الى الأخذ بأسباب دينها ، والعمل بما يدعوها اليه . ولن يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها

أجل : استيقظت بعض هذه الامم ، أيقظها ما سك مسامعها من قصف المدافع وأزيز الطائرات ، ودوى البوارج والمدمرات والنسافات والماخرات ؛ وتساقط القنابل والمفرقعات ، وتهدم المعاقل والمنشآت ، والقصور الشامخات ؛ والاطواد الراسيات ؛ وأنين الثكالى ؛ وتفجع الأيامى ؛ وعجيج أنهار الدماء ، وتطاير الاعضاء والاشلاء . ومن لم توقظه كل هذه الاهوال ؛ فهو من الموتى بغير جدال

ماشقيت الامم الاسلاميه إلا بتفرقها وتخاذلها ؛ وانصرافها عن العمل بكتاب ربها وسنة نبيها ؛ ولو أنها غيرت ما بنفسها من الفساد لغير الله ما بها ؛ وأعاد اليها ما كانت تنعم به، وتمرح فى ظلاله من العزة والمنعة والهيبة والسلطان (ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم)

سيقول المتشائمون من الناس : ان عودة العزة الاسلامية مطلب بعيد المنال لاسبيل الى تحقيقه ، ومطمح أبعد من الثريا لا وسيلة إلى بلوغه ، وحلم جميل تبدده اليقظة . وأقول لهؤلاء المتشائمين :رويدكم لاتيأسوا من روح الله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون : لو اقتنع كل فرد بفكرة الاصلاح فأصلح نفسه وأهله - وكل امرىء مطالب بذلك شرعا لقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون) - لو أصلح كل امرىء نفسه وأهله لصلحت الاسرة واذا صلحت الاسرة صلحت القرية والمدينة . واذا صلحت القرية والمدينة صلحت الامة . واذا صلحت الامم صلح العالم الاسلامى كله : فصلاح الفرد أساس لكل صلاح

أيها القراء الكرام: هذه مجلتكم الناشئة دخلت فى عامها السادس . ولها وطيد الثقة فى أن تلقى منكم من الاقبال على ماتقدمه لكم من الغذاء الروحى ، والدواء النفسى مالقيت وفوق مالقيت فى أعوامها السابقات . وبالله تتأيد ومن رحمته تستمد العون والتوفيق . وهو حسبنا ونعم الوكيل م؟

أبو الوفاء محمد درويش

السماحة فى المعاملة

للأستاذ الشيخ عبد العزيز الخولى رحمه الله

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « رحم الله رجلا سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى ، وفى رواية : وإذا قضى » رواه البخارى والترمذى وابن ماجه

السمح يطلق على السهل وعلى الجواد ، والأول هو المناسب هنا . والاقتضاء طلب قضاء الحق — يدعو النبى ﷺ بالرحمة وإسباغ النعمة للرجل السمح السهل. ودعاؤه عند الله بمكانة عظيمة لأنه صادر من النفس الطاهرة المخلصة، من اللسان المرطب بذكر الله فتفتح له أبواب الاجابة . (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقد ذكر النبى ﷺ السماحة فى أربعة أشياء : فى البيع والشراء والاقتضاء والقضاء .

فالسماحة فى البيع ألا يكون شحيحا بسلعته مستقصياً فى ثمنها مغالياً فى الربح منها مكثراً من المساومة فيها ، بل يكون كريم النفس راضياً بيسير الربح ، مقلا من الكلام . والسماحة فى الشراء أن يكون سهلا فى كياسة ، فلا يدقق فى الدانق والمليم خصوصاً إذا كانت السلعة شيئا هيناً كفجلة أو بصلة والمشترى غنياً والبائع فقيرا معدما ، ولا يسئم البائع بالأخذ والرد وتعطيله عن المشترين الآخرين أو مصالحه الأخرى ، ولا يكثر التقليب فى البضاعة بعد أن سبر غورها ووقف على حقيقتها. والسماحة فى الاقتضاء أن يطالب حقه أو دينه فى هوادة بلا عنف وفى لين بلا شدة ويراعى حال المدين ، فان كان معسرا نظره وأخره ، بل إن كانت حاله لا تسمح

بالسداد تصدق عليه بحقة أو من حقه (وإن كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لـكم إن كنتم تعلمون)

ومن السماحة فى الاقتضـاء ألا يطالب المدين على مشهد من الناس ومسمع خصوصا اذا كانوا لا يعلمون بالدين أو يتأذى المدين بالجهر ، وألا يلحف فى الطلب أو يطالبه فى أوقات راحته وهناءته فينغص عليه صفوه وهو من أحرص الناس على قضاء الحقوق ؛ وألا يرفع أمره الى القضاء وهو مستعد للدفع فى وقت قريب فيغرمه الرسوم وأجر المحاماة ويشغل باله ويستنفد من وقته من غير جدوى تعود عليه إلا الاضرار بأخيه . كل ذلك من حسن الاقتضاء

وأما السماحة فى القضاء فأن يرد الحق لصاحبه فى الموعد المضروب ولا يكلفه عناء المطالبة أو المقاضاة ، ويشفع القضاء بالشـكر والدعاء أو الهدية إن كان لها مستطيعا ، الى غير ذلك مما ينطوى تحت المسامحة .

فالحديث يرغبنا فى حسن المعاملة وفى كرم النفس ، وفى مراعاة المصلحة وفى حفظ الوقت .

***

(الهدى) أين معاملة المسلمين بعضهم بعضا فى هذا الوقت من هذا الدستور المحمدى الرحيم ؛ فلو أنهم اتخذوا هذه الوصية الحـكيمة شعاراً لهم ما التجأ ذو دين الى محكمة ، ولا ماطل مدين فى دفع ماعليه ، ولوقفوا عند أمر الله فى قوله (يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالـكم بينـكم بالباطل وتدلوا بها الى الحـكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون)

نعم لو اتبعوا هـذه الوصية الحـكيمة لما ضاعت الثقة فيما بينهم الى الحد الذى نراه الآن ، فأصبح الزبون يساوم فى شراء أى شىء ويبالغ فى المساومة لأنه لا يثق بتقدير صاحب السلعة ثمن سلعته معتقداً أنه لابد غاشه وأنه لاذمة لتاجر . . . وترى التاجر من جهة يبادل الزبون هذه العاطفة ! معتقداً أنه جاء لاختلاس بضاعته

فهو يضاعف ثمنها بادىء بدء ولا يصدقه فى تقدير ثمنها مبدئيا ، فعنده أنه لو صدقه فيه لنزل به الزبون الى النصف كعادة الناس جميعا فى المساومة مهما كان الثمن المعروض معقولا ، لذلك فهو يعامله من جنس معاملته لفقد ثقة أحدهما بالآخر . ولو قلد تجار المسلمين زملاءهم الأجانب فى تحديد الأسعار لاستراحوا وأراحوا ، حتى لقد أصبح كثير من الناس يرتاد محلات التجارة الأجنبية مع علمه بغلاء أثمانها ، ولكنه آثرها على مثلها من محلات مواطنيه توفيرا لوقته وراحته . ونعرف طائفة قليلة من التجار الوطنيين اتبعوا هذه الخطة فنجحوا أى نجاح ، وقصدهم الناس للفكرة نفسها .

ومما يؤلم حقا أن يكون أصحاب السلع الصغيرة من أكثر الباعة غشاً فى النوع والثمن والميزان ، فيعاملهم الناس بعدم الثقة بهم فتكثر المساومة معهم ويضطر أغلبهم لإعادة وزن مايوزن عند غيرهم ؛ ومن أخذ شيئا بلا إعادة ميزان أخذه غير مطمئن ، مع أن هذه الطائفة من أحوج الناس الى العطف والسماحة معها فى المعاملة والاحسان اليها ببذل أكثر مما تساويه السلعة ، ولكن هناك من يدقق مع أولئك أولئك البؤساء من غير حق فيحاسبهم على الفتيل والقطمير ويقلب الفاكهة التى مع أحدهم مثلا وهى ملء عربة صغيرة لأقة أو نصف أقة يريد شراءها ، وربما فعل ذلك وترك هذا المسكين من غير أن يشترى منه شيئا ، فما عاد عليه منه إلا الضرر فيمتلىء صدره عليه وعلى الناس جميعا حقداً وغلا ، وينتهز كل فرصة لغش من يستطيع غشه منهم بل يسرقه إن أمكنه ! !

ولو عمل هؤلاء بالسماحة والتجاوز عن بعض الحقوق التافهة لاسلت السخائم من قلوبهم ، ولكان لهذه المعاملة الرفيقة أثر بعيد فى إعادة الثقة إلى نفوسهم ، وإرجاعهم الى حظيرة الاستقامة ، فلا يلجأون الى غش فى الميزان ، ولا الى مغالاة فى الأثمان ، والراحمون يرحمهم الرحمن .

من صور الحياة المصرية

— ٢٣ —

اجرام نسيج وحده

نشرت جريدة الأهرام فى أحد أعدادها من عهد قريب مانصه :

﴿ حادث خطف الصبية ، التغرير بنحو ١٠٠٠ صبى ﴾

روينا أمس نبأ اعتقال ٦٠ شخصا كانوا يؤلفون عصابة للغرير بالصبية وإيذائهم فى أخلاقهم ، وتحريضهم على سرقة ماتصل اليه أيديهم . ونضيف اليوم أن الصاغ أحمد عبد الرحمن رئيس المباحث اعتقل أمس عشرة آخرين من البلطجية وردت أسماؤهم فى التحقيق

ويؤخذ من أقوال الصبية المجنى عليهم أن عدد الذين خطفهم أفراد العصابة وغرروا بهم يزيد على ألف صبى من مختلف الطبقات ، ولا يزيد عمر الواحد منهم على أربعة عشر عاما . وقد وفق البوليس حتى أمس الى العثور على نحو ٥٥ صبيا فى أثناء وجودهم فى الحمامات العامة والمقاهى والفنادق والمنتديات . وقد روى فريق منهم تفصيل ماوقع لهم مع البلطجية ، وكيف تم اختطافهم والتغرير بهم وتحريضهم على السرقة ، وأبوا أن يرشدوا المحققين الى أسماء ذويهم أو محال سكنهم خشية أن يقف ذووهم على مدى تدهورهم الخلقى !

ومن الوقائع التى كشفها التحقيق أن متهماً ممن اعتقلهم البوليس يدعى خليل مصطفى اختطف صبياً فى العاشرة من عمره يدعى فوزى وسافر به الى الزقازيق ، وهناك باعه الى شخص يدعى أحمد الدميرى بمبلغ ٥٠ قرشا ، فأخذ يستغله هو

وبعض الأفراد من الزقازيق ، ولما ساءت حالة المجنى عليه فر الى القاهرة ، وحدث أن عثر عليه المتهم الذى باعه ، فانهال عليه ضربا ، وأرغمه على المضى فى الطريق الشائن ، وهدده بالذبح إذا خالف أمره !

ويؤخذ من التحقيق أن المتهمين كانوا يجتمعون مع ضحاياهم فى عدة أماكن ، منها مقهى بشارع العشماوى ، وآخر بشارع كلوت بك ، ولوكاندة بحى الأزبكية ، وكانوا يباشرون هناك بيع الصبية بالمزاد العلنى كما تباع الخراف والماشية ! !

وقد أمر وكيل النيابة المحقق باحالة الصبية المجنى عليهم الى الطبيب الشرعى لفحصهم ، فاتضح من الفحص أنهم جميعا مصابون بأمراض خبيثة من الدرجة الأولى.

* * *

نشرنا فى العدد الماضى من الهدى عن مجلة الفتح شيئا من التقرير السنوى عن أعمال بوليس القاهرة سنة ١٩٤٠ بعنوان (الآداب العامة فى القاهرة) ثم قالت الفتح فى ختام هذه الكلمة : هذا كله فى القاهرة فقط والله أعلم بالذى لم يصل الى علم البوليس ولم يقع فى قبضته ، وأما الذى يجرى فى الأماكن المرخص بها فلا يحصيه غير ملائكة المنتقم الجبار ، مما يعاقب عليه بنقص فى الأموال والعافية فى الدنيا ، ودفع الى طبقات الجحيم فى الآخرة . ولقد صدقت الفتح ، فقد ظهر شىء لم يكن وصل الى علم البوليس وقت كتابة التقرير وهو حادث خطف الصبية الذى نحن بصدد الحديث عنه

والحق أن ماجاء فى هذا التقرير كان وصمة عار فى جبين القاهرة وصفحة سوداء فى تاريخها الحديث الغارق فى الاباحية والسائر قدماً الى التحلل من كل فضيلة .

كان هذا التقرير كشكولا لمختلف المخازى وعينات مما يرتكب فى هذه المدينة الطليقة . أما هذا الحادث الأخير فهو لون من ألوان الفواحش قلّ أن روى التاريخ له مثالا ، اللهم إلا ماحكاه القرآن الكريم عن قوم لوط فى كثير من آياته بأساليب تشعر بفظاعة ما كانوا يعملون ، وأنه عملٌ ماسبقهم به أحد من العالمين ، حيث

كانوا يأتون الرجال ويقطعون السبيل ويأتون فى ناديهم المنكر ؛ ولذلك جمع الله تعالى لهم بين عقوبتى الرجم والخسف ، وقد عاقب أغلب الأمم الظالمة التى قص من أخبارها بعقوبة واحدة . ولعل التلامذة المحدثين بزوا شيوخهم الأقدمين وتطوروا مع الزمن فكانوا فى اتباع طريقتهم من المجددين !!

بين سمع القاهرة وبصرها ، وعلى كثب من الأزهر : علمائه وأئمته ووعاظه ؛ ومن الحكومة : بوليسها ونيابتها وقضائها، تختطف عصابة من زبانية البشر ومردة الانس بقرابة الف صبى من مختلف طبقات المدينة ، من أحضان ذويهم إلى أحضان الرذيلة ، تكيفهم كيف شاءت ، وتطبعهم بالطابع الذى تريد ، فتخرج منهم الفسقة واللصوص وقطاع الطريق ، وناشرى الأمراض الفتاكة ، والمتجرين بكل سلعة محرمة ، والمقترفين لكل مأثمة . الف صبى من أبناء عاصمة الديار لا تشعر الحكومة بغيابهم إلا بعد أن يتموا دراستهم فى كليات الفجور ، ويتخصصوا فى فروع الشرور . الف صبى تتناشهم الأيدى المجرمة فتعدهم ليكونوا آفة البلد وعاره ، بعد أن كان يعدهم هو ليرقوا به وليحموا ذماره

الف صبى أعادت هذه العصبة الفاجرة بصنيعها معهم سوق الرقيق فى أشنع صوره وأبشع ألوانه ، حيث صارت تبيعهم بالمزاد العلنى بوجاهة صفيق وجرأة دلت على أنها لا تراعى للحكومة اعتبارا ؛ ولا تقيم لها وزنا ، بل ولا تفرض لها وجودا

واحسرتاه : أين آباء أولئك الصبية وأين غيرتهم على فلذات أكبادهم ؟ ألا ينجو نظر من غاب له غلام ولم يعرف مقره أنه مرتطم فى إحدى هذه الحمئات ؟ فكيف يسكت على شر مصيبة نزلت بمرض كريم ؟

الف صبى !! أما لهم الف عائل يكونون رأيا واحدا يطالب بتشريع يعز هذا يحمى أعراضهم من عبث العابثين ؟ أين ثورة نواب البلاد الذين وكلتهم للدفاع عنها ؟ وهل هنالك قضية هى أحق بالنظر وأولى بالعناية من قضية بيعت فيها الأعراض بيع السماح ، واعتدى فيها على العفة والفضيلة مثل هذا الاعتداء ؟

لئن كان هناك اختلاف فى الرأى بين نواب البلاد فى بعض الشئون السياسية فلا يصدرون فيها عن رأى واحد، فان من حق البلاد عليهم أن يتحدوا جميعاً فى التعبير عن شدة ألمهم لهذا الحدث الشنيع، ويطالبوا الحكومة بأخذ جارميه بأشد أنواع العقوبة الواردة فى القانون حتى تتاح لنا العودة إلى الحكم بما أنزل الله، فتقام على أمثال أولئك حدوده الزاجرة، فلا تحدث مجرم نفسه بعد ذلك باتيان شىء من هذه المخازى ـ والعبرة أمامه ماثلة

فى شارعى العشماوى وكلوت بك، وفى حى الأزبكية بجوار أقسام البوليس وفى ممر دورياته وعيونه تقام أسواق الرقيق لأبناء الأحرار من أهل القاهرة ـ لا من سكان الحبشة ولا من بلاد الجركس ـ وينادى النخاسون عليهم علانية؛ ويبيعونهم بالمزاد العلنى كما تباع الخراف والماشية على حد تعبير الاهرام، فينخفض ثمن الواحد منهم إلى خمسين قرشا !! ثم ينشر هذا فى الجرائد السيارة فيعلم الناس منه مبلغ هيبة الحكومة فى نفوس الأشرار ـ فى وقت تسود فيه الأحكام العرفية ـ كما يعلمون منه هبوط درجة عنايتها بالآداب العامة إلى ما تحت الصفر

(يا بلاش) !! بخمسين قرشا يباع ابن السادة الأحرار أو يباع عرضه بهذا الثمن البخس وهو ما لا يقدر بثمن؛ وكان بالأمس يباع العبد فى مثل سنه بخمسين كيسا، والكيس يقدر بشىء كثير من الريالات . وربما عدت الصفقة فى نظر البائع خاسرة وعند الانسانية غير مرضية : وهو انما ينتقل الى بيت يعز فيه ويكرم خير من بيته الذى ولد فيه

ثم يأخذ هذا الجرم ـ الذى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ـ دوره كأنه جريمة عادية من تحقيق النيابة فإحالة على القضاء فمحاكمة تقوم فيها المحاماة بمحاولة تبرئة المتهمين وقد تنجح مع بعضهم . وان ثبت على البعض الآخر عوقب عقوبة لا تزع آثما ولا تزجر شريرا

أقول : أمَا كان الواجب علينا جميعاً . شعباً ونوابا وحكومه ورجال دين : أن نجعل من هذه الحادثه مرحلة نقف عندها بعد تجربة ما يقرب من سبعين عاماً قضيناها فى الحكم بغير ما أنزل الله ، لنفكر فيما نزل علينا طوال هذه السنين من بلاء ، وما جرته علينا هذه القوانين الدخيلة من مصائب فى ديننا وأخلاقنا حتى اختل الأمن ، واستهتر الناس بالآداب ، وسخروا من الفضيلة ، فعاقبنا الله بترك شرعه إلى قانون نابليون بالذلة والمسكنة وسوء المصير

نعم : ألا تكفى تجربة هذه الأعوام الطويلة بخزيها وفوضاها الضاربة بجرانها فى كل شئوننا ، فنعود الى القرآن[1] لنستطب بدوائه ، فان دواءه لمثل هذه الحادثة يستأصل شأفة العلة . فاستمع اليه إذ يصفه بقوله (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوْا من الأرض . ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) نعم : هذا هو العلاج الذى يحسم مادة الشر ، ويفل من غربه متى طبِّق بحزم وقوة . وسرعان ما تعود للحاكم هيبته ، وللقانون ـ قانون السماء ـ صولته : وان فى الحجاز وما كان عليه ، وما أصبح فيه ، لذكرى للذاكرين

لست أدرى ما الذى يُقعد هذه الامة الاسلامية المظاهر إلى اليوم عن إحلال

---

(١) لقد قام فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بالواجب عليه فى هذا الامر حيث دعا إلى الحكم بما أنزل الله فى أحد دروسه الدينية أمام حضرة صاحب الجلالة الملك ورجال حكومته . فلعل الله يلهمهم تنفيذ مادعا اليه فضيلته . كما أنه من أحسن ما كُتب فى الموازنة بين الحكم بالشريعة المطهرة والحكم بهذه القوانين الاجنبية : محاضرتا العالمين المحققين الاستاذ أحمد شاكر القاضى الشرعى والاستاذ عبد الوهاب خلاف مدرس الشريعة بالجامعه المصريه . وقد سبق لمجلة الهدى أن نشرتهما تماماً فى العدد السادس من السنة الخامسة ، ثم طبعتهما على حدة

أحكام الشريعة محل هذه القوانين التى تحتضن كثيراً من أنواع الرذائل وتحميها، والتى رأت منها الويل فى كل مقوماتها مدة خضوعها لاحكامهـا . فان كانت الغيرة الـكاذبة على أعضاء المجرمين أن تقطع فى حد من حدود الله، ومنافاة ذلك - على زعمهم - للانسانية، وانه إن كان يتناسب مع طباع القرون الوسطى، فلا يتناسب مع حضارة القرن العشرين — نعم إن كان ذلك وأمثاله هو الحائل بيننا و بين العمل بأحكام الشريعة كما يزعمون ؛ فان أساتذة الآخذين بهذا المبدأ: مبدأ احترام الانسانية !! بيعت الأرواح فى بلادهم بيع السماح، وصار الزوج منهـم لا يساوى زوج حذاء خلِق !! فما هى إلا نزوة فى عقل ملتاث ألقيت اليه أزمّـة أمة قوية فى هذا العصر المجنون حتى يرسل جنوده الى شعب آمن يسيمونه تقتيلا وتعذيبا ؛ ويسيمون دياره هدما وتخريبا، بنتاج حضارة القرن العشرين من مدافع وطيارات وبوارج ودبابات . سبحان الله ! أيغارون على عضو يقطع أو فرد يُقتل فى سبيل إصلاح المجتمع، ولا يغارون على شعوب بريئة تُستعبد أو تباد

يا رجال الدين، يامن يهمهم أن تكون كلمة الله هى العليا ؛ يامن تحبون أن يُحكم فينا بما أنزل الله : إن لكم فى هذه الحادثة وأمثالها أقوى حجة تقدمونها بين يدى جهادكم فى هذا السبيل ان كنتم فاعلين.

محمد صادق عرنوس

تجديد الاشتراك

نرجو إدارة المجلة من حضرات المشتركين الذين انتهت مدة اشتراكهم بانتهاء السنة الخامسة : أن يعجلوا بارسال قيمة الاشتراك عن هذه السنة ولهم الشكر

بين عامين

توجيه الدعوة الى أهل الأرض

فى أشخاص ملوكهم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد مخيمر الواعظ بالقاهرة

إذا رجعنا بالمسلمين الى المحرم من عام سنة سبع من الهجرة والى المحرم عام سنة ١٣٦١ هـ ، وقارنا بين العامين ، اتضح لنا البون الشاسع بين مجهود المصلحين الداعين إلى الحق والعدل والبر والاحسان ومعرفة الناس بربهم ، وبين مجهود يبذل لإشباع مطامع فريق من أهل الأرض على حساب بقية أهلها باسم المدنية أو الحرية أو الديموقراطية ، مما آل بالبشر إلى إحلال الظلم محل العدل ، والباطل محل الحق ، وإحلال الشر والفساد محل البر والاصلاح . إذا قارنا بين هذين المجهودين السابقين اتضح لنا الفرق بين الدين الاسلامى وأهله المستمسكين به المستبصرين بهداه وبين ماعليه الناس اليوم .

وافى المحرم سنة سبع من الهجرة بعد عودته ﷺ من عمرة القضية ، فاذا ملوك الأرض أمام أشعة من هذا السراج المنير ، واذا صائح بدعوة الحق يناديهم أن سيروا فى نور هذه الأشعة ولا تحيدوا عن الطرق التى انتشر فيها ذلك النور تلك الأشعة التى يبعثها هذا السراج المنير هى كتب رسول الله ﷺ الى ملوك الأرض وأممها تناديهم أن ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين .

رأى ﷺ بعد عقد الصلح بينه وبين أهل مكة وإحلال الطمأنينة والسلام والوحدة والوئام محل الخوف والفرقة والاختلاف والخصام – أن يبلغ دعوة الحق

التي أرسله الله بها مبشراً ونذيرا ، والتي تكفل للبشر سعادة دائمة في حياتهم المؤقتة وحياتهم الأبدية ؛ فبعث بكتابه الخالد الى المقوقس عظيم القبط بالاسكندرية ، والى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ، والى المنذر بن ساوى عظيم البحرين ، والى هرقل عظيم الروم بالقسطنطينية ، والى كسرى عظيم الفرس بالمدائن وراء سواد العراق .

ولما كان الكتاب الذي بعث به ﷺ الى قيصر الروم أطولها وأوفاها بالغرض المقصود من تبليغ الدعوة ، وقد اكتنفته ظروف وأمور لم تكتنف بقية الكتب ، فقد رأينا أن نجعله موضوع حديثنا بمناسبة حلول المحرم سنة ١٣٦١ تاركين الكلام في التاريخ الهجري لمن شاء . واليك نص الكتاب المذكور من رواية الشيخين البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ، مع بيان الأحكام التي اشتمل عليها حسبما ييسر الله تعالى :—

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام — ولمسلم: بداعية الاسلام— أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

وكان عظيم الروم من أعلم علماء أهل الكتاب بما أنزل الله على عيسى ، وكان في وقت إرسال الكتاب اليه يتفقد شئون ملكه ببلاد الشام ، فوصل كتابه مع كتاب ملك الشام في وقت واحد ؛ فلما وصله بعث يبحث عن أناس من أهل مكة ؛ فصادف أن أبا سفيان وجماعة من أهلها كانوا موجودين بالشام في ذلك الحين ، فأخذهم رسل ملك الروم اليه ؛ ثم أعطى ملك الروم الكتاب إلى

ترجمانه وأوقف أبا سفيان أمامه وأوقف الذين كانوا معه وراء أبي سفيان وقال لهم إني سائله عن أمور فان كذبني فكذبوه . وكان هرقل قد أصابه من الهم والكرب والتفكير في عاقبة ملكه وماذا يكون لو اتبع هذا النبي الذي لا يشك في نبوته ماجعله في حيرة واضطراب . وقد استدعى من القسطنطينية أعلم رجل يستشيره في الأمر بعد أن درس الكتاب بينه وبين نفسه ، فوافق على كل ما استقر عليه رأى هرقل . وكان ذا دراية بعلم النجوم ؛ وكان يعلم أنه إذا ظهر في السماء نجم كذا فانه يظهر النبي الموعود به على لسان موسى وعيسى ، فطلع ذلك النجم بعد وصول الكتاب اليه .

﴿ أسئلة هرقل إلى أبي سفيان وجوابه عنها ﴾

قال هرقل : كيف نسبه فيكم ؟ فقال : هو فينا ذو نسب ، قال : هل كان في آبائه من ملك ؟ فقال أبو سفيان : لا ، قال: هل قال هذا القول أحد قبله ؟ قال أبو سفيان : لا ؛ قال: هل علمتم عليه كذبا ؟ قال أبو سفيان: لا ؛ قال: يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ قال: بل ضعفاؤهم ، قال : هل يرتد أحد عن دينه سخطة له ؟ قال: لا ، قال: هل حاربتموه ؟ قال: نعم ؛ قال: كيف كانت الحرب بينكم وبينه ؟ قال : سجال ينال منا وننال منه ؛ قال : بِمَ يأمركم ؟ قال : يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف وصلة الرحم ، قال : هل يغدر ، قال : لا ونحن منه في مدة لا ندرى ماهو فاعل فيها :

فقال هرقل : سألتك كيف نسبه فيكم فقلت هو فينا ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في أنسابها . وسألتك هل كان في آبائه من ملك فذكرت أن لا ، ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله فذكرت أن لا ، ولو قال أحد هذا القول قبله لقلنا رجل يتأسى بغيره . وسألتك هل علمتم عليه كذبا فذكرت أن لا ، وما كان له أن يدع الكذب على

الناس ويكذب على الله . وسألتك يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم فذكرت أن أتباعه ضعفاؤهم ، وكذلك أتباع الرسل من قبله . وسألتك هل يرتد أحد عن دينه سخطة له فذكرت أن لا ، وكذلك الايمان إذا خالطت بشاشته القلوب . وسألتك عن حربه معكم فذكرت أنها سجال ، وكذلك الرسل . وسألتك عما يأمركم به فذكرت أنه يأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف وصلة الرحم ، وبمثل ذلك تأمر الرسل . وسألتك أيغدر فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر .

قال أبو سفيان فى سياق القصة : فلما أن سمع ما أجبته به وأعاده وزاد عليه مازاد قال: إنه لنبى حقا ولو وصلت اليه لغسلت عن قدميه . فلما خرجت من عنده قلت : لقد أَمِرَ أمر ابن أبى كبشة حتى أصبح يخافه ملك بنى الأصفر . فما زلت موقنا أنه سيظهر علينا . قال البخارى رحمه الله تعالى بعد سوقه ماذكر: هذا آخر خبر هرقل .

هذا ماصح من خبره عند الامام البخارى رحمه الله تعالى . ثم ان ملك الروم جمع أكابر دولته وعلماءها فى قصر وغلق أبوابه وصعد اليه وأطل من إحدى شرفاته وقال لهم : إنى جمعتكم لأطلعكم على هذا الكتاب الذى وصلنى من هذا الرجل الذى يزعم أنه النبى العربى ، وإنى أنصح لكم أن تتبعوه ؛ فحاصوا حيصة حُمُر الوحش . فلما رأى أنهم قد نفروا نادى فيهم أن انصتوا ، فسكنوا ، فقال لهم : إنما قلت لكم ماقلت لأمتحنكم وأعلم شدة تمسككم بدينكم وإنى معكم على ما أنتم عليه ؛ فانصرفوا بعد ذلك وهم عنه راضون ولعمله شاكرون .

ثم حدثنا التاريخ أن هرقل ثبت على كفره وأنه حارب النبى ﷺ مرتين : سنة سبع من الهجرة فى غزوة مؤتة من أرض الشام وان لم يخرج فيها النبى ﷺ ولا هرقل ، وفيها قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة وهم الذين عينهم النبي ﷺ عند إرسال الجيش بقيادته على التعاقب فقال

إذا مات زيد فالأمير جعفر ، فاذا مات فالأمير عبد الله بن رواحة . وبعد موت الثلاثة قاد الجيش خالد بن الوليد رضى الله عنه . وكان الجيش أربعة آلاف فى مقابلة عدو يبلغ مائة وخمسين ألفا تقريبا ، فأوهم العدو أن المدد جاءه بعد موت الثلاثة ، وبذلك نجى الجيش من الموت ؛ فلما رجع الى المدينة قال بعض الناس قد فرّ خالد ، فقال ﷺ : لا بل انه الكرار وإنه سيف من سيوف الله ، فلقب بذلك من يومئذ . والمرة الثانية فى غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة ، وهى آخر غزوة له ﷺ خرج فيها ولم يقع فيها قتال .

ثم حارب هرقل بعد ذلك أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وفى خلافة عمر ذهب ملكه بعد وقائع مشهورة بين جيشه وبين المسلمين ، وقد فر الى القسطنطينية عاصمة ملكه وقال عند فراره : السلام عليكِ ياسوريا سلام من لايراكِ بعد . والذى عليه المحققون من علماء المسلمين أنه لم يؤمن بل يكاد يكون إجماعا منهم

وموعدنا بشرح كتاب النبى ﷺ اليه الأعداد التالية إن شاء الله .

محمد محمد مخيمر

كراهة تفضيل بعض الأولاد فى الهبة

روى مسلم فى صحيحه عن النعمان بن بشير قال : تصدق علىّ أبى ببعض ماله فقالت أمى عَمرةُ بنت رواحة : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ ، فانطلق أبى الى النبى ﷺ ليُشهده على صدقتى ، فقال له رسول الله ﷺ « أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ قال : لا ، قال : اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » ، فرجع أبى فرد تلك الصدقة .

ابن عربي صاحب الفصوص

فتن كثير من العامة وأشباههم بابن عربي وشيعته الذين يعتقدون وحدة الوجود التي هي أخبث عقيدة وأضلها ، وأقام العامة وأشباههم لتلك الفئة الزائغة صروحا من المجد ليسوا لها بأهل ، كما أقاموا على قبورهم الأنصاب الجاهلية والقباب الهائلة ، ليجذبوا قلوب الناس إلى تعظيمهم وعبادتهم كما كانوا في حياتهم يطلبون ويرجون . وقد فند كثير من العلماء قديماً وحديثا مزاعم ابن عربي وشيعته ، وسأقتطف لك جملة من رسالة سعد الدين التفتازاني شارح التلخيص في علوم البلاغة وغيره من المؤلفات الكثيرة المشهورة لتقف على مبلغ زيغ هذه الطائفة . قال رحمه الله :

اعلم أن صاحب الفصوص قد تجاهر بالوقاحة العظمى ، وتجاوز بالحماقة الأمد الأقصى ، حيث فضّل نفسه الدنية بفرط شقائه ، على الذي آدم ومَن دونه تحت لوائه ، بأن جعل في تكميل الدين لبنة الذهب : نفسه الغوى المبين ، ولبنة الفضة : خاتم النبيين ، بل كذّب بهذا رب العالمين حيث زعم أن الدين لم يكمل بسيد البشر المبعوث إلى كافة العجم والعرب ، بل كان بقي منه موضع يسده لبِنَتان فضة وذهب ، فلبنة الفضة : النبي الذي ختم به النبوة . ولبنة الذهب : الولي الذي ختم به الولاية ـ يعني نفسه المبطل المرتاب ، الأوقح من مسيلمة الكذاب ، حيث لم يرض ذلك الوقح الغاوي ، بما رضي به مسيلمة من ادعاء رتبة التساوي ، ولذا تسميه الملاحدة من الاشقياء بخاتم الأولياء ، ويفضلونه ـ لعنهم الله ـ على خاتم الرسل والانبياء

ثم ان حال الحشيش حمله على ترويج هذه الزندقة الشنعاء باختلاق رؤيا لا يصدقها إلا الاغبياء الأغوياء ، وهي ما أودعها في ديباجة الفصوص : أنه رأى النبي ﷺ في المنام ، وقد أعطاه الفصوص وأمره باشاعته بين الانام ، وهل سمعت عاقلا يروج الزندقة المخالفة للعقل والشرع ، الباطلة بأسرها من الاصل والفرع ، بأن النبي ﷺ

بعد مامضى ستمائة عام من وفاته ؛ أمر فى المنام باظهار مايهدم ملته التى مهدها ثلاث وعشرين سنه إلى آخر حياته ، ويجعل الكتب المنزلة من السماء تدليسا لأمر المبدأ والمعاد على العالمين ، والرسل والانبياء مع الصادقين فى دعوى الالوهية : معاندين مجادلين . مسمين للعارفين بالله : سفهاء جاهلين . وللعابدين لله : أغوياء مشركين . ولأمر المبدأ والمعاد : مدة حياتهم على العباد مدلسين . إلى أن أزال ذلك التدليس والتلبيس بعد انقضاء عهد الأنبياء والمرسلين ، ذلك الحشاش الغوى المبين

ولا يخفى على معاشر العقلاء أن اختلاق مثل هذه الرؤيا لترويج مثل هذه الدعوى شهادة صادقة على مايحكى عنه أنه كان كذابا حشاشاً كأوغاد الأوباش . فقد صح عن صاحب المواقف عضد الملة والدين ، لما سئل عن كتاب الفتوحات لصاحب الفصوص قال : أفتطمعون من مغربى يابس المزاج ويأكل الحشيش شيئا غيرَ الكفر ؟

وقد تبعه فى ذلك ابن الفارض حيث قال : أمرنى النبى ﷺ بتسمية التائية : نظم السلوك . ولا يخفى على العاقل أن ذلك من الخيالات المتناقضة الحاصلة من الحشيش إذ عندهم أن وجود الكائنات هو الله تعالى ، فإذاً الكل هو الله لا غير ، ولا نبى ولا رسول ، ولا مرسِل ولا مرسل اليه ، ولا خفاء فى امتناع النوم على الواجب ، وفى امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبى بشىء فى المنام ، لكن لما كان الكل ساقطة لاقطة ، ترى طائفة من الجهال ذلت له أعناقهم خاضعين أفراداً وأزواجا ، وشرذمة من الضلال يدخلون فى جوف فسوق الكفر بعد الايمان زُمراً وأفواجا ، مع أنهم يرون أنه اتخذ آيات الله وما أُنذروا به هزوا ، وأشرك جميع الممكنات حتى الخبائث والقاذورات بمن لم يكن له كفواً أحد ، لأنهم يزعمون أن ما اشتمل عليه كتاب الفصوص من الزندقة الهادمة لبنيان الدين المرصوص ، إنما ظهر للكفرة المتفلسفة ؛ ولأتباعهم الزنادقة المتصوفة بالكشف والعيان ؛ ولا يهتدون أن الكشف الذى يرده الشرع شعوذة الخيال وخزعلة الشيطان

ثم انهم اذا تتلى عليهم آيات الله البينات القاطعة بأنهم فى ضلال مبين : وعن

الصراط السوى من الناكبين ، الناطقة بأنهم من دين الاسلام كما يمرق السهم من الرميه مارقون ؛ ولاجماع الرسل والانبياء على ما نطق به الكتب المنزلة خارقون ؛ يلوون ألسنتهم فى تأويلها لحنا فى الحق وطعناً فى الدين ؛ ويخوضون فى تفسيرها بما يطابق مذهب الملحدين ، ويخالف قواعد الاسلام واجماع المفسرين . فهم بذلك التأويل فى آيات الله يلحدون ؛ و بذلك التفسير هم بالله كافرون . اذ قد صح عن سيد البشر « ان من فسر القرآن برأيه فقد كفر » وانعقد اجماع أهل العلم والاجتهاد ، بأن صرف النصوص عن ظواهرها الى معان يدعيها الباطنية زندقة وإلحاد .

واذا قيل لهم : ان الله تعالى قد أكمل هذا الدين بخاتم النبيين ؛ وجعل شريعته مؤبدة الى يوم الدين ، والزيادة على الكمال ؛ نقص واختلال ، فضلا عن هدم الشريعة المؤبدة فان ذلك كفر وضلال : يخدعون الجهلة بتشبيه الالحاد فى آيات الله بما يهدم دين الاسلام ، باجتهاد المجتهدين فى تقييد الاطلاق وتعميم الخصوص . وشتان بين الاجتهاد والالحاد .

جل بضاعتهم المكابرة لبديهة العقول ، وكل صناعتهم الالحاد فى قول الله وقول الرسول ؛ لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون ، وفى الضلال البعيد تائهون ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

ثم ان عامة أولئك الملاحدة المتصوفة المقلدين للكفرة الوجودية المتفلسفة ، يجاهرون بألوهية وجود جميع الممكنات حتى وجود الخبائث والقاذورات ، وباباحة جميع المحرمات ، وباضاعة الصوم والصلاة ؛ وتستر خاصتهم باظهار شعائر الاسلام اقامة الصلاة والصيام ، وتمويه الالحاد بزى النسكة والتقشف ، وتزبيق الزندقة بتسميتها علم التصوف . وهم الذين وصفهم سيد البشر وخير البرية انهم قوم فى الصورة فى الدين يحقر أحدكم صلاته وصيامه عند صلاتهم وصيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . فيستميلون بتسويل ذلك الاسم الجليل ،

وبتدليس الكفر باظهار الفعل الجميل، كثيرا من أهل الاسلام ويضلهم عن سواء السبيل ،لاسيما إذا استدرج الله منهم طائفة من حيث لا يعلمون ، فأظهر شيئاً من خوارق العادات على بعض أولئك الملاحدة كما يظهرها على الكفرة ،فهنالك الجهال يعتقدون ذلك الزنديق صديقا، بل يتخذون ذلك الدجال إلها بالخضوع له حقيقة، كما أن من قبلهم من المشركين على ما أخبر به رب العالمين (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .والمسيح بن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون

وقد اتخذ الجلال الرومى من هؤلاء شمس التبريزى إلها حيث قال له: أنت إلهى الذى أوصلتنى الى الحق ، وأنت الحق الذى أديت حقى ،حيث علمتنى مذهب الوجودية ، وعرفتنى أنك وجميع الممكنات إله ؛ ولولا أنت لكنت أعتقد كما يعتقد أتباع الرسل والأنبياء أن الله هو غير وجود الكائنات ؛ وأكون من القاصرين الذاهلين ، لا من المحققين الواصلين

ولا يخفى على آحاد معاشر المسلمين، فضلا عن أئمة الدين ورؤساء الحق واليقين، أن من تدين بهذا الضلال المبين ، وتجنح بهذا المذهب الباطل المهين ، فقد سجل على نفسه ـ وان عبد عبادة أهل السموات والأرض ،أو ظهر عليه خوارق العادات ـ بأنه أكفر الكافرين وأخسر الخاسرين

ثم اعلم أن صاحب الفصوص قد زاد على ماسبق من الزندقة والضلالة ، ضغثاً على إبالة، فقال : خرج فرعون من الدنيا طاهراً ومطهرا ـ وذلك انكار لما ثبت أنه مات على الكفر ، بالنصوص الناطقة المذكورة فى اثنين وعشرين سورة من القرآن ، وباجماع الأمة فى كل عصر وزمان

على أنه فى ذلك الكفر الشنيع اللاحق ؛ مناقض لكفره الفظيع السابق ، بأن كل من ادعى الألوهية فهو صادق فى دعواه : فمتى كان فرعون بزعمه كافراً ، حتى يقال إنه بكلمة التوحيد حال الغرق خرج عن الدنيا طاهراً ومطهرا ؟

وقد استدل على ذلك بأنه لو كان له أدنى شعور وإلمام، بخواص تراكيب الكلام، وتصديق بقواعد الاسلام ، لعرف أنه حجة عليه لا له ، وهو قوله تعالى (حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) فزعم لفساد فهمه القاصر عن معنى الكلام ، وإلحاده فى عقائد الاسلام : أن كون فرعون من المغرقين لا يدل على عدم قبول ايمانه ، وان الايمان حال اليأس وهو حال معاينة العذاب مقبول لكنه انما ينفع فى رفع عذاب الآخرة ولا ينفع فى دفع عذاب الدنيا الا لقوم يونس عليه السلام ، متمسكا فى ذلك بما لو عرف اجماع المفسرين وقواعد الدين لعرف أنه أيضا حجة عليه لا له ، وهو قوله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) فزعم بناء على جهله بتفسير القرآن وإلحاده فى آيات الملك الديان أن قوم يونس عليه السلام آمنوا حال معاينة العذاب فقبل الله ايمانهم ، ورفع عنهم عذاب الآخرة ، وخصهم بكشف عذاب الدنيا أيضا ، فيكون ايمان فرعون أيضا حال معاينة العذاب وهو الغرق مقبولا ، نافعاً فى دفع عذاب الآخرة لا فى رفع عذاب الدنيا وهو الغرق ، لأن كشف عذاب الدنيا مختص بقوم يونس عليه السلام. وحمل قوله تعالى (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) على عدم النفع فى الدنيا فقط لا عدم النفع فى الدنيا والآخرة جميعاً ـ على مادلت عليه النصوص القاطعة وانعقد عليه اجماع الأمة ، وهو مذهب أهل السنة ، ودل عليه سياق هذه الآية أيضا وهو قوله تعالى (سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون) قال صاحب الكشاف (هنالك) المكان استعير هنا للزمان : أى وخسر وقت رؤية البأس وهو شدة العذاب . والمعنى ان عدم قبول الايمان حال اليأس أى وقت معاينة العذاب: سنة الله مطردة فى كل الأمم . ولهذا جعل المتلفظون بكلمة الايمان حال اليأس من الخاسرين وسماهم كافرين ، فكيف يتوهم انهم صاروا بذلك مؤمنين ؟ ؟

أدبيات

الإسلام بين ماضيه وحاضره

الحنيفية البيضاء ، والملة السمحاء . وحى الله الى أنبيائه ، ومنشوره لسفرائه .
خلاصته التامة ، ودعوته العامة : أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وإياى فاتقون كلما غير الناس بمتابعة الوسواس الخناس ، وتطاول عليهم الزمن فصرفهم عن واضح السنن .

شرعة ابراهيم الخليل ، ومن قفاه من الرسل جيلا بعد جيل ، حتى انتهت وراثتها الى خاتم النبيين ، ووضعت رايتها فى يد سيد المرسلين ، ونُزِّلت اليه أصفى من الورق ماء وأبهى من الشمس ضياء وأطول من الدهر بقاء . لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ولا كزيتها فى الاضاءة زيتا . من أدهش معجزاتها صلاحيتها لكل زمان وموافقة علاجها الطبيعة كل انسان ؛ وكان الناس قبلها قد ضلوا الطريق ، وأشركوا بالله حتى فى بيته العتيق ؛ فأقاموا على سائر الأركان من النصب والأوثان ما سوّل لهم الشيطان ، وأضفى عليها من القداسة ما أضفى ، ليوهمهم أنها تقربهم الى الله زلفى

فدعاهم الرسول الى التوحيد ، بالحجة البالغة والمنطق السديد . حاجّهم بنعم الله الباطنة والظاهرة ، ودلائل قدرته الباهرة ، من سماء ذات فلك دوار ، ربط بجاذبية تحول بينه وبين الانهيار ، فلا يحل نظامه إلا زلزلة القيامة ؛ ومن حركة بعض كواكبه تعاقب الليل والنهار بهذا النظام الذى حير الأفكار . وهذه الأرض وما حوت من جبال وبحار ، يستحيل ماؤها الى ينابيع وأنهار بعملية التسخير المسخرة من اللطيف الخبير ؛ فبينما هو ملح زعاق إذا به حلو المذاق ، ينبت من كل الثمرات ومختلف الغلات (حباً وعنباً وقضبا ، وزيتوناً ونخلا وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا)

وإن الخالق المالك ، الواهب كل ذلك لهذا النوع الجحود العاق الكنود ، من حقه أن يعبده وحده ، ويرجى ما عنده ، فلا يتخذ العباد من دونه الأنداد ؛ وقد علموا أنهم جميعا لديه سواء ، أذلاء ضعفاء فقراء ، كلهم لآدم وآدم من تراب فلا ميزة عنده بأجناس ولا بأنساب ، الكريم عنده من كرمته تقواه ، فهو هو الفائز دون سواه ، والذى رشحه عمله الشخصى واجتهاده الذاتى ليرجح فى الميزان وينجح فى الامتحان . وكل من تعلق بالوسائط ، فقد صدر من غير ضابط ، أمله ساقط ، وعمله حابط (أوَلم ينبأ بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفّى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان إلا ماسعى . وأن سعيه سوف يُرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى)

والقرآن - مادة الاسلام ومصدره ، وغذاؤه وجوهره - يدعو فى كل آية إلى هذه الغاية ، مثال ذلك ما أُرض به الرسول فى سورة الاخلاص أو الدرة اليتيمة فى هذا المغاص (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد) فاذا تناول غير التوحيد بوصف أو تقرير ، فهو له بمثابة الروافد للنهر الكبير

وما زال القرآن ينزل آيات بعد آيات على هذه القلوب الموات كما ينزل الصيب الوبل على الوادى المحل فيهتز ويهيج وينبت من كل زوج بهيج . وما زال جبريل يغدو ويروح ، بالهدى والشفاء والروح ، حتى تبدل الناس غير الناس ، وعرفوا موضعهم من بقية الأجناس ، وأدركوا معنى كرامة الانسان ، وفرق مابينه وبين سائر الحيوان ؛ وعادوا الى العقل يستهدونه والى الفكر يستعملونه ؛ بعد أن أتت على الانسانية آماد عصفت بها ريح الاستعباد فاقتلعت مميزاتها واجتثت مقوماتها ووقع العقل فى سبات من جراء هذه الضربات ، فخلا الجو للخرافات ؛ واستمرأ الظلمة هذه الحالة واستغلوا هذه الجهالة ، فبيعت الجنة بالقيراط ؛ وأصبح غفران الذنوب من نوع المطاط !! بحسب ماتمليه الشهوات والأهواء ؛ والحلول فى الأرض حلول فى السماء !!

فما أفاق العقل إلا على صوت الرسالة المحمدية وصيحة الشريعة الاسلامية ؛ فكسّر الأغلال بعد أن تكهرب بالسيال ؛ واندفع يفكر فى آيات الله متلوّها ومشهودها ؛ ويطلب لصاحبه النجاة حاضرها وموعودها ، فكان أسد الغابة وهم الصحابة أول من أجاب نداء العقول باستجابتهم الى دعوة الرسول ، وعرفوا أنها الحق الواضح صدع به الأمين الناصح ؛ فجاءوا اليه مذعنين ، ولبوه غير وانين ؛ فراضى بهم الشموس وهذب النفوس ؛ وغزا بهم الباطل وأهله فانتصر بهم على قلة ثم أرسلهم كواكب فى المشارق والمغارب فمحوا الظلمات وأزالوا الظلامات واستقام بهم العوج وانتفى الحرج حتى فتحوا الدنيا على غير مثال ، فحكمهم فى الأنفس والأموال ، فكانوا فى الأنفس من العادلين وفى الأموال من الزاهدين . فتحوا بالأخلاق والآداب مالم يفتحوا بالسيف القرضاب . القرآن من ألفه الى يائه ، عند أميّهم من أحفظ قرائه ، لا بالتجويد والتطريب والتلحين ، ولكن بالفقه والعمل والخلق المتين ؛ فكان يحافظ على الأمانة ولولم يستوعب آياتها ، وينفذ العدالة ولو لم يحط من النصوص بأشتاتها . فهو يعنى بالتطبيق لا بكثرة المسائل ، وينفذ إلى الغايات فلا تعوقه الوسائل . أينما توجهوا شرف بهم الاسلام وعز جانبه ، وشهد لهم بالنصفة عدوه وصاحبه ؛ فكانوا له أصدق عنوان وعنه أجمل إعلان

عبودية لله أذلت لهم التيجان ، وأكسبتهم العزة فى كل مكان ، والنصر فى كل ميدان : وتجريد للتوحيد كانوا به سادة العبيد ؛ وتضحية خالصة فى سبيل الله بغالية الأعلاق من نفس ومال وجاه . نماذج كاملة لأهل المدينة الفاضلة ، مما رسمته الفلسفة ؛ وخلعت عليه أبدع صفة ، ولكنه رسم أوحاه الخيال ، لم تتم منه على مثال ؛ حتى حققه أولئك السادة ، تحقيقا بلغ الغاية وزيادة ، فكان جندهم هم الجند وقادتهم هم القادة . وناهيك بنفر قوامه مثل أبى بكر وعمر ، وبقية الباقة المعطار من المهاجرين والأنصار ، من كانوا بحق خير أمة ، عليهم صلوات من ربهم ورحمة

ثم ورثوا عهدهم لمن قاموا بعبئه ، واضطلعوا بظاهره وخبئه ، وطلعوا على البشر

مطلع الشمس والقمر ؛ فلم تر العدالة أوفى من هذه السلالة ، عرفت للحرية قدرها ، وللحق جلاله .

ثم تلاحقت السنون ، وتبدلت الشئون ، وجاءت أيام ، عثر فيها الاسلام ، لا بعيب فيه ؛ ولكن باكتفاء بنيه بألفاظه دون معانيه ، حتى ظنوا أن حفظ القرآن فى الصدور ؛ أو المحافظة عليه فى السطور ؛ هو لمجرد بركة ؛ لا تستلزم عملا ولا توجب حركة وسلكوا فى تأويله دروبا من الضلال ؛ واخترعوا فى تبديله ضروبا من المحال . ينفر منها العقل ويبالغ فى تزييفها النقل . ألم تر كيف صنعوا بالتوحيد وهو حق الله على العبيد؟ ذلك الكوكب الدرى ؛ بل العمود الفقرى ، لا لهذا الدين الخاتم بل لكل دين من لدن آدم ، فقبوله كما جاء فرض وفوق الفرض ، إذ عليه قامت السموات والأرض ، ولكنهم مسخوه من وحى الشيطان بتعاليم ، خالفوا بها وحى الله على خط مستقيم ، فأصبحت ترى مع الله آلهة أخرى . من مشايخ وأولياء بزعمهم وهلم جرا . يدعوهم فى الحاجة ، كل ذى حاجة ، وهم أموات غير أحياء ، تفتتت منهم العظام وبليت الأعضاء وتنبهم يدعوهم استقلالا دعوة سافرة ؛ ومشركهم يتقرب الى الله بأنفاسهم الطاهرة . ومن عادة هذه الأنفاس ، أن لا تطهر الا إذا رشا أربابها الناس ! بأغلى ما يملكون وأنفس مايقتنون ، فى صورة الهدايا والنذور يستحلها أهل البغى والفجور ، من مردة الشياطين سدنة أولئك المقبورين . لعنة الله عليهم أجمعين

ولقد انتشر هذا الشرك . وطغا هذا الافك . حتى عم جميع الديار . المعروفة بالاسلامية . كما رصفتها الكتب الجغرافية . فلا تخلو منها مدينة ولا دسكرة . من قبة مزورة . صاحبها بين أهلها وربهم قنطرة !! يقصد فى قضاء الحاجات ويصمد اليه فى دفع الملمات . ومع ذلك فآيات الكتاب واضحة : المشركين فاضحة . وعلى كل ألوان الشرك قادحة . حتى وان تلبس بها بعض ولد على . وهم من أهل البيت فى المكان العلى . وان فى آيتى العنكبوت والذباب . وفى غيرهما من آى الكتاب لذكرى لأولى الألباب . ولكن أين هى وموضعها اليوم خراب . أفلا يعلم أولئك أن الداهية

الماحية ، جاءتنا من هذه الناحية . وأن عقوبة الشرك وشيكة الوقوع ، باعتبار أنها لكل مفسدة ينبوع

والاسلام الذى حمى التوحيد بالوعد المشوّق والوعيد الشديد ، وحاطه بالحصانة الكافية والضمانة الوافية ، يخرق أهله هذا السياج ، ويروج عندهم الشرك هذا الرواج ، ثم يستكثرون ماهم فيه من ذلة ، لا يدرون لها علة ، أحالت كثرتهم الى قلة ، ومن استعباد للفرنجة لا تصلح بهلوزنهم سنجة ! ومتى انحل الوكاء وأهريق الماء ، وانكفأ السقاء ، فقل على الدين العفاء . عندئذ تجدب القلوب ، وتجترح الذنوب ويقضى علام الغيوب

ولا غرابة إذا أفلت الزمام من الأيدى ، وأصبحت كل عظة لا تجدى ، فكل فضيلة أهدرت كرامتها ولم تراع حرمتها ، فالشرك بالله فى ذلك هو السبب . وكل رذيلة راج سوقها ولم تجد ما يعوقها ، فمردها الشرك بالله كذلك ولا عجب

فيا أيها الأطباء : ابحثوا عن جرثومة الداء وأصل البلاء ، فمداواة العرض مع بقاء المرض لا تفى بالغرض . ان الذى خلق الطباع ومزاجها هو الذى شخص داءها وعلاجها ، فعلامَ تتغاضون عن هذا (الكشف) ولا تثقون بدقة الوصف ؟ حقا انكم أشفيتم وما شفيتم ، وأدويتم وما داويتم

ويا أيها المرضى : داؤكم الشرك ولا ريب ، فعلى من يخطىء وصفه العيب كل العيب . فالتمسوا الدواء من القرآن ، تصح منكم الأرواح والأبدان ، وتعمر قلوبكم بالايمان ، ويعد لكم ماضى السلطان . إن دينكم الذى تسمونه بالاسلام ، ليس منه فى غارب ولا سنام ، لا فى العقيدة ولا فى الأحكام . فاتقوا الله وذروا هذا الفتون ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون . وكفاكم تورطا فى الخطأ ، وارتكاساً فى الحمأ ، بعد وضوح المحجة ، وقيام الحجة : على أبصارهم غشاوة وفى قلوبهم أكنة ، من أفهمكم أن الاسلام غير الكتاب والسنة ، لا جرم كان العدول عنهما هو الصفقة الخاسرة ، والتمسك بهما هو عز الدنيا وسعادة الآخرة ؟

محمد صادق عرنوس

رجال الغنى فى كل شعب أساته

بنى الشرق قد أعيا على العقل فهم ما أصاب بلاد الشرق فى أغنيائها

لقد بخلوا حتى شكى البخل منهم عواطف هاجت حقده بالتوائها

أناس هم كالناس أم هم سلالة لآدم يرتاب الحجى فى اعتزائها

رجال الغنى فى كل شعب أساته ولكنهم فى مصر أسباب دائها

عموا عن طريق الخير فالخير عندهم وثائق أموال طفت فى وعائها

توارت فلا تبدو لعين كأنها فضائح تخفى عارها باختفائها

إلهى اليك المشتكى ان قومنا رمتهم حياة المترفين بدائها

يشيحون الا عن هلوك تقودهم لمهلكة أو خمرة لاحتسائها

فطوبى لهم طوبى لقد كبرت بهم مصيبة مصر فى كبير رجائها

ألم ترها تحمى القرابة خبزها وتسخو لأبناء العدا بدمائها

محمد النجمى

عز الرغيف فأين أين دقيقه

يتخاطف الناس الرغيف وهم على واد بقوت الناس غير ضنين

عز الرغيف فأين أين دقيقه أيجىء من باريس أو برلين

عز الرغيف فقلت هل ضموا له فى الخلط سحق الجوهر المكنون

بات البغيض على ظلام جبينه قمر الدياجى فى العصور الجون

يا مصر أين الحب ماصنعوا به يا مصر أين وزارة التموين

ما بال نهر النيل أصبح نبته وكأنما هو نبت نهر السين

محمد الأسمر

إلى معالى وزير المعارف

الوثنية والخرافات

فى بعض المدارس المصرية

نشرنا من قبل كلمة على صفحات مجلة الرسالة الغراء ونقلتها عنها مجلة الهدى فى العدد الماضى ، رغبنا فيها إلى إمام الأزهر أن يعمل على تخليص العقائد الدينية من نزغات الوثنية وتحرير العقول من رق التقاليد الخرافية المنبثة فى بعض الكتب الأزهرية . وقلنا إنه إن يفعل ذلك يكن قد أقام الأصل الأول للدين الاسلامى وهو (التوحيد الخالص) ووضع أساس الاصلاح فى بلادنا . وعلى أن كلمتنا هذه قد وقعت لدى الناس جميعاً موقع القبول والرضا ، وتمنوا لو يسارع إمام الازهر الى هذا الاصلاح ؛ فقد ظهر أن هناك ناحية أخرى تؤيد مثل هذه العقائد وتدعو الناس اليها . وهذه الناحية هى بعض المدارس المصرية . ذلك بأنه لم تكد تظهر كلمتنا حتى ثار عليها بعض مدرسى الدين واللغة العربية بالمدارس الثانوية هنا بالمنصورة ؛ يقودهم الشيخ عبدالرحمن نصر الدين مدرس الدين بمدرسة المنصورة الثانوية . وقد عقدوا من أجل ذلك اجتماعا كان أكثره من طلبتهم ؛ ثم أخذوا يخطبون فى تأييد ما سموه كرامات الأولياء ، وأنه لا غرابة فى أن يبيع الولى وهو فى الدنيا قصوراً فى الجنة ؛ ولا فى أنه يقوم بعد موته ليغسل نفسه ثم يموت ثانية . وكان مما جرى على لسان واحد منهم واسمه السيد محجوب مدرس الدين بمدرسة طلخا : ان الكلام فى إنكار كرامات الأولياء لما يشكك عقائد المسلمين ويلقى الريب فى قلوبهم — ولو أن هؤلاء المدرسين كانوا من جهلة المتصوفة ، أو من الذين لا يتصدرون لتعليم النشء لأهملنا أمرهم ؛ ولكنهم وهم يتبوأون بين معاهد العلم (الرسمي) مكانا ، وأولادنا بين أيديهم ينشئونهم ويلقنونهم

عقائدهم الدينية فإنا لاندرهم وشأنهم ولا نسكت عما يجرى على ألسنهم ولا ماتخطه أيديهم . ومن أجل ذلك نتوجه بكلمتنا اليوم الى معالى وزير المعارف والأمر له فى أن يعمل على صيانة عقائد الطلاب من الوثنيات والخرافات التى تفسد عقولهم ودينهم وتجعلهم رجالا متواكلين لايصلحون للحياة ولا تصلح الحياة لهم

وإنا نكتفى اليوم بنشر أشياء من مؤلف من المؤلفات التى يخرجها للناس شيوخ وزارة المعارف ، لأن مافيها هو مايعتقده هؤلاء الشيوخ ويدرسونه للطلاب

هذا المؤلف اسمه (فوح المسك الزكى فى تاريخ وكرامات القطب الولى عمدة الواصلين وتاج العارفين سيدى الشيخ منصور محمد هيكل الشرقاوى رضى الله عنه) لمؤلفه الشيخ عبد الرحمن نصر الدين المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية . ذكر مؤلف هذا الكتاب أنه ألفه بعد إلحاح حصفاء الرأى وعبقرى الاخوان . وقد بدأه بمقدمة فى تعريف الولاية والكرامة ، وبعد أن بين حكم منكرى الكرامة أخذ فى تاريخ (سيده) فذكر أنه حفظ القرآن فى سنة واحدة ، وأنه بعد أن تلقى العهد على (قطب الغوث) الشبراوى قال له شيخه : أنت مكتوب فى ديوان الذاكرين . وكان قطب الغوث هذا يعمُر المريد بمجرد نظره اليه ، لأنه من الذين قيل فيهم إن لله رجالا اذا نظروا المرء ألبسوه السعادة .

وبعد أن أتى على أوصافه وأن ألسنة المعترضين كانت تخرس من خشيته أخذ يسوق كراماته وهى تعد بالمئات ، فنكتفى هنا بايراد بعضها تفكهة لجماعة وبركة لأخرى . .

(١) بعد أن لقنه (قطب الغوث) الشبراوى كما أسلفنا اختلف هو والشيخ حسين الحلاوى الذى كان (القطب المؤقت للأزهر) إلى أن يعين له قطب آخر . وكان من قبل قطبا على رُبع القاهرة ، فخشى أن يناله من هذا القطب المؤقت سوء ، ولكن بينا هو يوما فى مجلس ذكره إذ بصُر بالسيدة زينب (صاحبة الشورى) قد حضرت مجلس الذكر وأشارت له إشارة فهم منها أنها تقول له أنت فى حمانا فاطمئن

(٢) كان لبعض مريديه قضية وكان خصمه فيها قوى ، فلجأ الى الشيخ فقال له (ان الحسين قد حكم فى القضية لمصلحتك) !

(٣) لما لقن اسمه (القهار) رأى فى منامه أنه طار الى السماء واخترق السبع الطباق حتى وصل عرش الرحمن ، وفى الصباح قال له شيخه : انتهى الأمر يامنصور فقد ارتقينا الى عرش الرحمن

(٤) اجتمع فى مجلس الأربعة : البدوى والدسوقى والرفاعى والجيلانى ومعهم صاحبة الشورى ، وأراد المجلس أن يحرم مسلما جزاءه فشفع فيه الشيخ فقالت السيدة أكتبوه لأن منصورا يريد ذلك .

(٥) أما كرامات الشيخ فى شفاء الأمراض فحدث عنها ولا حرج ، فقد برىء على يديه الأرمد والأكسح والمكفوف والأخرس ، وكان ماء وضوئه من الأدوية الناجعة . وقد أشهد الله الشيخ عبد الرحمن نصر الدين على نفسه أن كثيرا من المبطونين والموجوعين قد برئوا من هذا الماء لأنه (مس جسم سيده)

ومن الكرامات الطريفة فى شفاء الأمراض أن عين طفل دخل فيها وتد فانحدرت على خده فأمسكها الشيخ (بيده الشريفة) وتفل عليها ثم ردها الى مكانها فبرئت وأصبحت أحسن من أختها وصارت تسمى (عين سيدنا الشيخ) ومما ذكره الشيخ عبد الرحمن عنها أنه رآها بنفسه وأنها لاترمد أبدا . أما العين الباقية من صنع الله فان الرمد يقربها والضر يمسها !!

وأسرار الشيخ مع الجن كثيرة ، فقد اهتدى على يديه منهم عدد كبير ؛ وكان الشيخ عبد الرحمن يعرفهم ، وقد قال فى كتابه (وكان لنا منهم اخوان) ورأى منهم الحن (بالمهملة) وهم كما قال الشيخ عبد الرحمن قبيلة من الجن منهم الكلاب السود التى لاتنطق !

أما إخبار الشيخ بالمغيبات فقد ملأ الشيخ عبد الرحمن منها صفحات .

ومما ذكره الشيخ عبد الرحمن من الفوائد الجليلة التى لايصح أن نضن بها على

القصيدة الصدفية

جاء فى كلمتنا المنشورة بالعدد الماضى من الهدى تحت عنوان (الوثنية فى الكتب الأزهرية) ذكر القصيدة الصدفية التى رفعت الى الحضرة الأحمدية . ولكى لا يفوت قراء الهدى علم هذه القصيدة الرائعة المباركة !! فقد رأينا نقلها اليهم لعلهم ينعمون ببركاتها !! وهاهى بمقدمتها :

« النجاء والاستنجاد برجل الفتوة طويل النجاد ، وامام الأولياء وسراج الأصفياء الغوث الأوحد سيدى وولى نعمتى البدوى أحمد ، دامت إمداداته ، وعمت فى الدارين بركاته آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضم اليها الف آمينا

***

أيرضيك ياغوث الورى وإمامهم ... غبينة أهل الحق والحق ظاهر

تعدى لئيم القوم واشتد بغيـــه ... وجاء بكل الحقد وهو يجـاهر

أتى بالمعاصى معلناً وهو يدّعى ... مكانه دين قيم وهو فاجر

القراء أن من قرأ اسمه تعالى (أحد) ألفا مرة عاين الملائكة !

هذا ما أردنا نقله من كرامات الشيخ . وإنى أنصح حضرات قراء مجلة الهدى بأن لا ينكروا هذه الكرامات ، لأن الشيخ عبد الرحمن قد نقل لنا من علمه الغزير فى الصفحة الثالثة من كتابه أن (منكرى الكرامة عصاة) وذلك لأنهم بذلك انما يخالفون (إجماع المسلمين) وهذه المخالفة كبيرة

هذا بعض مانقلنا من مؤلف لأحد مدرسى مدارس وزارة المعارف ، ولعلنا نجد فى الوقت سعة لننقل الى قراء هـذه المجلة بعض مافى مؤلفات أخرى لرجال وزارة المعارف الذين يأخذ عنهم التلاميذ دينهم ويتلقون عنهم عقائدهم .

المنصورة ... محمود أبو ريه

وساعده حزب على شكله سعوا ... بكل فساد أوضحته الكبائر
فضلوا جميعاً عن طريق رشادنا ... وأزهرنا منهم غدا وهو صاغر
فجئنا حماكم نرفع الأمر سيدى ... ونطلب دين الله والله قاهر
وأنتم إمام الأولياء ولا مرا ... وأنت غياث الملتجىء وهو حائر
اذا كان يا مولاى أزهر ديننا ... تدور عليه فى الضلال الدوائر
فأين يكون الدين يا سيد الورى ... وأين يكون العدل والعدل عاطر
فهاقد بسطنا بعض شأن نريده ... وثم أمور قد حوتها الضمائر
فمنها دخول فى البقا وهداية ... لأقوم طرق الله وهى المفاخر
وصحة جسم للذين أحبهم ... كذلك لى فى العز والعمر وافر
ونصر على الأعدا وجاه مؤبد ... وفوز مبين دائما يتقاطر
وتيسير ما أرجوه من كل مطلب ... وسكنى جنان الخلد حيث الاكابر
ورؤية خير الخلق جهراً بسرعة ... فها قد مضى عمرى وقل التناصر
فقل ياطويل الباع هاقد أجبتكم ... بكل الذى ترجون والله جابر
وصل على المختار رب مسلما ... كذا آله ما قام للذكر ذاكر

كتبه عبد الاحسان الواقف بالباب ،
الراجى سرعة الجواب
بكرى محمد عاشور الصدفى مفتى الديار المصرية

هذه هى القصيدة الرائعة التى توسل بها مفتى الديار المصرية (كان) الى السيد البدوى وهى شكاية من الناظم من شيخ الازهر الشيخ عبد الرحمن الشربينى كى ينتقم البدوى من خصمه ، ويعجل بعزله من الازهر

المنصورة — محمود أبو ريه

الزواج عندنا

الزواج فى مصر ، كأى شىء آخر أعجوبة من الأعاجيب ، صيره القوم خليطا من عادات جاهلية ، وسفاهات نسائية وصبيانية ، وتقاليد افرنجية هادمة ، وعادات مصرية خرافية ، وأصبح بذلك نكبة على الأفراد والمجتمع . واذا حدثت النكبة وغامر شاب جرىء فتزوج ، فلا بد أن يجتاز طريقا طويلا شاقا كله أشواك ، وأرغمته التقاليد أن يفرشه بالزهور ، ويملأه بالهدايا ، ويتحمل صابرا التغالى فى المهر ، ودلال العروس ومفاوضة الأب ومساومة الأم !

وبين جدران بيت يضم زوجا أثقلته مصاريف العرس وحطمته تكاليف الزواج وفجأته بوادر الافلاس ، وزوجة أفسدها تدليل الأبوين ، وحولها بهرج المدنية الى مخلوقة لا هى بالمصرية ولا بالافرنجية ، وغرها التعليم ، فكانت لذتها فى مشاكسة هذا المنكوب بزواجها ، وأن يلقى كل يوم درسا من هذه الانسانة العرجاء : بين جدران هذا البيت - إذا طالت الزوجية وصبر الزوج على شقائها - فينشأ نسل عجيب هو - واحسرتاه - رجل الغد وأم المستقبل !

دعنى أحدثك قليلا عن حفلة العرس فى بلد العجائب :

فى القصر السامى ترى الموائد الحافلة بالكثير الفاحش من الطعام والأقداح المترعة بأخبث الشراب ، والثياب المتهتكة الفاضحة ، والجمع الحاشد المصور مجمعا من الحيوانات الطاغية الباغية ، والمطرب المخنث فى شكله وصوته وقوله . ومن وراء ذلك حياء يتبخر بالامتزاج واختلاط العقول والأجسام ، وثروة تطير بالسرف . ويقلد الفقير الأغنياء ، ويجرى الجميع فى طريق واحد وراء شيطان الشهوات والفساد ، حتى لقد انتقل ذلك من المدينة الى القرية الريفية ، وعم الشر ، وصدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه !

تلك صورة صغيرة عن حفلة العرس فى قصر الثرى المترف ، وبيت العامل المجد ، وكوخ الفلاح المنتج ، وهم كيان الأمة وبنيان حياتها ، فماذا يبقى بعد تلك الهوادم من جسم الأمة فى مالها وأخلاقها ؟!

و « العوالم » و « الراقصات » فى العرس المصرى المكان الممتاز ، والقدح المعلى ، يسلبن العقول بالغناء الوقح ، والحياء بالرقص الفاجر ، والنقود بالنقوط الذى أريد به وجه الشيطان !

وخير للحياء الطعين فى جنبات الدار المعرسة ، والفضيلة الجريحة بسهام الرقص القذر والغناء المبتذل ، أن نقف فلا نسترسل ، ونسكت فلا نستفيض خوفا من الجرح أن يسيل ، أو الطعنة أن تودى !

قالت السيدتان عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما « أمرنا رسول الله ﷺ أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على علىّ ؛ فعمدنا الى البيت ففرشناه ترابا لينا من أعراض البطحاء ، ثم حشونا مرفقتين ليفا فنفشناه بأيدينا ، ثم أطعمناه تمرا وزبيبا وسقيناه ماء عذبا ، وعمدنا الى عود فعرضناه فى جانب البيت ليلقى عليه الثوب وليلق عليه السقاء ، فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة » !

ثم كان من ذلك العرس بيت على وفاطمة رضى الله عنهما ، وكان من بينهما الحسنان وغيرهما من سادات أهل الجنة ومصابيح هداية الأمة رضى الله عنهم وأرضاهم . هذا العرس البسيط الجميل كل الجمال فى بساطته ، وذلك العرس المكلف المرهق فى تكاليفه وتبذله وفجوره يهدم أعصاب أهله ومالهم ونعيمهم

فأى الزوجين ترى قد أفعمت حياتهما بالمودة والرحمة ؟ وملئت نفوسهما بالاخلاص والعطف والتعاون على القيام بأعباء الحياة ؟ وأى العروسين يتلظيان على جمر النفور حتى يريحهما الله بالطلاق أو الموت ؟!

لاشك أنك تقول معى : اللهم اهد هذه الأمة حتى تسعد بالفلاح والعزة فى الدين والدنيا .

زكريا صادق

من أزهار النبوة

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل . وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل قلبه معلق بالمساجد . ورجلان تحابا فى الله : اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم يمينه ماتنفق شماله . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه »

ذكر رسول الله ﷺ فى هذا الحديث أن هناك سبعة أصناف من الناس قد ضمن لهم النجاة من أهوال القيامة . واليك بيانهم بشىء من التفصيل

١ ـ الامام العادل : هو كل من اليه نظر فى شىء من مصالح المسلمين كالولاة والحكام ، ويشمل كل من له إشراف على أى عمل

٢ ـ شاب نشأ فى عبادة الله ، فكبح جماح نفسه وهواه ، ولم يطع طيش شبابه الذى هو شعلة من الجنون .

٣ ـ رجل معلق قلبه بالمساجد ، فلم تلهه دنياه عن دينه ، ولم يترك الجماعات

٤ ـ رجلان تحابا فى الله ، وليس لغرض من أغراض الدنيا

٥ ـ رجل دعته امرأة جمعت بين الجمال وشرف النسب الى الزنا ، فامتنع خشية من الله . وقد عز هذا الصنف فى هذا الزمن وأصبحنا نرى الشبان يتزلفون الى الفتيات المتسكعات فى الطرقات حتى عم الفساد وانتشرت الفاحشة فى كل مكان ، ولاحول ولا قوة إلا بالله

٦ ـ رجل تصدق بصدقة فأخفاها ، مبالغة فى الاخلاص وبعداً عن الرياء

٧ ـ رجل ذكر الله فى خلوة فتذكر نعمه عليه ، وأنه كم قصر فى شكرها ، ولم يقم بحقها ، فندم وبادر إلى مولاه بالرجوع ، ففاضت عيناه بالدموع

أبواب المجلة التي يرجى نفعها للأمة

نشر السيد رشيد رضا رحمه الله في العدد الأخير من المجلد (٣٤) من المنار هذا البرنامج الذي وضعه لمجلته القراء :

١ ـ تفسير القرآن بطريقة تبين أحقية الاسلام وجماله وكماله وصلاحه لكل زمان

٢ ـ شرح حديث الرسول ﷺ وبيان صحيحه وضعيفه وزائفه

٣ ـ دفع الشبهات وحل المشكلات ، وذلك يكون في باب الفتاوى

٤ ـ نقد المطبوعات التي فيها أخطاء علمية أو دينية ضارة

٥ ـ بيان البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي شوهت من جمال الاسلام

٦ ـ الأدب والأخلاق ، لأن أدب النفس واللسان أكبر أنصار الدين على التهذيب وتكوين الأخلاق

* * *

لمناسبة دخول الهدى في عامها السادس رأينا أن ننشر هذا البرنامج ، ويظهر أن طريق الاصلاح الحق لكل داع الى سلوكها واحدة ، فقد كانت مجلة المنار هي المثل الاعلى فيما دعا اليه صاحبها رضوان الله عليه ، ثم قفتها مجلة الهدى من أول نشأتها من السير على هذا المنهج والحمد لله . ولعلها توسعت في بعض بنوده بما لم تدانيها فيه مجلة أخرى .

والهدى النبوى على عهدها الذى قطعته على نفسها من توخي نصرة السنة ، ومحاربة البدعة ، ومحاولة رد المسلمين إلى ما كانوا عليه من عقيدة نقية ، وعبادة صحيحة . وخلق كريم . والله الموفق

صفر سنة ١٣٦١ العددان ٣ و ٤ السنة السادسة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

رئيس التحرير : محمد حامد الفقي

كلمة إمام الأزهر في هجرة الرسول ﷺ

سيدى رسول الله محمد بن عبدالله ، عليك من ربك صلوات وتحيات بقدر ما أخلصت له ، وفنيت فى الدعوة إليه ، وبقدر ما نافحت عن الحق واحتملت فى سبيله من إيذاء وعنت ، وجهد ومشقة

ميزك الله بفطرة سليمة نقية طاهرة مؤمنة ، ومنحك روحا عاليا طار إلى الملأ الأعلى وشاهد نور الحق ، ونفذ إلى جمال الوجود وأسراره ، وأدرك أن هذه الحياة الدنيا اذا خلت من الايمان والطهر ، ومن الحق والعدل ، وخلت من الاتصال بالله ومن الاستسلام له : كانت حياة البهائم والأنعام ، لا حياة الأبرار والصالحين

نشأت فى الطهر والصفاء ، فعفت الأوثان ، وعزفت نفسك عن حياة اللهو والغرور ، فى الوسط الذى نشأت فيه : فلم تعبد وثناً ، ولم تقترف إثماً ، ولم تستمتع بما استمتع به لداتك ، من لذة وشهوة ، وروضت نفسك على المعالى وعلى ما فيك من خلق

كريم طاهر، فكنت وديعاً كريما ، وكنت شجاعا مقداما ، وكنت براً رحيما ، وكنت قويا صارما، وكنت عفيفاً ؛ وكنت أرضى الخلق لله ، وأرضى الناس للناس في الله ، وفي الحق ، وكنت مع هذا كله حكيما، تضع كل شيء موضعه ، وتدبر لكل غاية وسيلتها وتحكم لكل شيء أسبابه

اختارك الله جل شأنه لرسالته ، واصطفاك لأمانة وحيه ، فصدعت بالأمر ، واحتملت العبء وصبرت وصابرت ، واحتملت من الأذى ما لا يطيقه الا أولو العزم ، وتألب عليك الناس ، وتألب أهلك وعشيرتك ؛ يريدون إطفاء نور الله ، ويريدون القضاء عليك ، وقتل الدين في مهده ، فلم تجد بداً — بعد أن أحرجت — من الفرار بدينك ، ومن مفارقة أهلك ووطنك ، فهاجرت لله وفي سبيل الله . والهجرة سنة المرسلين ، وملاذ المستضعفين ؛ فرضت على كل مضطهد في عقيدته ودينه ، ووعد الله بالأجر عليها وبالعقاب على تركها (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوّا غفورا . ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراغَماً (١) كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما)

سيدي رسول الله : كانت هجرتك حداً فاصلا بين الذلة والعزة ، وبين الضعف والقوة ، خرجت بها من دار عفن جوها بالشرك والضلال ، وفسد هواؤها بالجور والظلم ، والكفر والفجور ؛ إلى دار يعبق فيها عطر الحرية ، ويملأ جوها نسيم التوحيد والطهر وذكر الله . ووجدت بيئة صالحة تلقى فيها التعاليم الالهية والنظم القدسية ، وترتل الكتاب ، وتعد العدة لنشره في الناس ؛ وفرضت سياستك الحكيمة لاصلاح

---

(١) أي المذهب والمهرب . مختار

الأمم ، وتقويم الخلق ، ورفعهم الى المستوى الذى أحببته ، واطمأنت اليه نفسك ، ورضيه الله للعباد

لهذا اختار المسلمون يوم الهجرة وجعلوه مبدأ التاريخ ؛ فهو رمز الى ما احتملته فى سبيل الله ، ورمز الى انتصار الحق على الباطل ، ومذكر بمبدأ العزة للمسلمين

من الحق أن نحتفل بالهجرة ، لكن من الحق أن نحتفل بها على الطريقة التى ترضاها ، نقدس مبادئك ونقدس دينك ؛ ونسير على ما رضيته من خلق قويم ، ونتبع طريقك فى الاصلاح ، وطريقك فى إقامة العدل وحب الحق ، وحب البر ، وليس يكفى أن تلقى الخطب وأن تنشد القصائد ، ثم لا تكون هناك عبرة وعظة ، ولا يكون هناك سعى للاصلاح

مولاى صاحب الجلالة : دورة من دورات الفلك تقضت ، فاذا بنا فى عام جديد من أعوام الهجرة ؛ نحتفل به اليوم كما احتفلنا بأخيه بالأمس ، ونرجو أن يكون ميمون النقيبة ، مبارك الطلعه ، يداوى جراحات الماضى ، ويأسو العباد

ولقد كانت آمالنا معقودة على أن الله سبحانه سيلطف بعباده ، ويرفع عنهم غضبه ونقمته ، وينظر اليهم برحمته ، ويريحهم من ويلات الحرب وشرها وكربها وغمها ، لكن العام لم ينقض إلا ونيران الحرب تندلع من الغرب الى أقصى الشرق ، وتشترك فيها أكثر الامم

سبحانك اللهم لا راد لقضائك ولا معقب لحكمك ، نسألك أن تلطف بعبادك وأن تردهم الى الرشد ، وتسوقهم الى الهدى السماوى ، وأن توفق القادرين منهم الى البصر بالعقبى ، لتنجو الامم من الدمار ؛ وينجو العالم من هذا الكرب (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم ؛ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

أصبنا بنكبات من تلك المحنه ؛ وكان لطف الله عظيما ، وأصبنا بغلاء الاقوات

وغلاء الحاجيات ، ونخشى أن يكون ذلك عقابا من الله سبحانه على عدم العبرة ، وعلى البعد عن الله ، ومجافاة التقاليد الاسلامية ، والنظم الالهية فى الحياة الاجتماعية والله سبحانه يقول (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) ما فرط الله فى كتابه من شىء : فيه سعادة الانسان فى دنياه وأخراه

وقد أكثر الله من ضرب الأمثال ومن قصص الأولين : أعادها وكررها على أساليب شتى فى عدة من سور القرآن ، فمن قصة نوح وقومه ، وابراهيم وقومه وعاد وثمود ، وقوم موسى . الى غير ذلك من أخبار الأمم : ضرب الله هذه الأمثال وصرفها للناس للعظة والاعتبار لا للتاريخ . كل ذلك ليحذر الناس الوقوع فى الآثام التى وقعت الأمم فيها من قبل ، وكانت سببا فى عقابها : من غرق وخسف وريح صرصر عاتية إلى غير ذلك من أنواع العقاب . وحذر الله عباده ما هو أشد فقال جل شأنه (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض . انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون)

وقد أنزل الله هذا العقاب على عباده فعذبهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وفرقهم شيعا وأذاق بعضهم بأس بعض حتى صرنا نخشى أن يتداعى صرح المدنية والفضيلة ، وحتى أصبح كل ما ورثه هذا الجيل من علم وخلق ومعرفة وتقاليد : معلقا فى ميزان القدر ، وقد تذروه الرياح فلا يبقى شىء منه ، كما عصفت الحوادث من قبل بمدنيات لم يبق منها إلا الأطلال

تلك العبر والأمثال التى صرفها الله فى القرآن ، وهذه العبر الماثلة أمام الأعين تستدعى مزيد الانتباه وشدة اليقظة ، وإعداد العدة للسير بالأمة الى طريق النجاة من الهلاك ومن عذاب الله

هذه الفكرة مختمرة الآن فى كل الأوساط لا فى الأوساط الدينية وحدها ، بل

فى الجمعيات المتعددة ، والجماعات المختلفة ، ولدى الأفراد الذين يفكرون ويعقلون وكلهم يرقب يوما تسيطر فيـه على البلاد حياة اجتماعيـة صالحة ، ترفرف عليها

راية القرآن ويظلها هدى السنة وسيرة السلف

من خيار الامة . وترد الناس الى قواعد الاسلام وتقاليده الطاهرة ، والى تقاليد الشرق الذى ظهرت فيه جميع الاديان

مولاى : هذا ما يوحيه الاحتفال بالهجرة النبويه الطاهرة ، وتوحيه سـيرة صاحب الهجرة صلوات الله وسلامه عليه ، وليس أحد غيرك يستطيع إصلاح هذه الحياة ، فى هوادة ورفق وحكمة ، فبيدك وازع السلطان ، وأنت القـدوة . فسِرْ بالعالم الاسلامى فى الطريق السوى ، وضعْ أمامك مصباح القرآن ، وابدأ تاريخا جديدا فى حياة الامه . وسيتبعك الناس ويسيرون خلفك ويحمدون طريقك ويولونك الثناء كله والحمد كله

مولاى : عرف الشعب كله ان قلبك معه ، وانك توليه عطفـك وحبك ، وتمنحه رفدك ، وانك وقت الازمات مفرج كربه ، وكاشف ضره ، وباذل مالك فى سبيل إسعاده . فلك من الله حسن الجزاء ، ولك من الشعب خالص الحب والولاء

والشعب يطلب المزيد من الرعايه والعنايه ليصل الضعيف الى حقه من غير عناء ، ويشعر القوى بأن عليه رقيبا يمنعه من الطغيان ، ولينال كل واحـد من رعيتك قسطه من العدل وقسطه من الرحمة ، وقسطه من العقاب

* * *

أقدم لمولاى جلالة المليك المحبوب باسم الازهر ـ علمائه وطلبته ـ خالص الشكر على تفضله بتشريف هذه الحفلة وأقدم لجلالتك خالص التهنئة ، ضارعا الى الله أن يحفظك حصنا للبلاد وموئلا للفقراء ، مؤيداً بنصره ، ملحوظا بعونه وتوفيقه وتهنئتى الخالصه الى جميع المسلمين والمؤمنين . والسلام عليكم ورحمة الله

الاسلام

(ان الدين عند الله الاسلام)
(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين) قرآن كريم

يسألونك عن الاسلام ، قل هو الدين الأزلي الأبدي ، القديم السرمد ، الجديد الخالد ، الذي رضيه الله لعباده منذ عمروا الأرض إلى أن تقوم الساعة . هو السلسلة الذهبية المتماسكة الحلقات : أمسك بأحد طرفيها آدم أبو البشر وأول الأنبياء ، وأمسك بطرفها الآخر محمد ﷺ خاتم المرسلين ، وقام الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم من بينهما يمسك كل منهم بحلقة من حلقاتها ، وهم إخوان متناصرون وأحباء متعاونون ، يوصي أولهم بمتابعة آخرهم ، ويدعو سابقهم إلى طاعة لاحقهم

هو الطود الراسخ والبناء الشامخ ، وضع أساسه آدم بأمر ربه ، وصار كل نبي من ذريته يأتي من بعده يضيف اليه لبنة أو يرفع من بنائه سافاً ، أو يصفّ مدماكا ، وما زال ينمو بنموّ العقل البشري ، ويرقى برقيّه ، ويكمل بكماله ، ويضاف اليه ما يوائم استعداده ، حتى جاء خاتم النبيين محمد ﷺ فأكمل البناء وزخرفه وجمّله ولم يدع ثغرة إلا سدها ، ولا نقصا إلا كمله ، ولا وسيلة من وسائل الراحة والنعيم إلا أعدها ، ولا حاجة مما يتمم سعادة الدنيا والآخرة إلا وفّرها ، فحقت كلمة ربك . (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا)

* * *

قال سائلي : هذا كلام لو كتبه الشادون في الأدب لسُرّ أساتذة البيان الذين يروقهم أن يتصيد تلاميذهم روائع الأساليب من ههنا ومن ههنا ، ولكنه — على

حلاوة جرسه وانسجام موسيقاه - لا يعجب العلماء الذين ألفوا ألا يقبلوا قولا لايؤيده دليل ، ولا يسيغوا حكما لا يدعمه البرهان.

قلت : أما الدليل فعلى طرف الثمام . اتل قول الله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وتدبره تعلم أن الاسلام هو الدين الذى يقبله الله تعالى ويرضاه لعباده ، ويدعوهم الى اعتناقه ويصرفهم عن غيره ، ولا يرضى غيره دينا ، وهو دين الأنبياء والمرسلين كافة . يدلك على ذلك قول الله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فهذا القول الحكيم يشعرك أن الاسلام الذى شرعه الله تعالى لنا هو ماوصى به الرسل السابقين ، وأخص مافيه إقامة الدين والاستقامة عليه واسلام الوجه لله ، والاجتماع على طاعته

وتدبر قوله تعالى (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم . وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) تدرك أن أتباع الرسل جميعاً أمة واحدة ، ولا تكون الشعوب المختلفة أمة واحدة إلا إذا جمعتها آصرة واحدة ، ووشجت بها قرابة قريبة ، وألفت وتؤلف بين المختلفين رابطة الدين ، ولا أدل على ذلك من الأمة الاسلامية فى صدر الاسلام قبل أن تتفشى الشعوبية بين المسلمين ، فلقد كان المسلم الصينى أخا المسلم الأندلسى على مابينهما من بُعد الدار ، وشط المزار

وهناك نصوصا أصرح دلالة وأوضح بيانا . قال تعالى (ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) وقال تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) وقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت وليي فى الدنيا

والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وقال تعالى (وقال موسى : ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)

فهذه النصوص شاهدة بأن الاسلام دين الانبياء والرسل جميعا دعوا اليه أممهم وأوصوا بنيهم بالاستمساك به والحرص عليه ، وابتهلوا الى الله ضارعين ألا يميتهم إلا وهم به مستمسكون .

وبعث الله محمدا ﷺ فتمت برسالته النعمة ، وسما التشريع الى القمة ، ونزل القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، دعا الى الايمان بالأنبياء والرسل جميعا حتى لايجد ذو دين سماوي غضاضة في الانضواء تحت لوائه ، والاستظلال برايته . قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله)

دين الله واحد في عنصره وجوهره وأصله ، فما بعث الله رسولا إلى أمة إلا دعاها دعوة عازمة لاهوادة فيها الى الايمان بالله وحده وإخلاص الدين له ، وإسلام الوجه اليه ، وتزكية النفس بطاعته ، والى الايمان باليوم الآخر والاستعداد له ، والى الاستمساك بالخلق الكريم والحرص عليه ، والى الايمان بالوحي وتصديق النبيين وما جاءوا به من كتاب وحكمة ، والى كف الشر واجتناب العدوان ، والتنزه عن الخبائث . .

تلك هي أصول الاسلام ، أي أصول كل دين سماوي حق ، وكل دين يدعو الى مايجافي هذه الأصول منكر وباطل وزور

اغتر فريق من أهل الكتاب بدينهم بعد أن نسخ الله فروعه بالاسلام ، وثبت أصوله وقوى دعائمه بالقرآن (وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) فرد الله عليهم مقالتهم وكذب دعواهم وأدحض حجتهم بقوله تعالى (تلك أمانيهم . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن له أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

وإسلام الوجه لله أن تسلم زمامك لشرعه ، وتلقى قيادك فى يد كتابه ، وتقتفى أثر رسوله ؛ فحيث وجهك توجهت ، وحيث قادك انقدت ، وما أمرك فعلت ، وما نهاك اجتنبت . والاحسان أن تتقى الله حق تقاته وأن تعبده كأنك تراه ، وذلك هو الدين الحق فى أتم مظاهره وأجلى معانيه

وما من نبى إلا أوصى أمته باتباع من يأتى بعده من الرسل حتى تتحقق الوحدة الدينية بين الأمم جميعا ، وبذلك أخذ الله العهد على النبيين حتى يسلم كل منهم مشعل الهداية الى من بعده ، حتى اذا ختم الله المرسلين بخاتمهم ﷺ جعل هذا المشعل فى أيدى الطائفة الظاهرة على الحق التى يجدد بها الملة على رأس كل مائة حتى يبلغ الكتاب أجله ويرث الله الأرض ومن عليها

قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ؛ قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى؟ قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الظالمون) .

لو أن كُتب الله ظلت سليمة لم تعبث بها يد التحريف ولم يحرف فيها الكلم عن مواضعه ، لكان أهل الكتاب من أسرع الناس الى الايمان برسول الله ﷺ ومن أسبقهم الى تأييده ونصره ، عملا بنصوص كتابهم ووفاء بميثاقهم ، وحفظا للعهد الذى أخذه الله عليهم ؛ ولكن أحبارهم ورهبانهم أفسدوا عليهم أمرهم ، وأضلوهم عن سواء السبيل

أخذ الله العهد على كل نبى أن يؤمن بمن يأتيه من الرسل مصدقا لما معه ، وأن يأخذ العهد على أمته أن تؤمن بالرسول الذى يأتيها مصدقا لكتابها ، وبذلك تتحقق الوحدة الدينية ، وتنتقل الأمانة الكبرى فى الأجيال

قال تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله اليكم مصدقا

لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد)

ومن هذا تفهم السر فى أن أولى العلم من أهل الكتاب بادروا الى اعتناق الاسلام حين جاء به رسول الله ﷺ الذى كانوا يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم . وأولئك هم الذين قال الله فيهم : (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)

قال محدثى : فانك قد جلوت علينا ناحية مشرقة من نواحى الاسلام جديرة بأن تقفنا على حقيقته وتكشف لنا عن بعض فضله . ولو أن المسلمين وقفوا على حقيقة دينهم وفقهوا سره لاعتزوا بمكانهم منه ، وحرصوا جهد طاقتهم على أن يعيدوا من عزه ما غبر ، وأن يجددوا من مجده ما اندثر ، ولكنه جوهرة ثمينة فى كف من يجهل قدرها وينكر سرها

ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور .

أبو الوفا محمد درويش

تجديد الاشتراك

ترجو ادارة المجلة من حضرات المشتركين الذين انتهت مدة اشتراكهم بانتهاء السنة الخامسة : أن يعجلوا بارسال قيمة الاشتراك عن هذه السنة ولهم الشكر

حول كتاب رسول الله ﷺ الى عظيم الروم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد مخيمر الواعظ بالقاهرة

وعدنا فى العدد الماضى بايراد طرف من الأحكام الشرعيه والأخلاق الاسلاميه، شرحا لكتاب النبى ﷺ الذى بعث به الى قيصر الروم سنة سبع من الهجرة . وها نحن نذكر منها ما يتسع له المقام :

١ ـ بدأ ﷺ كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم . وهو يدل على أن السنة فى بدء الكتب والرسائل أن تفتتح بالبسملة اقتداء بالقرآن الكريم ، وبهذا الكتاب الخالد . وليست البسملة من خصائص القرآن الكريم بل هى آية من الكتب السابقه كما يدل عليه كتاب سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ . وأنسب مايتعلق به الجار والمجرور فى كتاب النبى ﷺ أن يكون تقديره : أدعو إلى الله مستعينا . على أن يتأخر هذا العامل على البسملة وفاقا لابن جرير فى إعراب بسملة القرآن . وقد وافقه المحققون من علماء العربيه على أن الأولى فى متعلق الجار والمجرور فى البسملة أن يكون فعلا خاصاً متأخرا .

﴿ كلمة فى الفرق بين الرحمن والرحيم ﴾

وخير مايفرق به بين الرحمن والرحيم فى المعنى بعد جعلهما علمين للذات العلية أن يلاحظ فى الرحمة المستفادة من الرحمن أنها فى كل شيء بحسبه بحيث تستعمل فى مقام التبشير تارة ، واظهار النعمه والانذار والتهديد للكافر تارة أخرى ، فتكون فى ناحية التبشير مساويه للرحيم . وفى ناحية الانذار مساويا للعزيز : يشهد بهذا مانسوقه من الآيات . فمن استعمالها فى مقام التبشير واظهار النعم قوله عز وجل

(الرحمن علّم القرآن) ومن استعمالها فى مقام الانذار قوله عز وجل (الملك يومئذ الحق الرحمن) ألا ترى إلى قوله بعدها (وكان يوما على الكافرين عسيرا) ولهذا لم تتبع بكلمة الرحيم فى الآيتين ، وانما يذكر بعدها مايكون من نعم الدنيا التى تنتهى . وأما كلمة رحيم فانها تستعمل فى رحمة الدار الآخرة التى يختص بها المؤمنون من دون الخلق والتى لاتنتهى . ولا يستعمل «الرحمن» فى غير الله عز وجل مع «ال» منفرداً ، فلا يرد البيت الذى مُدح به مسيلمة الكذاب وهو قول الشاعر

سموت المجد يا ابن الأكرمين أباً ... وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

بخلاف (الرحيم) فانه يطلق على غير الله عز وجل كما فى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) ويستعمل فى جانب الله بأل وبغيرها كما فى قوله (وكان بالمؤمنين رحيما)

٢ ـ ويدل على أنه يكتب بالبسملة للكافر كما يكتب بها المسلم . [ولهذا كتب بها سليمان عليه الصلاة والسلام إلى ملكة سبأ قبل اسلامها

٣ ـ « من محمد عبدالله ورسوله » فيه أنه يبدأ باسم المرسل . وهذا هو الذى جرى عليه النبى ﷺ فى جميع كتبه ، وكان يختم كتبه بخاتمه وفيه اسمه . وهذا أولى من ترك اسم المرسل فى أول الكتاب استغناء بذكره آخر الكتاب

٤ ـ يدل تقديم وصف العبودية لله تعالى على وصف الرسالة ، على أنه أحب الأوصاف اليه ﷺ وأشرفها ، ولهذا قدم فى التشهد على وصف الرسالة ، فالأولى المصلى أن يجمع بين وصفى العبودية والرسالة ، وأن يقدم الأول على الثانى فيقول فى تشهده : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وقد شرف الله رسوله بهذا الوصف فى آيات من القرآن كما فى قوله عز وجل (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات) (وأنه لما قام عبدالله يدعوه) كما شرف به غيره من الرسل (واذكر عبدنا أيوب) (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب) وفى الصحيحين عن عبادة أنه ﷺ قال « من مات يشهد أن لا اله الا الله وأن

محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من عمل »

ولرسول الله ﷺ أسماء أشرفها محمد وأحمد . ولهذا لم يستعمل فى القرآن سواهما وأشهرهما محمد ﷺ ولهذا ذكر به فى القرآن مرارا ، فى آل عمران والأحزاب والقتال والفتح .

٥ - (الى هرقل عظيم الروم) فيه أنه لا حرج على من يكتب الى شخص أن يذكره بأعظم المناصب الدنيوية لاسيما إذا كان يؤمل من وراء ذلك قبول مايكتب به اليه أو لم يكن يعرف من نسبه شيئا.

« سلام على من اتبع الهدى » هذا موافق لما قاله موسى وهارون عليهما السلام لفرعون بعد بيان دعوتهما وتأييدها بالحجة . قال تعالى يعلمهما مايقولان لفرعون (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم ، قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى)

﴿ هل يجوز بدء الكافر بالسلام أم لا ؟ ؟ ﴾

وظاهر صنيع النبى ﷺ فى هذا الكتاب وغيره وما يدل عليه القرآن فى قصة موسى أنه لا يجوز بدء الكافر بالسلام . وقد اختلف العلماء فى ذلك ، فمنهم من منعه لما تقدم واحتجوا كذلك بما أخرجه مسلم فى صحيحه والبخارى فى كتاب الأدب المفرد ولم يخرجه فى الصحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام - الحديث » ومنهم من أجازه - وعليه طائفة من السلف - فيمن بيننا وبينهم معاهدة قائمة . وقد احتج عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ومن وافقه للجواز بقوله عز وجل (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين) وبعموم حديث « وأن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » وبحديث « لهم

مالنا وعليهم ماعلينا » . ولا خلاف بين المسلمين فى رد السلام عليهم إذا بدأونا به لقوله عز وجل (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) وبما كان يفعله ﷺ من الرد على اليهود وأحاديثه فى الصحيحين

أما تحية الكافر بغير السلام فجائزة لمفهوم حديث « لاتبدأوا » المتقدم ذكره ولعموم آية الممتحنة السابقة (لاينهاكم) وقد رجح عمر بن عبد العزيز ومن وافقه رأيهم بأن الآية متأخرة النزول فانها نزلت بعد فتح مكة حين لم يكن بالمدينة من كانوا بها من اليهود . وظاهر حديث رد السلام عليهم من النبى ﷺ أن ذلك كان فى أول الهجرة ، كما أن النهى عن بدئهم بالسلام كان قبل نزول الآية فانها نزلت فى أم أسماء بنت أبى بكر وأبى سفيان قبل الفتح فى مدة الصلح . وقد اختير القول بالجواز عند أكثر المتأخرين نظراً لأن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم كانوا يسوون بين المسلمين والمعاهدين فى المعاملة . إلا أن الفرق بين التسليم على الكافر والتسليم على غيره من المسلمين أنه يندب فى التسليم على المسلمين ذكر الرحمة والبركة ولا يذكر ذلك فى رد السلام على الكافر بل يستبدل بالدعاء له بالهدى

وفى حديث أصحاب السنن أنه ﷺ قال « إذا قال المسلم : السلام عليكم كتب الله له عشر حسنات ، فاذا قال : ورحمة الله كتب له عشرين حسنة ، فاذا قال : وبركاته كتب له ثلاثين ولو زاد لزاده الله عشرا عشرا » فاذا قال البادىء بالسلام هذه الكلمات الثلاث وأراد المسلم أن يرد عليه بأحسن منها قال بعد وبركاته « ومغفرته ورضوانه وأزكى تحياته وتسليماته » كما فى حديث الامام أحمد فى تفسير الآية الكريمة (وإذا حييتم) . ولو قال : وأسعد الله أوقاتك وأحسن عملك وأجزل ثوابك كان ذلك من التحية بأحسن ، لأن الدعاء للمؤمنين من الخير ومن المكافأة على المعروف ، وفى الحديث « من صنع معكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ماتكافئونه به فادعوا له بخير »

ومن رغب عن تحية الاسلام التى جعلها الله تحيــة لآدم ولذريته من بعده والملائكة عليهم السلام ولأهل الجنة فى الجنة ـ واستبدلها بالتحيــات التى ليست من شعار المسلمين فقد رغب عن خير كثير وأضاع مشخصاً من مشخصات الاسلام وخلقا من أجل مكارم الأخلاق . قال الله تعالى فى تحيته لأهل الجنة عند دخولها (سلام قولا من رب رحيم) وهو أول كلام يبدؤهم به عز وجل بعد دخول الجنة ، كما تسلم عليهم الملائكة (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وهو تحية الملائكة للأنبياء قبل نبينا ﷺ ، قال تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون) (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام)

وفى حديث البخارى « أن الله لما خلق آدم ونفخ فيه الروح قال له اذهب فسلم على أولئك ـ لنفر من الملائكة ـ فاسمع مايحيونك به ـ وفى رواية مايجيبونك به ـ فانها تحيتك وتحية ذريتك الى يوم القيامة »

ومعنى كلمة السلام الأمان والمسالمة والسلامة ، وهو اسم من أسماء الله عز وجل أيضا ، وهذا المعنى هو الذى يلاحظ فى الرد على الكافر إذ يكون معناه: وعليكم الله رقيب . وللمسلم أن يرد على الكافر بقوله : وعليكم ويقتصر ، وله أن يقول: وعليكم السلام ، ويكون معناه : وعليكم الله رقيب .

وقوله ﷺ « سلام على من اتبع الهدى » استعمال لنوع من الملاينــة التى ينبغى لكل مسلم أن يستعملها ، وهى من الخلق الحسن الذى حث عليه الاسلام فى كتب الله كلها . قال تعالى لموسى وهارون (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وما أحسن قوله ﷺ « إن أقربكم منى منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطأون أكنافا ـ الحديث » وقوله ﷺ « وخالق الناس بخلق حسن »

يتبع　　　　　　　　　　　　　　　　محمد محمد مخيمر

داع ودعاة

من مُعاد الكلام أن نتحدث عما لاقى رسول الله ﷺ فى سبيل الدعوة الاسلامية من ضروب العناد والمعارضة التى لم تزده إلا تمسكا بالحق ، وحرصا على تبليغ الرسالة ، فذلك أمر لا يجهله مسلم له إلمام بتاريخ دينه . ولا يمكن لمخلوق أن يجحد تلك النتيجة الباهرة من بسط سلطان الاسلام على جزيرة العرب أولا ثم على مشارق الأرض ومغاربها ثانيا ، فقد سلم التاريخ بذلك فى غير تردد أو محاباة

وليس يعنينى فى هذه الكلمة التوسع فى كلا الأمرين خوف الاطالة وفوت المقصود وانما الذى يهمنى هو لفت الأنظار الى أن ذلك النجاح العظيم الذى لازم الدعوة الاسلامية فى عهدها الأول لم يكن وليد راحة ودعة ، أو عوامل غير معقولة ، بل كانت له أسباب وأسرار سايرت الدعوة حتى بلغت بها الغاية المنشودة كسنة من سنن الكون التى لا تغيير لها ولا تحويل . وبذلك يمكن أن نضع أيدينا على كثير من العلل التى أصابت الدعوة الاسلامية فى عصرها الحاضر حتى كادت تؤدى بها الى الفشل على كثرة الدعاة ، وتهيؤ الوسائل ، واستعداد الجماهير

كل دعوة تقوم على ثلاثة أركان : حقيقة الفكرة . شخصية الداعى . أسلوب الدعوة : والدين كنظام إصلاحى لم يخرج عن أنه فكرة تعرض على الجماهير على لسان إنسان ، له صفته وتاريخه بين قومه بأسلوب مناسب لا يتعارض مع الغاية المطلوبة . وانك إذا استعرضت تواريخ الرسل عليهم السلام مع أممهم لم تجد غير هذا . فقد استخلص الله تعالى من الأمم هداة بلغوا الذروة من الأخلاق دعوا اليه والى الاصلاح العام بكل الطرق الممكنة التى تحول بين الناس وبين الشر ، وهى فى الوقت نفسه جذابة للقلوب فى غير خداع أو تلبيس ، بعيدة عن الجمود والتنفير وقطع السبيل على طلاب الهداية من بنى الانسان

ذلك ماتراه مصوراً أبدع تصوير فى القرآن الكريم الذى نتلوه آناء الليل وأطراف النهار، وهو بعينه أمر رسول الله ﷺ شخصية كريمة كاملة ودعوة واضحة نيرة وأسلوب مناسب حكيم. اتجهت هذه المجموعة الطيبة فى سبيلها المرسومة نحو هدفها المرموق فبلغت الغاية فى أقرب زمان. ثم جاء أصحابه ﷺ من بعده فترسموا طريقه واقتدوا بهديه وبعدوا بأنفسهم عن المطاعن، فزادوا فى البناء وأوسعوا فى الدائرة، فكان مابهر العالم وأنطق التاريخ. الى أن جاء دورنا فانظر ماذا فعلنا؟

لم نهتم باصلاح أشخاصنا كدعاة أولا، ولم نحرر فكرتنا حتى اختلفنا فى مظهر عقيدتنا ثانيا، ولم نستعمل الحكمة فى أساليب دعوتنا ثالثا. ولبيان ذلك أقول فى إيجاز: إن كثيرا من دعاتنا لايهتمون بغير التأثير اللفظى على أسماع الناس وهم بذلك يعتقدون أن فى هذا الكفاية؛ مع أن للجماهير أعينا تكشف ماينحسر عن جوانب أولئك الدعاة، فترتد صارفة للقلوب عن العمل بما يقولون

ثم إننا جميعا ندعو الى الاخلاص والتحابب والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذه أمور أقول فى صراحة وفى أسف أنها تكاد تكون مفقودة بين كثير من دعاتنا. وآية ذلك مايكون فى المجالس والمجلات الدينية والمؤلفات العلمية حتى ان العقيدة ـ على بساطتها ـ تثير بيننا حربا عوانا تلبس الأمور على العامة فلايكادون يستبينون الحق أو يهتدون اليه سبيلا. فكيف نتقدم الى الغاية والناس لايفهمون منا المراد؟! على أننا أيضا فى حاجة الى حكمة فى عرض مسائل الاسلام على الجماهير بحيث نكون أطباء نعالج كل أمر بما يناسبه، ولا نغفل عن الوسط والزمان وحاجة الأمة فى تطورها مع حسن الخلق وقوة الحجة وسهولة الاقناع.

لاشك أننا لو راعينا ذلك وعملنا به لتحاشينا كل تلك العلل وبعدنا عن كل العقبات، وبذلك ننجح ونتقدم ونبنى على ماأسس الأولون فيعود للاسلام مجده الغابر وعصره الزاهر.

على السيد جعفر
واعظ مركز قليوب

بحث فى آية السحر

لفضيلة الأستاذ المحقق الشيخ محمد عبد الحليم الرمالى

قال الله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين على مُلك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أُنزل على الملَكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ، و يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لَمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ماشرَوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)

هذه الآية الكريمة تتصل بما قبلها فى سرد وتعديد فضائح اليهود ومخازيهم ، وعبثهم بما عهد الله تعالى اليهم من كتابه وشرائعه ؛ توسلا إلى شراء الحياة الدنيا بالآخرة أو عبادة للمادة وتشبثاً بحياتها، واعراضاً عن المنازع الروحية والمقاصد الالهية حتى أفسدوا دنياهم وآخرتهم ، فانتهى عزهم وملكهم الدنيوى الى استعباد الرومان اياهم ، وانقطعت صلتهم بالله عز وجل فلم يكن لهم فى حياة الآخرة من خلاق

وأول سرد هذه الفضائح قوله تعالى (يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين) حتى بلغ هذه الآية ثم استمر السرد بعد ذلك

وحيث أن الآية التى نحن بصددها قد ذكر فيها السحر ، واتصل بذكره ماجعل الآية مشكلة عنـد ذكر الملكين هاروت وماروت وانزال السحر عليهما ، فكيف يتفق إنزال السحر على ملكين مع أن سياق الكلام يكاد يكون صريحا فى اعتبار السحر كفراً إذ يقول تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) هذا محل الاشكال ، وقبل أن نفسر هذه الآية نمهد لذلك بكلمة عن السحر :

أن حياة الانسان وتاريخه قديما وحديثا مفعم بالمظاهر الروحية ومشاهدها وآثارها ، وأساطيره وأحاديثه ومشاهداته فى ذلك مستفيضة فى كل زمان ومكان ، وفى كل طبقات البشر وبيئاتهم من الخواص والعوام إلى الآن . وتلك الآثار والمشاهدات على أنواع مختلفة ، فمنها ماكان معجزات للأنبياء ، ومنها مايعد كرامات للأصفياء والأولياء . ومنها ماهو خوارق سحرية ،ومنها رؤى ومشاهدات روحية . ومنها خواص مختلفة على أنواع كثيرة تظهر فى بعض أفراد البشر على غير سنة طبيعية بعضها تصرف فى نواميس الطبيعة ، وبعضها مكاشفات غيبية .

تاريخ البشر مملوء فى باب المشاهدات وفى باب العلوم والفلسفات ، ومن هذه المشاهدات المستفيضة ماوعاه التاريخ وضبطه فى سجلاته ، ومنها ماهو قبل التاريخ فتلقاه حكاية عن الأساطير . ولقد جنحت الفلسفة الافرنجية فى مدى القرنين السابقين إلى جحود ذلك وانكاره بتاتاً ، فعدت الاشتغال به ضربا من الشعوذة والخداع أوالخيال والأوهام ،ثم مالت أخيرا إلى درسه وتمحيصه على أسلوب علمى منطقى محرر دقيق ،فاشتغل بذلك وتخصص فيه رجال من أقطاب العلم وأعلام الفلسفة ودرسوه على أسلوب التجربة والامتحان والمشاهدة : أسلوب مملوء الحصافة والرزانة والاحتراس والحذر من كل خداع واستهواء . وقد بدأوا هذه الأبحاث والتجارب التى وسموها باسم الفلسفة الروحية منذ أول النصف الأخير من القرن التاسع عشر الى اليوم ، فهاهم قد قاربوا مدى قرن فى هذه الأبحاث ؛ فما هى النتيجة التى تؤدى اليها هذه الفلسفة؟

هذه الفلسفة باعتبارها علما باحثا نجد فيه اليقينى والظنى والافتراضى كشأن جميع العلوم . ومن اليقينى الذى أثبتته الى درجة تقارب البداهة أن فى الوجود عنصرا روحيا غير العنصر المادى ، وكما أن الله بث فى العالم المادى قوى كذلك بث سبحانه فى العالم الروحى قوى ؛ غير أن قوى العالم الروحى أشد وأقوى جداً من قوى العالم المادى ، بحيث تستطيع قوى الأول أن تتصرف فى قوى العالم الثانى

وتتحكم فيه حبساً وإطلاقا وتقييداً وتحويلا شأن القوى مع الضعيف

هـذان رجلان قويان يصطرعان فى كل منهما قوة وأحدهما أقوى من الآخر لا بد أن يغلب أقواهما صاحبه ويعطل قوته بل ويعبث به هاهنا وهاهنا يحبس قوته تارة ويعطلها أخرى ، وهذا هو سر الخوارق الطبيعية التى تشاهد على اختلاف أنواعها

واذا كنا نرى قوى الطبيعة يتحكم بعضها فى بعض ويبطل بعضها بعضا: هذه جمرة متأججة وهذا ماء يصب عليها أليس يطفئها ويبطلها ؟ هـذه قوة كهربائية صاعقة وهذه مادة خشبية أليست تعزلها ؟ وهذه صاعقة تنقض من السماء وهـذا جهاز مانعة الصواعق أليس يزيغها ويصرفها ؟ ؟ فما بالك إذن بقوة الروح إزاء قوة الطبيعة ونواميسها ؟ . « انتهى ما اقتبسناه من رسالة الاسراء والمعراج »

وتتميما لذلك نقول : إن العالم الروحى الخفى الباطن فى هـذا الوجود نوعان فليعبر عنهما بالعلوى والسفلى أو الملكى والشيطانى ، فأما الأول فهو عالم القدس والطهارة ومعين الحق والحقيقة ، خير كله وحق كله ، ولا يوحى إلا بالخير ولا يتصل بنا إلا من هذه الناحية . وأما العالم الثانى فهو عالم الشياطين والمردة من الجنة ، وهو ينبوع الشر ومعدن الفساد ، ولا يتصل بالناس إلا من هـذه الناحية . والعالم البشرى فيه استعداد بجبلته الى الاتصال بكل من العالمين . وسبيل اتصاله بالأول إنما هو طهارة الروح ونقاؤها بحب الله والاسلام له والنزوع الى التعلق به والتقرب اليه بكل عمل صالح يحبه ، فاذا كان شديد الصلة بالله متعلقا به حباً وعبادة وتوكلا واعتماداً وثقة جانست طبيعته هذا العالم الطاهر فنفث فيها خواطر الهداية وألهمها الحقائق وأوحى اليها من طريق الالهام بالسداد فى كل ما تصبو اليه من خير ينفعها أو تنفع به الانسانية . وقد ظهر من هذا أن التماس الأغراض والمقاصد من الاتصال بهذا العالم إنما هو متمحض فى الخير فحسب ؛ أما الأغراض السافلة والمقاصد الخبيثة والنزعات الشريرة فلا يمكن أن تلتمس إلا من الاتصال بالعالم الشيطانى الشرير ،

وليس الى ذلك من سبيل إلا أن يتقرب اليه بما يحبه من المحرمات والمعاصى بل والكفريات ، فاذا ارتكس الانسان الى هذه الدركة استجاب له ذلك العالم وأعانه على ما يبتغى من هذه الشرور .

وقد ظهر من هذا البيان معنى كون السحر كفرا ؛ لأنه مبنى على تسخير العالم الشيطانى فى الأغراض الشريرة ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بعبادة الشياطين والتقرب اليهم بالمنكرات والكفريات . ولا تغتر بما يذكر فى تعاويذ الدجاجلة وطلاسمهم من الآيات القرآنية أو أسماء الله الحسنى ، فانما ذلك أوردوه للخديعة واصطياد المغفلين كيلا يستوحشوا من افترائهم هذا المنكر

أما آثار السحر فقد اختلف فيها : فمن الناس من يراها شعبذة أى مغالطة وخفة يد ، ومنهم من يراها خيالا . ومنهم من يراها حقائق . والصواب أن القسم الأول ليس من باب السحر ، وانما هو من باب الصناعه والمهارة . وأما السحر على حقيقته فهو يشمل النوعين الأخيرين ، فان السحر الذى يقع بقوة روحية إما أن يؤثر فى قوة البصر الطبيعية فيريها من الخيال ما ليست له حقيقة واقعة ، وهذا إبطال لقوتها الطبيعية التى من شأنها أن تميز بين الموجود الماثل أمامها ، والمعدوم الذى ليس بواقع ولا حقيقة - وإما أن تؤثر هذه القوة الروحية فى قوى الأشياء وخواصها ، وقد جرب الناس وعرفوا حبس الرجل عن زوجه وبغضه إياها حتى ربما طلقها وهى أحب الناس اليه . وقد ذكر العلامه ابن خلدون فى مقدمته أشياء كثيرة

ومن التأثير الروحى الذى يصيب الانسان ما تعارفه الناس من آثار العائن الذى يصيب الناس بالمكروه فى أنفسهم وأموالهم ، وقد جربناه كما جرب الناس من ذلك شئونا كثيرة . وهذا تصديق قول رسول الله ﷺ فى حديث البخارى « العين حق »

« يتبع »

عقيدة التوحيد الخالص

وما نلقى من القبوريين

لما نشرت كلمة (الوثنية فى الكتب الأزهرية) فى مجلتى الرسالة والهدى الغراويين هبت علينا أعاصير الغضب ، وزوابع المقت من كثير من القبوريين هنا ، فماج بعضهم فى بعض يفترون علينا الكذب ، ويقولون انه منكر للكرامات ، وجاحد بالمعجزات ، ولولا أن هذه الكلمة قد حفظ نصها بالنشر لقالوا بغير حرج انه قد ارتد فيها عن دينه وكفر ، ولقد كان مما صنع بعض الشيوخ الأزهريين أن اشتركوا فى الاجتماع الذى تحدثت عنه فى كلمتى السابقة ، وقام كبير منهم فخطب خطبة مستفيضة لم يعرض فيها لشيء مما كتبناه فى كلمة (الوثنية فى الكتب الأزهرية) وانما جعلها فى سبنا وشتمنا . ومما قاله بعد أن أفرغ ذنابا من السباب فى هذا الجمع « ليس لأحد أن يتكلم فى الدين إلا إذا كان من الشيوخ الأزهريين »

ولما جاءنى نبأ ذلك قلت : أما ما نالنا من سب وشتم فإنا نتجاوز عنه ، إذ لا يصح لمن تأدب بأدب الدين ، وكان ممن ورث علوم النبيين ، وآنس من نفسه الدعوة إلى سبيل الله ، أن يكون سبابا أو لعانا ، وليس من شيم العلماء أن يقابلوا الهجاء بالهجاء

أما قوله عن وقف الكلام فى الدين على الشيوخ الأزهريين ، فهذا أمر لا يكون الا اذا تبدل القرآن وانقلبت السنة ـ وهما أصلا الدين ـ فتصبح آيات الكتاب (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وشيوخ الأزهر منكم) (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ومن شيوخ الأزهر) وتكون الأحاديث « عليكم بسنتى وسنة الشيوخ الأزهريين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وكفروا من يأخذ دينه من غيرهم » « من أحدث فى ديننا شيئا من غير شيوخ الأزهر فهو رد » اذا انقلب الامر الى ذلك فحينئذ يكون

هذا القول صحيحا ، ولكن مادام كتاب الله محفوظا ، والسنة الصحيحة منتشرة بين أرجاء الأرض لكل من يستطيع فهمها والأخذ منها ، والعمل بما جاء فيهما ، فانه لا احتكار فى الدين ، ولا رآسة كهنوتية لأحد على أحد من المسلمين . ومن قال بغير ذلك فهو جاهل باتفاق العلماء

على أن الحق قد وجد فى هذا الجمع من ينافح عنه ؛ فقد نهض الأستاذ الكبير محمود البشيشى الأستاذ الأول للغة العربية بمدرسة المنصورة الثانوية ، وبعد أن أيد التوحيد الصحيح أخذ يفيض علينا من فضله ، فوصفنا ووصف دعوتنا الى الاصلاح بما نخجل من نقل شىء منه ، مما جعل الناس يعدون الشيخ الأزهرى من الكلام لما أراد استئنافه - فجزاه الله عن الحق وعنا خير الجزاء

ولقد كنت أظن أن الأمر قد انتهى عند ذلك ، ولكنى رأيت أنه لا يزال فى صدور بعضهم شىء من الإحن ؛ فقد زارنى أحدهم وقال : هل تنكر كرامة الاولياء ؟ وأن السيد البدوى من كبارهم ؛ فقلت له : أما كرامة الاولياء فليس الايمان بها من أصول الدين حتى يكون على منكرها شىء ، فأنا أنكرها وأنكر جواز وقوعها ولا علىّ من بأس ، ولقد أنكر ذلك من قبلى كبار الائمة أمثال الاسفرائينى والحليمى من كبار أتباع أبى الحسن الاشعرى « ويجوز لكل مسلم باجماع الامة أن ينكر صدور أى كرامة كانت من أى ولى كان ، ولا يكون بانكار هذا مخالفا لشىء من أصول الدين ، ولا مائلا عن سنة صحيحة ، ولا منحرفا عن الصراط المستقيم »(١)

وأما السيد البدوى فلا أعرف من أمره شيئا ؛ وليس واجبا علىّ أن أعرف تاريخه ؛ وما أنا من المطلعين على الغيب حتى أعرف أين مكانه عند الله إن كان مقبولا أو غير مقبول . على أنه إذا كان مقبولا فهذا لا يعنينى ولا شأن لى ولا لأحد من المسلمين به ، إذ ليس له من الامر شىء ، فلا ينفع ، ولا يضر ولا يسمع

---

١) ص ٢٠٦ من رسالة التوحيد للامام محمد عبده

فقال : كأنك تنكر التواتر الذى شهد بولايته !! وماتقول فى هذه الملايين الذين يؤمون قبره ويلتمسون بره ؟ فقلت له : أما هذا التواتر الذى تذكره فلا قيمة له عند العلماء ، وان هذه الملايين التى تذكرها إن هم إلا عوام لا قيمة لرأيهم باتفاق الامة . ففزع الشيخ عند ذلك وقال املك تنكر الولاية وقد شهد بها القرآن ؟ فقلت له :ان الولاية القرآنية هى لكل مؤمن تقى ، ولا علاقة لها بغير صاحبها ،فمن أحسن منهم فلنفسه ومن أساء فعليها . على أننا لو رأينا رجلا يطير فى الهواء ، ويمشى على الماء ، ويصوم النهار ويقوم الليل فانى لا آمن عليه بل أقول « أرجو أن يكون مقبولا » وهذه هى العقيدة الصحيحة

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قد غضب على أم العلاء الانصارية لما قالت عن عثمان بن مظعون وهو الذى هاجر الهجرتين ، وكان من كبار الصحابة « شهادتى فيك لقد أكرمك الله »

على أن شيوخك قدقالوا انالكرامة ليست شرطا للولاية ولا دليلا عليها

فقال كأنك تقول ان الاولياء تنقطع صلتهم بالدنيا بعد موتهم . فأجبته بأن ذلك ليس لأولياء اللهفقط ،وانما هو يعم كل مخلوق من الرسل والانبياء والاصفياء وغيرهم . حينئذ انتفض وقال : انى أخشى عليك لانك لا تأخذ بالعقيدة السليمة ولما طلبت منه أن يبين لىماهى العقيدة السليمة التى لايخشى علىصاحبها ،أجاب: ان أولياء الله الذين يعرفهم الناس ولهم أضرحة مشهورة ،لاتنقطع صلتهم بالدنيابعد موتهم ، وان أرواحهم العالية تطوف فى كلوقت بين أرجاء الارض فتسمع كل من يناجيها أو يناديها ، وتتقبل دعوات المحتاجين ،وتقضى حوائج السائلين . وهذه هى العقيدة الصحيحة للمسلمين ، ومن أجل ذلك اخاف عليك ان لم تأخذ بها .فقلت له : صدق الله وصلوات الله على ابراهيم (وكيف أخاف ماأشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل بهعليكمسلطانا ،فأى الفريقين أحقبالأمن ان كنتم تعلمون؟

الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم[1] أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم)

فاستشاط الأستاذ غضبا وقال : ان ايمانك ناقص وعقيدتك غير سالمة

فقلت له : ان موازين الايمان والعقائد ليست بيدك ولا بيد غيرك من شيوخ الدين ، والاسلام ليس فيه كهنوتية ولا رياسة دينية ، وكذلك ليس فيه من اذا ربط على الأرض يكون مربوطا فى السماء ، ولا من اذا حل على الأرض يكون محلولا فى السماء . ثم رأيت بعد ذلك أن أطاوله فقلت له :

ان غيرك من الشيوخ يقول بغير ماقلت ، فبعضهم قال ان هؤلاء المقبورين أحياء فى قبورهم يستمتعون فيها كما كانوا يستمتعون فى الحياة الدنيا ويخرجون منها لقضاء حوائج الناس ثم يعودون اليها . . وبعضهم ومنهم شيخ الأزهر البيجورى يقول ان الله قد وكل ملكا بقبر كل ولى يتولى قضاء حوائج الناس ! فأى الأقوال نتبع وأيها نصدق ؟ فقال : كلٌّ جائز ! !

فقلت له : وهل هذا مما تدرسونه للناس وتجعلونه من عقائد المسلمين الذين يستمعون اليكم ؟ فأجاب بأن هذا هو أساس دعوتنا ، واذا قلنا بغير ذلك كان قولنا غير صحيح . فقلت له : لو كان لى أن أخوف أحداً من عقائد غير صحيحة لقلت لك ان الخوف هو عليك وعلى كل من تدرس لهم مثل هذه العقائد الشركية

وما كدت أنتهى من قولى هذا حتى زمجر وتولى غاضبا بعد أن جاد علينا بشىء من بضاعته فسب وشتم ورمانا بما رمى ، مما جعل من كان معى يعجب من علم شيوخنا وآدابهم . على أنى قد ضحكت وقلت له وهو ينصرف عنا مهرولا : غفر الله لك ولجميع اخوانك الذين سبقوك بالسب والشتم ، وهدانا جميعاً الى الصراط المستقيم

المنصورة محمود أبو ريه

---

١) بشرك

من الأدب النبوى

عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله ﷺ قبل الهجرة يغشانا فى كل يوم مرتين غدوة وعشية ، فجاء يوما فى وسط القائلة وأبو بكر قاعد على السرير فقال ماجاء به فى هذا الوقت إلا أمر حدث ، فدخل النبى ﷺ وأبى قاعد على السرير ، فوسع له فى السرير حتى جلس معه عليه ، ثم أخبره النبى ﷺ أنه أمر بالهجرة ، فقال: الصحبة يارسول الله ؟ فقال : الصحبة يا أبا بكر »

وعن معاوية رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار »

وعن أنس رضى الله عنه قال « لم يكن أحب اليهم من رسول الله وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك »

ويوجد غير ذلك كثير من الآثار الثابتة عن الرسول الأكرم ﷺ تدل على نهيه عن قيام الناس بعضهم لبعض كما يفعل الناس اليوم ويرون عدم القيام احتقاراً لشأن القادم وازدراء له . والحق أن العرف الذى تواضعوا عليه صير الأمر كذلك فهم إنما يقومون لمن يحترمون رهبة أو رغبة ، ولا يقومون بل ولا يكادون يرون السلام على من لارهبة له فى قلوبهم ولا حاجة لهم عنده . وفى بلاد الأرياف خصوصا فى أرياف الصعيد تعصب شديد لهذه العادة الجاهلية بحيث قد يترتب على عدم قيام الناس بعضهم لبعض خصومة شديدة ربما جرت الى قتال !

ومن تقاليدهم المضحكة فى هذه العادة الجاهلية أنه قد يحدث أن يضم مجلس من مجالسهم كثيرا من الناس فيهم سرى من سراتهم أو رئيس عائلة أو عمدة أو ماشاكل ذلك فيقوم لبعض شأنه فيقف الجميع احتراما له ثم يجلسون فاذا عاد وقفوا جميعا بحركة (أوتوموتيكية) فلا يجلسون حتى يجلس ، وهكذا لو قام عشرين مرة

فى المجلس الواحد لـكان شأنهم معه كذلك حتى يتفرقوا ؛ وهو يقر ذلك ويرضى عنه ويراه حقا من حقوقه واجب الأداء . وفيهم من يبغضه ويتمنى له كل مصيبـة بحيث لو خلا به وأمن القصاص لقتله شر قتلة ، وهذا من ألعن ضروب النفاق .

كل ذلك وأمثاله منشؤه البعد عن روح الدين الذى يدعو الى عدم التكلف واتباع الفطرة فى كل شىء ، فهو لا يعبأ بالظواهر كثيرا . فـكفى من إظهار احترام الرجل لصاحبه أن يحسن رد تحيته أو يحييه بأحسن منها فى وجه بشوش ومن وراء ذلك قلب ينبض بالرحمة ويد مبسوطة بالمعونة بحيث يشغله مايشغل أخاه فلا ينام عن سد خلته وتفريج ضائقته ، وهذا هو جوهر المحبة ولبابها ، أما هـذه الحركات القردية والمظاهر التمثيلية فانها لا تسمن ولا تغنى من جوع . ويرحم الله الخليفة الربانى عمر بن عبد العزيز الذى كان يقول للناس عند مايتمثلون له قياما : اجلسوا فانمـا يقوم الناس لرب العالمين .

﴿ من وصايا الرسول ﷺ ﴾

قال ﷺ « أوصانى ربى بتسع أوصيـكم بها : أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فـكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرا »

﴿ من كلام علىّ رضى الله عنه فى وصف القرآن ﴾

القرآن جعله الله رياً لعطش العلماء ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ودواء ليس بعده داء ، ونورا ليس معه ظلمة ، وعزاً لمن تولاه ، وسلما لمن دخله ، وهدى لمن ائتم به ، وبرهانا لمن تكلم به ، وعلما لمن وعى ، وحكما لمن قضى .

من صور الحياة المصرية

- ٢٤ -

﴿ مسألة المسائل ، أو الدعوة إلى الحكم بما أنزل الله ﴾

ليس من شيء يجب أن يكون شغل المسلمين الشاغل ، وهمهم المقعد المقيم في هذه الأيام من انضوائهم تحت راية الداعين إلى العمل بكتاب الله واحلال شريعته السمحة محل هذه القوانين الوضعية التي أفسدت عليهم أخلاقهم ، وضيقت أرزاقهم وعبثت بمقوماتهم ؛ وشوهت جميل عاداتهم .

نعم لم يبق للمسلمين من وَزَر [1] في هذه الأزمات العاتية الا كتاب الله ، يفزعون اليه في حكوماتهم وفض مشكلاتهم ؛ بل ويلفتون إلى برده ضحايا الأطماع وقود هذه النار التي اندلعت في الكرة الأرضية فلم تفلت منها رقعة ، ولم تنج بقعة ، وفي هذا المعنى يقول الأستاذ المحقق محمد احمد الغمراوي من مقال له بعنوان (تأملات) نشر في عدد الرسالة الممتاز : « فان الخالق البارىء الحكيم قد جمع للانسانية بين علم الفطرة وبين إحكام تطبيقه على الحياة حين أكرمها بالاسلام دين الانسانية الكامل الشامل الذى أنزله على محمد نبي الهجرة صلوات الله عليه .

فاعجب إذاً للانسانية كيف تتخبط وبين يديها الهدى ؛ وكيف تشقى وفي متناولها السعادة ؛ وكيف تموت وعلى مقربة منها الحياة ؟

ثم اعجب عجباً بعد عجب من قوم يزعمون من بين الانسانية أنهم مسلمون الى الله ، مؤمنون بالكتاب الذى أنزل ، والرسول الذى أرسل ، ثم هم يعطلونه ولا يقيمونه ، ويضيعونه ولا يحفظونه ، بل هم يلتمسون الهدى في غيره ، ويطلبون الحياة من

---

(١) ملجأ

ضل عن روحه ونوره ، ويولون قلوبهم ووجوههم لا شطر المدنية الاسلامية التي أقامها الرسول ﷺ بتطبيق كتاب الله، فكانت مثلا عملياً أعلى للانسانية كلها، ولكن شطر المدنية الغربية التي ضلت عن ربها وعبدت المال والقوة والجاه ،فأداها ذلك إلى التهلكة التي ترى ، والتي تحاول التخلص منها فلا تستطيع .

فريق من الانسانية بيده النور فلا يستنيرون به ، وفريق في الظلمات يظنون أنفسهم في نور ، أيهما ياترى أظلم ؟ ولأيهما يا ترى تكون النجاة ؟ اه

ولطالما رفع أنصار السنة الصوت عالياً في كل مناسبة ، بالكتابة تارة وبالخطب تارة أخرى بأن أمراض المجتمع كلها ، دقها وجلها ، سببها واحد لا يتعدد ، وهو تحاكمه الى غير ماأنزل الله[1] وما حادثة الألف غلام التي تتمزق لها قلوب أهل الغيرة أسفا الا نتيجة قصور هذه القوانين الوضعية وعجزها عن زجر المجرمين ، وتأديب المفسدين .

* * *

والذي يثلج صدور المؤمنين حقا أن يتقدم صفوف الدعاة الى هذا المطلب الأسمى كبير علماء هذا العصر الأستاذ المراغي ،فقد أبلى في هذا المقام بلاء نسأل الله أن يثيبه عليه ثواب المخلصين . فهو لا يفتأ ينادي بهذه الدعوة الكريمة على كل منبر يعلوه ، وفي كل مقام يقومه كما نادى بذلك أمام حضرة صاحب الجلالة الملك ورجال حكومته المرة بعد المرة ، يجهر بها صريحة لا عوج فيها لايخاف لومة لائم ، ولايخشى قالة هماز

---

١) ونقول بهذه المناسبة ان مجلس إدارة الجماعة قرر تشكيل لجنة دائمة من بين أعضائه مهمتها المطالبة بالحكم بما أنزل الله ، وتعضيد كل داع اليها بكل وسيلة ممكنة ، والاتصال بالجمعيات الاسلامية لتكوين لجنة عامة من هذه الجمعيات لاتبرح قائمة بهذه الدعوة حتى يكتب لها النجاح ان شاء الله

وإنا نعتقد جازمين أن الأزهر بلسان شيخه ـ قد قال كلمته ، فلم تبق الا كلمة الأمة التي يجب أن تكون جبهة متحدة في تعضيد هذه الدعوة والسعي بكل ما تستطيع من وسائل في سبيل تنفيذها.

***

في الحفل الجامع الذي أقامه الأزهر احتفاء بذكرى الهجرة ، والذي شرفه حضرة صاحب الجلالة الملك : ألقى الأستاذ الأكبر كلمة رائعة، رأينا أن نصدر بها هذا العدد من الهدى ، ولتكون مثلا يدل على مبلغ حرصه على تأدية هذه الأمانة ما واتته الظروف وسنحت له الفرص

ولا بأس أن نسوق مثلا آخر يقوى هذه الدلالة ، مما نقتبسه من كلمته القيمة التي نشرتها مجلة الرسالة في عددها الممتاز بعنوان (لابد من دين الله لدنيا الناس)

« لا يكشف عنا ما غشينا من هذه الغمة العميمة إلا العمل بشريعة »

« الاسلام ، والاحتفاظ بتقاليد الشرق الصالحة ، والرجوع إلى شرع »

« الله في أمور الدنيا من بدائه العقل وموجبات الفطرة ، لأن الله »

« جلت قدرته هو الذي خلق الناس ودحا الأرض ، فهو أعلم بغرائز »

« خلقه وأسرار كونه ، وهو أعلم بما سينشأ عن تصادم الغرائز من »

« نزاع ، وما سيشتد على خيرات الأرض من تنافس ، وهو أعلم بما »

« سينتجه تفاوت الناس في القدرة والحيلة من بغى الأقوياء على الضعفاء »

« وجور الأغنياء على الفقراء ، فشرعه ـ وهو الخبير البصير ـ حقيق »

« أن يكون حلا حاسما لمشكلات الحياة ، وعلاجا شافياً لأدواء »

« المجتمع ، ودستوراً جامعاً تنتظم عليه شئون الأفراد وأحوال الأمم »

« في كل أرض ، وفي كل عصر ، وفي كل جنس »

« أما تشريع الناس للناس فهو عرضه للنقص أو للخطأ ، من جهة الجهل »

« أو من جهة الهوى ، أو من جهة التطبيق ، وهو إن صلح لمصر »
« لا يصلح لغيره ، وإن أفاد فى أمة لا يفيد فى أخرى . فما بالنا ندع »
« حكم الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم نحكم »
« فى أنفسنا وأموالنا وأحوالنا شرائع لا تتفق مع عقائدنا ، ولا تأتلف »
« مع عوائدنا ، ولا تستطيع أن تحيط بما أحاط به الله من خفايا »
« الصدور ومفاجآت الغيب ؟ »
« لا يزكو بأهل القبلة أن يولوا وجوههم شطر المغرب يأخذون عنه من »
« المذاهب والنظم والتقاليد ما أضل به أهله ؛ إنما النور فى الشرق »
« مطلع الأديان ، والهدى فى شريعة الله منزل القرآن ، والدليل فى »
« سنة الرسول ﷺ صاحب الهجرة ، والسبيل ما سلكه السلف الصالح »
« فأوفى بهم على الغاية »

والرجاء فى مولانا الفاروق - أعز الله ملكه - أن يبنى إصلاح الامة على قواعد الدين ، وأن يجرى قضاء الحكومة على شريعة الله ، فهو بما آتاه الله من العلم والحكمة والسلطان ، أحق بأن يبدأ للأمة الاسلامية هذا التاريخ الجديد . اهـ

ونحن نسأل الله أن يبقى علم الاستاذ خفاقا ، وأن يوفق المسلمين الى شد أزره حتى يستعيدوا عزة الدين فتعود لهم بحق صفة المسلمين

محمد صادق عرنوس

باب الفتاوى

جاءنا من حضرة الأخ الكريم الأستاذ عبدالحليم محمد الشافعي المدرس بمنشية عباس هذه الأسئلة :

١ ـ ما الفرق بين الرسول والنبي (٢) وما هو الولي (٣) وما الفرق بين المسلم والمؤمن (٤) وما معنى قوله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) الى آخر الآية

ج — أما هذه الآية فقد أحلنا تفسيرها وبيان دقائقها إلى فضيلة الاستاذ العلامه الشيخ محمد عبدالحليم الرمالى، و يجد القراء هذا البحث القيم فى هذا العدد

أما بقية الاسئلة فنجيب عنها ، وبالله التوفيق :

١ ـ النبيء فى اللغة العربية وصف من النبأ وهو الخبر المفيد لما له شأن مهم ، ويصح فيه معنى الفاعل والمفعول ، لأنه منبيء عن الله ومُنبأ منه، والنبي بالتشديد أكثر استعمالا أبدلت الهمزة فيه ياء ، أو هو من النبوة وهى الرفعة والشرف . ويطلق عند اهل الكتاب على الملهم الذى يخبر بشيء من أمور الغيب المستقبلة ؛ وقيل إن معنى أصل مادته فى العبرانية القديمة : المتكلم بصوت جهورى مطلقا أو فى الأمور التشريعية ، وهو عندنا من أوحى الله اليه وحيا ، فان أمره بتبليغه كان رسولا . فكل رسول نبى ، وما كل نبى رسول . اهـ من الوحى

٢ ـ الولى لغة هو المحب والصديق والنصير ؛ والولْى هو القرب والدنو ، والمطر بعد المطر . والولىّ الاسم منه ؛ وقال الراغب الاصفهانى فى غريب القرآن الوِلاية والوَلاية تولى الامر ، والولى والمولى يستعملان فى ذلك ؛ كل واحد منهما فى معنى الفاعل أى الموالِى ، وفى معنى المفعول أى الموالَى ؛ ويقال المؤمن : هو

ولى الله عز وجل ، ولم يرد مولاه . وقد يقال: الله ولى المؤمنين ومولاهم ، فمن الأول قوله تعالى (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله) ومن الثانى قوله تعالى (الله ولىُّ الذين آمنوا) (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا)

ونفى الله الولاية بين المؤمنين والكافرين فى غير آية ، فمنها قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) وفى هذا المعنى كثير

وجعل بين الكافرين والشياطين موالاة فى الدنيا ، ونفى بينهم الموالاة فى الآخرة . قال تعالى فى الموالاة بينهم فى الدنيا (والمنافقون والمنافقات بعضهم أولياء بعض) (فقاتلوا أولياء الشيطان) الخ . وكما جعل بينهم وبين الشيطان موالاة جعل للشيطان فى الدنيا عليهم سلطانا فقال (إنما سلطانه على الذين يتولونه) وفى نفى موالاة بعضهم بعضا فى الآخرة يقول (ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا)

وجميع الآيات القرآنية والنصوص اللغوية تحكم حكما قاطعا أن معنى الولى هو المحب والصديق والنصير . فولى الله معناه محبه وناصره ، وذلك هو المؤمن الصالح التقى الذى يحب الله ويطيعه ، ويعمل على نصرة دينه ، ويصدق ماعاهد الله عليه ، ويتقرب اليه بصالح العمل .

وفصل الخطاب فى ذلك قول الله تعالى (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون : الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك الفوز العظيم)

وهذا تعريف جامع قاطع لمعنى الولى فى القرآن الكريم كان من حق المسلمين جميعا أن يأخذوه قضية مسلمة، خصوصاً وقد قال فى آخر التعريف (لاتبديل لكلمات الله) فلما لم يتمكن أعداء الدين من تبديل كلمات الله بدلوا معانى كلمات الله فألبسوا الولاية ذلك الثوب الاصطلاحى الدخيل فكان لزاما على الله (عندهم) أن يجعل من

كل صاحب قبة ولياً ، فاسقا كان أو مؤمنا ، شريرا أو خيرا . هذا اذا كان من الأموات ، أما إذا كان من الأحياء فعناصر الولاية عندهم هى خبل العقل وقذارة الجسم وعريه وغير ذلك مما يمجه الذوق السليم : تعالى الله عما يقول المضلون ويفهم الضالون علواً كبيرا

ورحم الله الشيخ حسن البدرى الحجازى حيث قال يصف أولياء أهل زمانه الاصطلاحيين :ـ

ليتنا لم نعش الى أن رأينا كل ذى جِنة من الناس قطبا
علماهم به يلوذون بل قد تخذوه من دون ذى العرش ربا
إذ نسوا الله قائلين فلان عن جميع الأنام يفرج كربا
واذا مات أعلنوه مزارا وله يهرعون عجما وعربا
بعضهم قبّل الضريح وبعض عتب الباب قبلوه وتربا
هكذا المشركون تفعل مع أصنامهم تبتغى بذلك قربا
كل ذا من عمى البصيرة والويل لمن أعمى له الله قلبا

(عن كتاب صيحة الحق للأستاذ العلامة أبى الوفاء درويش ببعض تصرف وبشىء من الزيادات)

(٣) أما الفرق بين المسلم والمؤمن أو بين الاسلام والايمان ، فقد بينه الحديث الصحيح الذى يرويه مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد قال « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى ﷺ فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يامحمد أخبرنى عن الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه

سبيلا ، قال صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال فأخبرنى عن الايمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال صدقت . قال فأخبرنى عن الاحسان ، قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . قال فأخبرنى عن الساعة ، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال فأخبرنى عن أماراتها ، قال أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون فى البنيان . ثم انطلق ، فلبثت مليـاً ، ثم قال ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »

فالاسلام هو الانقياد الظاهرى لهذه الأركان الخمس من قول وعمل والله أعلم بمـا فى القلوب ، وذلك مصداق قوله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » أى أن الانسان يسمى مسلما له ما للمسلمين وعليه ما عليهم متى اعترف بهذه الأركان وعمل بها . ولـكن الايمان هو التصديق القلبى بالله وبمـا أتى به من دين وبرسوله وبما أمر به من سنة ظاهراً وباطنا بدون شك ولا ارتياب . وقد كفلت شرح هذا وتوضيحه أعظم توضيح آية الأعراب من سورة الحجرات حيث يقول الله عز وجل فيها (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولـكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتـكم من أعمالـكم شيئا إن الله غفور رحيم . إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون)

فالايمان هو العقيدة التى تصدر عنها مختلف الفضائل التى سردت فى القرآن موزعة على سوره وآياته ، أو هو الجهاز الذى يحرك الجوارح كلها فى طاعة الله وابتغاء مرضاته (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)

أما الاسلام فثوب يرتديه البر والفاجر والصادق والمنافق والأعمال هى التى تغربله وتنخله (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض)

فتوى عن مذهب الصوفية

سئل الامام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله : ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفيه ؟ وأعلم – حرس الله مدته – أنه اجتمع جماعة من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى ، وذكر محمد ﷺ ؛ ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم ؛ ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه . ويحضرون شيئا يأكلونه . هل الحضور معهم جائز أم لا ؟ افتونا مأجورين . وهذا القول الذى يذكرونه :

يا شيخ كف عن الذنوب ... قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا ... ما دام ينفعك العمل
أما الشباب فقد مضى ... ومشيب رأسك قد نزل

فأجاب : مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ؛ وما الاسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله . وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ، فهو دين الكفار ؛ وعباد

وفى مواضع كثيرة من القرآن يكاد يكون الاسلام هو عين الايمان ، فان قوله تعالى (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) يدل على أن هذا النوع من الاسلام يشمل الايمان الكامل ، وكذلك قوله تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) فان نوع المسلمين الذين لا يسويهم الله بالمجرمين هم أولئك المؤمنون ولاشك الذين يحول الايمان بينهم وبين أن يعملوا أعمال المجرمين

وكذلك وصية ابراهيم ويعقوب التى حكاها الله فى قوله (يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) لابد أنهما عليهما السلام قصدا هذا النوع من الاسلام المقرون بالعمل الصالح الذى هو ثمرة الايمان ولب لبابه . جعلنا الله من المسلمين حقا المؤمنين صدقا ، الفاهمين لكتاب الله العاملين بمقتضاه .

أدبيات

﴿ الهجرة مولد تاريخ ﴾

ولا تزال الهجرة على بعد العهد ، وعراقة الزمان ، وضراوة الفتن ، وضعف المسلمين وتخاذلهم ، وحياً يملأ النفوس آمالا ، والقلوب إيمانا ، والأيدي قوة ، والعزائم فتوة ، ولا تزال نوراً في نفس كل مسلم ، وحديثاً في ضميره ، ودعوة في أذنه ، وعزة في جوانحه ، وسؤدداً في همته . لاتزال تدوى في الآذان والصدور كما لايزال الأذان الأول يدوى في ارجاء الأرض لايفتر ليل نهار ، ولا يقر له في ساعات الزمان قرار

ألا ان التاريخ الذى ولدته الهجرة لايزال في ازدياد ، والشهر الذى أجرته لايزال في اطراد ، والروح الذى نفخته لا يزال قويا ، والعزم ألذى شحذته لا يزال فتياً ، والكتاب الذى كانت عنوانه لم تقرأ صفحاته ، ولم تنفد كلماته ، وان في ضمير الدهر لأحداثاً كبارا ، وان في ثنايا الغيب لأسرارا وأسرارا

من مقال بهذا العنوان في مجلة الثقافة
بقلم الدكتور عبدالوهاب عزام

العجل . وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقه ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله . وانما كان بجلس النبى ﷺ مع أصحابه كأن على رءوسهم الطير من الوقار . فينبغى للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها . ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ، ولا يعينهم على باطلهم

هذا مذهب مالك وأبى حنيفه والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق

توسل بالنبي ولا تبالي

أرسل الينا الأديب محمود أمين محمد موسى قصيدة عامرة الأبيات عارض بها قصيدة ألقيت فى حفل أقيم لتكريم أحد العلماء على وزن قصيدته ورويها . وفى القصيدة المعارَضة من الشرك مايسخط الواحد الأحد ؛ وبحسب ماتضمنته من الشرك أن مصراعا منها صدّق المثل المشهور (أول القصيدة كفر) وقد اخترنا منها هذه الأبيات

« توسل بالنبي ولا تبالي »	كذا قيلت بمؤتمر الجبال
رمى طور بيدها من ليس يدرى	من الدين اليمين من الشمال
فألقاه وليس له دليل	سوى أثر ضعيف الركن بال
صريح الآى فى القرآن يدعو	الى تكذيب راميه المغالى
أما علم الغبيُّ بأن هذى	مقالة مشركى العرب الأوالى
رأوا فى اللات والعزى شفيعا	به يتقربون لذى الجلال
ولكن الرسول أتى بدين	ينص على التوسل بالفعال
وكل عبادة شيبت بشرك	فليست من مقاصده بحال
نبى الله قاتل ناصريها	بغير هوادة أنكى قتال
فلبُّ الدين توحيد صريح	من الإشراك بالرحمن خال
إذا الأعمال جافته قليلا	تلاشت وهى أمثال الجبال
هو الشرط الذى لابد منه	لإنقاذ العباد من الضلال
إلهى قد تعالم كل غر	وأصبح داؤه حب التعالى
إذا حلّ التعصب نفس شخص	رأى خرزاته أبهى لآل !
وكم مسخ التعصب من نفوس	ونقّص من مقادير الرجال
كمن يدعو لهذا الشرك جهرا	بلا أدب ولا حسن امتثال
ومن يك من دعاة الشرك أضحى	صفيقا بالعواقب لايبالى
إذا صار الجهول خطيب قوم	فذلك منتهى نكد الليالى

أدب السلف فى كتمان السر

قال العتبى : أسر معاوية الى ابن أخيه عمرو بن عنبسة بن أبى سفيان حديثا قال عمرو فأتيت أبى وقلت له إن أمير المؤمنين أسرّ إلىّ حديثا فأحدثك به قال لا لأنه من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه ، فلا تجعل نفسك مملوكا بعد أن كنت مالكا . فقلت : أوَيكون هذا بين الرجل وأبيه ؟ قال لا ولكن أكره أن تعوّد لسانك إذاعة السر . قال عمرو : فرجعت الى عمى فأخبرته بذلك، فقال أعتقك أخى من رق الخطأ .

تحليل الأخلاق

الى صديقى الدكتور مصطفى بك عمر مدير
قسم الأبحاث التحليلية بقصر العينى

أرى مصطفى قد ضم فيما يضمه	من الصالحات : العلم والأدب الجما
إذا قرّب (المنظار) يوماً لعينه	رأى أمما شتى ، وكاد يرى الوهما
براعة من أهدى الى العلم نفسه	فأصبح فيه مضرب المثل الأسمى
فيا مصطفى حللت أشياء جمة	وأطلعتها من بين ظلماتها نجما
فحلل لنا أخلاقنا ثم قل لنا	ألاحت لك الترياق أم لاحت السما
وحلل قلوب المخلصين : أتحتوى	كما زعموا الاخلاص أم تحتوى الأثما
وحلل كلام الناس جهراً وخفية	وهل صدقوا مدحا، وهل صدقوا ذما
بنا علل شتى أذابت نفوسنا	وثمت أخرى تأكل اللحم والعظما
شفى الله قومى من أمور كثيرة	وطهرهم روحا ، وعافاهم جسما

محمد الاسمر

جماعة أنصار السنة المحمدية

فرع رمل الاسكندرية

اجتمعت الجمعية العمومية لفرع الرمل وأجرت عملية انتخاب لأعضاء مجلس الادارة كعادتها كل عام ، فأسفرت العملية عن النتيجة الآتية :

الشيخ عبد العزيز حشيش	الرئيس
الشيخ محمد ظافر	وكيل أول
محمود افندي رضوان	وكيل ثان
ابراهيم افندي علي	أمين الصندوق
الشيخ اسماعيل السيد السمكري	سكرتير
عثمان افندي عثمان	مساعد « »
بهنسي افندي جابر	كاتب حسابات
ابراهيم افندي السيد خضير	مراقب «

الشيخ عبد المتعال مصطفى
محمد افندي منير
الشيخ ابراهيم سباق
الشيخ ابراهيم عوض أبوطبل
محمد افندي عبد الباقي
الشيخ محمود حسيب

أعضاء

وقد اجتمع هذا المجلس الجديد ، واختار من بينه لجنة تنفيذية تجتمع كل أسبوع لتنفيذ قرارات المجلس . وها هي أسماء حضراتهم :

الشيخ عبد العزيز حشيش . الشيخ محمد ظافر . محمود افندي رضوان . ابراهيم افندي علي . الشيخ اسماعيل السيد السمكري . بهنسي افندي جابر . الشيخ عبد المتعال مصطفى

ونحن نهنىء هؤلاء وهؤلاء جميعاً على هذه الثقة التي حازوها ، راجين لهم التوفيق للقيام بحق هذه الأمانة التي حملها لهم اخوانهم ، والله ولي التوفيق

ربيع الأول سنة ١٣٦١ - ١٨ مارس - ٤٢ العددان ٥ ، ٦ السنة السادسة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

(مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية))

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ١٥ قرشا داخل القطر المصري والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية



تفسير القرآن الحكيم



قول الله تعالى ذكره ﴿ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يُغشي الليل النهار ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قِطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صِنوان وغير صنوان ، يُسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾

(مد الأرض) أي دحاها وبسطها طولا وعرضا ، وجعلها مهادا وفراشا تتسع لسكنى أهلها واقامتهم عليها المدة التي قدرت لهم . قال أبو حيان في البحر : قال

أبوعبد الله الدارانى : ثبت بالدليل أن الأرض كرة ، ولا ينافى ذلك قوله (مد الأرض) وذلك أن الأرض جسم عظيم ، والكرة إذا كانت فى غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح . اهـ

قال أبوطاهر – عفا الله عنهما – وقد أصبحت كرية الأرض من البديهيات التى يتعجب من منكرها، بعد أن كانت أمراً يتعجب من القائل به ، بل ربما رمى بالكفر والزندقة من يقول بكرية الأرض . وأصبح من البديهى أيضا أن هذه الكرة الأرضية العظيمة تسبح فى الفضاء ، وأنها تدور حول نفسها بسرعة عظيمة ، ينشأ عن هذه الدورة : الليل والنهار ، وتجرى فى دورتها هذه فى مدار تبعد فيه تارة عن الشمس وتارة تقرب منها ، فينشأ عن بعدها وقربها فى هذا المدار : الفصول الأربعة

ولقد كان أكثر الناس يعتقد فى الماضى أن الأرض ثابتة ، وأنها محمولة على ثور ، والثور على صخرة ، والصخرة على حوت والحوت فى بحر . ويفترون فى ذلك أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ . وطالما سمعنا هذه الأحاديث فى خطبة عيد الفطر والأضحى على المنابر .

وكرية الأرض ودورانها أعظم دليل على قدرة الله سبحانه الذى يمسكها بما يشاء فى هذا الفضاء العظيم ، وييسر للانسان الاقامة عليها ، ويمهدها له ، ويجعلها فراشاً وبساطا ، يعيش عليها مطمئناً هادئا لا يحس بحركتها ولا يزعجه دورانها السريع

وهذه الآية وأمثالها مما يذكر الله سبحانه فيها سننه الكونية فى خلق الارض والسماء وماجعل فيهما من آيات قدرته وحكمته ورحمته ، وواسع فضله وبره وإحسانه : من أعظم الدلائل على إعجاز القرآن ، وأنه تنزيل من لدن حكيم خبير ، لان البشر – وخصوصا الرسول الامى ﷺ – لم يشهدوا خلق السموات والارض ، ولا خلق أنفسهم ، ولاسبيل لهم مطلقا الى العلم بأن السموات والارض كانتا كتلة واحدة ، ثم فتق الله بعظيم قدرته كل واحدة منهما وفصلها عن الأخرى ، فسوّى السموات سبعاً طباقا ، وبناهن سبعا شدادا ، ماترى فيها من فطور ، ووضع فى كل سماء أمرها ، ثم

مد كتلة الأرض ومطها طولا وعرضا ودحاها و بسطها من كل نواحيها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، وبث فيها من كل دابة ، وأرساها بالجبال الشامخات الرواسى حتى تنتظم فى دورانها السريع ، وجعل فيها من قوى الجاذبية ما يمسك من عليها من الانسان والحيوان والمياه والجماد ، ويجذب اليها من القمر والكواكب ما يدور حولها لينتفع سكانها بنورها فى ظلمات البر والبحر ، و يسهل الاقامة عليها ، ويسهل العيش للانسان فيها . ويجرى الانهار فى مجاريها ، كل ذلك يجرى فى الارض ، وتسير الارض على مقتضاه بتسخير الله سبحانه ، وعلى ما وضع فيها من تلك القوى والخصائص والزروع والثمار والانهار والبحار ، وأطلع عليها الشمس والقمر والنجوم والكواكب متاعا للانسان ولأنعامه ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وسبحان من جعل فى القرآن الكريم من آيات اعجازه ما يفحم البشر فى كل زمان ، وما يقيم على علمه وهداه وحقيته أقوى الحجة وأوضح البرهان

قال الاستاذ الدكتور محمد الغمراوى فى كتاب (سنن الله الكونية) : ان الانسان لا يكاد يستطيع أن يتصور كيف كانت تكون الحياة على الارض لو لم تكن هناك جاذبية بين الأرض و بين ما عليها ، فان كل شىء على الارض متأثر بجذب الأرض إياه . فلولا الجاذبية ما كان للاجسام على الأرض ثقل ولا وزن ، ولطارت هذه الأجسام عن الأرض بالحركة كل مطار ، ثم لم تعد اليها بعد . فلولا جذب الأرض الهواء الجوى - مثلا - لفارقها لشدة حركة جزئياته ، ولصارت الارض فى النهاية لا هواء فيها ولا جو لها . كالقمر الذى فارقه جوه بالتدريج لصغر كتلته وضعف جاذبيته بالتبع عن الاحتفاظ بالجو الذى كان له فى القديم ، ولانعدمت الحياة على سطح الارض بانعدام الهواء كما انعدمت على سطح القمر . وجذب الارض هو الذى ينزل الله به المطر من السحاب ، والا لبقى السحاب معلقا مهما كبرت قطرات مائه ، ولفارقها بخاراً مع الهواء ، ولجفت جميع المياه من الارض فى النهاية فلا يكون عليها بحر ولا نهر . ولانعدمت الحياة فيها بانعدام المياه

والجاذبية - أو بالأحرى جذب الأرض ما عليها من الاجسام نحو مركزها - هى القوة التى يجرى الله سبحانه بها الانهار سيلا من أعالى الجبال فى الاول ، فلا تزال تهبط اقترابا من مركز الأرض من منحدر الى منحدر ، طوراً منحدرة بضعف فى السهول ، وطوراً منحدرة بقوة من الشلالات ومساقط المياه . ولا تزال المياه تسيل هكذا حتى ينتهى بها المسير الى أقرب مواطن سطح الأرض من مركز الأرض ، وهو سطح البحر . والانسان كثيرا مايستغل قوة اندفاع المياه بفعل الجاذبية من علو إلى سفل عند المساقط والشلالات ، بل ومن عيون الخزانات ، فيسلط تلك القوة على آلات تحركها وتديرها لتوليد الكهرباء وغير ذلك

وكما سخر الله سبحانه الجاذبية للانسان فى إجراء الأنهار إلى سطح البحر ؛ سخرها له أيضاً فى كبح جماح البحر ومنعه من أن يطغى بمائه الاجاج على النهر العذب أو على اليابسة ، فهى دائما تحبسه فى مستقره الذى هو أقرب مواطن سطح الأرض الى مركز الأرض ، فكأنما البحر ملجم بالجاذبية ، كلما همّ بالهجوم على اليابسة من الارض بفعل المد أو الريح أو حركة الأرض جذبته قدرة الله بلجام الجاذبية من خلف فيعود الى موطنه الذى كتب عليه أن يبقى فيه مقيدا بقيد الجاذبية

ثم قال : فالجاذبية إذاً على قدر علم الانسان إلى الآن: هى القوة التى يمسك الله سبحانه بها السموات والارض فى مواقعها التى قدرها لها ، أو هذا - إن شئت - هو ما أدركه الانسان الى الآن من سر قوله تعالى فى سورة فاطر (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما أحد من بعده) وفى قوله تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) وما يشبهها من آيات القرآن الكريم إشارة الى قوة الجاذبية الخفية التى هى بعد تقدير الله لها : سبب بقاء أجرام السماء فى أماكنها ومداراتها المقدرة لها . ثم تكلم على قانون رفع الاثقال . ثم قال:

فقانون الجاذبية هو مفتاح فهم أمثال الآيتين السابقتين من كتاب الله تعالى ، الا أن الاشارة الى القانون فى تلك الآيات الكريمة اشارة عامة من ناحية الوصفية ،

لكن فى القرآن الكريم آية تشير اليه إشارة خاصة من ناحية الكمية الحسابية ، وهى) قوله تعالى فى سورة الواقعة (فلا أقسم بمواقع النجوم * وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان فى هذه الآية الكريمة إشارة واضحة إلى أثر المسافة فى قوى التجاذب أو فى قوى الجاذبية بين الأجرام السماوية ، فان المسافات بين النجوم هى المسافات بين مواقعها . وتقدير الخالق سبحانه مواقع النجوم وأجرامها بحيث يكون أثر المسافات بينها فى قوى تجاذبها متناسباً مع ما أراد الله لها من حركة ونظام ـ هذا التقدير آية من آيات الله فى الكون ؛ وسر من أعظم أسرار خلقه . واليه من غير شك يرجع بعض سر قوله تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) والى عظمة هذه الآية وهذا السر نبه الله سبحانه الانسان بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وقد من الله سبحانه على الانسان فمكنه من النظر حتى علم من هذا ماهو دليل عجيب على وجود الله وقدرته ووحدانيته ، فان تقدير كتل النجوم والمسافات بينها على كثرتها الكاثرة بحيث تكون قوى التجاذب الواقعة على كل نجم هى سبب سبح ذلك النجم فى فلكه إن كان من السوابح ، أو ثبوته إن كان من الثوابت . هذا التقدير يستحيل بداهة وعلماً أن يكون قد وقع إلا بتقدير عليم حكيم قادر (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو العليم الحكيم . وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وعنده علم الساعة واليه ترجعون) اهـ.

(وجعل فيها رواسى) أى جبالا شامخات ثوابت . وقد غلب على الجبال وصفها بالرواسى . وصارت الصفة تغنى عن الموصوف . قال تعالى فى سورة الحجر (والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين) وقال فى سورة فصلت (وجعل فيها رواسى من فوقها) وقال فى سورة النحل (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون) وقال فى سورة لقمان (وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة) وقال فى سورة النمل (أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً ؛

وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا : أإله مع الله ؟) وقال فى سورة عم (ألم نجعل الارض مهادا . والجبال أوتادا)

وذلك لأن الكرة الارضية تجرى فى حركتها التى قدرها الله فى هذا الفضاء العظيم كجرى السفينة فى البحر الخضم العظيم الامواج بأمر الله ، فكلما خفت السفينة كلما مادت وتلاعبت بها الامواج ؛ واشتد اضطراب حركتها ، وأخذ ركابها الدوار ، واضطربت حركات الدم فى مجاريها ، واختل ميزان حياتهم ، وعجزوا كل العجز عن القيام بأى شأن من شئونهم . واعتبر ذلك بحركة زلزلة الارض إذا استمرت ثوانى قليلة ، وتأمل ماذا يحصل للناس من الاضطراب والفزع ؛ وماذا يكون من أثر ذلك فى الارض من تشقق ؛ وفى البحار من طغيان

فإرساء الارض بالجبال لضبط حركتها فى دورانها السريع بهذا النظام المحكم الذى ذللها للانسان ، وييسر له الحياة على هذه الكرة المعلقة فى هذا الفضاء العظيم ؛ فيطمئن فى ليله وينام هادئا ، و يطمئن فى نهاره ويسعى فى مناكبها ويأكل من رزق الله : ذلك كله من أدل الدلائل على عظمة الرب القادر الحكيم الرحيم الذى سخر هذه الكرة الارضية وحفظها من الميدان فى حركتها السريعة بتلك الجبال الرواسى.

وهو من أقوى الدواعى لاخلاص العبادة له وحده . لا إله الا هو العزيز الحكيم

وهو من أعظم النذر والتحذير من معصيته ، والفسوق عن أمره ، واتخاذ آلهة من دونه بأنه قادر أن يبدل نظامها ، ويمنع عنها تلك القوى التى تمسكها ، وتضبط حركتها ويزلزلها زلزالا شديدا يقضى بالدمار والهلاك على أولئك الفاسقين عن أمره ، ولن يجدوا لهم من دونه وليا ولا نصيرا

ومن رحمته سبحانه وعظيم فضله أن أجرى فيها (أنهارا) بنزل لها المياه الغزيرة من السماء على رءوس تلك الجبال الشاهقة ، فتنحدر إلى الوديان بين تلك الجبال ؛ ويكون من تلك الجبال كأمثال السدود والخزانات التى تجمع المياه وتحفظها من الضياع فى الرمال والسهول المنبسطة . فاذا اجتمعت هذه المياه ، وصارت سيولا

عظيمة جرت مندفعة بقوة عظيمة من كثرتها وغزارتها ، ومن الجاذبية التى وضعها الله بحكمته فى الأرض ، وطلبت تلك السيول أقرب مواطن سطح الأرض من مركزها ، وهو سطح البحر ، فتشق لها فى طريقها مجرى فى الأرض بقوة اندفاعها حتى يصير نهراً عظيما يتفرع عنه نهيرات ، وترع وقنوات يبعث الله بها الحياة فى الأرض فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج

(ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) و «الزوج» الفرد الذى له قرين من جنسه ، يعنى الله سبحانه أنه جعل فى الأرض بسبب تلك الأنهار من كل الزروع والأشجار التى تثمر الفاكهة والحب ذو العصف والريحان ، وأشار سبحانه إلى أن السنة فى هذه الزروع والأشجار تجرى على التزاوج بين الذكر والأنثى كما تجرى السنة فى الانسان والحيوان.

وهذا أيضا من إعجاز القرآن وأنه من تنزيل الحكيم الخبير على النبى الأمى محمد ﷺ ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب . فان العرب أمة أمية لم تكن تعرف عن هذا التزاوج بين النبات شيئا مما أظهرته الدراسات المتبحرة التى تقوم بها فى هذا الزمن الجامعات العلمية ، وتؤلف فى شرحها المؤلفات الضخمة ، وتتخذ لاجلها الجهازات الدقيقة لمعرفة ما فيها من مختلف المواد الكيمائية . فأولى بأهل هذه العلوم ثم أولى أن يسارعوا إلى الايمان بالقرآن وآياته ، ويخضعوا علومهم ونظرياتهم لعلومه وأحكامه . وانهم لقريبون إلى هذا الايمان لو وجدوا من أهل القرآن من يدعوهم بلسانهم ، ويضع نصب أعينهم من هداية القرآن مايضىء لهم الطريق (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حباً متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره إذا أثمر وينعه ، إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (وهو الذى يرسل الرياح بُشراً بين يدى رحمته ؛ حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات . كذلك نخرج

الموتى لعلكم تذكرون) (الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى * كلوا وارعوا أنعامكم ، إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) وهذا المعنى فى القرآن لايحصيه العد ، لأنه من أهم مايمس حياة الانسان لشدة حاجته المتكررة فى كل يوم إلى ما يخرجه الله من ثمرات الأرض ونباتها (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

ومن أبرز الآيات وأظهرها على عظمة ربنا سبحانه ، وواسع رحمته وفضله على الانسان : أنه (يغشى الليل النهار) أى يغطى كل منهما الآخر ويخفيه مدة معلومة لحاجة الانسان إلى كل منهما ، وعدم غناه عن واحد منهما ، بحيث لا يستطيع أن يعيش فى واحد بدون الآخر . قال تعالى (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء ؟ أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ؟ أفلا تبصرون ؟ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار : لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون)

والليل والنهار آيتان عظيمتان تحدى الله بهما الناس فى كثير جداً من آى الذكر الحكيم ، ونعمتان جليلتان أكثر من التذكير بهما والحض على شكر مسديهما كذلك بإخلاص العبادة والطاعة له سبحانه . قال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) وفيهما من آيات الشمس والقمر والنجوم والقوى الحيوية فى النهار والسكون والنوم والسبات فى الليل وما سخر فى كل منهما للانسان من أسباب القوة والحياة وما كفل له فيهما من العيش ومتاع الدنيا ، وغير ذلك مما لايدخل تحت عد ولا حصر مما نبه اليه بقوله (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فهو سبحانه يدعو ويحض ذوى السمع والبصر والفؤاد أن يتأملوا ويتفكروا كثيرا فى هذه الآيات ليعرفوا منها قدر هذه النعم فيقوموا بحقها من الشكر لخالقها ومسخرها والمنعم بها بإخلاص العبادة له وحده والطاعة له ولمن

يصطفى من رسله ولما ينزل من شرائع فيها تمام السعادة والنعيم والحياة الطيبة لمن يعقلها عن الله ، يعتصم بحبلها ويستمسك بعروتها ؛ ولكن أكثر الناس أعماهم الهوى والجاهلية الضالة عن تلك الآيات وأعرضوا عن التفكر فيها وتأملها فكفروا بأنعم الله واستعملوها فى محاربة ربهم ومشاقته بأنواع الظلم والشرك والفسوق والعصيان .

وفى قوله سبحانه ﴿ وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان ﴾ أى متشابه وغير متشابه (يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ توضيح وتفصيل لدقائق تلك الآيات وما فيها من بديع صنع الله وبليغ حكمته وقدرته ، وأن التفكر فيها أمر سهل على من سهله الله عليه ، واتخذ السبيل اليه من العلم والنظر والبحث والتأمل فيما يقع عليه بصره من بديع صنع الله فى الأرض والزروع والثمار . فانه يرى أجزاء الأرض مختلفة فى معدنها وطبيعتها : فهذه أرض خصبة ، وتلك سبخة ، وأخرى رملية ، وأخرى حجرية . وهذه معدنية للنحاس ، وأخرى للحديد ، وأخرى للذهب ، وأخرى للفحم الحجرى ، وأخرى للبترول ، وأخرى للأملاح . وهلم جرا . ثم ينظر فى القطعة الواحدة المتجاورة أجزاؤها ، فيرى أن الله قد أخرج منها مختلف الأشجار والثمار ، ويرى بين هذه الأشجار والثمار من عجائب صنع الله وبديع خلقه فى أنواع الاختلاف فى الأحجام والألوان والطعوم ، وما جعل فى كل شجرة وثمرها من الخصائص الطبية وغير الطبية ما يدهش العقول .

وكم وجه الله نظر الانسان ودعاه إلى التأمل والتفكر ليعرف الله بآياته معرفة عن علم ويقين لا عن تقليد للآباء والأجداد ، فان المعرفة التقليدية جرته إلى الشرك بالله وتسويته بمن لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ؛ أموات غير أحياء ؛ وما يشعرون أيان يبعثون .

دعا الله الناس الى التفكر فى آياته لعلهم يعقلون ، فان العقل لا يستيقظ ولا

يحيي الا بتغذيته بغذائه النافع ، ولا غذاء له الا التفكر فى آيات الله الكونية ؛ والتدبر لآياته القرآنية ، وما ماتت العقول وقيد أصحابها بقود البهيمة إلا لبعدهم عن ذلك التفكر والتدبر ، وطاعتهم شياطين الانس والجن باتخاذ التقليد الأعمى شعاراً لهم ، واعتقادهم أن الله حرم عليهم هذا التفكر والتدبر ، لأنه قصره على طبقة من الناس دونهم ، وخص به جماعة من المتقدمين عليهم فى الزمن . والقرآن كله نعى لهؤلاء المقلدين الجاهلين الذين جزدوا أنفسهم من نعمة النظر والعقل ، وكفروا بنعمة الله عليهم فى السمع والبصر والفؤاد . ثم كفروا بكل نعم الله عليهم فى الحرث والأنعام ، ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً على مر الأيام ، وكر الليالى بما غرقوا فيه من بحار الظلمات الجاهلية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والهدى هدى الله . فهم كل يوم يموتون عدة موتات ، وكل يوم بل كل ساعة يدعوهم الله الى الهدى فلا يستجيبون ، ويدعوهم الله ورسوله الى الحياة فلا يلبون ، فهم فى ضلالهم يعمهون ، وبعبادة الطواغيت مفتونون فتنة أحاطت بهم من جميع أقطارهم (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا . ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) ختم الله على سمعهم وقلبهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، فلهم عذاب عظيم فى الدنيا والآخرة ؛ لأنهم حرموا من لذة العلم والدين ، بل حرموا الانسانية وألحقوا بالأنعام والدواب ، بل هم شر الدواب الصم البكم الذين لا يتفكرون فى خلق الله ولا يعقلون عن الله (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها)

نسأل الله العافية من ذلك وأن يديم علينا نعمة السمع والبصر والفؤاد وأن يديم علينا التوفيق لشكرها بالتأمل فى آياته الكونية والتدبر لآياته القرآنية

محمد حامد الفقي

أحاديث الأحكام

٥١ - وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « تصلى المستحاضة وان قطر الدم على الحصير » رواه الامام أحمد والاسماعيلى ، ورجاله رجال الصحيح

قال أبو طاهر - عفا الله عنهما - : « الاسماعيلى » هو الامام الحافظ الحجة الثبت شيخ الاسلام أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن العباس الاسماعيلى الجرجانى كبير الشافعية بناحيته . ولد سنة سبع وسبعين ومائتين ، وله معجم مروى وصنف الصحيح وأشياء كثيرة من جملتها مسند عمر رضى الله عنه . قال الامام الذهبى فى تذكرة الحفاظ فى ترجمة الاسماعيلى : ابهرت بحفظ هذا الامام وجزمت بأن المتأخرين على إياس من أن يلحقوا المتقدمين فى الحفظ والمعرفة . وقال الحاكم كان الاسماعيلى واحد عصره وشيخ المحدثين والفقهاء وأجلهم فى المروءة والرياسة والسخاء ، ولاخلاف بين علماء الفريقين وعقلائهم فيه . مات الاسماعيلى رحمه الله سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وقيل سنة ثلاث وثمانين . اه من تذكرة الحفاظ

والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد قال : عن عائشة « أن فاطمة بنت أبى حبيش سألت النبى ﷺ فقالت : انى أستحاض ، فقال : دعى الصلاة أيام حيضتك ثم اغتسلى وتوضئ عند كل صلاة وان قطر الدم على الحصير » قلت: هو فى الصحيح خلا قوله « وان قطر الدم على الحصير » رواه أحمد من طريق عروة ولم ينسبه ، فقيل هو عروة المزنى وهو مجهول ، وقيل عروة بن الزبير ، ولم يسمع حبيب منه ، وحبيب مدلس ، وقد عنعنه . اه كلام الهيثمى رحمه الله

وقال النووى فى شرح المهذب : هو حديث ضعيف باتفاق الحفاظ ، ضعفه

أبو داود فى سننه وبين ضعفه ، وبين البيهقى ضعفه ، ونقل تضعيفه عن سفيان الثورى ويحيى بن سعيد القطان وعلى بن المدينى ويحيى بن معين ، وهؤلاء حفاظ المسلمين . ورواه أبو داود والبيهقى من طرق أخرى كلها ضعيفة .

قال أبو طاهر — عفا الله عنها — : والمعنى بالحديث أن المستحاضة لاتترك الصلاة إلا وقت حيضتها التى تعلم من عادتها وعلامات الدم وصفاته أنها الحيضة ، فاذا انقضى زمن الحيضة فانها تغتسل وتصلى ولا يمنعها سيلان الدم من الصلاة فى أوقاتها . وقد روى أبو داود والنسائى وابن ماجه والامام أحمد عن أم سلمة رضى الله عنها « أنها استفتت النبى ﷺ فى امرأة تهراق الدم ، فقال لتنظر قدر الليالى والأيام التى كانت تحيضهن وقدرهن من الشهر ، فتدع الصلاة ، ثم لتغتسل ولتستثفر ثم تصلى » وروى الدارقطنى « أن فاطمة بنت أبى حبيش استحيضت فأمرت أم سلمة فسألت — الحديث » وهذا يدل على أنها تحتاط لنزول الدم وسيلانه قدر طاقتها ، فتمنعه من السيلان بالاستثفار وهو اتخاذ الثفر ، وهو أن تشد خرقة على فرجها وتربط طرفيها من الخلف والقدام . وأصله من ثفر الدابة وهو الحبل يكون تحت ذنبها تشد به البرذعة ونحوها

وقال النووى فى شرح المهذب : اذا أرادت المستحاضة الصلاة — ونعنى بالمستحاضة التى يجرى دمها مستمرا فى غير أوانه — لزمها الاحتياط فى طهارتى الحدث والنجس فتغسل فرجها قبل الوضوء أو التيمم — ان كانت تتيمم — وتحشوه بقطنة وخرقة دفعا للنجاسة وتقليلا لها ، فان كان دمها قليلا يندفع بذلك وحده فلا شىء عليها غيره ، وان لم يندفع بذلك وحده شدت مع ذلك على فرجها وتلجمت . والتلجم هو الاستثفار

قال أبو طاهر : وقد ذكروا أنها تتوضأ لكل فرض ثم تصلى مع كل فرض ماشاءت من النوافل ، وحكمها فى ذلك حكم أصحاب الأعذار . وقد أطال الفقهاء القول فى المستحاضة وأحكامها بحيث خرجوا من الواقع الى الافتراض مما لا داعى له ونسأل الله الهداية الى سبيل الرشاد بمنه وكرمه

محمد حامد الفقى

شريعة الله

وضع الله جلت قدرته ، وتعالت حكمته ، لهذا العالم - سماءه وأرضه ، ونجومه وأفلاكه ، سائله وجامده : نواميس ثابتة لا تتبدل ، وقوانين محكمة لا تتغير ؛ أحكم بها نظام السموات والأرض ، ونظم مجرى النجوم فى أفلاكها ، وسير الكواكب فى مداراتها ، وتصريف الرياح فى مهابّها ، وإزجاء السحب فى مَدابّها ، ونمو العشب فى منابته ، والشجر فى مغارسه ، وتفتّح الأكمام عن أزهارها ، وتصوّح الأزهار عن ثمارها ، وتكوُّن الأجنة فى أرحامها ، وتشقق البيضات عن أنقافها .

وجعل سبحانه للضوء فى سيره وتموجه وإشعاعه نظاما لا يعدوه ، وللصوت فى مسراه وسرعته ، وتولّجه فى الآذان واختلاف جرسه ، وتنوع أنغامه : قواعد لا يتجاوزها. وللحرارة فى اتصالها بالأجسام ، وتباين الأجسام فى القدرة على توصيلها : قوانين لا تخرج عن حكمها ، ولا تخالف عن أمرها . ولا تنس قوانين الكهرباء المغناطيسية ، ولا تغفل عن الذبذبات والتموجات ، وما تحدثه من مختلف الآثار وغريب الأسرار

تفكر فى كل ما ذكرت لك وما لم أذكر من عجائب هذا الكون وغرائبه ، وأسراره ومعجزاته : فهل تجد خطأ فى هذه القوانين السامية التى انتظم عليها شأن العالم ، وقامت بها السموات والأرض ، وصلح عليها أمر هذه الحياة ، واستقام بها نظام هذا الكون ؟ ثم فكر هل تجد نظاما أبدع من هذا النظام ؟ وهل تظن أن هنالك إحكاماً فوق هذا الإحكام ؟

لقد غبرت العقول البشرية أحقابا طويلة وقرونا متراخية ، وهى تجهل كثيرا من أسرار هذا الكون التى أودعها إياه فاطر السموات والأرض منذ فطرهن ، وجعلهن مستقراً للحياة والأحياء ، فلما أتيح لها شىء من النضج هداها فاطرها لكشف شىء من هذه الأسرار التى تمس إليها حاجتها فى هذه العصور ، وتدعو

اليها ضرورتها فى أجيال النور ؛ وقد تبين لها أن هذه الأسرار تحكمها قوانين دقيقة إلى أقصى حدود الدقة ، محكمة إلى آخر غايات الإحكام ، مضبوطة إلى أبعد نهايات الضبط . فسبحان الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى

وبعد . فهل أنتم مؤمنون بكل ما ذكرت ؟

إن خالجتكم فيه الريبة أو ساورتكم الظنون فابحثوا وتأملوا ؛ وانظروا وجربوا، وفكروا وقيسوا ، وقدّروا واستنبطوا واحكموا

وان عجزتم عن القيام بهذا كله ، وأعوزتكم الأداة الصالحة التى تعينكم عليه فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .سلوا العلماء الذين تجردوا لمثل هذه الابحاث وأنضوا معين العمر فى السعى وراء حقائقها ، وصوّموا زهرات الحياة فى انتظار نتائجها. سلوا علماء الطبيعة والكيمياء والفلك والهندسة والرياضة . سلوا الأطباء الذين توفروا على دراسة وظائف الأعضاء . سلوا علماء الحيوان والنبات وطبقات الأرض وأحياء الماء .سلوا كل أولئكم : هل تجدون فى كل هذه القوانين الدقيقة التى نظم الله بها هذا الوجود : خطأ كثيرا أو قليلا ؟

سيجيبكم الراسخون فى العلم منهم بأنهم كلما زادوا علماً بحقائق هذا الكون زادوا إيمانا بقدرة مبدعة ، ويقينا بعلمه وحكمته . وهتفوا صائحين مرددين قوله الكريم (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ـ ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء)

وبعد : فهل أنتم مؤمنون بأن الله جلت قدرته هو الذى خلق كل هذا الكون وأبدع كل هذا الوجود وأودعه كل هذه الأسرار ، ووضع كل هذه القوانين المحكمة التى لا يلحقها خلل ، ولا يدركها نقص ، ولا يمسها عيب ، ولا يتخلف عن الخضوع لحكمها صغير ولا كبير ؟

هل أنتم مؤمنون بأن الله سبحانه خلق الانسان و يعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد ؟

هل أنتم مؤمنون بأن الله يعلم حقيقة خلقه واستعدادهم وما يصلح شأنهم، وما تستقيم عليه أمورهم ؟ (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)

هل أنتم مؤمنون بأن القوانين التي وضعها للسوائل والجمد مما لا عقل له ولا إرادة حكمتها حكما لا يعتوره خلل ولا يدركه فساد ؟

فهذه الشمس ! فهل ترونها أخلت بنظام سيرها مرة من الدهر ؟ وهذا القمر فهل سمعتم بأنه خرج عن مداره لحظة من الزمن ؟ وهذه النجوم والكواكب ثابتها ومتحركها : هل تظنون أن القانون الذى وضع لها أخل مرة بنظام سيرها فأدى به إلى فساد ؟؟

تلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا

***

ولله قانون آخر فى سياسة الدول والشعوب : فالدولة التى تستقيم على الطريقة يؤيدها بنصره ، ويعزها ويؤتيها رزقها رغدا من كل مكان . أما الامة التى تخالف عن أمره ، وتتنكب الصراط السوى ، وتنحل أخلاقها، وتتخاذل قواها، ويسودها التنازع والتفرق ، فانها تضعف ويعتورها الفشل والسقوط ، وتصبح مضربا للأمثال . قال تعالى (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا . فذاقت وبال أمرها ، وكان عاقبة أمرها خسرا) وقال تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) وقال تعالى (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)

سل علماء التاريخ الذين تتبعوا بالدرس والتمحيص مجرى الاحداث التاريخية فى الامم قاطبة ، ورأوا سنة الله فى الامم والشعوب ، وقدروا ارتباط الاسباب بمسبباتها ، والمقدمات بنتائجها : هل تخلفت سنة الله ؟ أم هل تبدل ناموسه ؟ أم هل تغير قانونه ؟ فلن تسمع منهم جميعا إلا جوابا واحدا تلتقى عنده آراؤهم ،

وتتفق عليه كلهم : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وان أعمار الأمم كأعمار الافراد : ضعف فى طفولة ، وقوة فى شباب ، وتماسك فى كهولة ، وضعف فى شيخوخة ، ثم موت وفناء . ذلك تقدير العزيز العليم

أى شىء فى الوجود لم ينظمه الخالق بقانون ؟ أية ظاهرة من ظواهر الكون لم يجعلها القادر الحكيم أثراً لمؤثر ؟ أى حدث من أحداث هذا الوجود لم يجعله اللطيف الخبير نتيجة لمقدمة ؟

إذا كان ربك قد أحاط بكل شىء علماً ، وأحكم كل شىء نظاما ، وأتقن كل شىء تدبيرا : أفيعجز عن أن يضع للناس شريعة تنظم معاملاتهم ، وتحكم تصرفاتهم ، وتكف عدوان بعضهم عن بعض ، وتقف كلا عند حده ؟

ربك الذى نظم كل شىء ، وأتقن كل شىء ، وأحاط بكل شىء علما ، وخلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن ، ونظم كل شىء فيهن ، ولم يعجز عن تدبيره . وقدر كل شىء تقديرا : أفيعجز أن يضع تشريعا ينظم سير البشر فى معاشهم ، ومعاملاتهم ومعاشراتهم ومبادلاتهم ؟ حاش لله : لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وبعد فهل أنتم مؤمنون بأن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وأنزل عليه كتابا قيما غير ذى عوج لينظم بها شئون خلقه فى عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ؟ لقد حكم هذا القانون البلاد الاسلامية كلها يوم كانت فى أسمى ذرا المجد ، وكانت تسيطر على العالم كله ؛ فحقق معانى العدل الانسانى كلها ، وأرضى الناس جميعا ، وأسعد الناس جميعا ، وأغنى الناس جميعا ؛ ووطد قواعد العدل والنظام ، وأقام صروح الثقة والطمأنينة ؛ وأنشأ بالحق المدينة الفاضلة التى كان يحلم بها الفلاسفة القدماء

سيقول المفتونون بالغرب والغربيين : إنه قانون وحشى لأنه يجلد الزانى والزانية إن كانا بكرين أو يرجمهما إن كانا محصنين . ويقطع يد السارق ويجلد القاذف والشارب انظر كيف يفترون على الله الكذب ، وكفى به إثما مبينا

أهذه هى الوحشية التى تزعمون ؟ وهذه الآلاف المؤلفة ، بله الملايين من زهرة الشباب التى تجمع وتساق إلى ميادين القتال سوق الشياه البلهاء إلى المجازر ، حيث تزهق أنفسهم ، وتراق دماؤهم ، وتتمزق أشلاؤهم ، وحيث يتركون وراءهم أيتاما لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، وأرامل تضيق بهن سبل العيش فيلتمسنه من سبل يأباها الشرف والفضيلة . أليس هذا كله وحشية تضج من هولها الأرض والسماء ؟

قتل الأبرياء بغير ذنب ولا جريرة ، واستعباد الشعوب ، وامتصاص دماء الأمم واستنزاف ثرواتها بغير الحق : فى نظركم مدنية ورقى ونظام - وعقوبة مجرم مفتات على الفضيلة ، معتد على حقوق الضعفاء ، منتهك لحرمة الادب : تعدونها وحشية

وليس يصح فى الاذهان شىء ... إذا احتاج النهار الى دليل

إن شريعة الله القاضية بعقاب الزانى والسارق والقاذف لو نفذت مرة واحدة لكان تنفيذها كفيلا باستئصال شأفة هذه الجرائم إلى الابد

دونكم كتب التاريخ : فتشوا فى بطونها ، استنبثوا صفحاتها ، ثم انظروا كم مرة وقعت عقوبة الرجم فى القرن الاول من حياة الاسلام ؟ أيام أن كان هذا القانون مرهوب الجانب ، قوى السلطان ، تخشى سطوته ويرهب بأسه

إن الله الذى برأ الخلق وأودعهم غرائزهم ، وركب فيهم طبائعهم ، هو وحده العليم بما يحد من طغيان هذه الغرائز ، ويكف من غلواء هذه الطبائع

قل لهؤلاء الذين يشفقون على اللصوص والعارمين ، والفساق والعاهرين ، والشطار والداعرين : ان مايصيب هؤلاء جميعا فى الدهر الأطول من تنفيذ شريعة الله على من يخالف عن أمرها فى الارض الى أن يحكم بين الخلق أحكم الحاكمين ، لايكاد يذكر بجانب ماتوقعون من الاذى فى يوم واحد بالابرار والاطهار والابرياء الذين لم يقترفوا إثما ، ولم يلموا بمعصية ، ولم يفكروا فى خطيئة

أحيوا الضمائر ، وهذبوا الوجدان ، وأيقظوا القلوب ، ونبهوا النفوس الى

بحث فى آية السحر

- ٢ -

لفضيلة الأستاذ المحقق الشيخ محمد عبد الحليم الرمالى

ولا يدفع هذه الحقائق إنكار الجامدين على المادية المتنطعين فيها، فان التجربة والمشاهدات قديما وحديثا - وأحاديثها تترى فى الناس - تكذبهم أشد تكذيب، وانما هى مجاحدة وعناد ورطهم فيها انطباع عقليتهم على الجمود المادى

ولعلك بعد هذا البيان قد سهل عليك فهم ما أشكل من هذه الآيات. وسنسوقها اليك مشروحة :

قلنا : ان هذه الآيات متصلة بما قبلها من سرد مخازى اليهود ومعايبهم. وهذه مخزاة من مخازيهم تلك، وبخهم الله عليها، ذلك أن الله ما بعث رسولا بشريعة موقوتة الا عهد اليه أنها مؤقتة إلى حين، وأنه سوف يعقبها وحى وتشريع جديد على يد مختار جديد يبعثه الله بذلك، ولكيلا يضل الناس فى ذلك المختار المنتظر يذكر الله فيما أنزله على النبى السابق أوصاف النبى اللاحق وعلاماته وأماراته، كى

مراقبة خالقها القادر الحكيم، وأنا زعيم لكم بأن تستغنوا عن تنفيذ هذه العقوبات

أما شرائع الغرب مع هذه النفوس المريضة فانها تشجع الجرائم وتدفع إلى الاجرام ان كثيرين من المجرمين المتعطلين يقترفون الجريمة لا حبا فى الجريمة ولكن ليساقوا إلى السجن حيث يأكلون ويتمتعون، وتخف عن كواهلهم أوقار الحياة

سبحانك اللهم وبحمدك، ما أعظم قدرتك، وما أجل حكمتك، وسع كرسيك السموات والارض وأحطت بكل شىء علما، وأنت خير الفاتحين وأحكم الحاكمين

ابو الوفاء محمد درويش

يستعينوا بما عندهم من ذلك على تعرّفه متى جاء أوانه وحان بعثه . وهذا معنى قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا) وأنت إذا ألقيت نظرة على كتب العهدين : القديم والجديد تجد من هذه البشارات والعلامات والأمارات ما لا يأتي عليه العد والاحصاء ، حتى ليبلغ مجلداً أو أكثر من مجلد .

محمد ﷺ مبشر به في نصوص العهدين بهذه البشارات التي تتواطأ كلها على هذا المعنى ، ولا ينكر اليهود ولا النصارى أن كل أمة منهما لها مصطفى موعود به منتظر . فلما بعث رسول الله ﷺ - وهو ببعثته وشخصه الكريم مصدق لما عند أهل الكتابين من هذه البشارات - جحد اليهود كما جحد غيرهم من المعاندين مدلول هذه البشارات ، وصرفوها عنه ظلما وبغياً وحسدا من عند أنفسهم

ولسنا نريد بالتصديق هنا التصديق القولي ، إنما معناه التصديق الوقوعي ، أي المطابقة بين وقائع الكون وهذه النصوص . وقد استعمل القرآن التصديق بهذا المعنى في قوله في شأن إبراهيم عليه السلام (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا) أي حققتها وطابقتها . وعلى هذا المعنى كل الآيات التي جاءت في مثل ذلك كقوله تعالى (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) (مصدقا لما بين يديه من التوراة) إلى غير ذلك

رد اليهود دلالة هذه البشارات وتعاموا عنها ، وانصرفوا عن النصح لكتاب الله والاهتداء به ، وخانوا عهود الله التي عهد إليهم ، وزهدوا في هداية الوحي واستهانوا بها ، فأعرضوا عنها ، ونزعوا إلى العبث والاشتغال بالدجل الذي جعلوه شباكا لصيد حطام الدنيا وتضليل أممهم ، ولا يواتيهم في ذلك أشد وأعظم في استهواء العامة من السحر ، فاتبعوا ما تتلو الشياطين وما دونوه على ملك سليمان أي على عهده ، وفي الزمن الذي كان فيه سليمان ملكا

ولما كان رواج هذا الدجل الشيطاني واحترافه شائعا على عهد سليمان ، وكان ذلك

مظنة تصديق ما اتهم به هذا النبى الكريم بأن ذلك كان من عمله ، ومن أسبابه التى توسل بها إلى حفظ ملكه ، والسيطرة على الشياطين وتسخيرهم ، وأنها عثر عليها مدفونة تحت كرسى ملكه . برأ الله تعالى نبيه من تلك التهمة التى رماه بها أهل الكتاب فقال (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) فهذه الجملة معترضة فى سياق الكلام لهذا الغرض . ثم رجع إلى أصل السياق فى التشنيع على اليهود فقال عنهم (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)

وهذه الجملة الأخيرة وهى قوله تعالى (وما أنزل على ـ الخ) مثار إشكال دفع الناس إلى الانصراف عن ظاهرها متأولين معناها طرائق قدداً : فمنهم من يتأولها على معنى النفى فيجعل «ما» أداة نفى ، ولكن يبقى بعد ذلك أن يقال : ما وجه اتصال الحديث عن الملكين بأصل السياق ؟ وإذاً يبقى الحديث عنهما فى صلب الآية أجنبياً لم تسوغ اجتلابه أية مناسبة . ومنهم من يلتمس التأويل فى معنى الملكين فلا يراهما من عالم الملائكة بل يراهما رجلين صالحين بلغا من مقامات التهذيب ما يلحقهما بعالم الملائكة ، معتضداً فى ذلك بالقراءة الشاذة التى تكسر اللام من «الملكين» ولكن يبقى السؤال السابق مضافاً إليه ضياع قراءة الجمهور بلا معنى ، إذ لا قرينة حالية ولا لفظية تنص على هذا التجوز ، كما هو قانون الأداء العربى.

ومنهم من لا يرى فى الملكين عصمة ولا تقى ؛ بل يعتبرهما دجالين مخادعين. وأن قولهما لمن يعلمانه السحر (إنما نحن فتنة فلا تكفر) إنما هو نفاق وتضليل يتظاهران بالنصيحة فيقولان « لا تكفر » أى لا تستعمله فى ضرر الناس تظاهراً بسيما أهل الخير والصلاح : ويصرفان معنى الانزال فى قوله (وما أنزل على الملكين) باعتبار الجملة ايجابية غير منفية : يصرفان معنى الانزال فيها عن الوحى الى الالهام . والالهام يتسع معناه للخير والشر .

هذا ونحن نرى أنه لا داعى لصرف الآية عن ظاهرها ، والتورط فى هذه المزالج ومعاناتها معاناة تكلفية تأباها بلاغة القرآن وحسن أدائه . وأى أداء

يحتاج فهمه الى مثل هذه التعسفات لجدير أن ينحط الى دركة أقل من بيان العوام وأدائهم ؛ ومن ذا الذى يفطن الى مثل هذا و يرضاه مذهباً فى القرآن وفهمه ؟

ومعنى الآية فيما نذهب اليه : أن الله أنزل ملكين من الملائكة الى الأرض فى مدينة بابل عاصمة مملكة الكلدانيين ، وكانوا قد فشت فيهم ديانة الصابئين عباد الكواكب ؛ نشأت فيهم من ولوعهم بعلوم النجوم والفلكيات ؛ فتدرجوا من البحث العلمى الى أوهام وخيالات روحانية تخيلوها فى طبائع الكواكب ، وتمادوا فى ذلك حتى تكونت فيهم علوم التنجيم المعروفة ، ومنها اشتقت الأفكار السحرية والاشتغال بها على نحو ما نعهده اليوم من أوهام دجاجلة المنجمين وطرائقهم — فأنزل الله هذين الملكين ليدرسا للناس هذه المنازع النجومية السحرية ويعرفاهم حقيقتها ومضارها ، و يعلمنا للناس أن التماس حاجات الانسان من طريقها ليس سبيلا طبيعياً . بل إن الله قد سخر فى الكون قوى ونواميس أخرى مادية ومعنوية لتواتيهم بحاجتهم من منافع الكون ، وأما هذه السبل التى نزعوا اليها فلا تستقيم لهم ؛ ولا يصلح أمرهم عليها ، لأن الله لم يجعلها سبيلا إلى ذلك . وما يحدث على أيدى ممارسيها من الخوارق لا يطرد أمره ، ولا ينتهى بنتيجة نفعية كما قال تعالى فى تقرير هذه الحقيقة (ولا يفلح الساحر حيث أتى) وحيث ان هذين الملكين أمينان حريصان على خير الناس وهدايتهم لم يهملا شأن النصيحة لمن يعلمانه فيقولان له (انما نحن فتنة فلا تكفر) ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة . هذا رأينا فى فهم هذه الآية.

وقد يقال : ما بال هذين الملكين يختاران لهذا الأمر ، وقد كان فى الامكان أن يصطفى الله من البشر من يشاء كما جرت سنته فى أئمة البشر من النبيين والمرسلين؟

وجوابنا على ذلك : اننا لا ندرى من شئون الكون وملابساته ما يصحح هذا السؤال ، وانما الأمر كما قال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، إن الله سميع بصير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم — تأمل — والى الله ترجع

حول كتاب رسول الله ﷺ الى عظيم الروم

- ٣ -

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد مخيمر الواعظ بالقاهرة

قوله ﷺ « أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام » تستعمل العرب كلمة أما بعد للفصل بين كلامين ، وللاشعار بمغايرة ما يجىء بعدها لما قبلها ، على أن يكون اللاحق أهم من السابق ، فهى وسيلة إلى التخلص من موضوع مهم الى موضوع أهم منه . وهذا معنى قولهم فيها « انها فصل الخطاب » وهى تتضمن معنى الشرط وجوابه . فكأنه ﷺ قال له : مهما يكن من شىء بعد الكلام الذى قدمته لك فأقول لك: ان أهم ماعندى أن أدعوك بدعاية الاسلام ، أى الكلمة التى تدعو اليه ، ويدخل صاحبها بالنطق بها فيه . وقد روى مسلم بدل كلمة (دعاية) «داعية» والمراد بها «لا إله إلا الله» ولا يحكم على العبد بالدخول فى دين الاسلام إلا بالنطق بها . وان قيل ان الايمان هو التصديق القلبى مع الاذعان والقبول لما جاء به النبى ﷺ وعلم من الدين بالضرورة . مع إجماع الأمة وتوافر النصوص من الكتاب والسنة على أن من لم ينطق بها لا يحكم عليه بالايمان فى دار الدنيا ،

الأمور) تأمل . ومعنى هذا أن خالق الكون المنفرد بإدارته وتدبيره عن علم محيط وحكمة بالغة هو أعلم بكل شأن وما يناسبه : فان كان لك علم بهذه الاحاطة والشمول صح لك أن تقدر وتقارن ثم تسأل أو تعترض

والى هنا نمسك عن الكلام فى بقية الآية فانها بعد ذلك ظاهرة المعنى لا تحتاج الى شرح أو بيان . والله أعلم

وعلى أن معرفتها شرط لقبول ماعداها من الأعمال ، وعلى أنها تحفظ على صاحبها نفسه وماله بمجرد النطق بها من غير نظر إلى مافى قلبه

هل بين الايمان والاسلام فرق فى عرف القرآن والسنة وبين الصحابة والتابعين ؟

إن من تأمل فى آيات القرآن الكريم ونصوص السنة الصحيحة ، وفيما صح عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، والسالكين بسبيلهم ممن بعدهم ، وجرد نفسه من الالتواء ، وابتعد عن الاختلافات الحادثة ، تبين له أن الايمان والاسلام شىء واحد . وقد اشتهر بين أهل الاصطلاحات الحادثة من المتكلمين أن الايمان هو التصديق القلبى ، وأن الاسلام هو الانقياد الظاهرى ، فأثبتوا بذلك فرقا بين ما تدل عليه كلمة الايمان وكلمة الاسلام ؛ وتمسك هؤلاء بظواهر من الكتاب والسنة ، فأبعدوا النجعة ، وسلكوا غير طريق السلف القائلين بعدم الفرق بين مدلول الكلمتين

وأقوى ماتمسكوا به من الشبه فى إثبات الفرق بين الكلمتين قول الله عز وجل (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) وبحديث جبريل حيث سأل النبى ﷺ أولا عن الايمان وثانياً عن الاسلام ، وأجابه عن السؤالين بجوابين مختلفين : أولهما عما فى القلب ، وثانيهما عما فى الظاهر

ومناقشة هذا الكلام من وجوه :

أولا بالكتاب : قال الله عز وجل (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقال سبحانه (ان الدين عند الله الاسلام) وقال (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وهذه الآيات تدل على أن الايمان والاسلام والدين شىء واحد . والى هذا ذهب أمير المؤمنين فى الحديث أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه . وترجم

لهذا المعنى ثم عرّفه فقال : الايمان قول وعمل واعتقاد . ونقله عن خمسة آلاف من علماء الأمة

ثانياً: وهو الذى أطبق عليه السلف ، ودلت عليه عمومات الكتاب والسنة

ثالثاً: بل دل عليه حديث جبريل نفسه فقد جاء فى بعض رواياته ان النبى ﷺ قال لعمر « هذا جبريل جاء يعلم الناس الاسلام » وفى أخرى « جاء يعلم الناس دينهم »

رابعاً: ومن الأدلة الدالة على أن الايمان والاسلام شىء واحد قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون) الخ فقد جمع سبحانه وتعالى فى بيان الصفة الأولى أموراً قلبية وأعمالا ظاهرة كالزكاة . ومنها قوله عز وجل (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون — الى قوله — وبشر المؤمنين) أى الذين يحققون فى أنفسهم ماسبق من الأوصاف

خامساً : ومن إطلاق الايمان على جميع الأعمال الظاهرة والباطنة قوله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء) وقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) فان المراد بالايمان فى الآيتين مايشمل أمور الدين كلها ظاهرها و باطنها كما أن المراد بالاسلام فى قوله (إن الدين عند الله الاسلام) هو هذا

سادسا : وأما قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فوجه عدم صدقهم فى قولهم «آمنا» أن الايمان لايتحقق بالأعمال الظاهرة مجردة عن التصديق ، وهم لما حكموا على أنفسهم بالايمان بمجرد أعمالهم الظاهرة مع خلوها عن تصديق القلب حين قالوا هذا القول ، نفى الله عنهم الايمان لعدم وجود شرطه الذى هو التصديق ، وأثبت لهم الانقياد الظاهرى حسبما تقتضيه لغتهم ، وأفهمهم أن هذا الانقياد الخالى عن التصديق القلبى لا يسميه الله إيمانا

أما الآيات التى فيها عطف العمل على الايمان كقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) وما شابهها ، فهو من عطف الخاص على العام لامن عطف المغايرة ، نظير قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فاحفظ هذا التحقيق فهو سبيل السلف المهتدين القائلين بعدم الفرق بين الايمان والاسلام فى عرف القرآن والسنة . وما يرى من دلائل الفرق بينهما فمحمله الصحيح أنهما إذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا ، أى أنه اذا جمع بين الكلمتين كما فى حديث جبريل ، أريد بكل منهما معنى خاص ، واذا ذكر أحدهما وحده أريد به المعنى العام . ومنه تعلم أن الايمان والاسلام شىء واحد ، وهو القول والعمل والاعتقاد . وقد ساق الامام البخارى فى كتاب الايمان من الأحاديث مايشهد بعدم الفرق بينهما . ويكفى أن تتأمل فى قوله ﷺ « الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » وفى كتاب شعب الايمان للبيهقى مايوضح لك أن الايمان والاسلام شىء واحد ، فان الأحاديث المسوقة فيه قد جمعت الأعمال الظاهرة والباطنة

وإنما كانت كلمة « لا إله إلا الله » دعاية الاسلام أى عنوانه الجامع لخصاله كلها لأن تحقيق العبد لمعناها فيه يستلزم اعتقاد أن كل مايجرى فى الكون من حركة وسكون فهو بخلق الله وتقديره ، سواء فى ذلك مايجلب نفعا أو يدفع ضررا ؛ وما يرجع الى اعتقاد أن الله متصف بكل كمال لائق به منزه عن جميع النقائص ، وأنه تعالى مصدر كل نعمة تجرى فى السموات والأرض . واعتقاد أن كل مايبتلى به عباده من المصائب صغيرة كانت أو كبيرة أو يدفعها عنهم ، كنزول المرض والشفاء منه أو سعة الرزق أو تقتيره ، أو دفع الجوع والعطش ، أو نقل العبد من الضلال الى الهدى ، أو إعزاز من يعز أو إذلال من يذل الى غير ذلك من شئون التدبير إنما هو له وحده ، وهو تحقيق لتوحيد الربوبية . ويستلزم أنه لا يعمل عملا من أعمال التعظيم التى جعلها الله عبادة له كالصلاة والزكاة والحلف به تعالى والنذر له والذبح

لمعة خاطفة

من فضل المحدث الفقيه الشيخ أحمد محمد شاكر القاضى الشرعى

إذا قلنا ان أئمة الدين بحق هم رجال الحديث لانكون قد ملنا عن وجه الحق ولا خرجنا عن سبيل الصواب ؛ ذلك بأن دين الاسلام هو كتاب الله الذى بينه الرسول للناس بالسنة العملية والقولية ، فكمل بذلك هذا الدين وتمت نعمة الله على عباده ، فمن لم يكن عالما بأحكام الكتاب محيطا ببيان الرسول فيها فانه لايكون عالما أو لايصح أن يسمى عالما وان حمل بعد ذلك أكبر الشهادات الدراسية أو اتصف بأعظم الألقاب الرسمية

وغير ذلك من أعمال التعظيم إلا وهو يريد به أجر الله وثوابه وتعظيمه دون أن يكون لغيره تعالى أى دخل فيما يعمل . ومعنى ذلك تخليص العمل لله تعالى وحده وإفراده به وهو تحقيق لتوحيد الألوهية الذى أمر الله به رسوله فى آيات كثيرة منها قوله تعالى (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) وقوله (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) وقوله (ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير)

وهذا الذى قلناه هو بعض ما أرادوه بقولهم : ان كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» تجمع جميع العقائد الاسلامية

ومن هذا يتبين أن هذه الكلمة من النبى صلى الله عليه وسلم هى من حد الاعجاز الذى تنتهى اليه البلاغة وأنها من جوامع الكلم التى وهبها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم .

يتبع   محمد محمد مخيمر

هـذا أمر لا يمارى فيه عالم ولا يجادل فى صوابه محقق ؛ ومن أجل ذلك كان لهؤلاء العلماء فى نفسى قدر عظيم ومنزلة عالية ، وهذه المنزلة تزداد علواً إذا كان عالم الحديث فقيها فيها ليخرج أحكامها بفهم ويستنبط دلالاتها ببصيرة. وهذه ولا غرو سبيل كبار الأئمة ؛ وان كمال ذلك وتمامه أن يكون المحدث ذا خلق عظيم ودين متين

ومما لا ريب فيه أن من العلماء الذين جمعوا الى رواية الحديث الفقه فيها حتى أصبح بحق (محدثا فقيها) الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر . وعلى أن هـذا الرجل لم أسعد بلقائه بعد فانى أقدره حق قدره ، ونفسى تميل لكل مايخرج من قلمه ، وقلبى يطمئن الى تحقيقه وعلمه ؛ ولشدة إعجابى به نشرت كلمات كثيرة على الصحف ناديت فيها بأن يعهد اليه فى طبع وتصحيح كل مايتصل بالسنة . فانه لما رغبت وزارة المعارف عام ١٩٣٦ فى إحياء التراث العلمى والأدبى وكان بين ما قالت أنها ستحييه «طبقات ابن سعد» نشرت كلمة فى جريدة المقطم (٢٥-٩-١٩٣٦) طلبت فيها من هذه الوزارة أن تعهد بطبع هذه الطبقات اليه . وفى العدد الصادر من هذه الجريدة فى (٢٣ -١٠- ٣٦) رجوت من الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر أن يعمل على نشر السنة بين المسلمين ، وأن يكل أمر ذلك اليه .

ولما نهض شيوخ الأزهر فى هذه الأيام لوضع كتاب فى الحديث كتبت كلمة بمجلة الرسالة الغراء الصادرة فى (٢٦-١-٤٢) قلت فيها : إنه لكى يخرج عمل مشيخة الأزهر كاملا يجب أن يتولاه أخصاء من كبار المحدثين الفقهاء أمثل الشيخ أحمد شاكر

وان هذا التقدير الذى تحمله نفسى قد بعث اليوم عزيمتى الخامدة لكتابة هذه الكلمة لأبين فيها فضلا جديداً لهذا العالم الجليل ، ما أحسب إلا أنه قد طوق به عنق كل مسلم . ذلك انه أخرج رسالة الامام الشافعى فى حلة قشيبة ماكان يظن أحد أن هذه الرسالة تلبسها أو تتبختر فيها . فلقد كانت هذه الرسالة فى أصلها لا تكاد تغطى كف اليد وصفحاتها لا تزيد عن خمسين ومئة صفحة ، وعلى أنها فى هذا الحجم

الصغير فقد شيبت بالأغلاط العديدة ، وشوه وجهها بالتحريف الكثير ، ولكنك لو رأيتها الآن لراعك ما تجد فيها ، فلقد بلغت صفحاتها أكثر من سبعمائة بالقطع الكبير ، عدا نحو مئة صفحة قد حملت صوراً كثيرة من الأصول المخطوطة لهذه الرسالة .

ظهر هذا الكتاب الضخم ـ ولا أقول هذه الرسالة ـ منذ زمن ، وكنت فى شوق كثير لقراءته ، ولكن لم يتيسر لى ذلك إلا فى هذه الأيام . فماذا رأيت فيه ؟ لم أكد أعبر بعض صفحاته وأرى ما فيها من تحقيق دقيق ، وشرح مستفيض ، ومقابلة بين مختلف نسخ الرسالة فى أصلها ، لكى تظهر الصورة الصحيحة منها التى أملاها الشافعى على تلميذه ـ لم أكد أرى ذلك كله حتى أكبرت عمل الأستاذ المحقق الشيخ أحمد شاكر ، وحمدت الله على أن وجد بيننا من يستطيع أن ينهض بما كنا نحسد عليه المستشرقين الغربيين فى تحقيق الكتب بالأسلوب العلمى عند طبعها ، وكنا نتمنى أن يكون بيننا من يسابقهم فى هذا المضمار أو يمشى معهم فيه . وانى اليوم لا أكون غاليا إذا قلت : إننا بتحقيق هذه الرسالة وإخراجها فى هذه الصورة البديعة الرائعة قد أصبحنا نباهى بوجود عالم منا قد أربى عمله على عمل هؤلاء المستشرقين

وانك لا تكاد تقرأ فى هذا الكتاب بضعة سطور حتى يسطع لك من أنوار ما تقرأ علم عالمنا وتحقيقه ونزاهته . فتراه مثلا فى مقدمته ـ بعد أن يشيد بفضل الشافعى ، ويبين مكانته فى العلم ، يسارع إلى تبرئة نفسه من تهمة العصبية المذهبية ، فيذكر أنه لم يقل ذلك عن تقليد أو عصبية ، لأنه تفقه على مذهب أبى حنيفة . وهنا يتحدث عن أثر التقليد والعصبية فى تفرق المسلمين ، ويقرر فى صدق أن ذلك « مما أضر بالمسلمين وأخرهم عن سائر الأمم ، وكان السبب الأكبر فى زوال حكم الاسلام عن بلاد المسلمين »

وإذا كنت اليوم لست بسبيل التعريف بقدر هذه الرسالة ، لأن ذلك يستدعى ـ ولا ريب ـ دراسة طويلة لا أملك اليوم من نفسى ولا من زمنى ما يجعلنى أؤديها على وجهها ، فانى أذكر شيئا يتصل بها : ذلك أنه دخل على شيخ أزهرى ، وأنا أستمتع بالقراءة فيها . فقال ما هذا الكتاب الضخم الذى تقرؤه ؟ ولما ذكرت له انه رسالة الامام

الشافعى . قال انى كنت أسمع عن هذه الرسالة ولكنى لم أقرأها ـ ولما كنت أعلم أنه شافعى المذهب فقد قلت له : وكيف لم تقرأها وهى من تأليف صاحب المذهب الذى تنتسب اليه ؟ فقال ليس من الضرورى بعد أن درسنا مادرسنا من كتب الفقه والأصول أن نرجع إلى علم الشافعى نفسه . فقلت له : كأنك لم تقرأ كتاب الأم ؟ فقال ان المؤلفين الذين جاؤا بعده قد كفونا مؤنة البحث عن أصل المذهب وما كتبه صاحبه فيه ، فقلت له : إن ذلك إن صح فى المنهج الدراسى الرسمى ، فانه لا يصح فى المنهج العلمى الدينى ، إذ أن هذا المذهب يقضى عليك أن ترجع إلى الامام الذى تنتسب اليه لتعرف ما إذا كان شيوخك قد نقلوا علمه على حقه أو نقلوه مشوهاً ، وبعد ذلك تخطو خطوة أخرى فتعرف من أين أخذ الشافعى علمه ؛ ووراء ذلك خطوة واسعة : ذلك أن تدرس علم غيره من أئمة المذاهب الأخرى ثم تقارن بعد ذلك بين أدلتهم فى مذاهبهم و بين أدلة إمامك فى مذهبه ، و بذلك تكون قد أحطت علماً بجميع أدلة الأئمة ؛ ومن ثم تستحق أن تسمى عالما من علماء الدين . فقال إن هذا إنما يكون للمجتهد ، وقد قفل باب الاجتهاد من زمن طويل ، يحسبنا أن نأخذ ما فى الكتب التى قد درسناها ونعمل بما فيها . فقلت له : ان هذا ليس شأن العلماء ، لأن العالم هو من عرف الحكم بدليله : ومن لم يعرف دليل الحكم الذى يفتى به فهو والعامى سواء ؛ لأن العامى يستفتى العالم وهو يستفتى الكتاب .

ولما رأيت كأن سحابة من الغضب قد غشيت وجهه حولت تيار الحديث إلى ناحية أخرى حتى انصرف

فهذا شيخ أزهرى ـ ومثله كثيرون ـ قد تبين من حديثه أنه لم يطلع على كتاب الأم للشافعى ، ولا قرأ رسالته التى يجب على كل مسلم ـ سواءاً أكان شافعياً أم غير شافعى ـ أن يقرأها ، فهل يصح أن نقول عن مثل هذا انه عالم يرجع اليه الناس فى الفتيا ؟

ان هذا الأمر يحملني أعود إلى ما بدأت به كلمتي من الجهر بأن العلماء حقاً هم رجال الحديث الفقهاء فيه ، لا الذين يكونون كما قالوا (زوامل) للحديث فلا يدركون أحكامه ولا أسراره . فهل تجد كلمتي هذه طريقا إلى أسماع حضرات شيوخ الدين ، فيقبلوا على دراسة الأحاديث النبوية ويهتدون بنورها ؟ وان هذه الدراسة لأيسر في الفهم وأسهل في الاستدلال من دراسة الكتب الفقهية

واذا كان هذا هو ما نرجوه من حضرات شيوخ الدين ، فان لي رجاء خاصاً أتوجه به لعلامتنا الجليل الشيخ أحمد شاكر ، ذلك أن يستخير الله ويشمر عن ساعد الجد ، ويقبل على جميع كتب الأحاديث — وهي عنده كلها — فيؤلف منها معجما يسمى « معجم شاكر » على أن لا يذكر فيه كل ما يصادم صحيح النقل أو صريح العقل ؛ وكل ما يتصل بالتنبؤات والغيبيات والفتن ؛ وما روى في فضل الرجال والبلاد — وان له في ذلك لأسوة حسنة في رجال الحديث كالبخاري وغيره ، فانهم لم يرووا في كتبهم كل ما سمعوه . وهو بهذا العمل يكون قد أدى للدين أحسن خدمة ، وقام بما كان يود أن يقوم به الامام الكبير السيد محمد رشيد رضا رحمه الله ، ثم عاجلته المنية عن تحقيقه

وان أملي لكبير في أن يستجيب علامتنا الشيخ احمد شاكر دعوتنا ، ويؤدي للاسلام والمسلمين هذا الدين ، حتى تكون السنة بجملتها دانية لكل رائد ، وشرعتها قريبة لكل وارد ، فلا يكون لأحد عذر في تركها ، ولا حجة في عدم دراستها.

بارك الله في عمر الأستاذ وأعانه على خدمة دينه، ونفع المسلمين بعلومه

المنصورة　　　　　　محمود أبو ريه

قراءة القرآن على الموتى

وهل تنفعهم ؟

ان أهل الحق من سلف الأمة إنما سموا بأهل السنة والجماعة لأنهم ساروا فى الاهتداء بالاسلام على السنة ، وهى الطريقة العملية التى جرى عليها النبي ﷺ فى بيان القرآن كما أمره الله تعالى بقوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وتلقاها بالعمل عنه جماعة الصحابة - والأقوال وحدها لايتبين بها المراد بيانا قطعياً لايحتمل التأويل كالأفعال ، وان كانت فى غاية الوضوح والجلاء ، ولذلك أوجز القرآن فى بيان أحكام الدين العملية ، ووكل بيانها لعمل الرسول ﷺ وهو أحال فى بيانها على العمل ، فقال مثلا « صلوا كما رأيتمونى أصلى »

أقول هذا تمهيداً لبيان بطلان تلك الوجوه التى حمل عليها بعض المفسرين قوله سبحانه (أن لاتزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للانسان إلا ماسعى) فحرفوا الكلم عن مواضعه تارة بالتأويلات السخيفة ، وتارة بدعوى النسخ الباطلة ، وتارة بدعوى ان هاتين الآيتين من شريعة ابراهيم وموسى لا من شرعنا . وقد غفل هؤلاء عن كون مضمون الآيتين من قواعد الأديان جميعاً ، ومن أصول الاسلام الثابتة على ألسنة جميع الرسل ، ومؤيداً بآيات كثيرة بلفظها ومعناها كآية الأنعام (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) وآية سورة فاطر (ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وان تدعُ مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) والآيات الكثيرة المعلقة للفلاح والخسر ، ودخول الجنة والنار بالأعمال . والآيات الناطقة بأن الناس لا يجزون الا بأعمالهم ، وانهم انما يجزون بأعمالهم - هكذا بصيغتى الحصر التى تعد دلالته أقوى الدلالات فى بيان

المراد . وهذه القاعدة فى الجزاء من أصل الدين ؛ وهى من أعظم أركان الاصلاح للبشر لأنها هادمة للوثنية ، وهادية للبشر إلى ماتتوقف عليه سعادتهم الدنيوية والأخروية (وهو عملهم) كل نفس لها ماكسبت ، وعليها مااكتسبت

فان قيل : ان انتفاع الميت بصيام من صام عنه أو بحجه أو بصدقته ينافى هذه القاعدة . قلنا لا منافاة ألبتة . ووجهه : أن السائل لم يسأل إلا عن أبيه أو عن أمه ، فلم يسأل عن خاله او خالته ، او عمه او عمته . ومن حيث أن الوالد كان سببا مباشراً فى وجود الولد عدّ الولد من عمله ؛ وهو داخل فى حديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له » رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

وقد ألحق الله ذرية المؤمنين بهم بنص القرآن ، وصح فى الحديث ان ولد الرجل من كسبه . ومن قال بانتفاع الميت من كل عمل يُعمل له وان لم يكن العامل ولده فقد خالف القرآن ، ولا حجة له فى الحديث الصحيح ، ولا القياس الصحيح

اما الحديث فقد صح فيه الاذن بالصدقة عن الوالدين فى الصحيحين والسنن ، وبالصيام والحج عنهما من حديث ابن عباس فى الصحيحين وغيرهما . وفيهما من حديث عائشة انه ﷺ قال « من مات وعليه صيام فليصم عنه وليه »

وقد شبه النبى ﷺ الصيام والحج الواجبين بقضاء دين العباد عنهما ، وان « دين الله احق بالوفاء » وقد روى هذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما بألفاظ مختلفة فى السائل فقيل رجل وقيل امرأة من جهينة وهو الصحيح . وفى المسئول عنه فقيل اب وقيل اخت وقيل أم وهو الصحيح : وفى المسئول فيه هل هو الصيام اوالحج ؟ ولهذا الخلاف قال بعض العلماء ان الحديث مضطرب لا يحتج به ، ولكن حديث عائشة لا اضطراب فيه ، وقد اختلفوا فى الولى ، والراجح انه الولد لينطبق على الآيات والأحاديث الأخرى ، على ان عائشة الراوية له كانت تصرح بعدم جواز صيام احد عن احد عملا بالنصوص العامه

وقد قال الطحاوى من علماء الأثر : انه منسوخ . وأما قياس عمل غير الولد على عمله فباطل لمخالفته للنص القطعى . على كونه قياسا مع الفارق

ومن اصول الفقهاء ان العبادات البدنية لاتصح النيابة فيها فى الحياة ولا بعد الممات . ومذهب أشهر أئمة الفقه أنه لا يصام عن الميت ، ومنهم أبو حنيفه ومالك والشافعى ، والامام زيد بن على والهادوية والقاسم من العترة

أما حديث وضع النبى ﷺ الجريدتين على القبرين اللذين أوحى اليه أن اصحابهما يعذبان ، فقد قال بعضهم : انه يستأنس به لانتفاع الموتى بعمل الأحياء ؛ ولم يقل انه يدل على ذلك . ونحن نقول إنه لايقوم دليلا ولا استئناسا ، فانه واقعة حال فى أمر غيبى غير معقول المعنى . والظاهر فيه أنه من خصائص النبى ﷺ ؛ ولذلك لم يرد ان أحداً من الصحابة فعله بعد النبى ﷺ

إلى هنا انتهى تفنيد أدلة القائل بالانتفاع بعمل الغير مطلقا . ولننتقل الى انتفاع الميت بتلاوة القرآن عليه

استدلوا على الانتفاع بالقياس ، وبكلام ابن القيم ، وبحديثين من السنة ، وهاك تفنيد ذلك بالترتيب ، والله الموفق :

أما القياس فقاسوا ما ورد من نفع الصيام عنه ـ وهو عبادة بدنية محضة ـ بوصول مايشبهها من القربات البدنية كالصلاة والتلاوة إذ لا فرق بين عبادة وعبادة ولا وجه المنع ـ وهذا قول مردود لأن المانع من ذلك القياس : نصوص القرآن التى تقدمت فى أن عمل كل عامل له دون غيره ، والنبى ﷺ أذن لمن سأله عن قضاء صيام وحج ثبتا على أحد والديه ، وكذا عن الصدقة ، هل يفعلون ذلك عن والديهم ؟ فأذن لهم أن يقضوا دين الله عنهم كما يقضون ديون الناس ، وأن يتصدقوا عنهم ـ فهذه حقوق ثبتت على الوالدين او صدقة كان المتوقع من احدهم الوصية بها ، فقام اولادهم مقامهم فيها او تبرعوا عنهم ، فهى ليست كقراءة القرآن ، اى ليست مفروضة على الأعيان فى غير الصلاة كالحج والصيام ؛ ولا من الأعيان المملوكة كالمال .

الذى كان ملك الميت وانتقل الى ولده ، او من كسب الولد الذى عد فى الحديث الصحيح من كسب الوالد . على ان هناك فرقا بين وصول ثواب الصيام ووصول ثواب الذكر ، فقد بينا آنفا انه لا دليل على وصول ثواب الصيام مطلقا من كل من يصوم عن ميت حتى يقاس عليه غيره ، لأن ما ذكر من احاديث الصيام خاص بالقضاء من الولد نيابة عن الوالد ، وليس فيه انه عمله لنفسه وأهدى ثوابه لغيره كما تقدم . على ان هذا مما ورد على خلاف القياس فلا يقاس عليه

اما كلام ابن القيم فهو « ان الثواب ملك للعامل .. » الخ ماقال فاليه رده :

ان الثواب امر مجهول ، بيد الله تعالى وحده كأمور الآخرة فانها من علم الغيب التى لا مجال للعقل فيها ، وما وعد الله تعالى به المؤمنين لا يعرفون كنهه على سبيل القطع ، ولا يوجد فى الآيات ولا فى الأخبار الصحيحة مايدل على ان العامل يملك ثواب عمله وهو فى الدنيا ، كما يملك الذهب والفضة فيتصرف فيه كما يتصرف فيهما بالهبة والبيع ، بل ذلك جزاء بيد الله تعالى أعده فى الآخرة للذين آمنوا وعملوا الصالحات بحسب تأثير الايمان والعمل فى إعداد انفسهم له بتزكيتها كما قال تعالى (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) (قد افلح من تزكى) (قد افلح من زكاها)

فهذه الآيات الكثيرة الصريحة المعنى ، المعقولة الحكمة ، وسائر آيات الجزاء النافية للفداء ، تبطل دعوى ملك الانسان لثواب عبادته وتصرفه بها — ولو كان الثواب كالمال يوهب لكان يباع ويشترى ، ولو كان كذلك لكان كثير من الفقراء يبيعون ثواب كثير من اعمالهم للأغنياء ، وحاشا لله ولحكمة دينه من ذلك ، وعمل الخلف وحده فى امر تعبدى كهذا لا حجة فيه ، على انهم لم يجمعوا عليه

***

وأما حديث معقل بن يسار « اقرؤا يس على موتاكم » فقد أعله ابن القطان بالاضطراب و بالوقف ، و بجهالة حال ابى عثمان وأبيه فى السند ، وقال الدارقطنى :

هذا حديث ضعيف الاسناد مجهول المتن ؛ ولا يصح في الباب حديث . وفى النسائى وغيره من حديث معقل بن يسار عن النبي ﷺ أنه قال « اقرؤا يس عند موتاكم » وهذا يراد به قراءتها على المحتضر عند موته مثل قوله « لقنوا موتاكم لا إله الا الله » وهذا هو الأظهر لوجوه

(أحدها) أنه نظير قوله « لقنوا موتاكم لا إله الا الله فان من كان آخر قوله لا إله الا الله دخل الجنة »

(الثانى) انتفاع المحتضر بهذه السورة لما فيها من البشرى بالجنة (يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى)

(الثالث) إن انتفاعه بسماعها عند قراءتها فى آخر عهده بالدنيا هو المقصود ليخرج من الدنيا حسن الظن بربه ؛ والله عند حسن ظن عبده به

وأما قراءتها عند قبره فانه لا يثاب على ذلك ، لأن الثواب إما بالقراءة او بالاستماع ، وهو عمل ؛ وقد انقطع عن الميت

وأما حديث « من دخل القبور فقرأ قل هو الله أحد » الخ فعلى القائلين به إثباته ، والى أن يفعلوا — إن كان فى استطاعتهم احياء الموتى — أقول :

قال السيوطى فى اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة : روى عن محمود بن غيلان قال سمعت مؤملا يقول حدثنى شيخ بفضائل سور القرآن ؛ فقلت للشيخ : من حدثك؟ قال حدثنى رجل بالمدائن ، فسرت اليه فقلت من حدثك ؟ قال شيخ بواسط فسرت اليه فقال حدثنى شيخ بالبصرة . فسرت اليه فقال حدثنى شيخ بعبادان فسرت اليه ، فأخذ بيدى فأدخلنى بيتاً فاذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ ، فقال : هذا الشيخ ، فقلت ياشيخ من حدثك ؟ فقال لم يحدثنى أحد ، ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم الى القرآن !

بصرنا الله بالحق ؛ وهدانا جميعاً الى الصراط المستقيم

كفر المندرة — احمد احمد القصير

ذكرى المولد النبوى

يصل هذا العدد من الهدى إلى أيدى قرائه فى الوقت الذى يبدأ فيه المسلمون استعدادهم حكومة وشعبا للاحتفال بذكرى مولد النبى ﷺ كعادتهم فى أوائل شهر ربيع الأول حتى يختم هذا الاستعداد بالليلة الثانية عشرة منه فتقام فيها الزينات ويفعل مايفعل كل عام مما هو مشهور ومعروف

ومبدأ أنصار السنة فى هذه الذكرى معلوم مابرحت تطالع به المسلمين وتنصح به الناس ، وتضع له الرسائل المفردة توزعها بالمجان ابتغاء مرضاة الله ونصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، أو تنشره فى مجلتها ، أو يترجم عنه دعاتها فوق أعواد المنابر . وهذا المبدأ يلخص فيما قاله رئيس الجماعة فى إحدى هذه الرسائل - بعد أن قسم ولادته ﷺ الى ولادتين إحداهما بشرية وهى التى صارت كل شىء عند الناس اليوم جهلا وتقليداً ، والأخرى روحية وهى التى يجب أن تكون عندهم كل شىء كما كانت عند سلفهم بالأمس ، ولكن صدفوا عنها جهلا وتغريرا من شياطين الانس -:

« فما كان الفضل الأعظم والرحمة العامة الشاملة ، والهداية التى أخرجت الناس الى النور من محمد بن عبد الله ، وانما كانت من محمد رسول الله ، وما كانت هذه الرسالة إلا بعد تلك الولادة الروحية الثانية التى كانت ليلة القدر من شهر رمضان بعد بلوغه سن الأربعين

فلئن كان شىء من هاتين الولادتين جديراً بالتذكير والاحياء فهى الولادة النبوية لا الولادة البشرية . وانه لمن أوجب الفروض إحياء هذه الذكرى فى قلب المؤمن ونفسه وبيته ومتجره ومصنعه ونظام معيشته وإدارة شئونه العامة والخاصة .

وان من أقوى أسباب سعادة الأمة أن تحيي هذه الذكرى فى حكومتها ونظامها

وادارتها وقضائها ، وجميع شئونها الاقتصادية ، والسياسية ، والدولية . ولن يكون ذلك الإحياء بالاحتفال يوما معينا أو ليلة واحدة من السنة . لا . وإنما يكون ذلك فى كل وقت ولحظة وفى كل عمل وشأن ، تبقى هذه الذكرى النبوية ألزم للانسان من طعامه وشرابه لاتبرح قلبه ولا تخرج من نفسه ، لتكون هى المقومة لعمله والمهذبة لخلقه والهادية له فى شئونه كلها الى الصراط المستقيم وطريق الرشاد القويم

هذه الذكرى الروحية تتصل بالروح والأخلاق والآداب لا بالظواهر الفارغة من شموع تضاء وخيام تنصب وطبول وزمور ، فان هـذه الولادة الروحية تمقت أشد المقت تلك المظاهر الفارغة

ولقد وفق الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون وسلفنا الصالحون رضى الله عنهم الى الانتفاع بهذه الذكرى المجيدة وأحلوها من نفوسهم المحل الأرفع ايمانا وهداية وطاعة لله ولرسوله وأخلاقا كريمة ، وشدة على الكفار ، وتراحماً بينهم ، وركوعا وسجودا ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وعدلا وإنصافا وصدقا وبراً ، فكانوا بهذه الذكرى خير أمة أخرجت للناس

وأعرضوا كل الاعراض عن ذكرى الولادة البشرية ؛ فلم يحتفلوا لها ولم يقيموا لها وزنا ، لأنهم يعلمون أن فى شهر ربيع الأول كانت الولادة البشرية وفيه كانت الوفاة البشرية ، فأى الحادثتين يذكرون ؟ أما الولادة الروحية فلم تنقطع ولم تقبر ، ولن تقبر حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ؛ ولا يزال فضلها وخيرها يعم أهل الأرض غضاً طريا كأول شأنها فى حياة رسول الله ﷺ البشرية

***

والذكريات تحفز المحتفل الى تعرف خصائص ومزايا هذه الذكرى وتحضه على البحث والتنقيب على ما امتاز به المحتفل بذكراه واختص به عن غيره ، وتدوين تلك المزايا ونشرها وبثها فى الذكرى وفى الناس ليكون لهم منه قدوة نافعة وأسوة

حسنة ، والمذكر يجتهد فى أن يصور تلك الذكرى بأقصى مايستطيع وأروع مايقدر ليكون لها فى النفوس الأثر الذى يريده

فالصحابة والسلف الصالح رضى الله عنهم لشدة حرصهم على ذكرى الولادة النبوية الروحية يبذلون أقصى ما يستطيعون فى حفظ أحاديث رسول الله ﷺ والتخلق بأخلاقه النبوية ، وآدابه الرسولية ، وينشرونها فى الناس ، ويتحملون فى سبيل نشرها فى نواحى العالم أشق الجهود وأبعد الأسفار . وما زالوا كذلك يفعلون حتى ملأوا الأرض بالهدى والنور النبوى ، وعمت رحمة الله فى مشارق الأرض ومغاربها بفضل أولئك الذين كانوا يعرفون محمداً رسول الله ، لا محمداً البشر العربى ، ويعرفون رسالته لا جسمه ، ويعرفون نور هداية نبوته ، واشراق صحيفة ملته، لا نور عينيه ، ولا بياض وجهه وخديه

* * *

فجماعة أنصار السنة المحمدية تدعو المسلمين الى الحرص على إحياء هذه الذكرى الرسالية بتمجيد الرسالة المحمدية وبعثها فى النفوس بكل ما أتت به من الهدى والحق الذى لا يناسبه تلك الخرافات والأباطيل التى فتن الشيطان الناس بها بدعوى أنها ذكرى ولادة الرسول ﷺ

وتناشدهم أن يكفوا عن هذه العادات الفاسدة التى هى سرطان أموالهم وأخلاقهم وعقائدهم خصوصاً فى هـذا الوقت الذى يجب فيه الرجوع الى الله ، كما يجب أن يراعى فيه القصد فى كل شىء

ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن ندعو اخواننا فى كل بلد أن يوالوا نصيحتهم للناس بالتى هى أحسن حتى يخففوا من شر هذه العادات الفاسدة ، عسى الله أن يتجلى علينا بقبس من رحمته ؛ ان رحمة الله قريب من المحسنين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أحوال السهو المختلفة فى الصلاة

وطريقة جبرها

١ ـ من سها فنقص شيئا من سنن الصلاة يجبر ذلك بسجدتين قبل السلام (أى لا يتدارك مافات)

٢ ـ من زاد شيئا فى صلاته ركنا كان أن سنة يسجد سجدتين بعد السلام (أى سها ثم تذكر أنه زاد)

٣ ـ من نقص ركنا أو أكثر فى صلاته يتدارك مافاته ثم يسجد سجدتين بعد السلام (أى سها ثم تذكر أنه نقص)

٤ ـ من شك فى صلاته ولم يمكنه أن يتذكر ماحدث يتحرى فان كان ماشك فيه سنة أعرض عنه وسجد لذلك سجدتين قبل السلام ، وان كان ماشك فيه ركنا طرح ماشك فيه وبنى على مااستيقن مثل أن يشك أصلى ثلاثا أو أربعا فانه يصلى الرابعة ولا يعتد بما شك فيها ثم يسجد سجدتين قبل السلام

٥ ـ من سها فى الصلاة ثم أمكنه أن يتحرى الحقيقة فأداها بلا نقص ولا زيادة يسجد للسهو بعد السلام ، فان كان تحريه بعد أن زاد فيها فحكمه فى البند (٢) وأما إن تحرى نقصاً فيها فان كان ركنا فحكمه فى البند (٣) أى يأتى بما فات ولو خرج ن الصلاة ثم يسجد بعد السلام ، وان كان سنة فحكمه فى البند (١) أى يترك مافات ويسجد قبل السلام

والخلاصة أنه يسجد للسهو قبل السلام فى حالتين اثنتين فقط إذا تذكر أو شك أنه نقص سنة يتركها ويسجد قبل السلام ، واذا شك فى الأركان يبنى على اليقين ويسجد قبل السلام ، وفى غير ذلك يسجد بعد السلام ويتصرف فى صلاته بما ذكر . والله أعلم .

سيد سعد

كهرباء القلب والأعصاب

وفى أنفسكم أفلا تبصرون

إن القلب عضلة عضوية فى حجم قبضة اليد عادة ، وهى تتكون من طبقة بيضاء عازلة للكهرباء فوقها طبقة حمراء موصلة ، فاذا تحركت هذه العضلة - تقلصا أو انتفاخا نشأ عن احتكاك الطبقتين تيار كهربائى يتذبذب بعدد ضربات القلب وتنتشر خطوطه المغناطيسية فى كافة أنحاء الجسم

لقد انتهى علماء القرن العشرين من إثبات وجود كهرباء الأعصاب فى سنة ١٩٣٧ وكان مرجعهم الوحيد تلك المصادفة التى كشف بها العالم جلفانى عام ١٧٨٨ وجود رعشة فى ضفدعة علقها من عصب رأسها حين اتصل طرف السلك التى علقت منه بساقها . ومن ذلك اتجه نظر العلماء الى أن المخ يتبادل الاشارات مع عضلات الجسم بتيارات لاسلكية ، لكنهم عدلوا عن هذا الرأى حين رأوا أن سرعة الانتشار فى هذه الأعصاب لاتتفق مع سرعات التموجات الضوئية وظلت الكيفية التى يتولد بها التيار حول هذه الأعصاب مجهولة حتى جاء الطبيعى الأمريكى رالف ليلى وأثبت أن كهرباء الأعصاب تتولد من طريق التفاعل الكيميائى وليس من طريق الاحتكاك كما هو الحال فى القلب (عن الأهرام)

من شعر النابغة الجعدى

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا



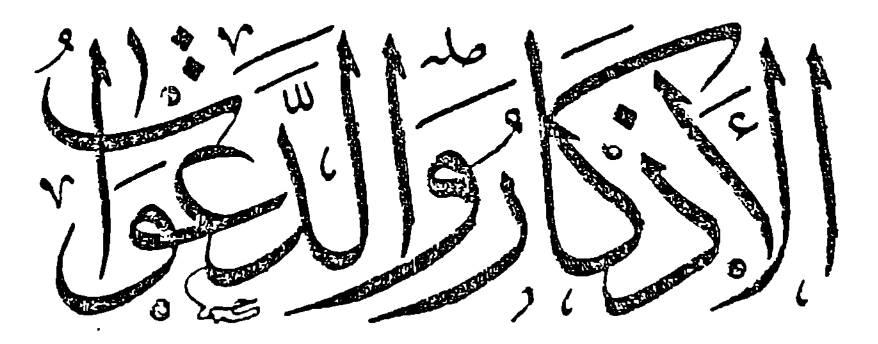
تأليف الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن راشد

كتاب من خير ما أخرج للناس فى هذا العصر فى الأدعية المأثورة الصحيحة ثم تعرض لمباحث تهم كل من يطلب النجاة لنفسه . الثمن ٥ قروش عدا البريد



له أيضا

بحث طريف فى هذه المسألة الخلافية ، وتحقيق جامع . الثمن قرشان عدا البريد



فى عقب الصلوات المفروضات والمسنونات

كتاب يبين الأذكار المشروعه ، ويبين مادخل فيها من البدع فى عبارة واضحة

الثمن قرشان عدا البريد

فهرس هذا العدد

١٣٦١ العددان ٩ و ١٠ السنة السادسة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

(مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية)

رئيس التحرير محمد حامد الفقى

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ، وقد خلت من قبلهم المثُلاتِ . وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما : يريد : بالعذاب قبل الرحمة . وقال أبو اسحق الزجاج : أى يطلبون العذاب بقولهم (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) يعنى الله بذلك مشركى مكة : أبا جهل والنضر بن الحارث وأضرابهما من العتاة وأكابر مجرميها — سألوا رسول الله ﷺ

أن يأتيهم بالعذاب ؛ استهزاء منهم بذلك . فالمراد «بالسيئة» هنا: العفو . والعذاب . و « الحسنة » هي العافية والرخاء .

والله تعالى صرف عمن بعث اليهم محمداً ﷺ عقوبة الاستئصال والاصطلام وأخر عذاب مكذبيه الى يوم القيامة . قال تعالى (فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم ؛ وأفئدتهم هواء) وقال (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وقال (وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا) وقال (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة . ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) وقال (وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديراً . ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى)

وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي » وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه قال « قدم على النبي ﷺ سبي ؛ فاذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي ، إذا وجدت صبياً من السبي اخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال النبي ﷺ أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا ، وهي تقدر على ان لاتطرحه. فقال : الله ارحم بعباده من هذه بولدها» وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « جعل الله الرحمة في مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه »

قال ابو طاهر ـ عفا الله عنهما ـ ففي هذه الآيات وغيرها من آي الذكر الحكيم ـ وهو كثير جداً ، وفي هذه الأحاديث وغيرها كذلك ـ مايدل على ان الله سبحانه وتعالى لايترك تعجيل العذاب لأولئك المستهزئين وامثالهم عن عجز منه سبحانه ،

ولا عن استخفاف بحق رسوله وما يستحقه المستهزئون به من شديد عقاب وأليم عذاب، وإنما يمهل أولئك الظالمين لأنفسهم بكفرهم واستهزائهم برسوله ﷺ ويؤخرهم إحساناً منه وتفضلا ليستعتبوا و يثوبوا الى رشدهم وينيبوا الى ربهم ويسلموا من قبل أن يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون. وهذا التأخير: هو الحسنة. فهو احسان من الله سبحانه بالانظار والتأني بالناس واعطائهم الفرصة الواسعة من قبل أن يأخذهم بشديد عقوبته وأليم عذابه. ولكن يأبى على الكافرين شقاؤهم وعنادهم إلا أن يستعجلوا هذا العذاب تكذيباً واستهزاء، كما حكى الله عنهم في قوله في سورة الحج (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون. وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ثم أخذتها و إليّ المصير) وفي سورة العنكبوت (ويستعجلونك بالعذاب، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب. وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون. يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين، يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ماكنتم تعملون) وفي سورة الشعراء (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون. فيقولوا هل نحن منظرون؟ أفبعذابنا يستعجلون؟) وفي سورة الصافات (وأبصرهم فسوف يبصرون. أفبعذابنا يستعجلون؟ فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) وفي سورة النمل (ياقوم لِمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة؟ لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) وفيها (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون. وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) وفي سورة يونس (لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. قل أرأيتكم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون. أثم اذا ماوقع آمنتم به؟ آلآن وقد كنتم به تستعجلون).

يقول الله تعالى ذكره في هذه الآيات: لقد كان الأولى والأحرى بأولئك المجرمين المستهزئين من العتاة المفسدين ان لا يستعجلوا عقوبة الله لهم وعذابه إياهم، لو كان لهم قلوب يعقلون بها، بل الأجدر والأحق بهم أن يطلبوا عفو الله ورحمته،

وأن يعجل بهدايته انقاذهم من ظلمات جهنم وأن يجعل لهم نورا يهتدون به الى صراطه المستقيم ؛ ولكن هى الشقاوة والبغى واستحكام أغشية الجاهلية على قلوبهم حالت بينها و بين كل خير وهدى وعلم ونور ؛ والعافيــة من الله ولا حول ولا قوة إلا بالله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء . كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) (ولو شاء الله لهداهم أجمعين)

وقوله سبحانه ﴿ وقد خلت من قبلهم المثلات ﴾ تقول العرب للعقوبة « مَثُلَة » و« مُثْلَة » مثل (صَدُقَة) و (صدقة) فالأولى لغة أهل الحجاز . والثانية لغة تميم فمن قال « مثلة » بفتح الميم وضم الثاء جمعها على « مثلات » بفتح الميم وضم الثاء ، ومن قال « مثلة » بضم الميم وسكون الثاء جمعها على « مثلات » بضم الميم والثاء ؛ و « مثلات » بفتح الميم وضم الثاء ، و « مثلات » بضم الميم وسكون الثاء . وهذا معنى قول الزجاج والفراء . قال فى لسان العرب : يقول الله تعالى (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) يقول : يستعجلونك بالعذاب الذى لم أعاجلهم به ، وقد علموا ما نزل من عقوباتنا بالأمم الخالية ، فلم يعتبروا بهم . ويقول (ويستعجلونك بالعذاب) أى يطلبون العذاب بقولهم (فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقولهم (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) وقد تقدم من العقوبات ما هو مثلة وفيه نكال لهم لو اتعظوا . وكأن « المثل » بسكون الثاء مأخوذ من المثال . لأنه إذا شنع فى عقوبته جعله مثلا وعلماً . اه

وقال ابن الانبارى : « المثلة » العقوبة المبقيــة فى المعاقب شيئا بتغيير بعض خلقه الذى اذا أفسد قبحت معه الصورة . وهو من قولهم : مثّل فلان بفلان ، إذا شان خلقه ، بقطع أنفه أو صلم أذنه ، أو سمل عينه ، أو بقر بطنه ، يمثل به مثلا ؛ ثم يقال للعار الباقى والخزى اللازم : مثلة . اه وأصل هذا الحرف من المثل الذى هو السيئة . قال أبو عبيدة « المثلات » هى الأمثال والأشباه والنظائر ، يريد العقوبات

التي تشبه بعضها بعضاً في الاهلاك كعقوبات الأمم الماضية ، ونحو هـذا قال ابن قتيبة . وقال الزجاج : المعنى : أنهم يستعجلون بالعذاب ، وقد تقدم من عذاب الله للأمم الماضية ماهو مثلة . وقيل «المثلات» العقوبات التي تزجر عن مثل ماوقعت من أجله . وقال ابن عباس : مثل الله بالمكذبين من قبلهم . والذى يدل من التفسير على ماذكرنا من الاشتقاق ماروى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى «المثلات» قال الأمثال . وقيل في معنى «المثلات» العقوبات يتذاكرها الناس ويضربون بهـا الأمثال فتسمى باسم ما هو من سببها . وعلى هـذا سميت العقوبات أمثالا ، لما يضرب بها من الأمثال

أقول — والله أعلم — والصواب في «المثلات» أنها العقوبات الظاهرة . من قولهم : مثل الشيء . إذا ظهر وانتصب قائما . ومنه قول لبيد :

ثم أصدرناهمو في وارد صادر، وَهْـم صواه قد مثل

أي انتصب وظهر . وقد روى اللسان بيت لبيد هكذا :

ثم أصدرناهما في وارد صادر وَهْـم صواه كالمثل

و «الصوى» منار الطريق وعلاماته . وقوله «كالمثل» أي كالقائم المنتصب . وقال الأزهري في هذه الآية : يقول الله تعالى ذكره : يستعجلونك بالعذاب الذى لم أعاجلهم به . وقد علموا مانزل من عقوباتنا بالأمم الخالية فلم يعتبروا بهـا . وكان ينبغي أن يردعهم ذلك عن الكفر والظلم لنفسها خوفا أن ينزل بهم مثل الذى نزل بمن كفر قبلهم من الأمم التي كفرت فعذبتها بذنبها وأخذتها بظلمها أخذ عزيز مقتدر

وقوله تعالى ذكره (إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس : لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا ويقصد بقوله (إن ربك لشديد العقاب) المصرين على الشرك . ونحو هذا قال الحسن : لذو مغفرة للناس على ظلمهم بالتوبة منه . فعلى هذا يكون المراد بالناس المشركين . وهو الظاهر ، لأن الآية نزلت فيهم

أصل المغفرة من « الغفر » بمعنى الستر والتغطية . ومنه « المغفر » لمايغطى به

الرأس من آلات الحرب من الزرد وحلق الحديد . فمعنى غفر الله الذنب : أى ألبس العبد من عفوه وتجاوزه ثوبا يستره من الخزى والفضيحة يوم القيامة ، وغشى صحيفة أعماله وكتابه الذى لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها — من عفوه وستره وتجاوزه لعبده بتوبته مايخفى السيئة ويمحو أثرها .

يقول الله جل ثناؤه ومخاطباً رسوله وحبيبه ﷺ ، ومشيراً الى خصيصته به لأنه هو الذى عرف حق ربه وفضل سيده فشكره (إن ربك لذو مغفرة للناس) المشركين الظالمين لأنفسهم من أهل مكة وغيرهم فى كل زمن . الذين يرون من ربوبية الله سبحانه وآيات رحمته ونعمته وفضله واحسانه إليهم مايغمرهم آناء الليل والنهار ، وهم أبداً محتاجون الى بره وإحسانه لاغنى لهم عنه سبحانه لا بأنفسهم ولا بشىء مطلقاً . وهو الغنى عنهم وعن كل شىء (وربك الغنى ذو الرحمة) فانه لا أحد أعظم احساناً الى العبد من الله فان احسانه على عبده فى كل نفس ولحظة : وهو يتقلب فى احسانه فى جميع أحواله . ولا سبيل الى ضبط أجناس هذا الاحسان فضلا عن أنواعه وأفراده . ويكفى أن من بعض أنواع هذا الاحسان : نعمة النفس التى لاتكاد تخطر ببال العبد . فان لله على العبد فى كل يوم وليلة أربعة وعشرين ألف نعمة ، فانه يتنفس فى اليوم والليلة أربعة وعشرين ألف نفس . فاذا كان أدنى نعمة لله سبحانه فى كل يوم وليلة أربعة وعشرين ألفاً . فما الظن بما فوق ذلك وهو أعظم منه (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) هذا الى ما يصرف عنه من المضرات وأنواع الأذى . ولعلها توازن النعم فى الكثرة . والعبد لا شعور له بأكثرها . والله سبحانه يكلؤه منها بالليل والنهار (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ؟ بل هم عن ذكر ربهم معرضون) هذا مع غناه التام عنهم وفقرهم التام اليه . فانه غنى عن خلقه من كل وجه . وهم فقراء اليه من كل وجه . وفى بعض الآثار يقول الله تعالى « أنا الجواد ، ومن أعظم منى جوداً وكرماً ؟ أبيت أكلأ عبادى فى مضاجعهم وهم يبارزونى بالعظائم » وفى الترمذى أن النبي ﷺ « لما رأى السحاب قال : هذه

روايا الأرض يسوقها الله الى قوم لا يذكرونه ولا يعبدونه » وفي البخاري ومسلم أنه ﷺ قال « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ! إنهم ليجعلون له الولد . وهو يرزقهم ويعافيهم » وفي بعض الآثار يقول الله تعالى (ابن آدم ، خيري اليك نازل وشرك إليّ صاعد ، كم أتحبب اليك بالنعم وأنا غني عنك . وكم تتبغض إلي بالمعاصي وأنت فقير إلي ؟ ولا يزال الملك يعرج إلي منك بعمل قبيح) فمن الله سبحانه العطاء أولا وآخراً ، والاحسان ظاهراً و باطناً ، والعباد محل احسانه فقط ، ليس منهم شيء . إنما الفضل كله والنعمة كلها والاحسان كله منه أولا وآخراً . أعطى عبده ماله ، وقال : تقرب بهذا إليّ اقبله منك . فالعبد له ، والمال له ، والثواب منه . فهو المعطي أولا وآخراً . فكيف لا يحب من هذا شأنه ؟ و يتقرب اليه بالتوبة والانابة واسلام الوجه والقلب له لينال مغفرته ورحمه ويستديم بره وإحسانه وينال حسن المثوبة في الدنيا والآخرة . وينجو من شديد عقابه وأليم عذابه الذي ليس له دافع؟ وان الله تقرب الى عباده بواسع رحمته وعظيم عفوه ومغفرته ليحبوه أعظم المحبة وأخلصها ، وهي احد ركني العبادة : وركنها الثاني : الذل التام والخضوع الحقيقي لعظمته وكبريائه ، ولا تتحقق سعادة العبد وفلاحه وفوزه إلا باخلاص العبادة لربه سبحانه ، بركنيها : غاية الحب وغاية الذل . وغاية الذل انما تتحقق بالخوف والخشية المشار اليها بقوله (وان ربك لشديد العقاب) من أثر الايمان بأنه شديد العقاب وسريع الحساب ، وانه لا يغفل عما يعمل الظالمون ، ولا يضيع مثقال ذرة من عمل أي عامل ، وان كان يُغلّب رحمته وعفوه وكرمه على عقابه . فيجزي بالحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وبالسيئة مثلها وقد يعفو ويغفر . فهو سبحانه يتعرف الينا برحمته وعفوه لنرجوه فنسعى الى رضوانه ثم يتعرف الينا بأنه شديد العقاب ، وأن عذابه أليم ، ليحول بيننا وبين التهاون بحقوقه فنركن الى عدونا وعدوه ونتحاز اليه والى حزبه فنكون من الخاسرين . فقد جعل سبحانه هاتين الصفتين كالميزان الدقيق يجعل المؤمن نفسه بين كفتيه بغاية الدقة ، بحيث لا يغلب احداهما على

الأخرى فيتعرض للتلف والهلاك ، فهو دائماً يمشي بين الخوف والرجاء ، ليتخذ منهما جناحين يطير بهما الى جنة الله ورضوانه . ومن حافظ على التوازن بينهما ودقة مراعاته لكل واحد كان من الذين أوتوا الحكمة والخير الكثير وفاز بسعادة الدنيا والآخرة . وملاحظة ذلك بالحكمة أمر يحتاج الى منتهى العناية . فلذلك أوضحهما الله تعالى فى كتابه أتم إيضاح وعرفهما أبين تعريف لتقوم الحجة للموفقين وعلى الظالمين لأنفسهم

قال تعالى فى سورة الأنعام (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) وقال فى آخرها (إن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) وفى سورة الاعراف (إن ربك لسريع العقاب، وانه لغفور رحيم) وفى سورة السجدة (مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) وفى سورة غافر (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير)

وفى القرآن الكريم كثير جداً من الآى والسور الكاملة يقص الله فيها نبأ الأمم الخالية وما أوقع بهم من شديد عقابه تذكرة وعبرة للامم الحاضرة والمستقبلة وتحذيراً لها من أن تسلك بنفسها سبيل الهلاك والشقاء وقد قطع الله العذر وأقام الحجة . قال الله تعالى فى سورة الاعراف (وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون . ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ؟ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ؟ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) . نسأل الله العافية من عذابه وأليم عقابه . وأن يجعلنا من المؤتسين بسيد أنبيائه وصفوة رسله ﷺ تسليما كثيراً .

محمد حامد الفقى

أحاديث الأحكام

٧٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً ، فأشكل عليه : أخرج منه شيء أم لا ؟ فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً » رواه مسلم

قال أبو طاهر - عفا الله عنهما - : روى احمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن سعيد بن المسيب وعن عباد بن تميم عن عمه « أنه شكا - وفي مسلم شكي . بضم الشين مبنياً للمفعول - الى رسول الله ﷺ الرجل الذي يخيل اليه أنه يجد الشيء في الصلاة . فقال : لا ينفتل - أو لا ينصرف - حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً »

ولفظ أبي داود عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « إذا كان أحدكم في الصلاة فوجد حركة في دبره : أحدث أو لم يحدث؟ فأشكل عليه فلا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحاً » وعند الترمذي « إذا كان أحدكم في المسجد فوجد ريحاً بين أليتيه فلا يخرج حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً » قال الترمذي : وفي الباب عن عبد الله ابن زيد - يعني عم عباد بن تميم ، الذي رواه البخاري ومسلم - وعلي بن طلق وعائشة وابن عباس وابن مسعود وأبي سعيد . قال أبو عيسى : وهو قول العلماء : أنه لا يجب عليه الوضوء إلا من حدث يسمع صوتاً أو يجد ريحاً . وقال عبد الله بن المبارك : إذا شك في الحدث فإنه لا يجب عليه الوضوء حتى يستيقن استيقاناً يقدر أن يحلف عليه . وقال : إذا خرج من قبل المرأة الريح وجب عليها الوضوء . وهو قول الشافعي واسحق . انتهى كلام الترمذي : قال في شرح السنة : معناه : حتى

يتيقن الحدث ، لا أن سماع الصوت أو وجدان الريح شرط . وقال ابن دقيق العيد في الامام : وفيه دليل على أن اليقين لايزول بالشك في شيء من أمر الشرع ، وهو قول عامة أهل العلم . اه

وقال النووي في شرح مسلم : وهذا الحديث أصل من أصول الاسلام ، وقاعدة عظيمة من قواعد الفقه . وهي أن الأشياء يحكم ببقائها على أصولها حتى يتيقن خلاف ذلك ؛ ولا يضر الشك الطارىء عليها . فمن ذلك مسئلة الباب التي ورد فيها الحديث وهي أن من تيقن الطهارة وشك في الحدث حكم ببقائه على الطهارة . ولا فرق بين حصول هذا الشك في نفس الصلاة أو حصوله خارج الصلاة . هذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء من السلف والخلف . ثم قال : ومن مسائل القاعدة المذكورة : أن من شك في طلاق زوجته أو عتق عبده أو نجاسة الماء الطاهر ، أو طهارة النجس ، أو نجاسة الثوب أو الطعام أو غيره ، أو أنه صلى ثلاث ركعات أو اربعاً ؛ أو أنه ركع وسجد أم لا ؛ أو أنه نوى الصوم أو الصلاة أو الوضوء ، أو الاعتكاف وهو في أثناء هذه العبادات وما أشبه هذه الأمثلة : فكل هذه الشكوك لاتأثير لها . والأصل عدم هذا الحادث اه وقد أطال النووي القول في فروع هذه المسألة في باب الشك في نجاسة الماء والتحري فيه من كتاب المجموع شرح المهذب (ج١ ص١٦٧ـ ٢١٤) قال في اثنائه : قال امام الحرمين : مايتردد في طهارته ونجاسته ـ مما أصله الطهارة ـ ثلاثة اقسام . احدها : مايغلب على الظن طهارته . فالوجه الأخذ بطهارته . ولو أراد الانسان طلب يقين الطهارة فلا حرج بشرط ان لاينتهي الى الوسواس الذي ينكد عيشه ويكدر عليه وظائف العبادات . فان المنتهي الى ذلك خارج عن مسالك السلف الصالحين . قال : والوسوسة مصدرها الجهل بمسالك الشريعة ، أو نقصان في غريزة العقل ؛ القسم الثاني : ماستوى في طهارته ونجاسته التقديران فيجوز الأخذ بطهارته ، ولو تركه الانسان كان محتاطا ، الثالث : مايغلب على الظن نجاسته ففيه قولان للشافعي أحدهما : طهارته ، والثاني : نجاسته . قال النووي : هذا الذي اطلقه

من القوابن ليس على اطلاقه ، بل هو على ماسبق تفصيله ، والله اعلم . قال النووى اعلم ان للشيخ أبى محمد الجوينى كتاب التبصرة فى الوسوسة ـ وهو كتاب نافع كثير النفائس : واشتد انكار الشيخ فى كتابه هذا على من لا يلبس ثوبا جديداً حتى يغسله ، لما يقع ممن يعانى قصر الثياب وتجفيفها وطيها من التساهل وابقائها وهى رطبة على الأرض النجسة ومباشرتها لما يغلب على القلب نجاسته . ولا يغسل بعد ذلك وهذه طريقة الحرورية الخوارج ؛ ابتلوا بالغلو فى غير موضعه، و بالتساهل فى موضع الاحتياط وقال : ومن سلك ذلك فكأنه يعترض على أفعال الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وسائر المسلمين . فانهم كانوا يلبسون الثياب الجديدة قبل غسلها وحال الثياب فى ذلك فى أعصارهم كحالها فى عصرنا بلا شك . ثم قال : قال أبو محمد فى التبصرة : نبغ قوم يغسلون أفواههم إذا أكلوا خبزاً ، ويقولون : الحنطة تداس بالبقر وهى تبول وتروث فى المداسة أياماً طويلة ؛ ولا يكاد يخلو طحين ذلك عن نجاسة . قال : وهذا مذهب أهل الغلو والخروج عن عادة السلف، فانا نعلم ان الناس فى الأعصار السالفة مازالوا يدوسون بالبقر كما يفعل أهل هذا العصر . وما نقل عن النبى ﷺ والصحابة والتابعين وسائر ذوى التقوى والورع أنهم رأوا غسل الفم من ذلك . ثم قال : قال الشيخ أبو محمد فى التبصرة : لو أصاب ثوبه أو غيره شىء من لعاب الخيل والبغال والحمير وعرقها جازت صلاته فيه . لأنها وإن كانت لاتزال تتمرغ فى الأمكنة النجسة وتحك بأفواهها قوائمها التى لا تخلو من النجاسة فإنا لانتيقن نجاسة عرقها ولعابها ؛ لأنها تخوض الماء الكثير وتكرع فيه كثيراً فغلبنا أصل الطهارة فى لعابها وعرقها . قال : ولم يزل رسول الله ﷺ وأصحابه وسائر المسلمين بعدهم يركبون الخيل والبغل والحمير فى الجهاد والحج وسائر الأسفار ولا يكاد الراكب فى مثل ذلك يسلم عن أن يصيبه شىء من عرقها أو لعابها ، وكانوا يصلون فى ثيابهم التى ركبوا فيها ، ولم يعدوا للركوب ثوباً وللصلاة ثوباً . والله أعلم اه

وقال الشيخ الامام ابن القيم رحمه الله في كتاب اغاثة اللهفان في رده على الموسوسين فيما زين لهم الشيطان وكادهم به من الوسواس — وهو باب عظيم (ج ١ ص ١٣٦ ١٨٢) قال في أثنائه ومن ذلك الوسواس في انتقاض الطهارة لا يلتفت اليه . ثم ساق حديث أبي هريرة من صحيح مسلم وحديث عبدالله بن زيد عم عباد ابن تميم من الصحيحين . ثم قال : وفي المسند وسنن أبي داود عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه : ان رسول الله ﷺ قال « ان الشيطان يأتى أحدكم وهو في الصلاة فيأخذ بشعرة من دبره فيمدها ، فيرى أنه قد أحدث . فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً » ولفظ أبي داود « إذا أتى الشيطان أحدكم فقال له : انك قد أحدثت ؛ فليقل له : كذبت ، إلا ماوجد ريحاً بأنفه ، أو سمع صوتاً بأذنه » فأمر عليه الصلاة والسلام بتكذيب الشيطان فيما يحتمل صدقه فيه ، فكيف إذا كان كذبه معلوما متيقناً ؟ كقوله الموسوس : لم تفعل كذا وقد فعله قال الشيخ أبو محمد المقدسى : ويستحب للانسان أن ينضح فرجه وسراويله بالماء اذا بال ، ليدفع عن نفسه الوسوسة ، فمتى وجد بللا قال : هذا من الماء الذى نضحته ، لما روى أبو داود باسناده عن سفيان بن الحكم الثقفى ، أو الحكم بن سفيان قال « كان النبى ﷺ إذا بال توضأ وينتضح) وفي رواية (رأيت رسول الله ﷺ بال ثم نضح على فرجه) وكان ابن عمر ينضح فرجه حتى يبل سراويله . وشكا الى الامام احمد بعض أصحابه أنه يجد البلل بعد الوضوء ، فأمره أن ينضح فرجه إذا بال . قال : ولا تجعل ذلك من همتك واله عنه . وسئل الحسن - أو غيره - عن مثل هذا . فقال : اله عنه : فأعاد عليه المسألة . فقال : أتستدره لا أب لك ؟ اله عنه اه

قال أبو طاهر - عفا الله عنهما - وهذه الأحاديث وغيرها مما يأتى في المستحاضة وأنها تطرح الشك وتبنى على ماتستيقن ، وفي الصلاة وأن الشاك في عدد الركعات يطرح الشك ويبنى على ما استيقن - تدل على القاعدة المهمة التى هى اليسر كل اليسر

والرحمة كل الرحمة . وهى ان الاسلام وعباداته وأحكامه انما تبنى على اليقين لا على الشك والظنون . وقد ذم الله تعالى الكافرين بانهم يتبعون الظن . وان الظن لايغنى من الحق شيئا . ولكن جهل أكثر الناس — مع الأسف الشديد — هذه القاعدة كما جهلوا غيرها كثيراً من شرائع الاسلام الحقيقية وأحكامه . بما أهملوا من نصوص الكتاب والسنة واستبدلوا مكانهما الآراء واختلاف فلان مع فلان وقال فلان ومذهب فلان حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا . وقد كادهم الشيطان فى هذا الباب كيداً عظيما حتى زين لهم أن يحرموا ما أحل الله من المطاعم والمشارب والملابس (افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) والأصل فى هذا الباب قول الله تعالى (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فالقرآن يدل على أن كل شىء من الأرض حلال طاهر طيب الا ماورد النص عن الله ورسوله فى نجاسته أو تحريمه . فلما ظفر منهم الشيطان بذلك باسم التورع والاحتياط — كاد لهم فى العبادات أن يتساهلوا فيها أى تساهل ، وأن يعملوا فيها بكل ما تهوى الأنفس وما تستحسنه الآراء ، فأوحى اليهم من ذلك ما صارت به العبادة هزءاً وسخرية ، فأصبح أخلص العبادات موجها إلى المشايخ أحياء وأمواتا ، ولا يتقرب إلى الله إلا بالقشور بل وبالفاحشة واللهو واللعب . وكل ذلك لترك القاعدة الأصلية وهى « إن العبادات محظورة كلها ممنوعة ، مسدودة دونها أبواب القبول ، ولا تفتح لها أبواب السماء إلا إذا رضيها الله لعباده وأوحى بها إلى نبيه ﷺ ونقلها العدول الثقات نقلا يوجب اليقين التام ويقطع دابر الشك والظن »

وانما أُتى الناس من قِبل جهلهم ، وانطماس نور العلم من قلوبهم ، فلما أحاطت بهم ظلمات الجهل صادهم الشيطان من طريق الغلو والتنطع فى الدين ، ثم من طريق البدع والخرافات ، فانا لله وإنا اليه راجعون ؟؟

محمد حامد الفقى

التمسك بالسنة

هو السبب الوحيد للنجاة من فساد هذا الزمان

للشيخ الصالح عبد المحسن بن عبيد العبد المحسن من طلبة العلم ببريدة من مدن نجد

السنة لغة الطريقة والسيرة ؛ وشرعا ما نقل عن رسول الله ﷺ قولا أو فعلا أو اقرارا على فعل . وهي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ؛ لاسيما الخلفاء الراشدين قولا وعملا واعتقاداً ، مما يتعلق بالاعتقاد واصول الدين وفروعه كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد الى آخر مايذكره من صنف من العلماء في السنة كأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم ؛ كالدارقطني والدارمي وعبد الرزاق الصنعاني وسعيد بن منصور الخراساني وامثال هؤلاء مما يعسر استقصاؤه . وهذه هي السنة الكاملة الشاملة التي يشملها ماجاء في الحث على التمسك بها وما جاء في مدحها ومدح من تمسك بها عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين رضى الله عنهم أجمعين ؛ وما أوصى به أهل الاستقامة بعدهم من أئمة الدين والعلماء العاملين الذين قضوا بالحق و به يعدلون . لكن لما حدثت البدع وأهلها وانتشر الضلال في هذه الأمة في الاعتقاد، ولما حدث التفرق والاختلاف الذى أخبر به الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى صارت السنة في عرف أكثر المتأخرين من العلماء مخصوصاً بما يتعلق بالاعتقاد لأنها أصول الدين والمخالف فيها على خطر عظيم وإلا فالسنة أعم من ذلك وأشمل ، حتى في دقائق الأمور ، كآداب التخلي. فانه يجمع سنناً كثيرة وآدابا عن النبي صلى الله عليه وسلم أمراً ونهياً وفعلا واقراراً فان ذلك مطلوب فيه العمل بسنة رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم وأبي داود والترمذي عن عبد الرحمن بن يزيد قال « قيل لسلمان رضى الله عنه : قد علمكم

نبيكم كل شيء حتى الخراءة ؟ فقال سلمان : أجل . نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، أو أن نستنجي باليمين ، أو أن يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن يستنجي برجيع أو بعظم ، ولهذا اختص من تحلى بها بتسميتهم بأهل السنة والجماعة وبالفرقة الناجية ، وبالسواد الأعظم . وكذا اذا أطلق السلف في عرف أهل العلم انصرف الى العاملين بالسنن المأثورة عن رسول الله ﷺ ، المتحرين لها من مظانها الذين لا يعدلون عنها الى غيرها مهما كان القائلون والعاملون .

فأهل السنة والجماعة هم الذين وقفوا عند نصوص الكتاب والسنة وساروا عليها ، وباينوا جميع الفرق الضالة ، وأمروا الكتاب والسنة على أنفسهم قولا وفعلا واستغنوا بهما عن كل ما سواهما ودعوا الناس اليهما على بصيرة من الله والاخلاص لوجهه فهم بحبل الله جميعا معتصمون ، وبهدى رسوله آخذون . وعليه مقتصرون . وبالعروة الوثقى مستمسكون بين أهل الافراط والتفريط . وبين أهل التشبيه والتمثيل وبين أهل الالحاد والتعطيل في سائر أبواب السنة متوسطون قد تغربوا عن أنفسهم وعن الخلق وهاجروا بقلوبهم الى الله مولاهم الحق ، والى الدار الآخرة

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : السنة الكاملة هي الطريقة السالمة من الشبهات والشهوات . كما قال الحسن ويونس بن عبيد وسفيان والفضيل وغيرهم . وقد وردت الأحاديث والآثار عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم باحسان بالحث على التمسك بالسنة وفضلها ، وفضل أهلها . لاسيما عند فساد الزمان وظهور البدع .

فمن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . فقلنا : يارسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليك عبد - وفي رواية : وان كان عبداً حبشياً - فانه من يعش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين - وفي رواية المهديين - تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور . فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

وفى رواية : وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة » رواه احمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة

وفى الموطأ مرسلا عن النبى ﷺ « تركت فيكم لن تضلوا ما استمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله »

وعن عمرو بن عوف رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لبلال بن الحارث يوما « اعلم يابلال . قال : ماأعلم يارسول الله ؟ قال : اعلم أن من أحيا سنة من سنتى أميتت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا . ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لاينقص ذلك من أوزار الناس شيئا » رواه الترمذى وابن ماجه

وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه « انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » رواه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة وغيره

وعن جبير بن مطعم قال « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالجحفة فقال أليس تشهدون أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله ، وأن القرآن جاء من عند الله ؟ قلنا : بلى . قال : فابشروا فان هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به . فانكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً » رواه الطبرانى والبزار

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد » رواه البيهقى ورواه الطبرانى من حديث أبى هريرة إلا أنه قال « فله أجر شهيد »

وعن أنس مرفوعا « من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة » رواه الترمذى ورواه البيهقى عن مالك قال « كان عمر بن عبد العزيز يقول : سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله . من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر

بها فهو منصور . ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين والله تعالى يقول (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)

وعن ابراهيم النخعى قال «أرسل عمر بن الخطاب الى ابن عباس رضى الله عنهما فقال : كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد ونبيها واحد ، وقبلتها واحدة ؟ فقال ابن عباس : ياأمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم نزل ، فيكون لكل قوم فيه رأى . فاذا كان لكل قوم فيه رأى اختلفوا فاذا اختلفوا اقتتلوا » رواه سعيد بن منصور فى سننه

وعن العلاء بن المسيب عن أبيه قال : قال عبد الله « إنا نقتدى ولا نبتدى ، ونتبع ولا نبتدع . ولن نضل ماتمسكنا بالأثر » وعن ابن مسعود وأبى ذر رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ « من ورائكم ايام صُبر فالمتمسك بما انتم عليه له أجر خمسين . قالوا : يارسول الله منا او منهم ؟ قال : منكم »

وفى المسند عن معاوية رضى الله عنه قال « قام فينا رسول الله ﷺ فقال : ألا إن من كان قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ؛ اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة » وفى رواية قال « من كان على مثل ما انا عليه واصحابى »

وهذا حديث عظيم ورد بألفاظ وطرق يقوى بعضها بعضاً عند احمد والترمذى وابى داود . وكذا عند النسائى وابن ماجه والحاكم من طرق كثيرة جداً ، عن غير واحد من الصحابة ، كمعاوية وأبى هريرة وابن عمرو وعوف بن مالك وأنس بن مالك وغيرهم

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه « انه خطب بالجابية فقال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة » وفى رواية « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة »

وفى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « انكم

فى زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك وعوقب عليه . ثم يأتى زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا »

وفى المسند وسنن أبى داود عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ « من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » وعن عرفجة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يد الله مع الجماعة ، والشيطان من يخالف الجماعة » وعن اسامة بن شريك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يد الله على الجماعة ، فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله لا يجمع أمتى على ضلالة ويد الله على الجماعة . ومن شذ شذ فى النار » رواه الترمذى وقد تقدم تفسيره قبل ذلك

وعن أبى العالية قال : قال أبى بن كعب « عليكم بالسبيل والسنة . فانه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمة ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار ، وان اقتصاداً فى سبيل وسنة خير من اجتهاد فى بدعة »

وقال أبو العالية رحمه الله تعالى « تعلموا الاسلام فاذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه عليكم بالصراط المستقيم فانه الاسلام . ولا تنحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالا . عليكم بسنة نبيكم . وإياكم وهذه الأهواء »

وقال أبو عثمان الحيرى « الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة . والصحبة مع الرسول ﷺ باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم »

وقال أبو العباس احمد بن سهل بن عطاء « من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة . ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب فى أوامره وأفعاله وأخلاقه »

وعن أبى بكر الطمستانى أنه قال « الطريق واضح والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا . وفضل الصحابة معلوم لسبقهم الى الهجرة ولصحبتهم . فمن صحب هذا الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه وعن الخلق وهاجر الى الله بقلبه فهو الصادق

المصيب » وقال أبو حفص النيسابورى « أحسن مايتوسل به العبد الى مولاه دوام الفقر اليه على جميع الأحوال ، وملازمة السنة فى جميع الأفعال . وطلب القوت من وجهه الحلال »

وفى الحليه لأبى نعيم عن سهل بن عبد الله قال « أصولنا ستة أشياء : التمسك بكتاب الله ، والاقتداء بسنة رسول الله ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، وأداء الحقوق » وقال ابن وهب « كنا عند مالك بن أنس رضى الله عنه نتذاكر السنة . فقال مالك : السنة سفينة نوح عليه السلام ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق »

وتتبع ماجاء فى وصف السنة وأهلها والحث على التمسك بها يطول جداً . وما أحسن ماذكر الامام شمس الدين ابن القيم فى المدارج حيث قال : لله على كل قلب هجرتان ، وهو فرض لازم له على الأنفاس : هجرة الى الله بالتوحيد والاخلاص والانابة ، والحب والخوف والرجاء والعبودية . وهجرة الى رسوله ﷺ بالتحكيم له والتسليم والتفويض ، والانقياد لحكمه وتلقى أحكام الظاهر والباطن من مشكاته فيكون تعبده به أعظم من تعبد الركب بالدليل الماهر فى ظلم الليل ومتاهات الطرق . فما لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان فليحث على رأسه الرماد ، وليراجع الايمان من أصله فيرجع وراءه ليقتبس نوراً قبل أن يحال بينه و بينه و يقال له ذلك على الصراط من وراء السور . انتهى كلامه رحمه الله .

فأهل هاتين الهجرتين هم الذين سبقت لهم من الله السعادة ، وزكت أعمالهم ، وعمرت بطاعة الله أبدانهم ، ونبتت على أكل الحلال لحومهم ، فإن من أهم الأمور على السالك النظر فيما يدخل فى بطنه من مأكل ومشرب ، وما يوارى به بدنه من ملبس ، وما يعف به فرجه ويحفظ به نظره من منكح . فان أحكم ذلك لاسيما فى هذا الزمان الذى لايخفى أمره على من وفقه الله ، فلتهنه السلامة وليبشر بالفوز والكرامة .

الإيمان والثقة بالله والصبر

أقوى أسباب النصر

لفضيلة الشيخ محمد محيي الدين أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بالسودان

قال الله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين . واذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون . وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ، إن أولياؤه إلا المتقون)

لقد كان من العجب العاجب أن تقوم قريش فى وجه صاحب الدعوة الاسلامية ﷺ وهم أهله وعشيرته وذوو قرباه ، وأحق الناس بالانتصار له ، والذياد عنه إن اعتدى عليه أحد ، كان عجيباً حقا أن يقوم هؤلاء بالتأليب عليه وتنفير الناس منه ، وهم أولو العصبية وأصحاب الحمية التى ترى أنه لا وجود للقبيلة مالم يأخذ كل واحد منها بنصرة أخيه على من يعترض له ، ويضحى فى سبيل ذلك بالنفس والمال إن اقتضى الأمر هذه التضحية

وكان عجيبا أبلغ العجب ان تتمادى فى مساءته ، وتبذل فى سبيل ذلك الجهود الجبارة . ثم لا تكتفى بالسخرية منه وممن اتبعه ، ولا بتهديده وتهديد قرابته الأدنين بالمقاطعة والحرمان من الطعام والشراب ، ولا بما فعلته من تشريد أنصاره عن أوطانهم ، وإصابتهم فى انفسهم وفى اموالهم . وكان اعجب من هذا كله ان يصبر ﷺ على اذاهم و يأمر اصحابه بالصبر ، ويزيد فى سماحة الخلق وكرم النفس ، فيدعو الله ان يهديهم ويوفقهم الى الاستجابة له ؛ لأنه يحب لهم الخير ، ويعلم أن الخير فى اتباع هذا

الدين الذى جاء به من عند الله . ولو كان محمد — صلوات الله وسلامه عليه — رجلا كعامة الرجال لأشفق على نفسه وعلى أصحابه الذين اتبعوه وعلى أعمامه الذين أخذوا أنفسهم بالانتصار له ، وإن لم يتركوا دين آبائهم إلى دينه . ولخاف على نفسه وعلى هؤلاء وهؤلاء لجاجة قريش فى اذاهم وافتنانها فى التنكيل بهم . ولكنه كان رجلا عظيم الثقة بأنه على حق يجب ان يخضع له البشر جميعا . قوى الايمان بأنه ليس ساحراً ولا كاهناً ولا شاعراً ولا اعتراه بعض آلهة قومه بسوء — كما كانوا يقولون عنه — وأنه لايتلقى هذا الوحى من الجن كما كان الكهان ولا يتعلمه عن بشر كما زعم قادة الاجرام ولكنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبه لينذر به قوما لدا . وكان مع هذا كله لايشك فى أن الله متم نوره . ومكمل به ما أراد للعالم من الصلاح والسعادة . لذلك لم تهن عزيمته . ولم تضعف قوته ، ولم تفت فى عضده الاحداث. بل كان كلما زادت قريش وأحلافها فى أذاه والنكاية به محاولين صده عن سبيل ربه زاد هو مضاء فى دعوته واستهانة بما يلقاه منهم بل كان ذلك أحلى فى قلبه وأعذب أن يصبر لله ، ويصابر فى اعلاء كلمة الله ، ويرفع لواء الحق الذى أحبه الله ، ويزهق الباطل الذى يبغضه الله . ولو كان محمد — صلوات الله عليه — رجلا كعامة الرجال لملأ قلبه اليأس، فانصرف عن هذه الدعوة وألقى حملها عن ظهره ، فقد لبث فى قومه ثلاثة عشر سنة يدعو و يلح فى دعوته . وينذر ويبالغ فى انذاره فلم يستجب له إلا نفر قليل ليس فيهم صناديد قريش الذين تقتفى العامة آثارهم وتسير على مايرسمون لها من طريق . وهؤلاء الذين آمنوا معه ليس فى استطاعتهم أن يدفعوا عنه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم . إذا أرادهم القوم بالسوء . ولكن كيف يطرق اليأس نفسه، وهى النفس المملوءة يقينا بأن الله غالب على أمره . والمفعمة ثقة بأن للحق يوما يظهر فيه على الباطل فيدمغه . وإذا كان أهل مكة لم يستجيبوا له ، فلماذا لا يطلب النصر عند غيرهم ممن لايكون قد ملىء حقداً وحسداً ، ولا يكون فيه من الغرور والكبر ما عند أهل مكة ، وليس له من الرياسة الزائفة ما يحرص عليه أهل مكة الذين

كانوا يزعموا أنهم سادات الداعين ، وهم فى خوف أن تقضى هذه الدعوة الجديدة على رياستهم التى لا تعتمد إلا على الغرور والباطل .

ويبدو له هـذا الخاطر - خاطر أن يعرض على غير قريش من قبائل العرب دعوته التى بعثه الله بها رحمة للعالمين وهاديا إلى سبل السلام وليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومبشراً بما يستقبل الجزيرة من الفلج والغلبة . بل بما يستقبل الانسانية جمعاء من السعادة والرخاء - اذا هم اتبعوه - وسرعان ما يأخذ فى امضاء هـذا الخاطر . وكيف يتوانى ويتردد فى امضائه ؟ . أليس هو رسول الله إلى الناس كافة؟ أليس هو النور الذى حمل سراجه المنير نازلا من السماء لهداية البشر أجمعين ؟ إذن فما باله لا يعرضه لأعين الناس جميعا ، ويوجهه إلى قلوب الناس جميعا ليهتدى به من لم يصب عينه عشى الكبر والحسد ومن لم يطبع الله على قلبه ، وكيف يتوانى ويتردد فى امضائه ! أليس هؤلاء الذين حرص على ان يكونوا أول حملة هـذا السراج قد خيبوا ظنه وضيعوا الكثير من آماله ؟ فما باله إذن يؤثرهم ويقصر عليهم دعوته ؟ .

هاهو ذا يمضى إلى الطائف حيث تقيم ثقيف . وهاهو ذا يجدُّ فى البحث عن سادة ثقيف وأشرافهم وأهل الرأى فيهم ، حتى يجد ثلاثة اخوة ، هم يومئذ قادة القوم وأصحاب السلطان فيهم وهم عبدياليل ، ومسعود ، وحبيب أبناء عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن ثقيف وهاهو ذا يجلس إليهم فيدعوهم إلى الله ويكلمهم بما عنده ، ويطلب إليهم نصرته والقيام معه على من خالفه من قومه . فيواجهونه بما لا يحب فيقول له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . ويقول الآخر أما وجد الله أحداً غيرك يرسله ؟ ويقول الثالث : والله لا أكلمك أبداً . لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن ارد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب على الله فينبغى أن لا أكلمك . فاذا يئس منهم ولم تبد له لائحة خير فيهم قال لهم : « أما اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى » . يريد ألا يبلغ خبره قريشا فيعلموا هذه الخطة الجديدة فيأخذوا عليه افواه الطرق ويغلقوا دونه قلوب الناس .

ولم يكن عند ثقيف بقية من كرم الخلق . فلم يقبلوا منه ما جاءهم به ولم تطب أنفسهم بالكتمان عنه بل اغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويحصبونه بالحصى ، حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة . وهما جالسان فيه . فعمد إلى ظل كرمة فجلس فيه ، وأبناء ربيعة ينظران اليه ويريان مايلقى من سفهاء ثقيف . حتى إذا اطمأن فى مجلسه وتفرق عنه هؤلاء الأوشاب أخذ يناجى ربه . « اللهم اليك اشكو ضعف قوتى . وقلة حيلتى . وهوانى على الناس. يا أرحم الراحمين. انت رب المستضعفين . وانت ربى . إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أو إلى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى . ولكن عافيتك هى اوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله » . وأتى كندة فى منازلهم فدعاهم إلى الله عزوجل وعرض عليهم نفسه . فأبوا عليه . وأتى بطنا من بنى كلب يقال لهم بنو عبدالله . فعرض عليهم نفسه فلم يقبلوا منه وأتى بنى حنيفة فدعاهم إلى الله فلم يكن أحد اقبح عليه رداً منهم .

اللهم غفراً . هذا محمد رسولك وصفوتك من خلقك والداعى الى صراطك المستقيم وسبيلك الذى رضيته لخلقك يبذل من نفسه كل جهد ولا يألو فى اعلان ما أرسلته به ، ولا يجد ناصرا ولا يلقى معينا ؟ . هؤلاء أقاربه قطعوا أواصر القربى ومزقوا كل وشائج الرحم وهلهلوا العواطف التى من شأنها عندهم وعند غيرهم ان تصل فيما بين الناس . وهؤلاء الأباعد يتجهمونه ويغرون به السفهاء والعبيد يصيحون به ويرجمونه بالأحجار ولا يرضون منه بما يرضى به أقل العرب استمساكا بأحسن الأخلاق ان يكتموا عنه ما افضى به اليهم من دخيلة نفسه . وهو مع كل هذه البلايا التى تكفى واحدة منها لزعزعة رواسى الجبال ـ صابر مطمئن النفس عالم انه ما جاء أحد بمثل ما جاء به الا عودى وأوذى واثق ان العاقبة للمتقين . وليس يخاف شيئاً

إلا أن يكون بك غضب عليه . فمفوك اللهم ورضاك وتأييدك انه لامعين له سواك

وتعلم قريش بما كان منه وما كان من ثقيف وكندة وبنى حنيفة فيعلمون انه فكر فى الانتصار عليهم بقبائل العرب وانه أخذ لذلك أهبته . فيحذر بعضهم بعضا ويتنادرون فيما بينهم فصاحة لسانه وشدة أسر بيانه . وما يكون لذلك ولغيره من خلال الخير التى جبله الله عليه من التأثير على الناس حتى ائتمروا فيما بينهم الا يتركوه يلقى أحداً ممن يفد على مكة لزيارة البيت الحرام الا حذروه أمره ، ودسوا له ليجنبوه فيما زعموا الخديعة به . فكانوا لا يسمعون بقادم الا تعرضوا له فقالوا: انك قد قدمت بلادنا . وقد ظهر بيننا رجل اعضل بنا وفرق جماعتنا وشتت أمرنا . وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجه . وانا نخشى عليك وعلى قومك ماقد دخل علينا فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئاً . وربما كثر الوافدون على مكة كما يكون فى موسم الحج . فلم يستطيعوا أن يتحدثوا الى الوافدين جميعا . فامكنت رسول الله ﷺ الفرصة فاستطاع ان يلتقى بقوم من الوافدين وان يعرض عليهم ما عنده . فما هو الا أن يأخذ فى الحديث اليوم حتى يكون الأمر قد بلغ قريشا فتراهم مسرعين اليه يفسدون عليه أمره . حدث عبدالله بن عبيدالله بن عباس : « انى لغلام شاب مع أبى بمنى . ورسول الله ﷺ يقف على منازل من العرب فيقول : يابنى فلان . انى رسول الله اليكم . يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد . وأن تؤمنوا وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به . قال : وخلفه رجل احول وضيء له غديرتان وعليه حلة عدنية . فاذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا اليه قال ذلك الرجل : يابنى فلان . ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم . وتسلخوا حلفاءكم من الجن من بنى مالك بن اقيش . الى ما جاء به من البدعة والضلالة . فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . قال عبدالله: فقلت لأبى:

يا أبت ، من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول فقال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، وهو أبو لهب » .

ولكن عين العناية تلاحظه فى خطواته كلها ، وقد كفل الله له أن يعصمه من الناس ، وعنده من اليقين وقوة الارادة وصادق المعرفة بأنه اذا عز المطلب هانت التضحية فى سبيله ، فهو لا يبالى محاولة أعداء الحق فى اطفاء نوره ، ولا يعبأ بما يلاقيه فى سبيل بلوغ غايته ، واذا أراد الله انفاذ أمر هيأ له أسبابه ، فسار فى الطريق الموصلة اليه فلم يعترضه من عقابيل الناس شىء مهما يحكموا أمرها ، فقد حدث فى السنين الأخيرة من مقامه بمكة أربع حوادث كانت لها الأثر الفعال فى عزة الاسلام والمسلمين ، أولها انه قدم مكة قوم من أهل المدينة من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ وأبو الحيسر أنس بن رافع يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فسمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس اليهم ، فقال لهم : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ فقالوا : وما ذاك قال : انا رسول الله ، بعثنى الى العباد ادعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وانزل على الكتاب ، ثم ذكر لهم الاسلام وقرأ عليهم القرآن ، فقال اياس بن معاذ أى قوم ، هذا والله خير مما جئتم له ، فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فيضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال : دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا ، فصمت اياس ، وقام رسول الله ﷺ عنهم ، وانصرفوا بعد ذلك الى المدينة ، ثم لم يلبث اياس بن معاذ ، ويحدث قومه انه حين حضرته الوفاة لم يزل يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فكان ذلك مبدأ لشعور أهل المدينة بالاسلام وبصاحب الدعوة اليه ، فلما كان موسم الحج حدثت الثانية ، وخلاصتها أن قوما من الخزرج خرجوا لزيارة بيت الله فعرض رسول الله نفسه عليهم فيما عرض على قبائل العرب ، ودعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال بعضهم لبعض : انه والله للنبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه ، فأجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم وقالوا له انا تركنا

قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم . فعسى أن يجمعهم الله بك : فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك وتعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك . فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الاسلام . ففشا فيهم حتى لم تبق دار من دور المدينة إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ . حتى إذا كان الموسم من قابل حدثت الثالثة فقدم مكة اثنا عشر رجلا من أهل المدينة من بنى النجار وبنى زريق بن عامر وبنى عوف بن الخزرج وبنى سالم بن عوف وبنى سلمة وبنى سواد بن غنم . وكل أولئك من الخزرج وبنى عبد الأشهل وبنى عمرو بن عوف وهما من الاوس فكانت بينه ﷺ وبين هؤلاء النفر بيعة العقبة الأولى . بايعهم فيها على ان لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم . ولا يعصونه فى معروف . فان وفوا بذلك فلهم الجنة . وان فعلوا من ذلك شيئاً فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفرلهم ، فلما اعتزموا الانصراف الى المدينة أرسل معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى . وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم فى الدين . فكان مصعب فى المدينة معلما لمن آمن بالله ورسوله . وكان مع ذلك داعية لمن لم يؤمن . فصدق فى الدعوة الى الله وأخلص فى النيابة عن رسول الله . فأسلم على يديه جماعة من أهل المدينة منهم سعد ابن معاذ وأسيد بن حضير . وهما يومئذ سيدا قومهما بنى عبد الأشهل . فلما خالطت حلاوة الايمان قلب سعد بن معاذ انطلق الى نادى قومه فلما وقف عليهم قال -

« يابنى عبد الأشهل . كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : - سيدنا . وأوصلنا . وأفضلنا رأيا . وأيمننا نقيبة . قال : فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . فلم يمس فى دور بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا دخل الايمان الى قلبه . فلما كانت الحجة القابلة حدثت الرابعة وهى بيعة العقبة الكبرى التى بايع النبى فيها أهل المدينة على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأعطاهم الرسول يده

على أن يقيم بين أظهرهم ولا يعود إلى الاقامة بين أهل مكة وان أظهره الله عليهم، وعلى أن ذمته ذمتهم وحرمته حرمتهم يحارب من حاربوا ويسالم من سالموا واعطوه العهد على أنهم وافون له على نهكة الأموال وقتل الاشراف » .

وتبلغ هذه الأخبار كلها قريشا فيهولها الأمر. ويفزعها أن يجد محمد والصباة من أصحابه أعوانا فى يثرب يصيبون بهم منعة إن يشاءوا. ثم تلك عليهم نواحي تفكيرهم أن يروا هؤلاء الصباة يتسللون الى اخوانهم فى يثرب . فيدعون الى اجماع عام فى دار الندوة يتشاورون فيما يأخذون وما يدعون من أمر هذا الذى أعياهم بصبره وحسن تجلده ويجتمعون فيكون منهم ماقص الله تعالى فى كتابه الكريم فى الآيات التى تلوت فى صدر هذا الكلام. اجتمعوا ليمكروا به . واختلفوا فيما يكون منهم ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

ووقع الذى حذروه وتخوفوا منه فخرج الرسول . وترك لهم البلد الحرام وهذا الحرم الآمن الذى أمن فيه كل شيء حتى الطير ولم يأمن فيه محمد ولا أصحاب محمد على أنفسهم ولا على أموالهم وهم أحق وأولى بهذا الأمن من كل أحد لأنه ﷺ انما جاءهم بأمن الدنيا والآخرة

وتحق على أهل هذه القرية الظالمى أهلها باخراجهم رسول الله وصحبه من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ـ تحق عليهم من بعد ذلك كلة العذاب . فما كان الله تعالى ليعذبهم والرسول بين ظهرانيهم ويسلط عليهم ضروبا من عذاب الدنيا اهونها عليهم أن يأذن لرسوله فى أن يقتلهم ويستبيح أموالهم (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم • ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) وأشدها ايلاما لهم وحزا فى نفوسهم أن تتناهى اليهم الأخبار يوما بعد يوم أن قبائل العرب تدخل فى دين الله أفواجا وأن أصحاب محمد الذى أخرجوه

وطردوه يؤثرونه على أنفسهم ويفدونه بالنفيسين الأهل والمال ، وأن أحدهم لا ينكل عن قتل أبيه في مرضاة الله ورسوله ، واثقا أنه لا يفعل غير الواجب عليه وأنه ما من أحد منهم إلا امتلأ قلبه إيثاراً لرسول الله ولما يحبه الله ويؤثره . حتى يقول له سعد بن معاذ يوم بدر وقد تهيئوا لقتال قريش « يانبي الله أنا نبني لك عريشاً تجلس فيه . ونعد لك ركائبك قريبا منه . ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا . وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا . فقد تخلف عنا أقوام يانبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك » وحتى يقول زيد بن الدثنة لأبي سفيان وقد قدموه ليقتل . قال أبو سفيان — انشدك الله يازيد . أتحب أن محمداً الآن عندنا في مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك ؟ فيقول زيد : والله ما أحب أن رسول الله الآن في مكانه الذي فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي . فقال أبو سفيان : — ما رأيت أحداً من الناس يحبه أصحابه مايحب أصحاب محمد محمداً . ثم قتلوا زيداً . وذلك خزى في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

أيها السادة — هذه حلقات بعضها آخذ برقاب بعض من صبره عليه الصلاة والسلام في سبيل الدعوة إلى الله وإعلاء كلمة الحق الذي آمن به واعتنقه وأخذ على نفسه أن يبلغه قومه . لا نريد بها أن نبلغ من لم تكن بلغته فانه لم يبق بعد أربعة عشر قرنا من لم يعلم ذلك جملة وتفصيلا . ولكننا نريد بها أن تنشط قلوب غفلت عن ذكر الحق والجهاد في سبيله . وأن تتعالى صيحات المؤمنين ليردوا إلى دينهم رواءه الذي عفت عليه السنون وعمل فيه كر الجديدين . ذاكرين أن الله نصر هذا الدين على يد رجل واحد وأنه صبر على الكيد والأذى فجزاه الله أحسن الجزاء وكتب له أفضل ما كتب لإخوانه النبيين .

حول كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى هرقل عظيم الروم

— ٤ —

نعود بقراء الهدى النبوى إلى تتمة شرح ذلك الكتاب الخالد الذى بعث به رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الاسلام

قال ﷺ بعد قوله : « فانى أدعوك بدعاية الاسلام الخ » « أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين » « أسلم » بقطع الهمزة المفتوحة وسكون السين وكسر اللام ، أمر من أسلم . « تسلم » بفتح الفاء واللام بينهما سين ساكنة ، مضارع من سلم ، ضد هلك ، وهو مجزوم فى جواب الأمر السابق عليه ، يقول له ﷺ أدخل فى دين الاسلام الذى بعثنى الله به بلسانك وقلبك وعملك بأن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأنى رسول الله ﷺ باطاعة ماجئت به من الأوامر واجتناب ما نهيت عنه بحيث يكون انقيادك لهذا الدين ظاهراً وباطناً ، تحل حلاله وتحرم حرامه ، ولا تفرق بين رسول ورسول ، واجعل هواك تابعا لما جئت به بحيث تخالف ما عليه قومك من أهل الكتاب الذين اتخذوا لله ولدا ، وكفروا بعيسى وامه سلكت الطريق الذى يوصلك إلى السلامة من عقاب الله الذى أعده لمن لم يسلم. ويطلق الاسلام ويراد به الاستسلام لله فى جميع الشئون ، ويطلق ويراد به الاركان الخمسة كما جاء فى حديث جبريل . وقد فسره بعض المفسرين بالشيئين فى قصة ذبح ابراهيم لولده اسماعيل فى قوله تعالى (فلما اسلما وتله للجبين) والأكثر على أن معناه أسلما أمرهما لله . وفوضاه اليه . واتفقا على التسابق والرضا بقضائه كما اختاره ابن جرير وغيره من أئمة التفسير وأما المراد به فى كلمة النبى ﷺ هنا فهو ما يراد

من الايمان ، وهو القول والعمل والاعتقاد ، فهو يطلب منه أن يكون عادلا فى أقواله . فلا يقول إلا الحق والصدق ، وفى عقائده فيعتقد الحق حقا والباطل باطلا ، وفى عباداته فلا يفعل من العبادات إلا ما شرعه الله تعالى من غير زيادة عليه ولا نقص فيه مع التزام الكيفية التى شرع بها العمل ان وجدت . وهذه الشروط الثلاثة التى أشرنا اليها هى شروط لتحقق كون العمل صالحا . وأن يعدل فى معاملاته مع الخلق ، فيحل ما أحله الله منها ويحرم ما حرمه. ويتقى ما اشتبه فيه. وبهذا يعلم أن قوله ﷺ أسلم تسلم ، من جوامع الكلم التى تشير إلى الدين كله جملة. فيترتب على امتثال الأمر أن يسلم من امتثله من فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة مع الفوز بأحسن الجزاء الخالد والنعيم المقيم فى الدار الآخرة

وقوله ﷺ « يؤتك الله أجرك مرتين » مجزوم كذلك بحذف الياء ، وهو إما بواو العطف المقدرة معطوفا على « تسلم » وإما بدل منه. لأن المراد بالسلامة مايشمل التمتع بما فى الدار الآخرة واستيفاء جزاء العمل مضاعفا. وقوله « مرتين » لايراد منه معنى التثنية. ولكنه اختصر عليها لأنها أول مراتب المضاعفة وإنما ضاعف الله تعالى الأجر لمؤمنى أهل الكتاب إذا آمنوا برسول الله ﷺ لأنهم استحقوا الأجر الأول من الأجرين بإيمانهم بنبيهم وكتابهم الذى كانوا عليه قبل أن تصلهم دعوة النبى ﷺ فاذا أضافوا إلى ايمانهم الأول ايمانهم برسول الله ﷺ واتباعه استحقوا أجراً آخر على هذا العمل الجديد وهذا موافق لقول الله عزوجل (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) فان المراد بقوله (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) هو كتاب النبى ﷺ الذى هو القرآن بقوله (انا كنا من قبله مسلمين) أى من قبل سماع كتاب محمد ﷺ وفى البخارى أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل آمن بى ثم آمن بنبيه قبلى، ورجل أدب أمته ثم اعتقها وتزوجها، وعبد أبق

من سيده ثم رجع اليه » أوقال نحو ذلك. وهـذا العدد المذكور فى الحديث لايراد به حصر من يؤتى أجره مرتين بدليل أن الله تعالى وعد من تقنت لله ورسوله وتعمل صالحا من نساء النبى ﷺ باعطائها أجرها مرتين

هـذا على فرض أن هرقل كان مؤمناً بعيسى أنه عبـدالله ورسوله . أما اذا كان كافرا مكذبا له مدعيا أنه ابن الله — وهذا هو الظاهر — فتكون مضاعفة الأجر له على اسلام الاريسين باسلامه بدليل المقابلة وهى قوله (وان توليت فعليـك إثم اليريسيين) أى عليك الاثم مرتين : اثمك واثم الاريسين والله أعلم

قوله صلى الله عليه وسلم (فان توليت فانـا عليك اثم الاريسيين بفتح الهمزة وكسر الراء ثم سين مكسورة بعدها ياء مشددة ثم ياء ساكنة ثم نون جمع اريسى بياء مشددة فى آخره وهو العامل الذى يعمل بالـكراء

وفى رواية أخرى (الأكارين) وفى أخرى (الفلاحين) والمراد به رعاياه كلهم من أهل مملـكته ، لأن عدم ايمانه كان سببا فى عدم ايمانهم ، من حيث إنهم مقلدون له فيما يعمل ويرى . وكما تقول الحكمة : الناس على دين ملوكهم ، وهذه القطعة من الحديث تدل على ان من تسبب لغيره من الذنب أو أعانه عليه أخذ بمثل وزره ، وهو موافق لما يـدل عليـه القرآن الـكريم والأحاديث الـكثيرة التى منها من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سنّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من اوزارهم شيئاً ، وأما الـكتاب فمنه ماقصه الله بين الاتباع والمتبوعين من المحاورة يوم القيامة فى سورة سبأ بقوله (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى

أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون) فان المراد بالذين استضعفوا الأتباع وبالذين استكبروا المتبوعون . وترى مثل هذا فى أواخر سورة الأحزاب (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً وفى آيات الاعراف من قوله تعالى (كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ومثله فى سورة غافر (واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار؟ قال الذين استكبروا انا كل فيها . ان الله قد حكم بين العباد) وأمثال ذلك فى القرآن كثير

فان قال قائل إن هذا معارض بقوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فى عدة آيات وبقوله (ولا تكسب كل نفس الا عليها وأمثال ذلك فى القرآن كثير ، فكيف يحمل عظيم الروم ذنب رعاياه مع ذنبه؟ قلنا: لا معارضة بين الآيات والأحاديث لأن ما فيها من حمل ذنب الغير انما يكون اذا تسبب للغير فيه ، أما اذا لم يكن لأحد دخل فى ذنب غيره فانه لا يحمل من ذنب ذلك الغير شيئاً فمعنى قوله عز وجل (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا سبب لها فيه أما اذا كانت متسببة للغير فيه فانها تحمل مثل ذنبه

* * *

فى ضمن ما اوردنا حديث « من سن سنة حسنة » وقد اشكل معنى هذا الحديث على بعض الناس فزعم ان السنة الحسنة هى ما يجىء به الانسان من عند نفسه حتى اجترأوا على القول بأن فى الدين بدعا حسنة ، وغفلوا عن ان الله تعالى لا يعطى الأجر الا على عمل شرعه وتركوا ترتب الأجر المذكور فى الحديث على سن السنة ، ولو عقلوا ان الثواب لا يترتب الا على العمل المشروع لتبين لهم فساد فهمهم وفساد ما بنوا عليه من وجود البدع الحسنة فى الدين. وخير ما يفسر به هذا الحديث ما جاء فى رواية أخرى لهذا الحديث من كلام النبى صلى الله عليه وسلم نفسه - وتفسير السنة بالسنة

مثل تفسير القرآن بالقرآن بهو طريق المحققين وسبيل المؤمنين ، فقد جاء في رواية الترمذي وغيره لهذا الحديث «من أحيا سنة من سنتي ماتت بعدي فله أجره وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء » فهذا هو المراد بالسنة الحسنة في الحديث الذي أوردناه لا ما يجيء به الانسان من عند نفسه، فان من شرع من عند نفسه فهو شر المفترين الذين عناهم الله تعالى بقوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم

والمراد بالسنة السيئة في هذا الحديث أن يبعث معصية قد أماتها الشرع بعد أن كانت فاشية في الناس أو يبعث بدعة كانت موجودة قبل مجيء الرسالة ثم بطلانها الدين أيضاً، كأن يعيد احياء الأعياد الجاهلية باسم الموالد لاحياء ذكرى الصالحين. وكأن يعيد عبادة الأوثان بعد ان أماتها الاسلام. وكأن يبيح الربا ويحمى المرابين وكأن يبيح الزنا ولا يقيم الحد عليه، أو غير ذلك من الفواحش والمنكرات التي أماتها الاسلام. وهذا الذي قلناه يجمع بين الأحاديث ويبين خطأ من زعم أن في الدين بدعا حسنة مما لم يقل به أحد من أهل الحق في صدر هذه الأمة من القرون الثلاثة الذين هم خير القرون والله الهادي إلى سواء السبيل

محمد محمد مخيمر

(للحديث بقية) الواعظ بالقاهرة

ـ الدنيا حلم والآخرة يقظة ، والموت متوسط ؛ من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر في العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم .

من صور الحياة المصرية

أعيان البلاد

هذه الطائفة هي العامود الفقرى في جسم الدولة فمنهم تجبى الضرائب لتمويل خزانتها وأبناؤهم حكامها وهم رؤساء عشائرهم وذوو الكلمة فيهم، منهم العمد والمشايخ ومنهم أعضاء مجالس المديريات ولجان الشياخات والمجالس المحلية ومن أغلبيتهم الساحقة يتكون البرلمان بمجلسيه

فلو أن أولئك الأعيان أدركوا حقيقة مركزهم في الأمة وأثرهم البالغ في توجيهها لكان لها شأن غير شأنها ولكن الخبير بأمورهم يكاد يدركه اليأس من أى اصلاح ينتظر للأمة على أيديهم. ذلك أنهم لا يفكرون في المصلحة العامة إلا إذا اتصلت بمصالحهم الشخصية فقد وقفوا كل جهودهم وأموالهم وأوقاتهم في قضاء لباناتهم وتنفيذ أغراضهم ورأوا أن مفتاح ذلك في أيدى الحكام فتقربوا اليهم وبالغوا في تملقهم وارضائهم بكل وسيلة وانك لترى العظيم فيهم يتصاغر أمام أقل الحكام شأنا فاذا انقلب إلى أهله استأسد عليهم واذاقهم الويل وان كان في ظلم اولئك ارضاء لهؤلاء. وتبدو هذه الظاهرة جلية بين فريق العمد فانى اعرف منهم ناسا لا يشربون الخمر - لا عن ورع ولكنها لا توافق امزجتهم - يحتفظون بعدة زجاجات مختلفة الأصناف منها حتى اذا نزل بهم حاكم قدموها له مع الطعام بل وشاركوه في شربها ولو اضر ذلك بهم لئلا يقال عنهم انهم متأخرون او على الأقل لم يقوموا بواجب الضيافة كما يجب، كما انهم في الغالب اشحة على الخير فاذا دعاهم الحاكم

إلى التبرع للخير أو للشر كانوا أول الملبين ، وانطلقوا يرهقون فقراء بلادهم ليجنبوا أغنياءها بدفع ماتنوء به كواهلهم ، حتى يجمعوا الجزية المضروبة عليهم ، ويكون جمع هذه الجزية فى غاية اليسر لو كانت ثمنا لتذاكر حفلة عمادها بديعة مصابنى أو بيا أو غيرهما من طواعين الآداب ، وسرطان الأخلاق ، وهم أزكى من أن يلبوا رغبات الحاكم بدون مقابل ، ولكنهم يشترون بها إغضاءه عن مظالمهم ، وحفظ الشكايات المقدمة ضدهم .

ومن كان من الأعيان ذا غنى أو وجاهة تؤهله لحيازة لقب من الألقاب المعروفة ظهر بمظهر الجود الذى لايعد جود حاتم بجانبه شيئاً مذكورا . فان أردت وضع هذا الجود فى بوتقة التجربة فاسأل أرامل بلده وأيتامها ، لا عن المونة التى يقدمها اليهم ، ولكن عن الحيف الذى ينزله بهم ، وعن كسرة الخبز القفار يأخذها من أفواههم لترد إلى فم إحدى الفواجر طعاما مريئاً ، وشرابا هنيئاً . حتى لقد بلغنى ممن أثق به أنه رأى امرأة تعرض دجاجة لها للبيع وهى تبكى لتدفع ثمنها فى إعانة الدفاع الوطنى ، لأن حضرة العمدة فرض عليها مافرض على غيرها من أهل اليسار ، فأجرى العدالة بين أهل بلده بالقسطاس المستقيم . ! !

وما نكبت هذه الأمة نكبتها بوظيفة (العمدية) فان أعيان كل بلد يتنافسون عليها متى خلت من شاغلها ، لا رغبة منهم فى إقامة ميزان الحق بين الناس إذا عين أحدهم فيها ، ولكنه يريدها سلاحا ينتقم به من منافسه ، ويطعن به خصمه . وفى سبيلها تراق الدماء ، وتستدان الأموال بالربا الفاحش . فتقدم رشاً أو هدايا ، وتدفع أتعابا للمحامين والأطباء ، ورسوما للقضايا وغير ذلك مما هو من النتائج الحتمية لهذا التنازع المستحر ، والشقاق المستمر ، فتنتزع ملكيات الأطيان ، ويمسى العز القديم فى خبر كان !

وهذه الوظيفة إنما أنشئت فى الأصل ليختار شاغلوها من ذوى المكانة والسيرة الطيبة ، ليكونوا حكومة مصغرة بجميع وزاراتها فى هذه البلاد ، فتستعين الحكومة بجاههم ومركزهم على تنفيذ قوانينها ، وجباية أموالها ، وإقرار الأمن بين رعاياها

بمعالجة امورهم بالحسنى ، وفض منازعاتهم بطريق الصلح كما هو الحال فى الأمم الأخرى حتى تتفرغ الحكومة لما تضطلع به من كبريات المشاغل وجسيمات الأمور. أما فى امتنا فالعمد يجعلون من وظيفتهم أداة انتقام ، وكم ظلموا بالسلطة القضائية التى كانت تخول لهم الحكم فى المخالفات بالحبس أربعة وعشرين ساعة او بالغرامة خمسة عشر قرشا ، حتى نزع الله منهم ذلك الإختصاص . وكم ظلموا الناس فى تسخيرهم فى المحافظة على جسور النيل ، فنزع الله منهم تلك السلطة أيضا . وكم ظلموا فى تقدير الجهد الخفراء الذى كان موكولا الى لجان هم رؤساؤها والمسيطرون عليها ؛ حتى نزعه الله منهم ؛ فما خولوا شيئا من السلطة وظلموا فيه إلا نزعه الله منهم ، وهم مع ذلك لا يرعوون ، بل كلما اضاء لهم برق ظلامة مشوا فيه بما بقى فى أيديهم من السلطة ؛ فلا يتورعون أن يتهموا بريئا فى جناية قتل شفاء لغيظ قلوبهم ، ولا يعدمون من الذين اصطنعوهم شهود زور يقررون ما يريدون

وأعيان البلاد ـ الا قليلا ـ على ذلك الغرار يتربص بعضهم لبعض الدوائر ؛ يصرفون اوقاتهم فى دفع مكيدة تصلهم من خصومهم ، أو حوك اخرى يبدأون بها اولئك الخصوم ، وكل اتخذ له اعوانا يقومون له بما اراد حتى صار الريف المصرى بأخلاق سراته جحيما لا يخمد أواره ، وعاقبهم الله على تلك الأعمال بالديون الفادحة تنقض ظهورهم حتى عجزت الارض عن وفرة ما تجود به من غلة ان تفى بحاجتهم ، وبتسديد ما عليها من التزامات .

واياك ان تغتر بتلك المظاهر الخداعة التى يظهر بها أعيان البلاد ؛ فلو انهم اعطوا كل ذى حق حقه لما بقى لأصحاب الاسماء الضخمة ، والاوتوموبيلات الفخمة ، قوت يوم وليلة ! واسأل إن شئت دفاتر البنوك بأنواعها : كم من تدان فى هذا الوادى الخصيب سلم من جرب الدين ، وتطهر من دنس الربا

أيها الباحثون . ايها الاقتصاديون . ايها المصلحون : لا تتعبوا أنفسكم فى تشخيص الداء ووصف الدواء ؛ فما عدتم بعد جهودكم المضنية إلا بظاهر من القول

العلماء والجهاد

« وأما ان محمداً ﷺ دعا وجاهد، وطاعن وضارب، ولاقى فى سبيل دعوته من العنت والعناء، فذلك حق لاريب فيه. غير أنّا نقول إنه لا يجب على العلماء أن يدعوا الناس إلى الدين بالقول، ويقيموا عوجهم فيه بالقوة حتى يستجاب لهم، وحتى يكونوا كمحمد ﷺ. لأن محمداً جمعت له السلطات جميعها، ولكنها توزعت بعده وصار للسلطة التشريعية رجالها، وللسلطة القضائية رجالها، وللسلطة الادارية رجالها، وصار للدين رجاله. وأصبحت وظيفة العالم الدينى - كعالم دينى - أن يقول: قال الله فى هذا الشأن كذا. وروى عن محمد ﷺ فيه كذا. فاذا قال ذلك فقد أدى واجبه وأبرأ ذمته: أما أن يعمل الفرد أوتعمل الدولة بما يحدث القرآن أو يروى عن الرسول فليس من واجبه، ولا هو مسئول عنه. ولا عليه أن يحمل السيف، أو يرمى عن القوس من أجله، واذا حاول ذلك **كان غافلا عن وظيفته بل جاهلا** بمهمته. وسندنا فى ذلك أئمتنا الكرام: مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد وأصحابهم رضى الله عنهم؛ فلقد كانت وظيفتهم بيان الأحكام فى الحوادث إما منصوصاً عليها فى الكتاب والسنة أو مستنبطة منها، ولم نقرأ فى سيرهم أن أحدهم شهر سيفاً، أو

لايغنى من الحق شيئاً. ولو أنكم طامنتم من كبريائكم لدللناكم على مقطع الصواب فى هذا الأمر: نلفتكم الى قول الله تعالى الحكيم العليم (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)

محمد صادق عرنوس

شرعياً في تنفيذ حكم أو تعطيل حد ، أو في أمر بمعروف أو نهي عن منكر . ولم نقرأ في السير أيضاً ان أحداً من المسلمين نعى عليهم او اتهمهم بالتقصير »

مجلة الازهر : ابو الوفا المراغي

ومجلة الهدى النبوي تقول : ان هذه المكاتبة خاطئة أشد الخطأ - وعلى الأخص من مجلة الأزهر ، ومن شقيق فضيلة الشيخ الأكبر وسكرتيره ، لأنه قد يفهم منها ان الاسلام لا صلة له بالدولة والحكم ، وأن علماءه يجب ان يكونوا كرجال الكهنوت ، يتركون ما لقيصر لقيصر . ويفهم منها - وهو أشد خطراً - إقرار مجلة الازهر كاتبها وتصويبهما لفصل سلطة التشريع والقضاء والحكم عن الاسلام ، وعلماء الاسلام ، ورضاهما عن تلك القوانين الافرنجية التي وضع القضاء والحكم والادارة والتنفيذ على أساسها . فهي - والحالة هذه - تنافي كل المنافاة ، وتنكر كل الانكار دعوة الشيخ الاكبر الشيخ المراغي التي سجلتها مجلة الأزهر في مناسبات عدة ، وسجلها العالم كله على صفحات القلوب حين دوى بها صوت الشيخ من الجامع الأزهر المشرفة بشهود حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق - أعاد الله به للاسلام دولته ، وأدام تأييده ونصره - والتي يدعو بها الشيخ الاكبر إلى الاصلاح الاجتماعي ، ويؤكد أن لا نجاة للمسلمين من الضيعة والبلاء والشر الذي حاق بهم الا بالرجوع الى الاسلام ديناً ودولة وخلقا وأدبا

وانها لزلة عظيمة وعثرة كبيرة ، نرجو من الشيخ ابي الوفاء المراغي ، ومن مجلة الازهر أن يتداركاها في العدد الآتي إن شاء الله.

أنزل القرآن للهداية لا للتغني بألفاظه

ان هذا القرآن الذى اهتدى به الشعب العربى فخرج من شركه وخرافاته وأميته إلى نور التوحيد والعلم والحكمة والحضارة ، ثم اهتدى بدعوته اليه الملايين من شعوب العجم، فشاركته فى هذه السعادة والنعم : لم يبق للمسلمين حظ منه إلا ترتيله بالنغمات فى بعض المواسم والمآتم، ولا يخطر لهم ببال أنه يجب عليهم التفكر فيه للاهتداء به، ولو تفكروا لاهتدوا .

وما صرف الناس عن هذا الاهتداء بكتاب الله ، وهو أعلى وأكمل ما أنزل له إلا المقلدون على غير هدى ولا نور . والى هؤلاء أسوق الحديث :

قال السيد رشيد رحمه الله فى تفسيره (ج ١)

سأل سائل من المقلدين حاضرى الدرس – درس الشيخ محمد عبده – بأن العلماء قالوا إن القرآن يتعبد بتلاوته . فقال الشيخ محمد عبده : نعم . ولكنهم لم يقولوا إنه أنزل لذلك . وكيف يقولون ذلك ، والله الذى أنزله يقول : إنه أنزله (ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب) فالقرآن وكذلك السنة : يصرحان فى مواضع كثيرة بخلاف هذا القول إذا أخذ على إطلاقه ، وجعل معناه أو من معناه ان الله يطالب عباده بقراءة القرآن بدون تدبر . وقد جاء من الأحاديث مايصف حال أقوام « يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم » وقد سماهم شرار الخلق . فهؤلاء الأشرار قد اتخذوا القرآن من الأغانى والمطربات ، واذا طالبت أحدهم بالفهم والتدبر أخذته العزة بالاثم ، واحتج عليك بكلمة قالها فلان ، أو رأى لفلان ، وهكذا انقلب على المسلمين وضع الدين ، ثم هم يتعجبون مع ذلك كيف حرموا من وعد الله فى قوله (وكان حقـا علينا نصر المؤمنين) وضرب الأستاذ مثلا رجلا يرسل كتابا إلى آخر فيقرأه المرسل اليه بلا تدبر ولا تفهـم ، أو يترنم به ولا يلتفت إلى معناه ، ولا يكلف نفسه إجابة ما طلب

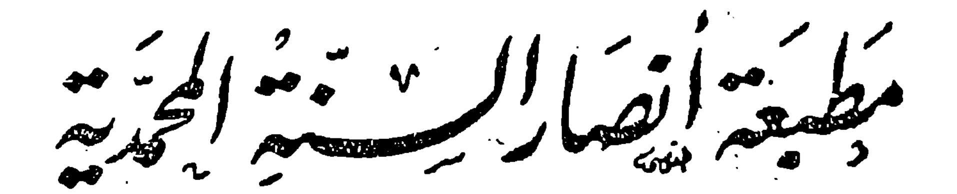
فيه : أيرضى المرسل من المرسل اليه بهذا أم يراه استهزاء به ؟ فالمثل ظاهر وان كان الحق لا يقاس على الخلق . فان الكتاب لا يرسل لأجل ورقه ولا لأجل نقوشه ، ولا لأجل أن تكيف الأصوات حروفه ، ولكن ليعلم مراد المرسل منه وتنفيذه

ثم قال : ان الاستهداء بالقرآن واجب على كل مكلف فى كل زمان ومكان ، فعلى كل قارىء أن يتلو القرآن بالتدبر ، وأن يطالب نفسه بفهمه والعمل به ، ولا شك أن كل من له معرفة ولو قليلة باللغة العربية فانه يفهم من القرآن ما يهتدى به ؛ ومن كان أمياً او أعجمياً فانه ينبغى له أن يسأل القارئين أن يقرأوا له القرآن ويفهموه معناه . اهـ

ثم ان أئمة الدين قالوا : ان القرآن سيبقى حجة على كل فرد (بدون تخصيص) من أفراد البشر إلى يوم القيامة . ومن أدلة ذلك حديث « والقرآن حجة لك أو عليك » ولا يعقل ذلك الا بفهمه ، والاصابة من حكمته وحكمه . فالعامى يكفيه من فهم قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون) الخ . ما يعطيه الظاهر من الآيات ، وأن الذين جمعت أوصافهم فى الآيات الكريمة لهم الفوز والفلاح عند الله تعالى . ويكفى فى معرفة الأوصاف أن يعرف معنى الخشوع ، والاعراض عن اللغو وما لا خير فيه ، والاقبال على ما فيه فائدة له دنيوية او أخروية .. وفهم هذه المعانى مما يسهل على المؤمن من أى طبقة كان

ومن الممكن أن يتناول كل أحد من القرآن بقدر ما يجذب نفسه إلى الخير ، ويصرفها عن الشر ، فان الله تعالى أنزله لهدايتنا ، وهو يعلم منا كل أنواع الضعف الذى نحن عليه (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟)

أحمد احمد القصير



ربيع الثاني سنة ١٣٦١ — العددان ٧ و ٨ — السنة السادسة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

(مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ١٥ قرشا داخل القطر المصري والسودان
و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية

فهرس هذا العدد

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

رئيس التحرير محمد حامد الفقي

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله سبحانه ﴿ وإنْ تعجبْ فعجبٌ قولهم : أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد ؟ أولئك الذين كفروا بربهم ، وأولئك الأغلال في أعناقهم ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

« التعجب » حيرة تعرض للانسان عند رؤية شيء عظيم في الاستحسان أو الاستقباح : جهل سببه ، وجاء على خلاف العادة والمألوف

يقول الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ ، ولكل مؤمن متدبر لآيات الله ، متفقه فيها ، مستفيد منها العلم والايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر — : إن عظم استنكارك

لأحوال الكافرين الذين جمدوا على الباطل بعد ماتبين لهم بالدليل القاطع بطلانه ، واشتدت حيرتك من ردهم الحق بإصرار وعناد ومكابرة بعد أن تبين لهم بالأدلة المحسوسة التي اعترفوا بها صراحة أو ضمناً حقيقته - إن عظم استنكارك ، واشتدت حيرتك من أمر هؤلاء لأن أمرهم يجرى على عكس الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وعلى نقيض ماتقتضيه الانسانية الصحيحة ، من إلغائهم عقولهم وأسماعهم وأبصارهم حتى انطمس نور الفطرة منها ، وفقدت خاصيتها ومزيتها بكثرة ماران عليها من التقليد الأعمى للشيوخ والآباء ، والتعصب الشنيع للعادات والتقاليد والخرافات والارتكاس في حمأة الضلال بطاعة السادة والكبراء بدون تعقل ولا تفكر ، والانقياد لهم كالذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء : إنْ كان قد عظم عليك هذا من أمرهم ، فهاك أمراً آخر من شنيع جاهليتهم ، وأثراً جديداً من آثار ما ختم على قلوبهم وسمعهم ، وغشى على أبصارهم : ذلك هو شكهم وارتيابهم فى إعادة الله لهم الى الحياة مرة أخرى بعد أن أماتهم ، واستبعادهم لقاء الله ليحاسبهم على أعمالهم ، وكفرهم بيوم الدين ، وأنهم بالآخرة لا يوقنون ، بعد ما قامت الآيات فى السموات والأرض وفى أنفسهم على أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، وأنه سبحانه سيعيد الخلق بعد فنائه كما بدأه اول مرة - وهو أهون عليه

وهذا المعنى من أهم مقاصد القرآن ، بل يكاد يكون أبرز أصول الدين الذى أوحاه الله الى كل أنبيائه من أولهم نوح عليه السلام ، الى آخرهم محمد ﷺ . وهذا يدل على ان اشد مااستحوذ به الشيطان على حزبه الخاسرين انما كان من إنسائهم الدار الآخرة واهمالها ، والتوانى فى التزود لها زادها الذى أرشد الله اليه ، ووصى به عباده الذين اكد لهم القول انهم ما خلقوا الا للدار الآخرة ، وما الحياة الدنيا إلا معبر وممر الى الآخرة ومزرعة لها . فكان اعظم ما وصى الله به فى كتبه هو الايمان بالدار الآخرة وحسابها وجزائها العادل ، وان النعيم فيها والسعادة بما كسبته ايدى الناس وغرسته فى دار الدنيا من صالح الاعتقاد والأعمال . وان عذابها وشقائها

الدائم كذلك إنما هو بما كسبته أيدى الناس وغرسته فى هذه الدنيا من سيء الاعتقاد والاعمال (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)

ولذلك كان من أشد ماحرص عليه الشيطان وأفرغ فيه جهده وبذل أقصى طاقته هو شغل العباد بالدار الدنيا حتى لا يبقى فى قلبهم محل لليقين بالدار الآخرة والقاء الشبه والشكوك فى قلوبهم حتى يجتث الايمان بالدار الآخرة من أساسه ، ثم يملؤهم وهماً وغرورا بالامانى الكاذبة التى يتكلون عليها فلا يفكرون فى التخلص من تلك الشكوك والشبهات ، ولا يزال بهم حتى يقولوا (لن تمسنا النار الا أياما معدودات) لن يدخل الجنة أحد سوانا ، لان الله ما خلق الجنة الا لنا ، وأنه ليتجاوز عن كل خطايانا بشفاعة الاولياء والصالحين وسيعفو الله عنا كرامة لفلان النبى أو فلان الولى . او لاجل خاطر شيخنا ورئيسنا . ثم يمد لهم فى حبل الغى حتى يعرضوا مرة واحدة عن شرائع الله وآياته وعن كتبه ورسله ، فيستعبدهم الشهوات والشيطان ، وتطغى عليهم الغرائز الحيوانية فيأكلون ويتمتعون كما تتمتع الانعام والنار مثوى لهم ، وكلما حاول وازع الدين أن يستيقظ مؤنباً وموبخاً ، ومخوفاً بعذاب الله ومقته أخمدوه بلسان حالهم ، وربما لسان مقالهم : هل عاد أحد من الموتى فأخبرنا بما لقى من ثواب أو عذاب ؟ أنترك اللذة العاجلة والمتعة الحاضرة لنول لاندرى آخره ؟ فماذا أخذوا الذين حرموا أنفسهم من هذه اللذات ، ومنعوها تلك الشهوات ، وأخلدوا الى الصلاة والصيام ؟ أنما اخذوا تعفير الوجوه فى التراب وتوسيخ الاجسام والثياب ، وتعذيب انفسهم بالجوع والعطش . وامثال ذلك مما تسمعه من حزب الشيطان فى المجالس العامة والخاصة وربما كتبوه وسجلوه فى الصحف والمجلات ، ثم تراهم يسخرون من كل متدين ، ويهزأون اشد الاستهزاء بكل داع الى التدين والاستقامة على مايحب الله من حسن الاعتقاد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحكم بما انزل الله . والويل كل الويل لمن يقوم فيهم ناهياً لهم عن المنكر ، مخوفاً ومنذراً بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فعندئذ يرميه الكل عن

قوس واحدة بسهام الجمود والتأخر والانحطاط وقلة الذوق والرجعية الى العصور المظلمة بزعمهم . ثم تتبارى الصحف والمجلات فى حمل تلك السهام الى صدر ذلك الداعى المخوف ، وما أشد عجبك حين ترى ذلك المسدد لتلك السهام يعرف عن نفسه بأنه « محمد » أو « احمد » وما الى ذلك من الأسماء الاسلامية

أيظن ظان أن هؤلاء وأشباههم غير معنيين بقول الله تعالى لكل مؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر (وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد . أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ؟ ! ان الذى يظن هذا الظن الخاطىء لا يعرف القرآن ولا يفقهه ، بل ولا يعرف الاسلام وليس له به أى صلة الا الأسماء والثياب إن كانت ! !

ألا فليتأمل العقلاء فى آيات الله وليتدبروا القرآن حق تدبره . فانه ما ترك لمحتج حجة ، ولا أبقى لمعتذر عذراً بعد هذا البيان الأوفى الذى وصف الله فيه البعث والنشور والحساب والجزاء فى الدار الآخرة ، وأن الله الذى خلقنا فى هذه الحياة والذى رزقنا فيها أنواع الرزق من السماء والأرض ، هو الذى سيعيدنا الى الحياة مرة ثانية واليه المصير .

قال الله تعالى فى سورة البقرة (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) وقال (واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون) (واعلموا أنكم ملاقوه) (والله يقبض ويبسط واليه ترجعون) (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون)

وفى سورة آل عمران (فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون) وفيها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها و بينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه) وفيها (كل نفس ذائقة الموت و إنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار

وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) وفى سورة النساء (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً) (ومن يستنكف من عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً)

وقال فى سورة الانعام (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون . وقالوا ان هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين . ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق ؟ قالوا بلى وربنا . قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها ، وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون) (وهو الذى يتوفاكم بالليل و يعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم اليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون ، ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون)

وقال فى سورة يونس (اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقاً انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ، والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) الى أن قال (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) (و يوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ، قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين) (ألا إن وعد الله حق

ولكن أكثرهم لا يعلمون ، هو يحيي ويميت واليه ترجعون)

وقال تعالى فى سورة هود (الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير) وفيها : (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) وفيها : (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة . ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . وما نؤخره إلا لأجل معدود . يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقى وسعيد) وقال فى سورة ابراهيم (وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا لو هدانا الله لهديناكم . سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) وفيها (ولا تحسبن الله - غافلا عما يعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار . مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء . وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب . فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل . أوَ لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ؟) الى قوله (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار . وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار . ليجزى الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب)

وقال تعالى فى سورة الاسراء (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) وفيها (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً ؟ قل كونوا حجارة أو حديداً ، أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم ، فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة ، فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريباً . يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم إلا قليلا)

وقال تعالى فى سورة الكهف (ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً . وعرضنا جهنم

يومئذ للكافرين عرضا) وفى سورة مريم (ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا ؟ أولايذكرالانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ، فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) وفيها (ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً)

وقال تعالى فى سورة طه (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى) وفيها (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وفيها (وقد آتيناك من لدنا ذكراً . من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا ، يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً يتخافتون بينهم ان لبثتم إلا عشرا) الى قوله تعالى (وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما)

وقال تعالى فى سورة الانبياء (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم) وفيها (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) وفيها (واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين) وفى سورة الحج (ان زلزلة الساعة شىء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) الى قوله (ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شىء قدير ، وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) :

وفى سورة المؤمنون (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) .

هذا والسور الباقية من القرآن الكريم أعظم مقصدها التدليل على الآخرة وجزائها . إذ أن الخطاب فيها موجه الى المشركين الذين كانوا يكذبون بيوم الدين والذين جرهم هذا التكذيب الى كل ما كانوا فيه من ظلم وشرك وفسوق وعصيان ولم ينقذ الله من أنقذ منهم من الشقاء الذى كان مستحكما إلا بهداية القرآن وآياته التى بسط لهم فيها أدلة البعث والحشر والدار الآخرة وما ينال كل عامل فيها من جزاء على قدر عمله فى الدنيا برحمة الله وفضله للمحسنين ، الذين عملوا الصالحات ، وبحكمته وعدله للمسيئين الذين ظلموا أنفسهم فاجترحوا السيئات .

وإن المؤمن ليزداد إيماناً ويقيناً بالدار الآخرة كلما كرر تلاوة آى الذكر الحكيم متدبراً ومتفقهاً ، وان الفاسق الذى طبعت الشهوات والشبهات على قلبه ليزداد جحوداً للدار الآخرة وتكذيبا بها كلما تليت عليه آيات الله فازداد عنها إعراضاً وأحكم على قلبه أغلاق الهوى والغفلة أن يصل شىء من علمه وهداه (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً ، واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً) .

نعوذ بالله من ذلك ، ونحمده سبحانه أن عافانا وهدانا بهدى القرآن والنبى عليه الصلاة والسلام . ونسأله سبحانه أن يديم علينا نعمة هذه العافية حتى يأتينا اليقين .

محمد حامد الفقى

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

أحاديث الأحكام

٧٦ ـ وعن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ « قبـّل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ » كذا رواه الامام أحمد ورجاله مخرّج لهم فى الصحيح . وقد ضعفه البخارى وغيره

قال ابوطاهر ـ عفا الله عنهما ـ والحديث رواه أيضا الترمذى : حدثنا قتيبة وهناد وأبو كريب وأحمد بن منيع ومحمود بن غيلان وأبو عمار ـ الحسين بن حريث ـ قالوا : حدثنا وكيع عن الأعمش عن حبيب بن ابى ثابت عن عروة عن عائشة « ان النبى ﷺ قبـّل بعض نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ . قال قلت من هى الا انتِ ، قال فضحكتْ » ورواه ابو داود (ج ١ ص ٧٠) وابن ماجه (ج ١ ص ٩٣) ورواه الطبرى فى التفسير (ج٥ ٦٧.) وهو فى مسند احمد (ج٦ : ٢١٠)

قال ابو عيسى الترمذى : وانما ترك اصحابنا حديث عائشة عن النبى ﷺ فى هذا لأنه لا يصح عندهم لحال الاسناد . قال وسمعت ابابكر العطار البصرى يذكر عن على بن المدينى قال : ضعّف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال : هو شبه لاشىء . قال وسمعت محمد بن اسماعيل البخارى يضعف هذا الحديث وقال : حبيب ابن ابى ثابت لم يسمع من عروة .

وللعلامة المحقق الأستاذ الشيخ احمد شاكر القاضى الشرعى تعليق واسع جداً على هذا الحديث فى سنن الترمذى (طبعة الحلبى) وسبق لهذه المجلة نشره بالعدد السادس من السنة الاولى ، ونعيد هنا بعضه لمن فاته الاطلاع عليه :

قال الزيلعى فى نصب الراية (١ : ٣٨) « وقد مال ابو عمر بن عبدالبر الى تصحيح هذا الحديث ، فقال صححه الكوفيون وثبتوه لرواية الثقات من أئمة الحديث له .

وحبيب لا ينكر لقاؤه عروة ، لروايته عمن هو أكبر من عروة وأقدم موتاً . وقال فى موضع آخر ، لاشك أنه أدرك عروة » انتهى

وقد جاءت متابعات أخرى لهذا الحديث بعضها صحيح وبعضها يقارب الصحيح وأكثرها لامطعن فيه إلا احتمال الخطأ من بعض الرواة ؛ أو ادعاءه عليهم ؛ وتضافرهم على الرواية يرفع الاحتمال ، وينقض الادعاء ، وانظرها فى الدارقطنى (ص ٤٩-٥٢) ونصب الراية (١: ٣٧-٣٩) ومن أحسنها مارواه احمد فى المسند (٦: ٢٦) « ثنا محمد ابن فضيل ثنا الحجاج عن عمرو بن شعيب عن زينب السهمية عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يتوضأ ثم يقبل ويصلى ولا يتوضأ » ورواه ابن ماجه (١: ٩٤) عن أبى بكر ابن أبى شيبة عن محمد بن فضيل . ورواه الدارقطنى من طريق عباد بن العوام عن حجاج باسناده .

وأما أصل الباب ومرجع الخلاف فهو : هل يجب الوضوء من لمس المرأة؟ ذهب بعض الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الفقهاء والمحدثين الى الوجوب ، وذهب بعض الصحابة ومن بعدهم الى عدم الوجوب ، وهو الصحيح الراجح

وأصل الخلاف فيه تفسير اللمس من قوله تعالى فى سورة المائدة (يأيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين ، وإن كنتم جنباً فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) [آية ٦] وكذلك فى قوله تعالى فى سورة النساء (أو لمستم النساء) [آية ٤٣] على القراءتين فى الآيتين ؛ فقد قرأهما حمزه والكسائى وخلف [لمستم] بغير ألف ، وقرأهما باقى القراء العشرة [لامستم] بالألف

قال ابن رشد فى بداية المجتهد (١: ٢٩) وسبب اختلافهم فى هذه المسئلة اشتراك اسم اللمس فى كلام العرب ، فان العرب تطلقه مرة على اللمس الذى هو باليد ، ومرة تكنى به عن الجماع ؛ فذهب قوم الى أن اللمس الموجب للطهارة فى آية الوضوء هو

الجماع فى قوله تعالى (أو لامستم النساء) وذهب آخرون الى أنه اللمس باليد

ثم قال « وقد احتج من أوجب الوضوء من اللمس باليد بأن اللمس ينطلق حقيقة على اللمس باليد ، وينطلق مجازاً على الجماع ، وأنه اذا تردد اللفظ بين الحقيقة والمجاز فالأولى أن يحمل على الحقيقة حتى يدل الدليل على المجاز ، ولأولئك أن يقولوا إن المجاز إذا كثر استعماله كان أدل على المجاز منه على الحقيقة ، كالحال فى اسم الغائط الذى هو أدل على الحدث - الذى هو فيه مجاز - منه على المطمئن من الأرض ، الذى هو فيه حقيقة . والذى أعتقده ان اللمس وإن كانت دلالته على المعنيين بالسواء أو قريباً من السواء ، انه أظهر عندى فى الجماع وان كان مجازاً ، لأن الله قد كنى بالمباشرة والمس عن الجماع ، وهما فى معنى اللمس »

وهذا الذى قاله ابن رشد تحقيق دقيق ، وبحث واضح نفيس ، فان سياق الآيتين لايدل إلا على أن المراد المكنى عنه فقط ، وكذلك قال الطبرى فى التفسير بعد حكاية القولين «وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : عنى الله بقوله (أو لامستم النساء) الجماع دون غيره من معانى اللمس ، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ »

والقائمون على نصرة القول بأن اللمس ينقض ، والتعصب له ، والذب عنه ، من الفقهاء والمحدثين : هم علماء الشافعية ، والشافعى نفسه رضى الله عنه ذهب الى هذا المذهب وقال به ، ولكنه - فيما يبدو من كلامه - يفسر الآية بذلك على شىء من الحذر ، وكأنه يتحرج من الجزم به ، إذ لم يصل اليه حديث صحيح فى الباب فانه قال فى الأم (١ : ١٢) بعد ذكر آية المائدة « فأشبه أن يكون أوجب الوضوء من الغائط وأوجبه من الملامسة ، وانما ذكرها موصولة بالغائط بعد ذكر الجنابة ، فأشبهت الملامسة أن تكون اللمس باليد ، والقبلة غير الجنابة . أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة ،

فمن قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء . قال الشافعى : وبلغنا عن ابن مسعود قريب من معنى قول ابن عمر »

فهذا التعبير من الشافعى ، وهو دقيق العبارة ، ولا يلقى الكلام جزافا ؛ ولا يرسل القول إرسالا ؛ يقول [فأشبهت الملامسة أن تكون اللمس باليد] قد نفهم منه الحذر والتردد لأنه لم يجد عنده فى الباب حديثاً مرفوعا صحيحاً ، وإنما وجد أثراً صحيحاً عن ابن عمر ، ووجد نحوه عن ابن مسعود ، ووجد الآية تحتمل معنى قولهما ، فاحتاط لذلك وفسر الآية على مايوافق مالديه من الأثر عن الصحابة

﴿ فائدة ﴾ ورد فى الباب أيضـا حديثان صحيحان : الأول رواه الشيخان وغيرهما من طريق مالك عن أبى النضر عن أبى سلمة عن عائشة قالت « كنت أنام بين يدى رسول الله ﷺ ورجلاى فى قبلتـه ، فاذا سجد غمزنى فقبضت رجلى ، واذا قام بسطتهما . قالت والبيوت يومئـذ ليس فيها مصابيح » [فتح البارى ١:٣٤١ و ٤٨٥] و [مسلم ١:١٤٥] قال الحافظ بن حجر « وقد استدل بقولها غمزنى على أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء . وتعقب باحتمال الحائل ؛ أو بالخصوصية

ومن البين الواضح أن هذا التعقب لا قيمة له ، بل هو باطل ، لأن الخصوصية لاتثبت إلا بدليل صريح ، واحتمال الحائل لا يفكر فيه إلا متعصب !

الحديث الثانى رواه النسائى (١:٣٨) من طريق الليث بن سعد عن ابن الهاد عن عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت « إن كان رسول الله ﷺ ليصلى وانى لمعترضة بين يديه اعتراض الجنازة ؛ حتى اذا أراد أن يوتر مسنى برجله » قال الحافظ بن حجر فى التلخيص (ص ٤٨) « إسناده صحيح ؛ واستدل به على أن اللمس فى الآية الجماع ، لأنه مسها فى الصلاة واستمر » .

هـذا ، ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً الى اتباع السنة المحمدية المطهرة ويباعد بيننا وبين التعصب المذهبى المذموم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

محمد حامد الفقى

على هامش المولد

أربع وعشرون ساعة من عصر الفضيلة

امتاز يوم المولد النبوى الشريف فى هذا العام بحادث عظيم له قيمته ومعناه. فقد استطاعت الأحكام العسكرية بقوتها القاهرة أن تستخلص فيه من براثن المدنية الكاذبة الملوثة يوما كاملا ينتشر فيه سلطان الفضيلة على بلادنا المصرية الاسلامية احتراما لذكرى ذلك الرسول الكريم الذى حارب الرذيلة فى كل صورها، وقضى عليها فى جميع أشكالها، وأعلن فى العالمين شريعة الخُلق الكامل، والانسانية المهذبة، والمدنية الفاضلة، فلقد كان الأجدر بمن يعرف الرسول ﷺ ويحب أن تحيا ذكراه التى رفعها الله فى كل وقت – أن يكون ذلك شأنه فى العام كله كما تقتضى شرعته المطهرة

نعم استطاعت الأحكام العسكرية أن تفتح ثغرة فى جبهة الشر العريضة ركز فيها الاسلام راية الطهر عالية خفاقة مدى أربع وعشرين ساعة كانت برداً وسلاما على فؤاد الدهر، ومستقراً هادئاً لضمير الزمان

لقد حنت فيها الحياة إلى ذلك العصر الطاهر البرىء الذى قدّر العقل والعرض وقوّم المال، ورعى حق العيال، فتمنت أن لو كان ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون

ألا ان السنين والأيام لتحسد تلك السويعات على بياض الوجه واشراق النور ونقاء الصحيفة. وان العالم أجمع ليفكر فيما هو عليه الآن – وقد بهرت أنظاره تلك اللمحات العابرة – فيرى نفسه فى ظلام دامس وشقاء مقيم ليس له – مع التزام حالته – منهما مفر ولا محيص

أين ما عليه العالم الآن من شرور ومفاسد أتت على كل مقومات العمران، وقضت على روح الحياة الصحيحة، وجعلت من ابن آدم وحشاً كاسراً لا يعبد غير القوة، ولا يخدم غير شهوته – من تلك المدنية المصلحة التى وضعت لكل شىء نظامه

وحددت لكل انسان حدوده ، فركزت الحياة على أسس متينة صالحة نهضت بابن آدم الى مستواه اللائق به ، فأنتجت للناس خير القرون ، وأبرزت للعالم خير أمة أخرجت للناس . ألا إنه ليكفى مدنية العصر الحاضر عاراً أن لا نستخلص منها فترات الفضيلة والتعقل إلا بقوة الأحكام العسكرية : قوة السيف والنار ، والحبس والتغريم . نعم وانه ليكفيها إثما أيضاً أن لا يطل وجه الفضيلة تحت ظلالها الا يوما أو بعض يوم من اثنى عشر شهراً كاملا

أيها المسلمون : لا ننكر الأسباب والمسببات ، ولا نبخس الناس أشياءهم ، فطوبى لمن أجرى الله الخير على يديه . الحق والواقع أن تلك روحانية الاسلام تأبى إلا أن تعلن عن نفسها فى الظروف المناسبة والحالات الملائمة . يريد الله بذلك أن يقيم حجته على عباده بعد سطوع برهانه (ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة)

هذا عالمَ ضال ، كلما سمع بالاسلام وأحكام الاسلام اقشعر بدنه وضاع صوابه ، أراد ربك أن يريه من طب الاسلام ورحمته ما يؤمن روعه ، ويثبت فؤاده — بعد إذ أطبق عليه الحاضر وأظلم فى وجهه المستقبل — ليطلع فى فترات مسرعة على جانب من كمالات الاسلام وآدابه ، وسمو مبادئه ، ليرجع إلى ميزان العدالة فى حكمه ، ولا يجرى وراء الوهم والخيال ، وما خلفته أكاذيب العصور والأجيال (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد)

وبعد : فانى أسأل الله سبحانه أن يجعل هذا التقليد فاتحة خير ، له ما بعده من رجوع المسلمين خاصة والعالم عامة إلى شرعة الحق والاعتدال ، والفضيلة والكمال ، فيكون الحكم للاسلام مدى الليالى والأيام (وما ذلك على الله بعزيز)

على السيد جعفر — واعظ القاهرة

وافعلوا الخير لعلكم تفلحون

مثل :

ألقت السفينة مراسيها على شاطىء جزيرة نائية فى الأقيانوس المحيط ، ونزل ركابها يجوسون خلال هذه الجزيرة ، و ينعمون بمناظرها الخلابة ، ورونقها الساحرة ، وقد علموا أنهم سيدعون إلى العودة وشيكا ، فساروا فى جنباتها مسرعين ، فاذا أرض أريضة ، لم تر العين مثلها قط ، واذا أشجار باسقة تنوء بما يكلل أغصانها من ثمار ناضجة ، وأزهار ناضرة . واذا النسيم عبق معطار بما تبعثه الفواكه والأزهار من الشذا الأرج ، والعبير الفواح ، واذا الطير على ذوائب الدوح تصب فى الآذان ألذ الأغاريد ، وأطيب الألحان ، واذا الأحجار الكريمة ، والجواهر الثمينة منثورة فى أرجائها ، مبعثرة فى أنحائها ، تطؤها الأقدام كأنها الحصباء

فافتتن فريق من الركب بالأزهار ، وقد راقهم حسنها وروعتها ، وأعجبهم عرفها وشذاها ، وفُتن فريق بالثمار ، يجنون منها مالذ وطاب ، ويأكلون ما اشتهت أنفسهم ، ولذت أعينهم . ومنهم من كان أبعد نظراً ، وأصل رأيا ، فأقبل على الجواهر ، يوعى منها ما استطاع ، وانهم لكذلك واذا السفينة تنقر فى الناقور مؤذنة بالاقلاع ، داعية إلى الاسراع ، فلبوا الدعوة سراعا ، وخلفوا وراءهم ما كانوا ينعمون به من فاكهة وزهر ، وماء وشجر ، ولما اطمأن بهم المجلس فى سفينتهم ، ورأى المفتونون بالثمار والأزهار ما فى أيدى رفقائهم من الورق والنضار ، سقط فى أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا حين فتنتهم هذه اللذة العابرة فشغلتهم عن المساهمة فى هذه الثروة الخالدة

تفصيل :

هذه الجزيرة هى الحياة الدنيا التى نحلّ بها يوم الميلاد ، ولا نكاد نبلغ سن التمييز

حتى نوقن أنا منها مخرجون . أما السفينة التى دعت الركاب وأقلتهم منها فهى الموت . أما الركب فهم أهل الدنيا . والذين فتنتهم الأزهار والثمار هم عباد الشهوات الذين لا يحفلون إلا بلذاتهم العاجلة ، وشهواتهم الغالبة ، ويغفلون عن السعادة الأبدية ، واللذة الخالدة ، والنعيم المقيم . والذين أقبلوا على جمع الذخائر الثمينة ، والأعلاق النفيسة ، هم العقلاء الذين آثروا ما يبقى على ما يفنى ، واستبدلوا باللذة الفانية لذة باقية ، ولم تفتنهم الحياة الدنيا بروائع فتنتها ، ولم تستعبدهم الشهوات بعاجل مباهجها

فاذا جاء الموت كان هؤلاء قد تزودوا لسفرهم الطويل خير زاد ، وأعدوا له أفضل عتاد . أما أولئك فيعضون على أيديهم ندماً ويقولون ياليتنا تزودنا لسفرنا وهيهات أن يغنى عنهم الندم شيئا

عظة :

أولئك الذين تزودوا لسفرهم هم الذين فعلوا الخير ، ففعل الخير وسيلة الفوز والفلاح

وخير الخير طاعة الله تعالى ، والوقوف عند أمره ونهيه ، وفى ذلك توصيل الخير إلى الناس ، وخير ما فى ذلك هدايتهم إلى الصراط المستقيم ، وارشادهم الى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واحتمال ما فى سبيل ذلك من الأذى والصبر عليه . وتلك سبيل الأنبياء والمرسلين ، ومن اقتدى بهداهم ، ولا يكون النصح ناجعاً مثمراً الا اذا كان الناصح يفعل ما يقول ، فيعلم بفعله اكثر مما يعلم بقوله . فأما ان كان يخالف الى مانهى عنه ، ولا يأتى ما يأمر به ، فان قوله يكون عقيما لا ثمرة له

لست أنكر ان ضعف الانسان قد يسوقه فى بعض الأحيان الى الخطيئة ويورطه فى الاثم . ولكن ذلك لا ينبغى ان يحول دون الانابة الى الله تعالى والرجوع اليه ، وغسل الحوبة بالتوبة ، والابتهال الى الله وسؤاله العون والتوفيق لما يحب ويرضى . والتوبة النصوح تجب ماقبلها ، والله سبحانه يقول (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم

لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعاً . إنه هو الغفور الرحيم *
وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون)

فاذا دأبت على محاسبة نفسك ، والانابة إلى ربك ، فانك تسير قدماً فى طريق الكمال ، وترقى صعداً فى معارج التقوى ، وتعلو كل يوم درجة فى سلم الخير ، حتى تصير مع المصطفين الأخيار ، والصالحين الأبرار

ومن الخير أن تحرص على أن تنفع من حولك ما استطعت ، فخير الناس أنفعهم لهم ، أفض عليهم من برك وخيرك ، وأدخل السرور على قلوبهم ، والغبطة على نفوسهم

كن براً بوالديك ، وأسعدهما بطاعتك واستقامتك . ارحم اخوتك وأخواتك وتعهدهم بعطفك ولطفك ، ورعايتك وحنانك

غيض من عبرات الأرامل والأيامى ، وكفكف دموع اليتامى ، وخفض من زفرات المكروبين والمحزونين ، وعز الشاكين والمفجوعين بحسن مواساتك ، وعذب كلماتك ، كن فى حاجة اخوانك وأصدقائك يكن الله فى حاجتك . وأصلح ذات البين . ولا تسمح للشر بأن يسعى الى القلوب ما وجدت إلى ذلك سبيلا ، واحرص على أن تنتزع الضغائن ، وتستل السخائم ، وتحل الصفاء محل الجفاء ، والمودة مكان البغضاء

أفش السلام ، وعد المرضى وشيع الموتى

تلك بعض وجوه الخير ، فافعلها تكن من الفائزين . والله لا يضيع أجر العاملين

أبو الوفا محمد درويش

من صور الحياة المصرية

(٥أ)

كذبة ابريل

مكافأة ٤٠٠ جنيه

« فقد من محلات حنين بشارع عبد العزيز عصفور ثمين أخضر اللون بأجنحة زرقاء ورأسه مائل للاصفرار وهو ينطق بفصاحة العبارة الآتية :

المسكرات الجديدة الممتازة والحلويات والشيكولاتات الفاخرة والملبسات بأنواعها والفندان والنوفى والكرملات وعلب الهدايا تعرضها محلاتنا لمناسبة عيدى القيامة وشم النسيم وكل عام وأنتم بخير » — عن الاهرام بتاريخ أول ابريل سنة ٩٤٢

كنت أحسب أن هـذا الاعلان العجيب الذى نشرته الأهرام فى عددها الصادر فى أول ابريل الجارى هو أظرف كذبات هذا الشهر المظلوم ولكنها نشرت فى عددها الصادر فى ٢ منه كلمة بعنوان كذبة ابريل هذا نصها :

« حضر الى دار الأهرام مساء أمس الأول طالب أزهرى يطلب مقابلة رئيس التحرير ، ولما كان رئيس التحرير غائبا ساعتئذ فقد أفضى الزائر الى أحد السكرتيرين بالغرض من زيارته وهو النشر عن مناظرة أدبية ستدور فى كلية اللغة العربية حول الأزهر ورسالتـه ، بين الأساتذة منصور بك فهمى والشيخ محمود شلتوت وعلى الجارم بك من جهة ، والأساتذة أحمد أمين بك والشيخ محمود ابو العيون وزكى مبارك من جهة أخرى ؛ وقد ترك بطاقة بذلك مختومة بخاتم الأزهر وأردفها

بتحية من الاستاذ احمد أمين بك الى رئيس تحرير الأهرام مع رجاء النشر ، فلم يسع السكرتير إلا إدراج خبر هذه المناظرة فى « محاضرات اليوم » وقد ظهر أمس أن الطالب كان غير صادق فى رسالته من أولها الى آخرها وأنه أراد أن يكذب (كذبة أول ابريل) على حساب هؤلاء الأساتذة الأعلام وعلى حساب الراغبين فى استماعهم »

نعم كنت أظن أن هذا الاعلان « هو كذبة الموسم البارعة » حتى جاء هذا الطالب الأزهرى النابغة فانتزع ميزة التفوق من مخترع هذا الاعلان وضرب رقما قياسيا فى اصطناع الكذب صار به (بطل الموسم) من غير معارض ولو كان لكذبة ابريل جائزة كجائزة نوبل لاكتسح منافسيه فيها ولكان استحقاقه إياها ضربة لازب ونحن نهنئه على هذا النبوغ فالنبوغ منظور إليه بعين الاكبار فى زمننا هذا ولو كان فى الكذب أو غير الكذب من خلال كان ينظمها الناس قديما فى سلك الرذيلة وكان يظاهرهم على ذلك الدين والأدب والعرف فلما ضاق الناس بالفضيلة ومحاربتها لشهواتهم ذرعا أخذوا يتحللون منها شيئا فشيئا حتى انسلخوا منها جملة وأحلوا محلها الرذائل بجميع ألوانها بعد أن سموها بغير أسمائها وأباحوا مقارفتها باسم الفن فكل ما نراه الآن من تمثيل خليع يثير الغرائز الكامنة وغناء مخنث يغرى بالفحشاء ورقص فاجر تتخاصر فيه الرجال الأجانب بالنساء الأجنبيات ومدارس يتعلم فيها الرقص وما يلزمه من حركات تكسب الجاذبية وتلين القلوب العصية ! ومن تصوير النساء عاريات أو أنصاف عاريات وتخصيص أكثر المجلات انتشاراً لنشر صورهن وعرضها على الجمهور وادخالها بين محجبات الخدور بدون أدنى مبالاة من رأى عام ذهبت غيرته وحميته

نعم إن كل ذلك وأشد منه إمعانا فى الفساد مع أنه من الرذيلة فى اللباب إلا أنه صار يفعل الآن باسم الفن حتى أجمع الناس على عد من قابل شيئا منه بالاستنكار أو الاستهجان رجعيا لا يعيش بروح العصر بل يعيش فى القرن العشرين بعقلية

القرون الوسطى فان عارض كاتباً أو خطيبا بُكّت وسكّت واتقى التخذيل من جميع الناس حتى يصمت قانطا .

وفى الوقت الذى كان يجب على الأزهر ـ علماء وطلبة ـ أن يعلن استهجانه لعمل هذا الطالب وبراءته منه بل المطالبة بعقوبته على هذه الفعلة النكراء ، تنشر الأهرام لزميل له تعقيبا على هذه الكذبة سماها به أمنية لا كذبة مبرراً ذلك بما نشرته مجلة الاثنين لفضيلة الاستاذ الشيخ محمود أبى العيون حيث أوصى الناس « أن يكذبوا فى أوائل ابريل كذبا لطيفا رقيقا لايسوء أثره ولا تؤلم عاقبته كأن يشيعوا أن زعماء الأمم المتحاربة قد جلسوا إلى مائدة الصلح الخضراء فى قصر الكرملين ليقرروا قواعد الأمن والسلام ، أو يتحدثوا عن مشروعات أدبية أو اجتماعية لها من الخطورة مايجعلها تراوح أذهان الناس وتغاديها إلى آخر كلمته التى يبرر بها كذبة صاحبه ويضفى عليها لونا من الفن يحبب الكذب للناس فيستهينوا بالصدق ولا يبالوا بمثل قول الله تعالى فيه : ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . وبمثل قوله جل شأنه : هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم . وبمثل قول النبى صلى الله عليه وسلم من الحديث المشهور : ولا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال يكذب حتى يكتب عند الله كذابا . وغير ذلك من الآيات والآثار الصحيحة التى تحبب فى الصدق والصادقين وتحذر من الكذب والكاذبين

وقد أطبقت الأمم جميعا قديمها وحديثها على نفع الصدق وضرر الكذب . فما نشأ الكذب فى جماعة إلا قلت الثقة بهم من غيرهم ، وقلت ثقتهم بعضهم ببعض كما نشاهد هذه الحالة الآن للأسف الشديد بين أغلب الأوساط المصرية ، وعلى الخصوص من تدعى الاسلام منها .

ولئن كان قصد الاستاذ الشيخ أبى العيون فى كلمته هو اختيار أخف الضررين أى مادام الكذب لابد منه فى أول إبريل فليكن من وزن الريشة أى من النوع الذى تسكن اليه النفوس الجزعة والقلوب الهلعة من إشاعة صلح قريب فان لم يكن هذا

فزيادة مرتبات الموظفين أو على الأقل تخفيض فى أثمان الحاجيات وما أشبه ذلك مما يخف عليها سماعه لا أن تطالع من الكذب نوع ثقيل من وزن قاذفات القنابل كنعى عزيز أو احتراق متجر أو هدم منزل على رأس عائلة قريبة على أثر غارة جوية

ونكاد نضع هذا الخبر المنسوب للاستاذ أبى العيون موضع الشك ونلحقه كذلك بكذبة ابريل لولا أن عزاه ناقله الى المجلة التى نشرته . ذلك لأن الاستاذ أبا العيون ابث طول عمره حرباً على الرذيلة وله فى الذود عن الفضيلة المواقف المشهورة . فكيف يجيز الكذب مهما كان رقيقاً رفيقاً ؟ فما كان فى شيء مما حرم الله شفاء لذى علة أبداً مادياً هذا المحرم كان أو معنويا ، فانه إذا كذب على الناس بأن ساعة الصلح قد آذنتهم ففرحوا بذلك يومهم ثم أتى المساء بنفى هذه الاشاعة ، بل تبين أن الأمور فيه قد زادت خطورة والأزمة تفاقم حرجها ، فكم يكون رد الفعل شديدا فى نفوسهم وخيبه الأمل أليمة الوقع لديهم ؟

وانى وإن كنت لا أدرى السبب الذى من أجله اختص الناس أول ابريل بالكذب فيه إلا أنى أعتقد أنه مظلوم بهذا التشهير ؛ و إلا فان أيام الناس جميعاً فى هذا الزمن كلها (أول ابريل) !

ألا ترى المبتلى بالاشتغال بالسياسة يستغرق اشتغاله بها أيام السنة كلها ومادة وقود السياسة هو الكذب الغنى بملفه ولفه ووعده الذى لا يتحقق وعهده الذى لا يُصدق إن نسب شيئاً من الفضل الى شيعته صير حقيقته خيالا أو تنقص من منافسه بالغ وغالى ، وذلك دأبه طوال عامه ، ألا تكون أيام السنة كلها عند هذا السياسى (أول ابريل)

ويشد مع هذا السياسى فى قرن هذا الصحافى الذى يتجر بقلمه فيذم اليوم من مدحهم بالأمس و ينتزع خصائص الانسانية ممن وهبهم صفات الملائكة فكل يوم عنده ولا شك (أول ابريل) !

والاستاذ المحامى الذى بمقدار ذكائه وسعة حيلته بقلب الباطل حقاً والحق باطلا و بمقدار ما كسبه من قضايا ـ ربما كان الحق فى أكثرها فى غير جانبه ـ وبما برأ من مجرمين وأدان من أبرياء بمقدار ارتقائه فى معارج الشهرة وتبوئه فى أسرة المحامين المركز المحسود ، أليس اشتغاله بمهنته هذه يستمر أيام السنة كلها إذن أليست كل أيامها عنده (اول ابريل) !

والصيدلى الذى يعلن فى الصحف عن دواء اخترعه يشفى من العلل ما استعصى ويعيد الى الشيوخ شبابهم و يبنى أعصابهم . والعراف الذى ينشر على الملأ أنه يعلم ما كان وما يكون و يخبر الناس بما سيلقونه فى مستقبلهم و ينبئهم بما يأ كلون وما يدخرون فى بيوتهم أليست كل لحظات السنة لا أيامها عند هذين (اول ابريل) ؟

ثم خبرنى بربك كم رأيت فى أثناء سيرك فى شوارع القاهرة من تاجر كتب بأعلى باب حانوته « محل الصدق والأمانه » فلم يبق عليه من الصفات اللازمة للنبوة إلا « التبليغ والفطانة » فهى صفات أربع كما قالوا ثبتت له منها اثنتان .

فالقصاب صاحب الصدق والأمانة من علامة صدقه أنه لا يمكن أن يخبرك عن عن الرطل اللحم إلا إذا ألهب ظهره سوط الأحكام العسكرية ورأى سيفها معلقاً فوق عنقه ، ومع ذلك فله فى خداعك ألف حيلة وحيلة يتخلص بها من ربقة الصدق الذى جعله أحد شمارى محله ، ومن علامات أمانته أنه يبيعك الرطل من اللحم (العجالى) العجوز على أنه (بتلو) من أجود نوع فان وصلك الرطل نصفاً سليما بعد العظم والعصب كنت من الفائزين !

والخباز صاحب الصدق والأمانة يبيعك الرغيف الجديد المخلوط فاذا أكلته اعتقدت انه لا يجتمع مع الرغيف القديم إلا فى الاسم واستدارة الشكل ، ومع ذلك فحال مضغك إياه لا تدرى أى العناصر الترابية تلوك اضراسك بالرغم من تعرضه للعقوبة الشديدة إذا خالف قانون الخلط واحكامه .

وهكذا قل عن البقال وتاجر الفاكهة والخضرى وغيرهم ممن جعلوا الصدق

١٨٠٠٠٠ جنيه

يأخذها مشايخ الاضرحة

فى كل ضريح يوجد صندوق للنذور ، يختلف حجمه بحسب كثرة المترددين وقلتهم ، ولم يكن لهذه النذور دخل بالنظام من حيث توزيعها على من يستحق ومن لا يستحق ، وذلك أن يحضر شيخ الضريح ووكيله وخدمه والمؤذن والامام ومن اليهم ثم يفتحون الصندوق ويوزعونه على أنفسهم .

الى أن جاء عام ١٩٢٨ ، فوضع قانون ينظم هذه النذور ويجعلها عامة فى جميع الأضرحة ، وأشرك وزارة الاوقاف فى الاشراف عليها . وذلك أن يكون للصندوق مفتاحان ، أحدهما مع شيخ الضريح والثانى مع موظف الاوقاف المختص ولا يفتح إلا بهذين المفتاحين وكيفية صرفها أن تضاف الأموال الى ميزانية الوزارة ويعطى الخدم والشيوخ مكافآت ومعاشات منها

والأمانة سمة لهم فانك لن تفوز منهم بحقك إلا إذا كنت من الذكاء وسعة الحيلة والتمرين فى « الكار » فى المحل الأرفع وهؤلاء جميعاً وغيرهم من أرباب المهن المختلفة والصناعات المتنوعة عنوانات محلاتهم ثابتة وأعمالهم التى تناقضها لا ينفكون عنها أيام السنة جميعها فكل أيام السنة عندهم (اول ابريل)

وغيرهم من الناس فى متجرهم وفى بيوتهم ووظائفهم أليس الكذب حديث جمهورهم وأبرز عناصر نجواهم خصوصاً فى هـذا الوقت الذى راجت فيه الاشاعات الباطلة والأراجيف المفتراة إذن فكل أيام السنة عندهم أول ابريل

فعلام نظلم هذا الشهر ونرتجل فيه الـكذب؟ مع ان الـكذب فى كل شىء قد قسمناه على أيام السنة قسمة عادلة ؟ !

محمد صادق عرنوس

أكبر صندوق : وقد يكون صندوق السيد البدوى أكبر صندوق نذور ، فقد بلغ ماجمع فيه فى شهر ١٠٠٠ جنيه ، وحدث ـ ولكنها لم تتكرر ـ أن وُجد فى صندوق نذور سيدنا الحسين ٣٠٠٠ جنيه فى شهر واحد

ويتراوح إيراد صندوق نذور السيدة زينب وسيدى ابراهيم الدسوقى ما بين ١٩٠ جنيه و١٥٠ جنيهاً فى الشهر . هذا فى الأيام العادية ، أما فى أيام الموالد فقد يصل هذا الرقم الى أضعاف مضاعفة .

طرائف : ومن طريف ما يروى أن أحدهم وضع فى صندوق نذور السيد البدوى مبلغا من المال على سبيل النذر ، ثم رفع قضية على وزارة الاوقاف ؛ مدعياً بأنه أراد أن يضع ورقة من ذات الجنيه فوضع بدلا منها ورقة بخمسين جنيها .

وكثيراً ما يتكشف جوف صندوق النذور عن طرائف وغرائب توحى بشدة تغلغل المعتقدات الساذجة فى نفوس الكثيرين . وكثيراً ما يجدون داخل هذه الصناديق الحلى من الفضة وأقراط الذهب واللآلىء وما اليها ، وكثيراً ما يعثرون على جنيهات ذهبية حتى فى وقتنا هذا ، وقد أصبح الجنيه الذهبى أندر من الجمال الطبيعى فى أوساطنا العالية

ومن أغرب ماوجد مظروف ختم بالشمع الاحمر ، وعند فتحه وجد فيه خطاب موجه الى السيد البدوى وورقة بعشرة جنيهات . وقد جاء فى الخطاب : « أرجو المعذرة ياسيدى فهذه الجنيهات العشرة هى كل ماحصلت عليه وما قدرت على جمعه لذلك أرجوك رجاء خاصا أن تنتظر حتى شهر اكتوبر فأسدد لك باقى الحساب ، فعليك الصبر وعلينا الوفاء »

ويبدو أن كاتب هذا الخطاب قروى كان قد نذر للسيد البدوى مبلغاً من المال ثم عجز عن سداده كله بعد ان قضيت حاجته ، فهو يرجو الانتظار الى شهر اكتوبر وهو شهر المحصول !

عقد اتفاق : وفى أحد صناديق النذور وجد عقد اتفاق قانونى بين السيد..

والسيدة فلانة ، وفيه يتعهد الطرف الثانى بأن تدفع الى الطرف الاول مبلغ جنيه واحد كل شهر بدون تأخير ولا مماطلة ولا تسويف إذا ماتوسط الطرف الاول فى أن يعيش ابن الطرف الثانى !

وكثيراً ما تحدث سرقات فى صناديق النذور . . سرق صندوق النذور فى سيدى الاربعين بالسويس مرتين . ومنذ عامين سرق اللصوص صندوق نذور سيدى ابراهيم الدسوقى فحملوه معهم واقتسموه

ولما تم الاشراف لوزارة الاوقاف لاحظت الوزارة أن صندوق نذور السيد الدسوقى يتناقص بشكل واضح . كان الصندوق فى الماضى يجمع نحواً من ٦٠ جنيها شهريا ، ثم توالت الشهور وهو يجمع كل شهر أقل من ٤٠ جنيها

وأدرك ولاة الأمر أنه لابد من وقوع حادث سرقة ، وكلفت فضيلة الشيخ ابراهيم ابو المكارم المفتش بالوزارة ليضبط هذه الحادثة ، فسافر الى هناك متخفياً فى زى درويش يلبس عمامة خضراء وفى يده مسبحة طويلة ، ثم انزوى فى ركن بجوار صندوق النذور .

ولاحظ فى مخبئه هذا أن درويشاً ضخم العمامة تدلت لحيته وارتمت على صدره واسمه عيسى صومع وهو واقف بجوار الصندوق يتمتم ويهمهم ، وعند مايقترب من الصندوق شخص يقترب منه مدعياً بأنه ابن سيدى ابراهيم الدسوقى ولا تتم البركة إلا إذا وضع هو بنفسه النذر فى الصندوق ، ثم تأخذه (الجلالة !) فيصيح و يتمايل ويدس المبلغ فى جيبه . وقد ضبط هذا الدرويش اللص متلبساً بجريمته وضبط معه مبلغ من المال كان قد سرقه بهذه الطريقة .

***

وبعد فلو فرضنا أن فى مصر نحواً من ٥٠٠ صندوق نذور ، وهذا قليل جداً ، وإذا فرضنا كذلك أن مايجمع من كل صندوق ٣٠ جنيها فى الشهر ، وهذا أقل

من القليل . . فكأن إيراد هذه الصناديق فى العام يصل الى ١٨٠٠٠٠ جنيه يذهب فى الهواء !

﴿ الهدى النبوى ﴾ هذا مانشرته مجلة (الاثنين) من فضائح النذور لأولئك الموتى الذين لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا ، فضلا عن إيصال النفع أو الضر لسواهم . ويذكر القراء أننا علقنا على خبر شبيه بهذا نشرته مجلة (الفتح) الغراء وقلنا حول هذه المخزية مافيه الكفاية . كما نذكر أن ذلك كان يتعلق بنصيب الأزهر من هذه النذور .

ونعيد اليوم ماقلناه بالأمس وهو أنه من العار أن تظل وزارة الاوقاف تحتضن هذا المنكر وتساعد على جباية هذا السحت بعد ما استفاض النهى الصريح عن جمعه وأكله ، وقد آن الأوان أن يصدر تشريع بزجر الناس عن اتيان هذا الحنث ويطهر دين الله مما شوه جهاله من أمثال هذه النذور وغيرها من القربات ، كما آن لوزارة الاوقاف أن تلغى هذه الصناديق جملة واحدة وتوعز لأئمة المساجد تفهيم الناس حرمة النذر لأولئك المشايخ المعتقدين فان ذلك مما يصرفهم عن عبادة الله وحده ثم يوجهونهم الى بذل هذا المال فى المصارف الخيرية وما أكثرها ، وكفى ما هم فيه من بلاء للشرك بالله فى نزوله وللشح عن الانفاق فى سبيله أكبر نصيب .

دع الخمر – نصح أخ – إنها ... لتوهى القلوب وتردى النهى
وحيث وجدت دماراً و بؤسا ... ولم تدر مأتاهما ظنها
أما هى تلك التى خربت ... بيوتاً بتقويضها ركنها
أما هى تلك التى ضعضعت ... شعوبا ودكت بها مدنها
وكل المربين من كل جيل ... وكل النبيين عنها نهى
وكل أولى العزم قد سبها ... وما فى أولى الحزم من سنها

سنة الجمعة القبلية

— وعدم مشروعيتها —

قرأت الاعتصام للشاطبى ، وزاد المعاد لابن القيم ، ومصابيح السنة للبغوى ، وشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر ، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد والأم للشافعى ، فما وجدت للركعتين القبليتين للجمعة أصلا يعتد به ، ومن ثم أقنعت قومى بعدم صلاتهما ، وظللنا كذلك نعبدالله كما شرع ردحا من الزمن . غير أنه قد شاع هذا الحدث فى الدين حتى وصل الى سمع علمائنا الرسميين ، فكبر عليهم وقالوا : ماهذا الانسان يحدث حدثاً فى الدين تكاد السموات تتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ثم لا نؤدبه جزاء جرأته وابتداعه فى الدين وخروجه على علماء المسلمين . ثم اتفقوا فيما بينهم على يوم معلوم ليلقوا فيه بعصا موسى تلقف مايأفك المارقون .

وفى اليوم الموعود حضر اثنان منهم ليؤدبا ذلك الذى يقول فى دين الله وليس من شيوخ الأزهر ، وليردا القرية إلى دين الله بعد أن صبأت بزعمهم . قال أحدهما فى بيت الله بعد صلاة الجمعة ان الركعتين سنة مؤكدة ، ومن قال بغير ذلك فهو آثم قلبه . فقلت للشيخ : ماالدليل على سنية الركعتين؟ فأجاب: كتب الفقه المؤلفة على مذهب الامام الشافعى والمقررة بالأزهر . فقلت للشيخ : إن صح ماذكرته دليلا وجب أن تكون الآية : فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول وكتب الفقه . فقال الشيخ : وكأنك لاتؤمن بتلك الكتب ؟ فقلت له : لا أؤمن إلا بما آمن به الرسول والمؤمنون : آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . أما غير ذلك فما علىّ من بأس إذا لم أومن به . فهاج الشيخ وماج ، وغضب وزمجر ولكن فى غير طائل . ثم قلت له : إذا كان يغضبكم الاحتكام إلى

الله ورسوله فتعال نحتكم الى إمام مذهبكم (الشافعى) فانتفض الشيخ انتفاضة وصاح بملء فيه . وهل قال الشافعى بخلاف ما قرره علماء المذهب ؟ فقلت له على رسلك يامولاى واسمع قول الشافعى فى وكان الأجدر أن نسمعه من شيوخ الأزهر. فوجم الشيخ وقال : هات ماعندك . فتلوت عليه :

قال الشافعى : «ولا يؤذن للجمعة حتى تزول الشمس،وإن أذن لها قبل الزوال أعيد الأذان لها بعد الزوال ، وأحب أن يكون الأذان يوم الجمعة حين يدخل الامام المسجد ويجلس على موضعه الذى يخطب عليه خشب أو جريد أو منبر أو شىء مرفوع له أو الأرض فاذا فعل أخذ المؤذن فى الأذان فاذا فرغ قام فخطب لا يزيد عليه » من كتاب الأم ج ١ ص١٧٣ ؛ وما كدت أن أصل إلى هـذا الحد حتى ابتدر الشيخ الباب معتذراً بأنه مريض لايستطيع المكث فى المسجد أكثر من ذلك و يعلم الله أنه مابه مرض . وإنما هى حيلة مفضوحة للفرار من الميدان ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وقد سبق أن سئل حجة الاسلام المغفور له السيد رشيد رضا عن صلاة هاتين الركعتين . فأجاب بعدم مشروعيتهما . ولما ان كان قوله الفصل فى كل تحقيق يتولاه فانى أنقل لقراء مجلة الهدى النبوى تحقيقه فى هذه المسألة ليزداد الذين آمنوا إيمانا وهاهو:

سال سائل فضيلة الأستاذ السيد رشيد رضا رحمه الله عن :

(س ١) هل ثبت من طريق شرعى ـ غير مارواه ابن ماجة وقدضعفه وجرحه أهل الحديث ـ أن النبى ﷺ صلى قبل الجمعة ركعتين أو أربعاً بنية سنة الجمعة أو أمر بذلك أو أقره ؟

(س ٢) أيصح القياس فى تشريع الصلوات فنصلى سنة قبلية للجمعة قياساً على الظهر ؟

فأجاب رحمه الله بالآتى :

(ج ١) يعنى السائل بحديث ابن ماجة ما رواه عن ابن عباس قال : كان

النبي ﷺ يركع قبل الجمعة أربعاً لا يفصل في شيء منهن. وفي إسناده « مبشر بن عبيد » كذاب و « بقية بن الوليد » مدلس اهـ

أقول : وقد عنعن كل من الحجاج بن أرطاه و بقية وكذا مبشر فالحديث موضوع وقال النووي في الخلاصة أنه حديث باطل

وقد ورد في هذا المعنى عدة أحاديث أمثل من حديث ابن ماجة ولكنها ضعيفة (منها) حديث أبي هريرة عند البزار : كان يصلي قبل الجمعة أربعاً و بعدها أربعاً ـ ومثلها عن علي رواه الأثرم . وقال : إنه واه والطبراني في الأوسط ، وروى الطبراني مثله عن ابن مسعود وفي إسناده ضعف وانقطاع . والصواب أنه موقوف كما رواه عبد الرزاق ومثله عند ابن سعد عن صفية زوج النبي ﷺ وهو موقوف أيضاً أفاد ذلك كله الحافظ بن حجر ولم نطلع في كتب السنة ولا فيما احتج به من قال : بأن للجمعة سنة قبلية على حديث صحيح صريح في ذلك بل الثابت الذي لاخلاف فيه أنه ﷺ كان يخرج من بيته الى المسجد إذا زالت الشمس فيؤذن بين يديه فيخطب فيصلي بالناس فريضة الجمعة فينصرف الى بيته فيصلي فيه ركعتين

ولكن وردت أحاديث في الصحاح وغيرها استدل بها القائلون بسنية الصلاة قبل الجمعة ورد عليهم المانعون استدلالهم (منها) ما رواه أبو داود وابن حبان من طريق أيوب عن نافع قال : كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة و يصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك .

قال الحافظ : احتج به النووي في الخلاصة على إثبات سنة الجمعة التي قبلها وتعقب بأن قوله « كان يفعل ذلك » عائد على قوله : « ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته » . ويدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال : كان رسول الله يصنع ذلك ، أخرجه مسلم وأما قوله : كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فان كان المراد بعد دخول الوقت فلا يصح أن يكون مرفوعا لأنه ﷺ كان يخرج إذا زالت الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلاة

الجمعة ، وإذا كان المراد قبل دخول الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة ، فلا حجة فيه بسنة الجمعة التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد ورد الترغيب فيه

أقول : وروى أحمد عن عطاء الخراساني عن نبيشة الهذلي عن النبي ﷺ قال : « إن المسلم إذا اغتسل يوم الجمعة ثم أقبل الى المسجد لا يؤذي أحداً فان لم يجد الامام خرج صلى مابداله ، وإن وجد الامام قد خرج جلس فاستمع حتى يقضي الامام جمعته وكلامه إن لم يغفر له في جمعته تلك ذنوبه كلها أرجو أن تكون كفارة للجمعة التي تليها » . وعطاء الخراساني فيه خلاف وثقه بعضهم وضعفه البخاري ، وذكر باسناد له عن سعيد بن المسيب أنه قال : كذب عليّ عطاء ماحدثته هكذا ؛ وقال ابن حبان كان رديء الحفظ يخطيء ولا يعلم فبطل الاحتجاج به ؛ وهو لم يسمع من نبيشة بل قال الطبراني إنه لم يسمع من أحد من الصحابة إلا من أنس . على أن الحديث كما يتبادر من لفظه في النفل المطلق ولا خلاف في جوازه قبل الصلاة .

وظاهره منع تحية المسجد إذا كان الامام قد خرج وهو معارض بحديث « إذا جاء أحدكم والامام يخطب - أو قد خرج - فليصل ركعتين » وهو مفصل في رواية أخرى وقد حقق الجمهور أن هاتين الركعتين هما ركعتا تحية المسجد ولو كانت سنة قبلية للجمعة لأمر الناس كلهم بها قبل الخطبة التي كان يبتدر المنبر بها عند الزوال

وروى الجماعة كلهم : « أحمد والشيخان وأصحاب السنن » عن ابن عمر : أن النبي ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته ، ولم يذكر قبلها شيئا . وورد في معناه أحاديث أخرى ، وروى الجماعة ماعدا البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات »

وفي رواية لمسلم : « من كان منكم مصلياً بعد الجمعة فليصل أربعاً » وهو لفظ أبي داود والترمذي ولكن لم يصح أنه ﷺ صلى بعدها أربعاً ولا قبلها شيئا

(ومنها) ما استدلوا به من عموم ماورد في الرواتب ، قال الحافظ وأقوى

مايتمسك به فى مشروعية ركعتين قبل الجمعة ماصححه ابن حبان من حديث عبدالله ابن الزبير مرفوعا « بين كل اذانين صلاة لمن شاء » أقول وقد رواه الجماعة كلهم . والمراد بالأذانين الأذان والاقامة

والمانعون يقولون إن هذا العموم مخصوص بغير الجمعة إذ ثبت بل تواتر بالعمل الاجماعى أنه ليس بين أذانها وإقامتها الا الخطبة ؛ وهذا أقوى من تخصيص بعضهم له بغير صلاة المغرب لما ورد من أنهم لم يكونوا يصلون بين أذانها وإقامتها شيئا بل كانوا يشرعون فى الصلاة فى أثناء الأذان ولما ورد من حديث بريده عند البزار من استثناء صلاة المغرب فى مثل حديث عبدالله بن مغفل مع أن هذا ضعيف وما قبله معارض بما روى من صلاة بعضهم لها فى الصحيح

(ج ٢) الأصل فى القياس الصحيح أن يكون فيما لا نص فيه من كتاب ولا سنة . وهو ماورد النص على علته مع نفى الفارق فيما يشاركه فى العلة . والأصل فى جميع الأحكام التعبدية : أن تثبت بالنص . ولولا ذلك لم يثبت اكمال الدين ، ولا أن النبى ﷺ وأصحابه كانوا أكمل المؤمنين دينا وعبادة وكل منهما قطعى . وهذا أساس مذهب الامام مالك ، كما بينه الشاطبى فى الاعتصام (يراجع ص١٢٣ ج ٢) وقد فصلنا هذه المسألة فى المنار مراراً وفى تفسير قوله تعالى (٥:١٠٤) «ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » من جزء التفسير السابع . وفيه تفصيل لمسألة القياس الصحيح والباطل .

والتحقيق : أنه لا يمكن اثبات عبادة عملية محضة مستقلة بالقياس المحض لانحو نية ، وما كان من تحقيق المناط وما ثبت من فحوى الخطاب، أو لحنه ، ولا يتسع هذا الجواب لبسط هذه المسألة ولا هى من موضوعه . وقد غلط من جوز اثبات سنة قبلية للجمعة بالقياس على الظهر . ويغنى عنه القول بأن كون الجمعة بدلا من الظهر يقتضى أن يصلى قبلها وبعدها من الراتبة ما يصلى قبل الظهر وبعده . وهذا ليس بقياس ، والمانعين أن يردوه بما دلت عليه النصوص فى الجمعة ؛ وليس من موضوعنا هنا الترجيح بين الأقوال فى المسألة اه ص ٥٧٧ من المجلد ٢٤ من المنار .

المسواك

نشرت جريدة الاهرام بامضاء طاهر حسن درة بعنوان (المسواك) ما يأتى :

« المسواك عود من فروع نبات صحراوى يدعى (الاراك) ، وهو ينمو بجزيرة العرب وصحراء مصر . وقد ثبتت فوائده فى علاج الاسنان ونظافتها ، إذ أنه يشد اللثة و يقوى المعدة بما يحتويه من القلويات ويدر البول و ينقى المثانة لما تنطوى عليه أليافه من أملاح البوتاسا .

ويقول مدين بن عبد الرحمن أحد أطباء العرب فى القرن الحادى عشر (إن المسواك عشر خصال : فهو يطيب الفم وينظف الاسنان و يشد اللثة و يذيب البلغم و يفتح الشهية ويقوى المعدة ويساعد على الهضم فى الفم والمعدة والامعاء)

ولقد تحدث (فوسوكال) عن نبات الاراك فى مؤلفه فقال ان خشبه عظيم الفائدة من الوجهة الصحية ، وأن منقوعه اذا استعمل من الظاهر يحال الأورام ، وهو عدا ذلك يعد ترياقاً للسموم

فحبذا لو استعضنا بالمسواك عن العقاقير الأخرى فى نظافة الفم للاستفادة من مزاياه الطبية وزهادة ثمنه ، فى وقت يلزم فيه الاقتصاد » اه

هذه كلمة قيمة عن فوائد المسواك تكشف عن السر فى قول النبى ﷺ « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » وهو من السنن التى كان يواظب عليها حتى كاد يجعلها فرضاً لولا المشقة على الناس وهو بهم رءوف رحيم وذلك للفوائد الصحية التى ورد بعضها فى ثنايا هذه الكلمة و يظهر من اسم صاحبها أنه مسلم ولكن ما باله لم يشر اشارة واحدة - وقد استشهد بقول عربى وأعجمى - إلى ما أثبت نبى الاسلام ﷺ لعود الاراك من منافع إن جاءت مجملة فى مثل قوله عليه السلام فيه إنه مطهرة للفم مرضاة للرب فقد فصلت على مر الزمن وكشف الطب

أدبيات

بحث لغوى

أذكر أنى قرأت من زمن بعيد رسالة للاستاذ العالم اللغوى حفنى بك ناصف رحمه الله تقدم بها لمؤتمر أقامه جماعة المستشرقين فى إحدى البلاد الاوربية ـ ولعلها جنيف ـ بحث فيها بحثاً شيقاً عن نسبة سكان وادى النيل ـ وعلى الخصوص سكان الصعيد ـ إلى أصولهم العربية بحسب لهجاتهم التى يتخاطبون بها ، فحكم مثلا على من يقلب ميم أول الكلمة باء فيقول فلان لزم بكانه بدل مكانه كبعض بلاد مديرية اسيوط بأنهم من قبيلة كذا (وقد عينها فى الرسالة بما لا يحضرنى الآن) وقلب الميم باء أو تبادل الميم والباء لغة فصيحة استعملها الكتاب العزيز فى قوله « للذى

الحديث عن أسرارها والحمد لله فلو عددنا هذا القول من أعلام النبوة لما أبعدنا ذلك أن قوله مطهرة للفم يفيد ـ بلغة العصر ـ وقاية الأسنان من الأمراض الكثيرة التى تتعرض لها والتى أثبت الطب الحديث أن أمراضها وأمراض اللثة ينشأ عنها أغلب الأمراض الباطنية لما تفرزه من سموم تؤثر فى وظيفة المعدة أسوأ تأثير ، حتى لقد صارت احالة المصابين بالأمراض الباطنية على طبيب الأسنان لعلاجها أو خلعها إن استعصى علاجها من الوسائل الضرورية لمعالجة المرض الباطنى

ويكفى أن يكون السواك مطهرة للفم على المعنى المتقدم فيستعمله من تهمهم المحافظة على صحتهم فينالوا باستعماله احدى الحسنيين وأن يكون مرضاة للرب فيحافظ على استعماله أهل الايمان فيفوزوا بكلتا الحسنيين ولا يزهد فى ذلك الخير إلا من سفه نفسه .

ببكة مباركا » وحكم على من يحركون الحاء الساكنة التى تقع فى وسط الكلمة كمحمود وبحر ولحم وغيرها كبعض بلاد مراكز أبى تيج بطما وطهطا من أعمال مديرية سوهاج بأن أصلهم من قبيلة كذا « وذكرها كذلك فى الرسالة » وهكذا ظل يرد سكان كل إقليم إلى أصولهم العربية بلهجة تخاطبهم بتوسع تناول أغلب سكان وادى النيل بل تجاوزه الى أهل الواحات ، وإنى آسف حيث فقدت منى هذه الرسالة ولو كانت بين يدى الآن لأوردت منها نماذج أكثر مما ذكرت لتشابهها فى الطرافة بالبحث الذى اعتزمت تقديمه لقراء الهدى فأقول بعد هذه المقدمة وبالله التوفيق :

لغتنا العربية هى أثرى اللغات طرقاً فى أداء الأغراض والترجمة عن المراد ، فمن حقيقة إلى كناية إلى مجاز إلى استعارة إلى غير ذلك مما تفيض به أساليبها ويعرفه المطلعون على آدابها من منثور ومنظوم .

ولقد لفت نظرى نوع من هذه الأساليب منتشر الاستعمال فى كثير من بلاد الصعيد ما كنت آبه له قبل ذلك بل كنت أستعمله استعمالهم للدلالة على الغرض الذى أريد من غير بحث عن أصله أو تقص عن مصدره حتى أجلت التفكير فيه وتتبعت بعضه بالفحص والتنقيب فوجدته من أروع الأساليب التى تؤدى الغرض أداء كاملا . تؤديه بطريق معنى اللفظ اللازم لا بطريق معناه المباشر ووجدت اهل هذه البلاد يستعملون الفاظاً كثيرة للتعبير بها عن اغراض هى بعيدة فى ظاهرها عن أداء ما يقصدون منها فلو سمعهم غريب عن بيئتهم يتكلمون بهذه الألفاظ ثم ترجم معناها على ظاهرها المتبادل لعدها ضرباً من اللغو ولا شك ولأوجب عليهم أن يترجموا عن غرضهم بألفاظ تدل على مايقصدون !

ولقد سألت بعضهم (أى بعض من يتكلمون بهذه الألفاظ) عن المعنى المباشر لها وهل هو ينطبق على غرضه فما عرفه وإنما تلقى استعمالها فى هذا الموضع عن طريق الوراثة بقطع النظر عما يؤدى اليه ظاهر معناها ؛ ولكن عند امعان النظر نجدها تؤدى ماقصدوا إليه أداء محكما بل أداء ربما لا يبلغ دقته ومطابقته

المقام لفظ فصّل خصيصاً لهذا الغرض .

ولما كانت هذه الألفاظ بمعناها اللازم أو المنقول غير مدونة ولا مضبوطة ولكنها تتداول بطريق السماع وجمهوا إنما يكون اصطياداً للكلمة بعد الكلمة — ويتاح ذلك المقيم بينهم أكثر مما يتاح لابن بيئتهم البعيد عنهم — فإني أسوق لك أيها القارىء الكريم مايحضرني منها الآن وأشرح لك معنييها الأصيل والدخيل لتعرف من أسرار لغتك مافضلها الله به على سائر اللغات حتى جعلها ظرفاً لخطابه في محكم كتابه

١ - (باقرَ) هذه الكلمة يستعملونها في الجمع بين اثنين نقل أحدهما عن الآخر لشخص ثالث أنه شتمه أو عابه فاذا أنكر المتهم هذا جمع بينهما المشنوم ليتواجها فيعرف الصادق من الكاذب . هذا هو لازم الكلمة المسموع أما أصل المادة فان بقر بطنه بمعنى شقها كما هو معلوم ، والمباقرة المفاعلة أي فعل البقْر من الطرفين فكأن ناقل السوء والمنقول عنه إذا اجتمعا وتباقرا أي شق كل منهما بطن أخيه فأظهر خفي كلامه تبين عند المزنون بالسوء المحق من المبطل . ومعنى الكلمة المباشر كما سمعت بعيد عن أداء ما يقصدون كل البعد بحيث لو سمعه من لا يعرف اصطلاحهم لأنكره وما عرف غرضهم من إيرادها ولكانت عنده لغة أجنبية وإن كانت بلسان عربي مبين ولكنه سرعان ما يعترف بسمو هذا التعبير بعد إدمان الروية وظهور المعنى الذي سمعته آنفاً

٢ - (سوّاط) هذه الكلمة معناها عندهم النمام والأصل في مادة السوْط هو الخلط من ساط يسوط سوطا أي خلط ومنه قوله تعالى (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي عذابا متنوعا فاذا أجريناها على ظاهرها أدت المقصود ولكن بشيء من الضعف إذ أن خلط النمام الحق بالباطل والصدق بالكذب يفسد علاقة المتحابين المتصلين به بعضهم ببعض على وجه عام ولكن إذا قلنا إن معنى السوّاط آت من ناحية السوط وهو القطعة المعروفة من الجلد وقلنا إن السواط هو

الذى يضرب بالسوط فكأن الموصوف بهذه الصفة الذميمة يسوط قالة السوء فتصل سريعاً الى المتحابين فتقطع حبلى مودتهما كما يسوط الرجل دابته إذا ونت فتعدو به عدواً لكان هذا المعنى لما قصدوا أليق وبمرادهم ألصق

٣ — (إتنبر) هذا الفعل مصحف عن انتبر بمعنى ارتفع وهم يصفون به من تكبر أو تعالى بغير أهلية ولا كفاية خصوصاً المحدثين من أهل النعمة ، وهذه صفة تكاد تلازم هؤلاء فاذا أضفت الى ذلك أن من معانى النبر قلة الحياء أدركت دقة هذا اللفظ المنقول من الارتفاع المادى الى الارتفاع المعنوى فى أداء هذا الغرض بعد ازدواجه ببعض معانى هذه الكلمة كما سبق بيانه

٤ — (إشّكر) هذا الفعل مصحف عن شكِر وتكاد تكون فى الدلالة على من خرج عن طوره وتعدى حده كسابقتها وقد يستعمل فى صفة النهى فيقال (لاتشّكر) والتصحيف يلازم صيغتى الاخبار والنهى وظاهر الصيغتين غريب الاستعمال ولكنهم يريدون بذلك الاخبار أو النهى عن لازم الشكر أو المدح وهو الغرور عند النفوس الضعيفة فيأتى هذا المغرور بالشكر أو المدح أعمالا غير لائقة .

٥ — (يتّلّت) هذا الفعل مصحف عن (يتثلث) ويطلقونه على المتكبر الذى يمشى الخيلاء وهم يريدون انه إذا مشى صار جسمه أثلاثاً يكاد ينفصل بعضه عن بعض لشدة كبريائه وتثنيه فى مشيته ويقصدون لازم هذه المشية وهو الكبرياء والقرآن الكريم عبر عن ذلك حيناً بثنى العطف وحيناً بتصعير الخد وكلاها استعارة للدلالة على الكبرياء والمشىء فى الأرض مرحاً

٦ — (يتكاحل) يعبرون بهذا الفعل عن المكر وتعميا القصد وعدم الصراحة واشتقاق الفعل من الكحل ويقصدون به لازمه وهو السواد أو الظلام فكأن (من يتكاحل) بحسب تعبيرهم يستر قصده بالتعمية وعدم الصراحة كما يستر ظلام الليل وجهة السارى فيه ولكن استعمال هذا الفعل بصيغة (يتفاعل) متضمناً لمعنى آخر

وهو محاولة إخفاء القصد مع ظهوره للمخاطب أو المستفهم فكأنه يتكلف الاخفاء تكلفاً وقديماً قال الشاعر : « ليس التكحل فى العينين كالكَحَل »

٧ - (النَّبَّصه) جرت بادىء بدء فى مرادهم بالتعبير عن هذه الكلمة بصغر مايعطيه أحدهم للآخر فيقول أعطانى شيئاً قدر النبصة كما يعبر عن ذلك بالفتيل والقطمير والنقير فى اللغة الفصيحة وكدت أعتقد أنها كلمة دخيلة غير عربية ولكن عند امعان النظر وجدت أن أصلها مصحَّف من (النبسة) بسكون الباء من النبس وهو التلفظ والنبسة كاللفظة وزناً ومعنى ولكنهم حركوا الباء وأبدلوا السين صاداً وهى لغة فصيحة كالسراط والصراط ووجه الشبه بين النبسة والشىء البسيط هو القلة فى كل فكأن قلة العطية كقلة الزمن الذى تستغرقه النبسة

٨ - (طالع فى الأندر) يقصدون بهذا الوصف من جاوز قدره لمعنى اللازم للفعلين اللذين تقدما فكأنهم يقولون إن هذا الرجل لم يشارك الناس فى عاداتهم وأحوالهم المتعارفة بل تتبع النادر من العادات ولم يكفه النادر منها بل صار الى الأندر فيكون بذلك قد شذ عنهم وتعالى عليهم وأتى بأفعال مستهجنة بدون مبالاة

٩ - (عراق) هذا جواب يجيب به فى بعض الاحيان من يُسأل عن حاله فيقول لسائله (عراق) أى حال طيبة ونعمة وافرة وبديهى أن الكلمة آتية من لازم حال العراق أيام كانت للعباسيين فيه دولة لازالت على وجه الزمان ملء سمع التاريخ وبصره ولا زال عهد هذه الدولة الى اليوم مثلا يضرب فى وفرة النعيم ثم صار ذلك كله كأن لم يغن بالأمس وسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

هذا ما اتسع صدر الهدى لنشره من هذا البحث اللغوى الطريف وفى النية إن شاء الله موالاة الفحص عن مثل هذه الكلمات والبحث عن أصولها حتى تتم منها رسالة تصلح للنشر مستقلة تعميما للنفع والله المستعان .

محمد صادق عرنوس
وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

نفثات مصدور

للشاعر الكبير الاستاذ محمد النجمي رحمه الله

تأخرنا وأقدم كل حي ... وأفقدنا التواكل كل شيء

أعدْ نظراً فهل أبصرت إلا ... سوائم ليس تزجر بالعصي

يسخرها العدو ألا تراها ... لفخذيه أذل من المطي

ولو رُزق المنى فيها حماها ... فتات الخبز أو رشح الركي

هوينا للحضيض فهل عملنا ... على إيقاف ذياك الهوى

وحلقت الشعوب فما نظرنا ... لها إلا بباصرة الغبي

عجبت وحالنا والله أدعى ... الى الاشفاق والدمع السخي

أنصبح سادة الدنيا ونمسي ... زعانف أهلها دون العشي

يهاجمنا العدو فنتقيه ... بضعف الشيخ أو دمع الصبي

نفر من الحمام ونحن فيه ... ومسلوب الكرامة غير حي

ونبخل باليسير وأي عيب ... كعيب البخل في الرجل الغني

رزقنا المال لكنا حرمنا ... لشقوتنا خلال الاريحي

فلم نظفر على الدنيا بحمد ... ولا أجر لدى الدنيا سني

ومن رزق الغنى وعداه هذا ... وذاك فانه أشقى شقي

لحى الله مطايا المال منا ... فهم جرثومة الداء الخفي

وهم يتهافتون على المقاهي ... لبذر المال في لهو وغي

لئن وجدوا حياة الذل أجدى ... على الأهواء من عيش الأبي

فقد يجد الحمار التبن أدعى ... للذته من الرطب الجني

رأى الأئمة فى المذاهب الصوفية

قال الامام الشافعى الذى توفى سنة ٢٠٤ هـ : إذا تصوف الرجل فى الصباح لا يأتى المساء الا وهو مجنون . وأنكر الامام احمد الذى توفى سنة ٢٤١ هـ بعده على خيارهم ، ونهى عن قراءة كتب الحارث المحاسبى على التزامه الكتاب والسنة علماً وعملا . وروى الخطيب بسند صحيح أن الامام أحمد سمع كلام المحاسبى فقال لبعض أصحابه : ماسمعت فى الحقائق مثل كلام هذا الرجل ، ولا أرى لك صحبتهم : وسئل الامام أبو زرعة عن الحارث المحاسبى وعن كتبه التى ألفها فى : أصول الديانات ، والزهد على طريق الصوفية ، فقال للسائل : إياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات . عليك بالأثر ، فانك تجد فيه مايغنيك عن هذه الكتب ، فقيل له : فى هذه الكتب عبرة ، فقال : من لم يكن له فى كتاب الله عبرة ، فليس له فى هذه عبرة — بلغكم أن مالكا أو الثورى أو الأوزاعى أو الأئمة صنفوا كتباً فى الخطرات والوساوس وهذه الأشياء ؟ هؤلاء قوم قد خالفوا أهل العلم . ثم قال : ما أسرع الناس الى البدع

ومن خيار الصوفية الوعاظ المتقدمين منصور بن عمار ، وقد ذكر ابن مفلح فى كتاب « الآداب الشرعية » أن الامام أحمد نهى عن كلامه . وقد أنكر الغزالى فى كتاب « الغرور من الاحياء » على المتشبهين بالصوفية ، و كان فى أواخر القرن الخامس ، فان الغزالى توفى سنة ٥٠٥ ، وكان قد تاب الى الله من علوم التصوف والكلام وانقطع الى علم السنة . ثم ان ابن الحاج المالكى المتوفى سنة ٧٣٧هـ تكلم فى كتابه « المدخل » على هؤلاء المتشبهين بالمشايخ من أهل عصره فى القرن الثامن وبين لهم من المنكرات ، وفند مايدعونه من الكرامات .

وبعد ، فهذا نموذج من كلام أئمة الاسلام ندعم به فتوى الامام الطرطوشى فى المذاهب الصوفية ، وحسبى ذلك وكفى أحمد أحمد القصير — بكفر المندرة

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين

حول صندوق الاعانة

لعل قراء الهدى الكرام قد اطلعوا على ما جاء فى تقرير ميزانية الجماعة الذى ألقى فى جمعيتها العمومية خاصاً بصندوق الاحسان وتنظيمه ليعظم نفعه و يتناول أكبر عدد ممكن من الاخوان ذوى الحاجة وقد تم ذلك فعلا بتوفيق الله وتيسيره حتى لقد ساهم هذا الصندوق مساهمة فعالة فى تخفيف غائلة الازمة عن كثير منهم وذلك من فضل الله و بكثرة الذين يرفدونه من اخواننا الميسرين أجزل الله مثو بتهم

والذى يملأ القلوب غبطة أن بعضهم استجاب الى الدعوة التى أذعناها بتخصيص زكاة أموالهم للفقراء من إخوانهم بدفعها فى هذا الصندوق ، فدفع أربعة منهم ـ لم يشاءوا ذكر أسمائهم ـ سبعة عشر جنيها دفع واحد منهم ثمانية والثانى خمسة وكل من الثالث والرابع اثنين .

وإنا نهيب باخواننا ذوى اليسار مرة أخرى أن يتخذوا من أولئك الخيرين أسوة حسنة فيخصوا الصندوق بزكاة أموالهم أو ببعضها لما لمسوا من عمل مثمر قام وما زال يقوم به هذا الصندوق .

والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه

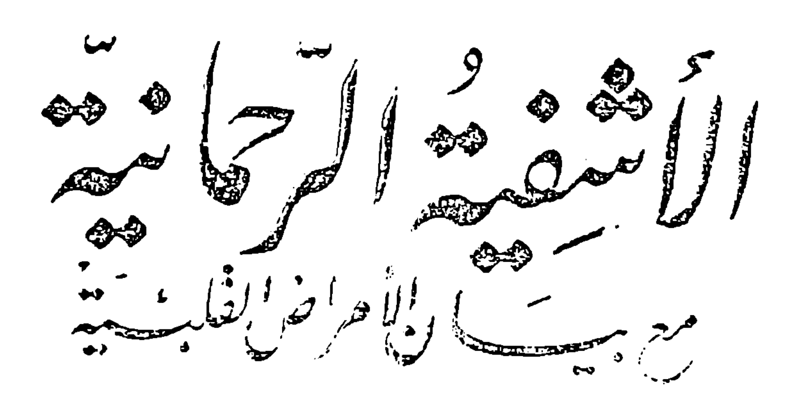
عشر رسائل سلفية

مجموعة رسائل لبعض الأئمة فى التوحيد، وذم التقليد، أراد بها الشيخ أبو عبد السلام أن يرد الحق إلى نصابه بعد أن حاول إزهاقه كتاب (إضلال الكائنات) وثمن هذه المجموعة ٢ قرش.

الدرارى المضية

للامام الشوكانى

الكتاب فى جزأين جمع فيهما فقه السنة فى العبادات والمعاملات: وهو لا يستغنى عنه مسلم. وهو بالنسبة الى كتب الفقه كنسبة السبيكة الذهبية إلى التربة المعدنية. الثمن ١٦ قرش عدا البريد



للشيخ عبد العزيز بن راشد. ثمنه ٥ قروش

جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ العددان ١١ و ١٢ السنة السادسة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

(مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير : محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة
قيمة الاشتراك ١٥ قرشا داخل القطر المصري والسودان
و ٣٠ قرشا خارج القطر
الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره ﴿ ويقول الذين كفروا : لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد ﴾

« الآية » العلامة الظاهرة . قال الراغب الاصبهانى : وحقيقته لكل شيء ظاهر ملازم لشيء باطن يعرف به ، ويدرك بادراكه ، حسياً كان ، كأعلام الطريق ومنار السفن ، أو عقلياً كالدلائل المؤلفة من مقدمات ونتيجة . وتطلق « الآية » فى القرآن على الجملة من الكلام المنزل من عند الله تعالى . لأنها دليل لفظى على العقيدة الصحيحة والأعمال الصالحة ، والأحكام والآداب التى شرعها الله لعباده ، كما تدل فى جملتها على أنها من عندالله لاعجازها البشر عن أن يأتوا بمثلها . وتطلق «الآية» فى القرآن على سنة الله الكونية فى السموات والأرض وما فيهما من عظيم خلق الله وبديع صنعه وبالغ حكمته فى الكواكب والانسان والحيوان والنبات والجماد ، لأنها يستدل بها على عظمة الله وجلاله وكماله ورحمته وعلمه وحكمته ، وعلى كل أسمائه وصفاته التى استحق بها أن يعبد وحده بجميع أنواع العبادة ، وأن يؤله بكل ماينبغى للالـهية (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل) ، وتطلق «الآية» فى القرآن على مايقيمه الله سبحانه لأنبيائه من المعجزات الخارقة لسنن الكونية دلالة على صدق من أعطى هذه الآية وأقيمت له منادية بلسان حالها : إن هذا العبد صادق فى رسالته عنى ، فاسمعوا له وأطيعوا . فانى أؤيده بتلك الآية ، ولولم يكن رسولا صادقا ما أيدته ولا أقمت له هـذه الآية

معجزة له . بل لخذلانه وأهنته وحقرته ، وفضحت عن كذبه ، وأقمت الآية على افترائه (تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا) (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء ، ومن قال : سأنزل مثل ما أنزل الله ؟)

فالمراد من « الآية » فى هـذه الآية التى نفسرها : « الآيه » بمعنى المعجزة الظاهرة الدالة على صدق الرسول ﷺ ، وأنه (ماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى) ولقد اعتنى الله تعالى بهذا الشأن من شئون المرسلين، وأعطاهم من الآيات البينات مالا يترك مجالا للشك فى صدقهم . وليس الله بحاجة إلى تنبيه الناس له إلى هذا الشأن ، فانه عليم حكيم ، ومستحيل عليه سبحانه أن يختار لرسالته عبداً من عباده ثم يتركه دون أن يقيم له الحجة البالغـة على أعدائه المكذبين ، مايقطع عذرهم ، و يبطل قولهم ، و يدمغ باطلهم ، ويكشف عن خبث نفوسهم ، وكبير إجرامهم لكل من يسمع و يرى . وهكذا شأنه سبحانه وتعالى مع رسله فى كل عصر وما يقتضيه من الآيات والمعجزات ، يظهر واضحاً بأدنى تأمل فى آيات الله المتـلوة فى القرآن الكريم (ولكن أكثر الناس لايعقلون) و(لايعلمون) قال تعالى على لسان نوح (ياقوم ، أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده) وقال فى عاد قوم هود (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد) وقال على لسان صالح (قد جاءتكم بينة من ربكم) (ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة) وقال على لسان شعيب (ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا) (ياقوم اعبـدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) وقال فى شأن ابراهيم (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) وقال على لسان موسى (قد جئتكم ببينة من ربكم) (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هـذا سحر مبين) (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا : ماهـذا إلا سحر مفترى) وقال على لسان عيسى (أنى قد جئتكم بآية من ربكم : أنى أخلق لـكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيـه فيكون طـيراً بإذن الله . وأبرىء الأكمه والأبرص

وأحيي الموتى بإذن الله . وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) (وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون)

أما آيات خاتم المرسلين محمد ﷺ ومعجزاته التي أيده الله تعالى بها ، ودمغ بها باطل قريش وكل كافر به إلى أن تقوم الساعة ، فلا يكاد يحصيها العد ، حتى شاهدوه واقعاً تحت أبصارهم من إجابة الشجر لدعائه ﷺ وتكثير الطعام في يده ونبع الماء من بين أصابعه ، ونزول الملائكة لتأييده ونصره وأمثال ذلك مما امتلأت به صحف التاريخ والسير والحديث ، ويتناقله الكافة عن الكافة طبقة بعد طبقة وجيلا بعد جيل إلى يوم الناس هذا ، نقلا يقطع ألسنة الخراصين الذين هم في غمرة ساهون . (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا : إن هذا إلا أساطير الأولين) (قل إني على بينة من ربي وكذبتم به . ما عندي ما تستعجلون به . إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) .

وأعظم تلك الآيات وأجلها ، وأنصعها بياضاً ، وأقواها حجة ونوراً وأصدقها لساناً ، تلك الآية الباقية على وجه الدهر ، التي لا يزيدها كر الأيام ومر الليالي إلا صفاء وسطوعا ولا تزيدها حوادث الدهر إلا قوة وصدقا . تلك هي آية القرآن الكريم التي يقول الله تعالى فيها (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فان لم تفعلوا — ولن تفعلوا — فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)

(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله . ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه . قل فأتوا بسورة مثله . وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتيهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا : ائت بقرآن

غير هذا أو بدله . قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا مايوحى إلىّ إنى اخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به . فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ؟) (أم يقولون افتراه . قل فائتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دونه إن كنتم صادقين. فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو . فهل أنتم مسلمون؟) (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى . بل لله الأمر جميعا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (وقال الذين كفروا ان هـذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . فقـد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما) (وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) (وكذلك أنزلنا اليك الـكتاب فالذين آتيناهم الـكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به ، وما يجحد بآياتنا الا الـكافرون . وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى، علمه شديد القوى) (فلا أقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم ، انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين) (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون ، انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ، ولا بقول كاهن قليـلا ماتذكرون ، تنزيل من رب العالمين ، ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحـد عنه حاجزين ، وانه لتذكرة للمتقين ، وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ، وانه لحسرة على

الكافرين وانه لحق اليقين) (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين) .

وقد روى مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال « ما من الأنبياء من نبى الا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيت وحياً أوحى الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » يعنى أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى كل نبى من أنبيائه مايكفى لاقامة الدليل على صدق النبي فيؤمن به البشر ، اذا أنصفوا ولم تغلبهم عصبيتهم الجاهلية ولا حميتهم الشيطان ، ووقوا شر الاستكبار بالباطل . وبالطبع آية خاتم الأنبياء ﷺ كذلك فى هذا المعنى . وتمتاز معجزة القرآن بأنها باقية على وجه الدهر ، معجزة فى أسلوبها وبلاغتها ونورها وهدايتها ، معجزة فى معانيها وتشريعها واصلاحها المجتمع الذى يهتدى بنورها ويتحاكم الى أحكامها ويستمسك بعروتها الوثقى فى كل زمن ومكان . فهى داعية الى الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، وعمل الصالحات فى كل جيل والمسارعة الى البر والاحسان ، وتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق . ولذلك نجد دائماً من يستجيب لدعوتها ، كأن الرسول الأكرم ﷺ لم يمت ولم ينقطع بلاغه ، ولم يسكت لسان رسالته ، بخلاف آيات غيره من الأنبياء السابقين فانها كانت تفقد مزيتها وسر اعجازها بمجرد موت الرسول الذى أعطاه الله اياها . فالشيطان يستطيع أن يضل من أمم الأنبياء الذين ماتت معجزاتهم بموتهم مالا يستطيع أن يضل من أمة محمد ﷺ لقيام آيته ومعجزته العظيمة : القرآن الكريم الذى لايخلق على كثرة الرد ، ولا يستطيع أحد أن يبدل منه آية ولا حرفاً ، والذى قامت به الحجة على صدق الرسول الموحى اليه به . يعجز كل معاند ومكابر أن يأتى بسورة من مثله ولو اجتمع الانس والجن على مظاهرته . والذى لم تسمعه الجن حتى قالت (انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به) . وبآية القرآن وغيرها من

الآيات التى أقامها الله سبحانه على صدق محمد ﷺ اتضحت رسالته ﷺ اتضاح الشمس فى وسط النهار ؛ بل انها والله لأشد بياضا وسطوعا ونوراً واشعاعا من الشمس فى رابعة النهار ؛ ومع هذا الوضوح والظهور لم يستح المكابرون الذين ختم الله على سمعهم وقلبهم وجعل على أبصارهم غشاوة ؛ أن يماروا فى ذلك ويعاندوا باقتراح آيات أخرى على ماتهوى أنفسهم ، واضح فيها التعنت وغلبة الهوى وطاعة الشيطان الرجيم . قال الله تعالى فى سورة الأنعام مصوراً عنادهم وجحودهم وانهم لا يطلبون الآيات ويقترحونها لأن رسالة محمد ﷺ بحاجة الى الدليل والبرهان وأن بها بعض الخفاء ، وانما يقترحون الآيات تشهياً وتعجيزا - زعموا - (ولو أنزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا : إن هذا إلا سحر مبين . وقالوا : لولا أنزل عليه ملك ؟ ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) يعنى بهلاكهم إذ يتبين تعنتهم وعنادهم كما فعل بالذين من قبلهم (ثم لاينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) لأنهم لا يمكنهم التلقى عن الملك ، لشدته التى لايطيقونها . فلا بد إذن أن يكون الملك على هيئة البشر (وللبسنا عليهم مايلبسون) وعاد الالتباس بارسال الرسول بشراً . وقال فى سورة الأنعام أيضاً (وقالوا : لولا أنزل عليه آية من ربه ؟ قل ان الله قادر على أن ينزل آية . ولكن أكثرهم لايعلمون) وقال فى سورة الاسراء (وقالوا : ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء - كما زعمت - علينا كسفا ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه . قل سبحان ربى ! هل كنت إلا بشراً رسولا ؟ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الا أن قالوا : أبعث الله بشراً رسولا . قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وفى سورة يونس (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ؟ فقل : انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين) وفى سورة هود (فلعلك تارك بعض

ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ؟ انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل) وفى سورة الفرقان (وقالوا : مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ؟) (وقال الذين لايرجون لقاءنا : لولا نزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ؟ لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيرا) وفى سورة العنكبوت (وقالوا : لولا أنزل عليه آيات من ربه ؟ قل : انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين . أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقال فى سورة الاسراء مبينا حكمته البالغة ورحمته الواسعة فى عدم اجابة مقترحاتهم فى هذه الآيات (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون . وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها . وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) أخبر سبحانه أن امتناعه من ارسال رسله بآيات الاقتراح والتشهى لأنها لا حاجة للرسل بها ، وانها لاتقتضى إيمانا قصرت عنه الآيات التى أيد بها رسله ابتداء . وانها مع ذلك تكون سبب نقمة وعذاب . لأن الأولين سألوها كذلك فلما لم يؤمنوا بها عجل الله لهم العقوبة ، وضرب المثل بثمود واقتراحها آية الناقة . فظلموا أنفسهم بعقرها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم . وقد وصف الله سبحانه رسوله محمدا ﷺ بأنه ما أرسل لتعجيل العقوبة والعذاب والاستئصال وانما أرسل رحمة قال فى سورة الأنبياء (ان هذا لبلاغا لقوم عابدين . وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) فينبغى للناس أن يقبلوا هذه الرحمة ولا يطيعوا الشيطان فى استعجال العذاب والانتقام لو كانوا يعقلون :

قال المفسرون : ان المشركين تحكموا فى طلب الآيات . نحو تفجير الأنهار بمكة ، ونقل جبالها من أماكنها لتتسع على أهلها ؛ وانزال منشور من السماء ؛ وآية كآية موسى فى عصاه ويده وكآية عيسى فى خلق الطين طيراً بأذن الله وابراء الأكمه والأبرص بأذن الله . فذلك معنى قوله (لولا أنزل عليه آية من ربه) قال ابن عباس:

يريدون مثل الناقة والعصا . وما جاء به النبيون . وقال أبو اسحاق : طلبوا غير الآيات التي أتى بها ، فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى . فقال الله سبحانه (انما أنت منذر) يعني مخوف بعذاب الله في الدنيا والآخرة لمن كفر بالله ورسله وكتبه واتبع هواه فطغى . قال أهل المعاني . انما أنت منذر تنذرهم بالعذاب والانتقام ، وليس اليك من الآيات شيء ؛ انما أمرها الى الله ينزلها على ما في معلومه ؛ وما تقتضيه حكمته البالغة . يقول الله لنبيه ﷺ : (انما أنت منذر) تخوفهم سوء العاقبة وناصح لهم أمين . وقد أوتيت من الآيات والمعجزات ما فيه الكفاية في الدلالة على صدقك . والآيات كلها متماثلة في صحة الدعوى ولا تفاوت فيها . فالاقتراح انما هو عناد . ولم يجر الله سنته باجابة المقترحات إلا للآية التي حتم بها العذاب والاستئصال

وقوله تعالى (ولكل قوم هاد) قال عكرمة وأبو الضحى: يعني وأنت هاد لكل قوم ؛ كما قال ﷺ « بعثت الى الأسود والأحمر » ويكون على التقديم والتأخير . والتقدير : انما أنت منذر وهاد لكل قوم . والأولى في معنى الآية بالصواب أن لكل أمة من الأمم السابقة نبياً يدعوهم ويهديهم بما يعطيه الله من الآيات . لا بما يقترحون . ولست بدعا من الرسل . بل لك سالف في ذلك من اخوانك المرسلين . وهذا المعنى هو الواضح من الكلام السابق ؛ ومن آيات القرآن في هذا المعنى ؛ وهي كثيرة لا تدخل تحت حصر . ويدل على ذلك أيضاً ما أردفه الله من ذكر آيات واسع علمه وبالغ حكمته وتقديره للأشياء على قضايا حكمته . ومقتضى ذلك أنه سبحانه بهذا العلم والتقدير الحكيم يؤتي كل منذر من الآيات ما فيه البلاغ الكافي والدليل الواضح على صدقه . لأنه رسوله الى عباده الذي تقتضي رحمته وعزته أن يعان على أداء وظيفته بكل أسباب المعونة . فالاقتراح اعتراض على الله ؛ ونسبة الاهمال اليه سبحانه ؛ أو عدم علمه بما تقتضيه ملابسات زمن رسوله ، وما يحتاجه في بلاغه من الآيات . وهذا بلا شك أعظم البغي والظلم والكفر بالله وأسمائه وصفاته . ونعوذ بالله من ذلك . ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل ما أنزله على نبيه ﷺ بلاغا لنا وهدى ورحمة ، وأن يهدينا به صراطه المستقيم .

محمد حامد الفقي

أحاديث الأحكام

٧٨ — وعن بسرة بنت صفوان : أن رسول الله ﷺ قال « من مس ذكره فليتوضأ » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي والترمذي . وصححه أحمد وابن حبان . وقال البخاري : أصح شيء في هذا الباب : حديث بسرة .

٧٩ - وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « اذا أفضى أحدكم بيده الى فرجه ليس دونها حجاب فقد وجب عليه الوضوء » رواه أحمد والطبراني — وهذا لفظه والدارقطني وابن حبان والحاكم وصححه .

٨٠ - وعن قيس بن طلق بن علي الحنفي عن أبيه قال « كنت جالسا عند النبي ﷺ فقال رجل : مسست ذكري ، أو قال : الرجل يمس ذكره في الصلاة عليه وضوء ؟ قال : لا . انما هو بَضْعة منك » رواه أحمد . وهذا لفظه - وابو داود وابن ماجه وابن حبان والنسائي والترمذي . وقال : هذا الحديث أحسن شيء روى في هذا الباب . وقال الطحاوي : هو مستقيم الاسناد . وجعله ابن المديني أحسن من حديث بسرة . وقد تكلم فيه الشافعي وأبو زرعة وأبو حاتم وغيرهم وأخطأ من حكى الاتفاق على ضعفه .

٨١ — وقد روى الطبراني باسناده - وصححه - عن قيس بن طلق عن أبيه عن النبي ﷺ « من مس فرجه فليتوضأ » واسناده لايثبت اه

قال أبو طاهر - عفا الله عنهما - قال الترمذي : حديث بسرة حسن صحيح . وهو قول غير واحد من أصحاب النبي ﷺ والتابعين . وبه يقول الأوزاعي والشافعي وأحمد واسحاق . وقال البخاري : أصح شيء في هذا الباب حديث بسرة . اه

وبسرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد القرشية الأسدية . عمها ورقة بن نوفل قال مالك بن أنس : هي جدة عبد الملك بن مروان ، أم أمه ، فاعرفوها . وهي من المبايعات . وقال الحازمي : بسرة معروفة لاينكر شهرتها إلا من لا يعرف أحوال الرواة . وقال مصعب الزبيري : ليس لصفوان بن نوفل عقب إلا من بسرة . وهي زوجة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص . لها احد عشر حديثا . وحديثها هذا أخرجه مالك والشافعي وابن خزيمة وابن الجارود في المنتقى والحاكم في المستدرك : وقال أبو داود : قلت لأحمد : حديث بسرة ليس بصحيح ؟ فقال : بل هو صحيح . وقد رواه الدارقطني من عدة وجوه وقال هو صحيح ثابت . وكذلك صححه ابن معين والبيهقي والحازمي : وقال الترمذي : وفي الباب عن أم حبيبة وأبي أيوب وأبي هريرة وأروى بنت أنيس وعائشة وجابر ، وزيد بن خالد وعبد الله بن عمرو اه

فأما حديث أم حبيبة فرواه ابن ماجه والأثرم ، وصححه أحمد وأبو زرعة . وقد حكى الترمذي عن البخاري أنه قال : إنه أصح شيء في هذا الباب ، وهذا مناقض لما نقله عن البخاري وتقدم في حديث بسرة . وقد رجح الزيلعي في نصب الراية أنه حديث منقطع ، وأن مكحولا لم يسمع من عنبسة بن أبي سفيان راويه عن أم حبيبة .

وأما حديث أبي أيوب فرواه ابن ماجه ، قال الزيلعي : وهو حديث ضعيف

وأما حديث أبي هريرة فهو (٧٩) وقد صحح الذهبي في مختصره للبيهقي أنه موقوف على أبي هريرة ، كما أخرجه البخاري في تاريخه موقوفا .

وأما حديث أروى بنت أنيس فأخرجه البيهقي في السنن ، قال الحافظ بن حجر في التلخيص : سأل الترمذي البخاري عنه فقال : ماتصنع بهذا ؟ لاتشتغل به .

وأما حديث عائشة : فأخرجه الدارقطني عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ابن حفص العمري ، بلفظ « ويل للذين يمسون فروجهم ثم يصلون ولا يتوضأون . قالت عائشة : بأبي وأمي هذا للرجال ، أفرأيت النساء يارسول الله ؟ قال : إذا مست

إحداكن فرجها فلتتوضأ للصلاة » قال الزيلعي في نصب الراية : وهو معلول بعبد الرحمن هذا . قال أحمد : كان كذابا ، وقد روى أبو يعلى الموصلي في مسنده حديثاً يعارض هذا ، فروى بسنده الى سيف بن عبد الله الجميري - وهو مجهول كما في لسان الميزان - قال « دخلت أنا ورجال معي على عائشة ، فسألناها عن الرجل يمس فرجه والمرأة تمس فرجها ؟ فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أبالي ، إياه مسست أو أنفي »

وأما حديث جابر فرواه ابن ماجه وكذلك البيهقي في سننه من طريق الشافعي عن عبدالله بن نافع ، ثم قال قال الشافعي : وسمعت جماعة من الحفاظ غير ابن نافع يروونه لا يذكرون فيه جابراً ، يعني انه مرسل

وأما حديث زيد بن خالد الجهني فأخرجه أحمد في مسنده عن ابن اسحق . ورواه الطحاوي وقال : انه غلط . قال علي بن المديني : لم أعلم لابن اسحاق إلا حديثين منكرين : نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ « إذا نعس أحدكم يوم الجمعة ... » والزهري عن عروة عن زيد بن خالد « إذا مس أحدكم فرجه فليتوضأ » هذان لم يروهما عن أحد . اهـ من هامش نصب الراية

وأما حديث عبدالله بن عمرو بن العاص فأخرجه أحمد في مسنده والبيهقي في سننه وهو من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وفيها كلام مشهور قال الحافظ أبو الحجاج المزي : عمرو بن شعيب يأتي على ثلاثة أوجه : عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وهو الجادة . وعمرو بن شعيب عن أبيه عن عبدالله بن عمرو . وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو فعمرو له ثلاثة أجداد : محمد وعبدالله ، وعمرو بن العاص فمحمد تابعي ، وعبدالله وعمرو صحابيان . فان كان المراد بجده محمداً فالحديث مرسل ، لأنه تابعي . وإن كان المراد به عمرو بن العاص ، فالحديث منقطع ؛ لأن شعيبا لم يدرك عمرا . وإن كان المراد به عبدالله ، فيحتاج الى معرفة سماع شعيب من عبدالله ، وقد ثبت في الدارقطني وغيره بسند صحيح سماع عمرو من أبيه شعيب وسماع شعيب من

جده عبدالله اهـ . هذا ما يتعلق بحديث بسرة الذى احتج به من قال ينقض الوضوء بمس الفرج .

أما حديث أبى هريرة (٧٩) فقال الحافظ بن حجر فى التلخيص الحبير (ص ٤٦) أخرجه ابن حبان فى صحيحه من طريق نافع بن أبى نعيم ويزيد بن عبد الملك جميعا عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة بهذا ، وقال : احتجاجنا فى هذا بنافع دون يزيد . وقال فى كتاب الصلاة له : هذا حديث صحيح سنده عدول نقلته . وصححه الحاكم من هذا الوجه وابن عبدالبر - الى أن قال : فصح الحديث ، إلا أن أحمد بن حنبل كان لا يرضى نافع بن أبى نعيم فى الحديث ويرضاه فى القراءة ، وخالفه ابن معين فوثقه . ورواه الشافعى والبزار والدارقطنى من طريق يزيد بن عبدالملك خاصة ، وقال فيه النسائى متروك وضعفه غيره . قال البزار : لا نعلمه يروى عن أبى هريرة بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه . ثم قال الحافظ : احتج أصحابنا بهذا الحديث على أن النقض إنما يكون اذا مس الذكر بباطن الكف ، لما يعطيه لفظ الافضاء ، لأن مفهوم الشرط يدل على أن غير الافضاء لا ينقض ، فيكون تخصيصا لعموم المنطوق . لكن نازع فى دعوى أن الافضاء لا يكون إلا بباطن الكف غير واحــد . قال ابن سيده فى المحكم : أفضى فلان الى فلان وصل اليه . والوصول أعم من أن يكون بظاهر الكف أو بباطنها . وقال ابن حزم : الافضاء يكون بظاهر اليد كما يكون بباطنها . وقال بعضهم : الافضاء فرد من افراد المس ، فلا يقتضى التخصيص . اهـ كلام الحافظ

قال ابوطاهر - عفا الله عنهما - والافضاء مأخوذ من الفضاء ، وهو المكان الذى ليس فيه بناء حاجز بين اجزائه . ومن ذلك قوله تعالى فى سورة النساء وتحذير الرجال عن استرداد شىء مما اعطيناهن لأزواجهم من المال مهما بلغ (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) أى اختلط كل واحد منكما بالآخر بدون حاجز ولا فاصل ، حتى صار كأنه جزء منه لشدة الملابسة مع عدم الحواجز . وعلى ذلك يكون معنى إفضاء اليد الى الفرج فى حديث أبى هريرة - إذا صح - ليس معناه المباشرة بالكف فقط ،

بل شدة المباشرة التى هى العبث بالعضو والقصد إلى وجود الاحساس والشعور بهذه المباشرة فيترتب على ذلك تحرك الشهوة التى اختص بها الفرج دون سائر الأعضاء

وأما حديث طلق بن على (٨٠) فقال فيه الحافظ فى التلخيص : صححه عمرو ابن على الفلاس . وقال: هو عندنا أثبت من حديث بسرة . وروى عن على بن المدينى أنه قال هو عندنا اصح من حديث بسرة ، والطحاوى ، وقال : اسناده مستقيم غير مضطرب بخلاف حديث بسرة . وصححه أيضاً ابن حبان والطبرانى وابن حزم . وضعفه الشافعى وأبو حاتم وأبو زرعة والدار قطنى والبيهقى وابن الجوزى . وادعى فيه النسخ ابن حبان والطبرانى وابن العربى والحازمى وآخرون . وقد نقل الزيلعى فى نصب الراية حجة ابن حبان وما ساقه فى دعوى النسخ ، وملخصه أن طلق بن على كان قدومه على النبى ﷺ أول سنة من الهجرة حيث كان المسلمون يبنون مع رسول الله ﷺ مسجد المدينة ، وأنه عاد الى بلده . وأن أبا هريرة أسلم سنة سبع من الهجرة ، فخبره متأخر على خبر طلق بسبع سنين . والعمل بالمتأخر . وكذلك ذكر الحازمى فى الجواب عن حديث طلق : أنه ضعيف ومنسوخ . ثم ذكر حجته فى ذلك . ثم ذكر فى حكم النسخ : أن حديث طلق كان فى بدء الاسلام . وقد ذكر الحاكم فى المستدرك (ج ١ ص١٣٩) والبيهقى فى السنن (ج ١ ص١٣٦) والدارقطنى فى السنن (ص٥٥) مناظرة جرت بين أئمة الحديث وأعلام هذا الشأن فى عصرهم، ـ من طريق رجاء بن مرجى الحافظ . وكان إماما ثقة ثبتاً فى علم الحديث ومعرفته وحفظه ـ قال اجتمعنا فى مسجد الخيف بمنى أنا وأحمد بن حنبل ، وعلى بن المدينى ؛ ويحيى بن معين . فتناظروا فى مس الذكر، فقال يحيى : ليتوضأ منه . وقال ابن المدينى بقول الكوفيين ، وتقلد قولهم . واحتج بن معين بحديث بسرة بنت صفوان واحتج ابن المدينى بحديث قيس بن طلق، وقال ليحيى: كيف تتقلد اسناد بسرة ، ومروان ابن الحكم أرسل شرطياً حتى رد جوابها اليه ؟ فقال يحيى بن معين : وقد أكثر الناس فى قيس بن طلق ؛ ولا يحتج بحديثه . فقال احمد بن حنبل : كلا الأمرين

على ماقلتما . فقال يحيى : مالك عن نافع عن ابن عمر « أنه توضأ من مس الذكر » فقال على «كان ابن مسعود يقول : لايتوضأ منه ، وانما هو بضعة من جسدك » فقال يحيى : عمن ؟ قال : عن سفيان عن أبى قيس عن هزيل عن عبدالله . واذا اجتمع ابن مسعود وابن عمر واختلفا فابن مسعود أولى أن يتبع . فقال له احمد : نعم ولكن أبو قيس لايحتج بحديثه . فقال: حدثنى ابو نعيم حدثنا مسعر عن عمير بن سعيد عن عمار بن ياسر قال « ما أبالى مسسته أو أنفى » فقال احمد : عمار وابن عمر استويا ، فمن شاء أخذ بهذا ، ومن شاء أخذ بهذا ، اه لفظ الدارقطنى .

قال أبوطاهر عفا الله عنهما ـ وبالتأمل فى الحديثين ولفظيهما وقول العلماء فيهما مع هذه المناظرة ، يتبين أن كلاهما فى درجة واحدة من القوة ، وأنه لا يعلم أيهما متقدم عن الآخر . فقد ثبت فى طبقات ابن سعد عود طلق بن على مع وفد بنى حنيفة الى المدينة فى آخر حياة النبى ﷺ وورد مايفيد أن المسجد بنى مرة ثانية بعد خيبر ، وفى ذلك حديث رواه ابو هريرة «انهم كانوا يحملون اللبن الى بناء المسجد ، ورسول الله ﷺ معهم . قال : فاستقبلت رسول الله ﷺ وهو عارض لبنته على بطنه فظننت انها شقت عليه . فقلت : ناولنيها يارسول الله ، فقال : خذ غيرها ياأبا هريرة فانه: لا عيش إلا عيش الآخرة »

قال فى مجمع الزوائد (ج ١ ص١٤٦ طبعة الهند) رواه الامام احمد ورجاله رجال الصحيح . وروى الامام احمد فى المسند (ج ٢ ص ١٦١) عن عمرو بن العاص مايفيد أنه حضر بناء المسجد ، وكان إسلام عمرو فى السنة الخامسة . وكذلك روى الطبرانى بسند قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج١ ص٢٩٧) رجاله ثقات ـ أن عمرو بن العاص قال لمعاوية « يا امير المؤمنين أنا سمعت رسول الله (ص) يقول حين يبنى المسجد ـ لعمار : انك حريص على الجهاد ، وانك لمن اهل الجنة ، وتقتلك الفئة الباغية» وبهذا يتبين بطلان دعوى نسخ حديث بسرة لحديث طلق . بل ربما كان الأرجح العكس ، والذى يظهر لى ـ والله اعلم ـ أن حديث طلق مبين فيه سبب عدم النقض

وحكمته، وان ذلك لأنه « بضعة » من الماس، والبضعة بفتح الباء وسكون الضاد المعجمة - القطعة ، وفى رواية « مضغة » وهو بهـذا جزء من الجسم كبقية الأعضاء • ولكنه يمتاز عنها باحساس آخر يشعر معه الانسان بلذة ، اذا كان الافضاء والمباشرة بحالة خاصة ، فيكون الأوجه والأولى بفهم الحديثين : هو الجمع بينهما • بأن المس اذا كان كمس أى عضو آخر من اليد والفخذ ، وأى جزء آخر من الجسم بحيث لا يجد لذلك أى شعور آخر، فان ذلك لا ينقض • وعلى هذا يحمل حديث طلق بن على • أما إن كان الافضاء والمس المباشرة وتكرير إمرار اليد على الفرج لينتبه فيه شعوره وإحساسه الخاص ، فان ذلك ينقض الوضوء عند الرجل والمرأة وعلى هذا يحمل حديث بسرة

هذا وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى الفتاوى ، وفى الاختيارات : باستحباب الوضوء من مس القبـل • وقد تشدد الظاهرية وتغالوا فى القول بالنقض حتى قالوا : ان مس الأنثيين والرفغين - أى جانبى الفخذين مما يحاذى الفرج - ينقض اذا مسه أى جزء من الجسم ، حتى ولو القـدم • وتغالى غيرهم فى الافتراض غير المعقول ؛ حتى قالوا : لو مس ذكراً منفصلا عن الجسم ، أو ثقباً فى الجسم أحدث لاستخراج الفضلات بسبب مرض عطل المخرج الأصلى ؛ أو كان لرجل ذكران فمس احدهما، فان ذلك كله ناقض • وكل هذا التغالى ينافى يسر الشريعة الاسلامية وسماحتها • ونسأل الله تعـالى السداد والهداية الى الصواب والحق فى القول والفهم والعمل • وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا •

محمد حامد الفقى

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه   فصدر الذى يستودع السر أضيق

إذا المرء افشى سره بلسانه   ولام عليه غيره فهو أحمق

حول كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى هرقل عظيم الروم

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد مخيمر الواعظ بالقاهرة

— ٥ —

قوله ﷺ « ويا أهل الكتاب تعالوا - إلى آخره »

(بيان حال أهل الكتاب حتى ورود كتاب النبي ﷺ على هرقل)

كان اليهود والنصارى قد بدلوا فى دين الله الذى أنزل على موسى وعيسى بتحريف ، كل فريق كتابه فى الأصول والفروع ابتغاء عرض الحياة الدنيا ، حتى وصل اليهود والنصارى الى أن صاروا يرهبون رؤساءهم من الملوك والأحبار والرهبان ويخافونهم أكثر مما يخافون الله تعالى ، حتى قال الله لهم فى سورة البقرة (وإياى فارهبون) وقال (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) الى قوله : (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) سورة بنى النضير . وقال (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلـهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) فكان من لوازم صاحب دعوة الحق الأخيرة أن يردهم عن هذا الفساد الذى وصلوا اليه فى دينهم وينبههم الى الدين الحق الذى بعث الله به جميع رسله وأنزل به كتبه ، فختم ﷺ كتابه هـذا بدعوة أهل الكتاب الى الرجوع الى ماجاءت به رسلهم من إخلاص الدين لله تعالى وأن لا يعطوا شيئاً من خصائص الربوبية والالـهية لشىء من خلقه كائناً ما كان . وقد كان عدى بن حاتم رضى الله عنه من علماء النصارى ومع ذلك لم يكن يفهم أن من أطاع عبـداً فيما أحل مما حرم الله وماحرم مما أحل الله مع اعتقاد أن ذلك ديناً

وشرعا ، من فعل ذلك فقد اتخذ المخلوق رباً لأنه اعطاه ماهو من خصائص الربوبية ، فقد روى أنه لما تلا عليه رسول الله ﷺ آية براءة (اتخذوا احبارهم) الى آخرها قال عدى « يارسول الله ماعبدوهم » فأرشده ﷺ الى أن طاعتهم لأحبارهم ورهبانهم فيماشرعوه لهم مما لم يأذن به الله : إشراك فى الربوبية ، لأن التشريع من أخص شئون الربوبية .

ولما كان توحيد الالهية أخفى على الناس من توحيد الربوبية قدم ﷺ بيانه فقال (تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) وقوله «الى كلمة سواء » أى استوى جميع الرسل فى دعوة الناس اليها ، فتخصيص الله بالعبادة أصل مشترك بين المسلمين وبين أهل الكتاب . ولما انحرف عنه العرب كما انحرف عنه أهل الكتاب ثم ردهم اليه رسول الله ﷺ دعا أهل الكتاب الى أن يوافقوا أتباعه فيه ليكونوا مثلهم فى اتباع الحق وتحقيق هذا الأصل فى أنفسهم كما قال الله تعالى (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم فى شقاق) أى فى مجادلة بالباطل لدحض الحق . والشقاق والمشاقة المعاندة

(شرح معنى العبادة)

العبادة المرادة هنا هى الطاعة والدين والايمان والوسيلة والاسلام شىء واحد ، واثرها المطلوب من العبد هو استعباد القلب المستتبع لاستعباد الجوارح وإخضاع الجميع لسلطان الله تعالى تحت حدود أوامره ونواهيه والتزام حل ما أحل وتحريم ماحرم كما قال ﷺ فى حديث الصحيحين « الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام ماحرم فى كتابه ، واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » فاذا وصل المخلوق الى تحقيق هذا المعنى فى نفسه ، فأخضع ظاهره وباطنه لله عز وجل فقد حقق فى نفسه معنى العبودية ، واستحق ان يطلق عليه عبد الله ، على العبودية الخاصة ، التى أراد الله سبحانه بقوله (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) الآيات من سورة الفرقان

أى أولئك هم عباده الخصوصيين الذين شرفهم بالاضافة اليه .

فأنت ترى أيها القارىء الكريم أن هذا النوع من التعظيم لله تعالى اذا عظم به المخلوق أو ببعضه غير الله فقد أشرك مع الله ذلك المعظم، وان لم يفهم أن ذلك من عبادة غير الله ، كما كان ذلك شأن اليهود والنصارى و إن سموه بأسماء جميلة ما أنزل الله بها من سلطان. وقد شاركهم فى هذا مشركو العرب فكانوا يفعلون مع أصنامهم ومن يعتقدونه من الصالحين فيهم من ندائهم وذبح الذبائح لهم وتوسيطهم الى الله تعالى فى جلب النفع ودفع الضرر . ويزعمون أنهم يفعلون ذلك تقرباً الى الله تعالى وأنه لاينافى تعظيمه وتوحيده حتى بين لهم القرآن والرسول ﷺ أن ذلك من أكبر انواع الشرك ، مع اعترافهم أن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر للأمر، الضار النافع الذى لايقع فى الكون شىء بغير ارادته ، ومع هذا الاعتقاد كانوا مضيعين لتوحيد الالهية ، وان كانوا بهذه العقيدة فى جانب الله محققين لتوحيد الربوبية ، لم يخرجهم ذلك عن الشرك المخلد لهم فى النار . واليك بعض الآيات الدالة على توحيد العرب توحيداً صحيحا لربوبية الله تعالى ، قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله ، فقل : أفلا تتقون ؟ فذلكم الله ربكم الحق) سورة يونس وقال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون) وقرأ أبو عمرو فى الآيتين الأخيرتين (سيقولون الله) بحذف لام الجر ورفع لفظ الجلالة . سورة المؤمنين

فأنت ترى من هذه الآيات وأمثالها من آيات القرآن أن اعتقاد تفرد الله بالملك لمخلوقاته وتفرده بتدبير جميع شئونهم مع تعظيم غيره مما خص به نفسه لايخرج العبد من الشرك فى الالهية وإن أخرجه عن الاشراك فى الربوبية .

ولعل من ألطف ماينبهك الى هذه الدقيقة فى ناحيتى التوحيد قوله عز وجل : (قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إلـه الناس) فأنت ترى انه بعد أن ذكر صفة الربوبية وحدها وصفة الملك وحدها أتبعهما بذكر صفة الالهية . قال أهل اللغـة : أَلِهَ الشيء إلاهة وأُلُّـهه تأليها : عظمه.

وقوله ﷺ « ولا نشرك به شيئا » تنبيه على أن عبادة الله تعالى والايمان به مع إشراك غيره فى التعظيم الخاص به غير نافع ، وغاية مافيه أن يكون العبد مؤمنا مشركا من جهتين كما قال تعـالى (وما يؤمن أكـثرهم بالله الا وهم مشركون) . و«الشيء» الموجود ، سواء كان سبب تعظيمه راجع الى الحس وكثرة المنافع وعظم الجسم كتعظيم الشمس والقمر ، أو الى معنى فى الشيء يبعث على تعظيمه ككونه من المقربين أو أقربهم الى الله عز وجل كما فعـل اليهود والنصارى مع أنبيائهم والصالحين منهم وغيرهم من الأمم ممن ماثلهم فى هذا النوع من الشرك .

قوله ﷺ « ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » الرب مأخوذ من قولهم : ربـّه يربُّـه إذا ربـّاه ، فمن معانيه المربى والمنعم والمالك والمدبر، وقد اجتمعت كلها فى الله عز وجل ؛ وقد تطلق كلمة «رب» على المخلوق إذا تحقق فى المخلوق معنى من تلك المعانى ، كما يقال رب البيت ورب الدار ؛ ومنه قول يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام (أذكرنى عند ربك) يريد ملك مصر . والحـكمة فى عطفه على « أن لا نعبد إلا الله » بيان أن أحد التوحيدين لا يغنى عن الآخر وان كل واحـد قائم بنفسه بحيث لا يقوم الآخر مقامه كما هو مقتضى قانون العطف . وقد كانت عقيدة أهل الـكتاب فى عصر التنزيل عكس عقيدة العرب فـكانوا محققين لتوحيد الالهية مخلين بتوحيد الربوبية مضيعين له . يبين لك ذلك أن الله تعالى قال للعرب (إن ربكم الله) ولم يقل : ان الله ربكم، فانهم كانوا مسلمين بأنه ربهم ولم يكونوا مقرين بأنه الإله والمختص وحده بالالـهية ؛ بل يشاركه فيها كل ولى ومقرب ومدعو ممن اتخذوهم أولياء من دونه ولهذا أخـذهم العجب من دعوة رسول الله ﷺ إياهم الى توحيـد الالهية ؛ فقالوا

متعجبين (أجعل الآلهة إلـهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب)

وقوله ﷺ « فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » معناه : فان أعرضتم عما دعوتكم اليه فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، أى فأقروا لنا بأننا على الحق وأنكم على غيره ؛ ويحتمل أن يكون معناه : فان لم تعجبكم دعوتى فالتزموا الدين الذى جاءتكم به رسلكم بقطع النظر عن دعوتى فانكم تجدونه مطابقا لما دعوتكم اليه ؛ وهو كناية عما نبه الله اليه المسلمين فى آية البقرة من قوله (قولوا آمنا بالله ـ الآية) والمعنى عليه هنا: لا يحملنكم عنادكم وبغضكم لما دعوتكم اليه على ترك ماجاءتكم به رسلكم ؛ فانه لا فرق بين دعوتهم ودعوتى .

﴿ تتمة ﴾

قد تمسك بعضهم فى جواز ترجمة القرآن بهذه القطعة من كلام النبى ﷺ بزعمهم أنها هى الآية التى انزلها الله تعالى فى سورة آل عمران فى آخر قصص عيسى عليه الصلاة والسلام (قل يا أهل الكتاب تعالوا ـ الآية) وهو فاسد من وجوه :

١ ــ لم يكتب النبى ﷺ بالآية . بل غاية مافيه انه اقتباس منها ، وليس هذا بقرآن .

٢ ــ على فرض انه قرآن فجواز ترجمة آية أو آيتين لا يقتضى جواز ترجمة اكثر من هذا ؛ لأن الآية أو الآيتين لا يحصل بهما الاعجاز وانما منعت ترجمة القرآن لأنه يكون مثل القرآن وليس مانحن فيه من ذلك .

٣ ــ الصحيح أن هذه الآية لم تنزل إلا سنة تسع من الهجرة ؛ وأما ما كتبه النبى ﷺ الى عظيم الروم فكان من عنده وقد نزل القرآن بعد مدة موافقا له وله نظائر ؛ منها موافقات عمر رضى الله عنه المشهورة فى الحجاب واتخاذ مقام ابراهيم مصلى وتطليق نساء النبى ﷺ وأسارى بدر إلى غير ذلك .

وأما ماذكره الشاطبى فى الموافقات من جواز ترجمة القرآن فى فصول ساقها فغير مستقيم ؛ فانه بناه على جواز ترجمة المعانى الأولية وهى بمفردات اللغة أشبه ،

الإله يتحر

بين الحقيقة والخيال

كان المصريون القدامى يعتقدون فى سادتهم وكبرائهم اعتقادا غريبا ، لانُلم به الآن إلا ضاحكين ، ولا نقرؤه إلا هازئين ، ولا نسمعه الا ساخرين . ثم نعجب لهم : كيف ارتقت عقولهم من ناحية ، وانحطت من ناحية أخرى ؟ كيف ارتقت عقولهم فى الثقافة الدنيوية فبذوا الناس كلهم ، وساروا أساتذة الأمم فى الطب والهندسة والكيمياء والنحت والتصوير ، ثم ضعفت من ناحية الثقافة الدينية حتى أمسوا سخرية الساخرين ، وضحكة الضاحكين ؟

كانوا يعتقدون أن العظيم من عظمائهم إنسان مثلهم مادام مستمتعا بالعيش بينهم ، والحياة فيهم : يغدو ويروح ، ويأمر وينهى ، و يأكل الطعام ويشرب الماء ، ويتنسم الهواء ، حتى اذا جاءه الموت ، وسلبه الحياة ، وفرّق بين روحه وجسده ، فاستقرّ جسده فى أعماق الأرض ، وصعد روحه فى السماء - أصبح إلـها من الآلهة ، وأتيح له من القدرة والتصرف فى الملكوت مالم يكن يتاح له فى حياته ، وغدا قادراً على

وأما المعانى الثانوية التى عليها مدار الاعجاز والتى هى مدار البلاغة فى القرآن ، فلم يجرأ الشاطبى على القول بترجمتها ومنه يعلم تفاهة رأيه ، فان أحداً لايمنع من ترجمة المعانى الأوليه وانما النزاع فيما تؤديه آيات القرآن من المعانى مجتمعة ، وهذا لاسبيل إلى الوصول اليه بغير العربية .

وهذا آخر مايسر الله من شرح هذا الكتاب الخالد على صاحبه أفضل الصلاة والسلام . والله أعلم

محمد محمد مخيمر

النفع والضار وإحداث الخوارق ، والاتيان بالمعجزات . ينصر جيش الأمة إن اعتدى عليها معتد ، أو أغار عليها مغير . ويهزم جيوش الأعداء إن فكروا فى العدوان . وأحيانا يمتحن إيمان الأمة ، ويسلمها إلى نفسها ، حتى اذا أثخن فيها الأعداء ، ولجأت اليه ضارعة ذليلة مستنجدة مستغيثة ، تحركت فى قلبه الرحمة ، فعاد الى نصرتها وإنجادها ، آيس ماتكون من عونه ونصرته . وكذلك كان اعتقادهم فى الآلهة أوزيريس ، ورع ، وآمون ، وفتاح ، وهوراس ، وآتوبيس ، وتوت ، وغيرهم من الآلهة الذين سيطروا على عقول المصريين ، واستحوذوا على قلوبهم أحقابا

ويلوح للباحث أن الأبناء يرثون عقائد الآباء فيما يرثون من خصائصهم وملكاتهم واستعدادهم ومواهبهم كما يرثون أموالهم .

ومما يؤيد هذا القول مانراه من سلائل المصريين الذين تبوأوا ديارهم من بعدهم ، فقد ورثوا منهم هذه العقائد ، وبدت آثار هذه الوراثة واضحة بينة فى كل العصور ، حتى الأونة التى خضعوا فيها للشرائع السماوية . (غفيرة مصر) (وحامى طنطا)

وليس هذا حظ مصر وحدها ، ولكنه حظ العالم الانسانى كله .

ورث المصريون وغيرهم هذه العقائد كما يرثون المرض الخبيث ، فالذين يرثون المرض لا يولدون مرضى ، ولكنهم يولدون وفيهم استعداد له ، حتى اذا تهيأت أسبابه تحرك وسعى فى أبدانهم عضالا فاتكا .

وكذلك تختفى العقائد الخبيثة فى النفوس حينا من الدهر ، تخدّرها قوة الشرائع الجديدة وتشلّها روح النبى المرسل ، فاذا طال الأمد ، وقست القلوب ، استيقظت وهتفت فى أعماق قلوبهم داعية ملحة ، فانصرفوا الى الباطل عن الحق ، واستبدلوا الخبيث بالطيب .

وذلك علة مانراه فاشيا بين المصريين وغيرهم من الأمم الاسلامية فى جميع بقاع الأرض من الاستغاثة بالموتى ، والتماس الحاجات عندهم ، والاستعانة بهم والهتاف بأسمائهم ، والنذر لهم ، والتمسح بقبورهم والطواف من حولها ، وتعفير الجباه دونها .

لا يمتاز الآخرون من الأولين إلا فى شىء واحد . وهو أنهم غيروا الأسماء ؛ فلم يعودوا يقولون: آلهة، كما كان الأولون يقولون؛ بل قالوا : أولياء وأبطال وأبدال . وليست العبرة للألفاظ والمبانى إنما العبرة المقاصد والمعانى ، فتغيير الأسماء لا يغنى عنهم شيئا ماداموا يضيفون اليهم من العلم والقدرة والتصرف فى الكائنات أكثر مما كان الأولون يضيفون الى آلهتهم .

قال الأولون: ماحكى الله عنهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) [1]

وقال الآخرون : عبد القادر ياجيلانى ياذا الفضل والاحسان
صرت فى خطب شديد من إحسانك لاتنسانى [2]

وقالوا : اللهم يارفاعى أنا المحسوب أنا المنسوب
رفاعى لاتضيعنى أنا المحسوب أنا المنسوب [3]

وقالوا غير ذلك مما لو سمعه مشركة العرب لكفروهم . لأن مشركة العرب مازادوا على أن جعلوا آلهتهم وسائط تقربهم الى الله زلفى . أما هؤلاء فقد ضربوا الذكر عن ربهم صفحا ، وطلبوا حاجاتهم من غيره وقسموا الكون على أقطابهم يتصرفون فيه كما يشاءون ، وضلوا ضلالا بعيدا .

* * *

وبعد فقد طال نفس القول ، وأظن القارىء الكريم قد تاقت نفسه الى الالمام بقصة الإله «المنتحر» . فهأنذا أقصها عليه كما وافانى بها البريد فى غير زيادة ولا نقصان !

وأظنك لاتشك فى أنه إله زائف من هذه الآلهة الباطلة التى جردت من أسمائها القديمة ، وأطلقت عليها أسماء جديدة ؛ كما تجرد الشوارع من أسمائها وتسمى بأسماء

---

(١) سورة الزمر (٢) أم القرى للكواكبى ، نقلا عن كتب الرفاعية
(٣) أم القرى كذلك

حديثة . فهل تغيرت طبيعة الشارع ؟ أم هل ترحل ساكنوه ؟ أم هل تبدلت ربوعه ومساكنه ؟ كلا ! إله زائف ثقلت عليه الألوهية الزائفة فأراد أن يخلص من عارها ، وأن يتخفف من أوزارها .

كان ينعم بلذة الألوهية الزائفة ، والجهل سائد ، والظلام غامر ، والعقول معطلة ، والذكاء أسير في يد الجمود على ما كان عليه الآباء ، فكانت تحدى اليه الركاب ، وتساق اليه الظعائن ، وتهدى اليه الهدايا ، وتعقر عنده العقائر ، ويهل له بالذبائح ؛ ويحمل اليه النساء والرجال ماشاء لهم الغباء من طعام وثياب وشمع وزيت وحب وفاكهة ونقد كثير

فلما قام دعاة الحق ، وتعالت صيحاتهم من كل جانب ، أخذ النائمون يفيقون ؛ والغافون يستيقظون ، والغافلون يتنبهون ؛ وطفقت الغشاوات تزول عن الأعين ، وأنشأت الأسماع تتفتح و يزايلها ماكان يثقلها من وقر ؛ وأخذ الذكاء يطلق من أساره والعقول تتحرر من رقها ، وشرعت الجهالة تدبر متعثرة في أذيال الخيبة ؛ والغفلة تولى مدبرة تنعى أيامها الذاهبات . وبدأ الناس يرجعون الى أنفسهم : يحاسبونها على ماتأتى وماتذر ؛ فألقوا أنفسهم فى ضلالة لاينبغى المضى فيها ؛ ولايحسن السكوت عليها .

هنالك أقلع الغيث المنهمر من النذور ؛ وانقطع ما كان موصولا من مواكب الزائرين والزائرات ، وقفر الصندوق مما كان يفعم جنباته من الهبات . ورثت الثياب ، ونصل لونها وأصبحت خلقانا

وكأنه رأى الذلة بعد العزة ، والفقر بعد الغنى ، وكأنه ضاق صدراً بهذا كله ، وكأنه لم يحتمل هذه الكوارث ، ولم يستطع عليها صبرا ، فآثر أن ينتحر ويستريح .

وأغلب الظن انه انتحر ، بيد أحد عباده السابقين . وأغلب الظن ان ذلك العبد الصالح رجع الى نفسه وفكر في ماضيه وحاضره ؛ وعجب لنفسه كيف عزب عقله ، وضل رشده ، حتى كان يرجو هذا الصنم و يخشاه ؟ كيف عكف على هذا الطاغوت ؛ ونسى من بيده ملكوت كل شيء ؟ وأغلب الظن أنه ذكر ماقدم اليه من هدايا ؛ وما قرب من قربان ؛ فنال منه الغضب ، وبلغ منه الحنق ، فتسلل اليه تحت جناح

الظلام ؛ وقد سكن من حوله كل شيء ، وغمر الليل كل شيء ، فدخل عليه دخول القضاء ، وهجم عليه هجوم الموت . وأغلب الظن أنه أعد لهذا الأمر عدته ، وهيأ له عتاده ، وانما هي زجاجة من الزيت تصب ، وعود من الثقاب يشعل ، ثم يلقى . واذا النار تشب وتتوهج ؛ وتتقد وتتلظى ، وتتصل بالثوب والعمامة ، ثم بالتابوت والمقصورة ثم بالأبواب والنوافذ ، واذا ألسنتها تندلع من الكوى ، كأنها ألسنة الغلمان العارمين يبرزونها ليغيظوا بها المغلوبين من اللدات اللاعبين .

والنار تتلظى جائحة عنيفة ، لاتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ؛ والناس يتداعون ويغدون ويروحون ، ويجتمعون ويزدحمون ، ولا يجسر أحد أن يدنوا من النار أو يحاول إخمادها حتى أكلت كل شيء ثم لم تجد شيئا تأكله ، فالتهمت نفسها واعتراها الخمود . وأصبح ذلك البطل أثراً بعد عين .

« * »

أما سدنته فقد دارت بهم الأرض الفضاء ، وكادت عقولهم تطير من رءوسهم حول هذا الحادث المروّع ؛ وأصابهم من الفزع والجزع والهلع ما أصاب نساء ثقيف يوم تحطمت اللات .

ثم استعدوا السلطان على المعتدى الذى عمد الى ينبوع عيشهم فغوّره ؛ والى سند حياتهم فهدمه ؛ والى طاغوتهم فقضى عليه . ولم يهتد اليه السلطان ؛ وذهب رماد هذا الطاغوت هدرا .

« * »

قال محدثى : كأنك تعنى الحادث الذى وقع فى بلدتنا . . . من أعمال مركز . . . مديرية . . . حيث احترق الشيخ (هلال الأربعين)

قلت : فماذا كان أثر هـذا الحادث ؟

قال : دب الشك فى قلوب كثير ممن كانوا يؤمنون بقوته على البطش والفتك ، وقالوا : لو كان يملك شيئا لرد النار عن نفسه . وحينئذ ذكروا قول رسول الله ﷺ

معنى حب رسول الله

لصاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد
مدرس الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بالخرطوم

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، قال الله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) صدق الله العظيم .

أيها السادة ، إن كل مسلم يدعى حب الرسول و يصلى عليه عندما يذكر اسمه أو وصفه ، ويشعر من لم يزر قبره الكريم بالعاطفة الثائرة تدعوه الى زيارته ، وقد

« اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث — الحديث » . وآمنوا بالله وحده ، وكفروا بما كانوا به مشركين .

قلت : فمتى تنجلى الغشاوات عن عيون هؤلاء الذين آمنوا بالباطل، وصدقوا بالبهتان ، وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون .

* * *

حاشية : أما الموتى فقد أفضوا إلى ماقدموا وإنا لنرجو لهم الخير ، ونحسن بهم الظن ، ولا نتعرض لهم . وأما كلامنا فموجه الى هذه الأصنام التى أقامها الجهال والمنافقون على قبورهم ، يتجرون بها ، ويتخذون منها شبكة يصيدون أموال الناس بالباطل، وسنوا هذه السنة السيئة ، فباءوا بإثمها . وإثم من عمل بها الى يوم القيامة . وضلوا وأضلوا ، وحملوا أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم ، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون .

أبو الوفا محمد درويش

تدعوه هذه العاطفة الثائرة الى أن يدخر من قوته وقوت عياله ليتيسر له مشاهدة قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فيتجشم أهوال السفر ومتاعب الحل والترحال وما الى ذلك مما ليس يخفى على أحد فهل تظنون أن ذلك يدل على حب الرسول حقيقة ؟ وهل تظنون أن ذلك وحده مقبول عند هذا الرسول وعند الله الذى بعثه واصطفاه ؟ وهل تظنون أن حب الرسول شيء يوصل اليه بالصلاة عليه والتوق لزيارته

أيها السادة إن الله لم يرسل هذا الرسول ليؤسس ملكا ولا ليبنى لنفسه ولآل بيته مجداً مما يبنيه الناس ، وانما بعثه لخير العالم كله ولمجد الناس أجمعين ، وقد جعل الله لحبه وحب رسوله علامات ودلائل ؛ فمن وجدت عنده هذه العلامات والدلائل كان محباً صادقا فى حبه ، ومن لم توجد عنده هذه العلامات والدلائل فهو كاذب فى حبه وإن سالت عبراته وتقطعت كبده تحرقا لزيارة الرسول ؛ بل وان زار الرسول وصلى عليه فى كل حين ، بل وان أظهر من دلائل الحب مما لم يجعله الله ولا رسوله علامةً ودليلا الشيءَ الكثير .

أيها السادة ، قال الله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وقال سبحانه : (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وروى أبو عبد الله البخارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » فجعل الله تعالى علامة لحب الله وهى اتباع الرسول فيما جاء به عن ربه وليس معنى الاتباع شيئاً يخترعه الناس أو يصورونه لأنفسهم على مايشتهون ، ولكنه المنصوص عليه فى القرآن الكريم بقوله سبحانه : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فليس لأحد أن ينشيء عبادة ولا نوعا من القربات لم يأذن الله به ولا رسوله . وليس أن ينهى عن عبادة أو قربة أذن بها الله تعالى أو رسوله ، سواء أوضحت له أسرار هذه القربات وهذه العبادات أم خفى أمرها عليه ، وليس لأحد أن يجلس على أريكته ثم يأتيه الخبر الصادق عن الرسول صلوات الله عليه فيقول : كل

ماطابق العقل ووافق قواعد العلوم أخذت به ، وكل مالم يطابق العقل أو لم يوافق قواعد العلوم تركته ونبذته نبذ النواة ، ويأخذ فى تعليل ذلك والاستدلال له بأن الدين لايمكن أن يخالف العقل ، ولا أن يأتى بما لايتفق وقواعد العلم الحديث ، فان هذا وأمثاله من كلام الذى ظاهره فيما يبدو الحق ولكنه يدعو إلى أبطل باطل ويوقع فى اللبس والجهالات . نعم إن دين هذا النبى الأمين لايأتى بما يخالف العقل ولا يأتى بما تأباه قواعد العلم الحديث . ولكن أين العقل الصافى الذى خلصه الله تعالى من كدورات الجهالة والهوى وشوائب النقص وغلبة الشهوات ؟ أين العقل الذى اتسع أفق تفكيره فى سداد وحكمة ، فصار ينظر الى الشىء من نواحيه كلها بالقسط والدقة ، فلا تند عنه ناحية ولا تشذ ولا يغلبه الهوى ولا تميل به الشهوات ؟ أين العقل السالم من المؤثرات الخارجية من عادات وتقاليد موروثة وشائعة وما أشبه ذلك . وأين قواعد العلم الحديث التى جزم العقل بأنها صحيحة ثم جزم مع ذلك بأنها ستبقى صحيحة مدى الدهر ولا يمكن أن يطرأ عليها التغير ؟ متى وجد العقل المقيد بهذه القيود ومتى وجدت قواعد العلم المقيدة بهذه القيود أمكن أن نحكم بأن مانسب الى الرسول مخالفا لهذا العقل ولهذه القواعد ليس مما قاله الرسول ﷺ ، ولكن مادام العقل قاصراً عن بلوغ هذا المدى وما دامت قواعد العلم لم تدعم بهذه التحوطات فليس لواحد منا ولا لجماعتنا أن تأبى التسليم بما قاله الرسول ، ورب أمر لم يظهر لنا وجه الصواب فيه الى اليوم وستكشف الأيام عن وجه الصواب فيه.

وقد جعل الله من أهم أسس الايمان أن نحتكم الى الرسول فى كل ماينشب بيننا من اختلاف ، ثم نرضى بحكمه ونخلص فى هذا الرضا بحيث لايتطرق الى قلب أحدنا الشك فى صحة هذا الحكم ، ولا يختلج الصدر أقل حرج ، بل يتلاقى بأتم الرضا والتسليم . والاحتكام الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ليس خاصاً برفع الأمر إلى شخصه فان ذلك لايمكن أن يكون حكما عاما على المسلمين فى جميع الأعصار ، ولكنه كما يكون برفع الأمر اليه فى حياته يكون بعرض هذا الأمر المختلف فيه على ماصح

نقله عنه من السنة الصادقة التي لاتنطق عن الهوى . فكل أمر وافق سنته الصحيحة يكون كأنه حكم صادر عنه يجب على المسلم اتباعه والرضا به والاخلاص له ، ويجب عليه أن ينفي عن نفسه كل شبهة في جواز أن يكون ثمة حكم أصح منه ، وكل أمر خالف السنة الصحيحة وجب تركه واطراحه ووجب على كل مسلم أن يفر منه وأن ينهى عنه . وقد جعل النبي ﷺ من علامة الايمان أن يحبه كل واحد منا أكثر مما يحب ولده الذي هو فلذة كبده وأكثر مما يحب أباه الذي كان سبباً في وجوده والذي قام على تربيته وتنشيئه وأكثر مما يحب سائر الناس الذين منهم خلصانه ، ومنهم أعوانه على الشدائد ومنهم المحسنون اليه . وقد عرفنا أن معنى حبه هو العمل بسنته وطرح كل شيء نهى عنه . فهل يجد كل مسلم منا في نفسه أنه محب للرسول على هذا المعنى الذي بينه الله ورسوله في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ؟ هل يجد كل واحد منا من نفسه أنه عندما يريد ان يعمل عملا يعرضه أولا على كتاب الله وسنة رسوله ، فان وافقهما عمل به وإن خالفهما لم يعمل به ؟ هل يجد كل واحد منا في نفسه أنه عندما تدعوه عاطفته الأبوية الى أن يعمل لزوجة أو ابنه شيئاً يقف عندما جاء في كتاب الله وسنة الرسول ؟ هل يجد كل واحد أنه عندما تدعوه عاطفة البنوة الى ان يعمل لأبيه عملا يقف فيه عند الحدود التي رسمها الله تعالى ورسوله ، أم اننا نجد انفسنا قد اتبعنا الأهواء وتركنا النهج الواضح الذي كان عليه رسول الله والأئمة المهديون من بعده ؟

ايها السادة ، يقول رسول الله ﷺ « ليس الايمان بالتمني ، ولكن ماوقر في القلب وصدقته الأعمال » إن الايمان الذي يقبله الله تعالى والذي من أجله ارسل رسوله محمداً والنبيين من قبله ليس كلمة ينطق بها اللسان ، ولا رسوما وتقاليد ، ولا مظاهراً يظهر به الانسان امام الناس ، ولا عاطفة تتأثر بما يحيط بالمرء من ظروف وملابسات ، ولكنه عقيدة راسخة في القلب سارية في الفؤاد تحمل صاحبها على فعل الخير والابتعاد عن الشر ، الخير الذي اعتبره الله ورسوله خيرا ، والشر الذي اعتبره الله ورسوله شرا . والخير بهذا التحديد يشتمل على كل ما أمر الله ورسوله به ، والشر

بهذا التحديد يشتمل على كل مانهى الله ورسوله عنه . فمن شاء أن يعرف حقيقة نفسه أمؤمن هو أم غير مؤمن ، فليبحث فى قرارة نفسه عن هـذه العقيدة الراسخة التى لا تزعزعها الأهواء ولا تذهب بها العواطف، فان وجدها، فان عليه أن يبحث بعد ذلك مرة أخرى فى قرارة نفسه هل تحمله هـذه العقيدة على إتيان الخير ما استطاع اليه سبيلا وإن وقف فى وجهه شياطين الانس جميعـا ، وهل تحمله على ترك الشر وإن أغراه ، شياطين الانس جميعا ، فان وجدها تؤثر فيه هذا الأثر فليعتقد فى نفسه أنه مؤمن وأنه محب لله ولرسوله ، وليحمد الله على هذه النعمة ، وليعض عليها بالنواجذ . وإن رأى فى نفسه أنه قد ينصرف عن الخير إن صرفه صارف مع القدرة عليه ، وأنه قد يأتى الشر إذا حمله عليه حامل من رغبة أو رهبـة أو غير ذلك ، فليعلم أنه ليس بمؤمن وأنه يكذب الله ورسوله ، وإن ادعى لنفسه أنه يحب الله ورسوله ، وإن زعم لنفسه أنه من أخلص المسلمين ، فان هذا الحب الذى يدعيه لنفسه ليس هو الحب الذى طالبه به الله ورسوله ، وإن تلك الظواهر والرسوم ليست مما يحبه الرسول لأنها ليست من دينه الذى أرسله الله به .

تعصى الاله وأنت تظهر حبه   هـذا لعمرك فى القياس شنيع
لو كان حبـك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

أسأل الله تعالى أن يوفقنى وإياكم لحب الله ورسوله ، على الوجه الذى يرضى به الله ورسوله ، آمين .

محمد محيي الدين

الحمد لله

عوفى أخونا الأستاذ المحقق الشيخ أبو الوفا محمد درويش من المرض الذى ألم به وقد عاد سيرته الأولى من إمداد الهدى النبوى بنفثات قلمه الفياض . ولله الحمد وله الشكر وله الثناء الجميل .

بطلان التقليد

التقليد خلاف مقتضى حكم العقل والوجدان ، وهداية الدين والفرقان ، ولهذا جاء القرآن يهدى جميع متبعى الملل والأديان السابقة الى استعمال عقولهم للوصول إلى الهدى فى الدين ، وألا يكتفوا بما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من ذلك ، فان هـذا جناية على الفطرة البشرية والعقل والقلب والوجدان ، التى امتاز بها البشر

وإن الآيات القرآنية الدالة على بطلان التقليد وذمه والنعى على أهله كثيرة جداً كقوله تعالى : (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون) وقوله سبحانه : (و إذا قيـل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله والى الرسول قالوا : حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون) وقوله : (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) وقوله عز وجل : (إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) . فهـذه الآيات وغيرها مما ورد فى معناها ، ناعية على المقلدين ماهم فيـه ، وهى وان كان تنزيلها فى الكفار لـكنه قد صح تأويلها فى المقلدين لاتحاد العلة . وقد تقرر فى الأصول أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وأن الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدما . وقال الرازى عنـد تفسير قوله سبحانه : (أفلا يتدبرون القرآن . الخ) الآية . دلت الآية على وجوب النظر والاستدلال وعلى القول بفساد التقليد ، لأنه تعـالى أمر المنافقين بالاستدلال بهذا الدليل على صحة نبوته . الخ

ولهذه الآيات وغيرها مما فى معناها نهى الأئمة عن تقليدهم . حكى ابن عبد البر عن معن بن عيسى قال : سمعت مالـكا يقول : إنمـا أنا بشر أخطىء وأصيب ،

فانظروا فى رأيى ؛ فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل مالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه . ولا يخفى أن هـذا تصريح منه بالمنع من تقليده ، لأن العمل بما وافق الكتاب والسنة من كلامه هو عمل بالكتاب والسنة وليس بمنسوب اليه .

وحكى ابن القيم عن أبى حنيفة وأبى يوسف أنهما قالا : لايحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا . وهـذا تصريح بمنع التقليد لأن من علم بالدليل فهو مجتهد مطالب بالحجة لا مقلد

وأما الامام الشافعى فقد تواتر عنه ذلك تواتراً لايخفى على أحد . قال المزنى فى أول مختصره مانصه : اختصرت هـذا من علم الشافعى ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع إعلامه بنهيه عن تقليده وتقليد غـيره لينظر فيه لدينه ، ويحتاط فيه لنفسه .

وأما الامام أحمد بن حنبل فالنصوص عنه فى منع التقليد كثيرة . قال أبو داود : قلت لأحمد : الأوزاعى هو أتبع من مالك . فقال لاتقلد دينك أحـداً من هؤلاء ماجاء عن النبى ﷺ فخذ به . وقال لى أحمـد : لاتقلدنى ولا مالـكا ولا الشافعى ولا الأوزاعى ولا الثورى وخذ من حيث أخذوا . قال ابن القيم : ولأجل هـذا لم يؤلف الامام أحمد كتابا فى الفقه ، وانما دون أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته وغير ذلك .

وبالجملة فنصوص أئمة المذاهب الأربعة فى المنع من التقليد وفى تقـديم النص على آرائهم وآراء غيرهم لاتخفى على أتباعهم وغـيرهم . والعجب أن المقلدين لهؤلاء الأئمة المحرمين للتقليد تراهم من بعد ذلك يردون نصوص الكتاب والسنة الصحيحة بأقوال أئمتهم بل بأقوال تابعيهم . وانما تروج البـدع فى سوق التقليد الذى يتبع أهله كل ناعق . ومن باب التقليد دخل أكثر الخرافات على المسلمين لانتساب جميع الدجالين من أهل الطرائق وغـيرهم إلى أئمة المذاهب المجتهدين . وهم فى دعوى تقليدهم من الـكاذبين .

من صور الحياة المصرية

٢٧ – مشكلة التموين

من أعوص الأمور التي تواجهها اليوم حكومات العالم أجمع هي مسألة تموين الشعوب بما تحتاجه من ضرورات الحياة حتى إن أكثر الدول التي تصطلي بنار هذه الحرب الضروس لا يشغلها ما هي فيه عن جعل هذه المسألة في مقدمة ما تعنى به من مشاكل لتحفظ حيوية الشعب من أن يتطرق إليها وهن أحرج ما تكون إلى بقائها قوية موفورة، فإنه لا يفت في عضد الشعوب ويشيع بينها الفوضى وينشر الاضطراب أكثر من حرمانها من القوت وما في معناه من لوازم العيش وإذا كانت الحكومات

وإني أختم هذه الكلمة بما حكاه الزركشي في البحر عن المزني أنه قال: «يقال لمن حكم بالتقليد: هل لك من حجة؟ فإن قال «نعم» أبطل التقليد لأن الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد. وإن قال بغير علم قيل له. فلم أرقت الدماء وأبحت الفروج والأموال وقد حرم الله ذلك إلا بحجة؟ فإن قال أنا أعلم أني أصبت وإن لم أعرف الحجة لأن معلمي من كبار العلماء. قيل له تقليد معلم معلمك أولى من تقليد معلمك لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت عن معلمك، كما لم يقل معلمك إلا بحجة خفيت عنك فإن قال «نعم» ترك تقليد معلمه إلى تقليد معلم معلمه ثم كذلك حتى ينتهي إلى العالم من الصحابة، فإن أبى ذلك نقض قوله، وقيل له كيف يجوز تقليد من هو أصغر وأقل علما، ولا يجوز تقليد من هو أكبر وأغزر علما، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه حذر من زلة العالم، وعن ابن مسعود أنه قال: «لا يقلدن أحدكم دينه رجلا إن آمن آمن وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر» هدانا الله جميعا إلى سواء السبيل.

كفر المندرة　　　　　　　　أحمد أحمد القصير

تحرص كل الحرص على توفير حاجيات رعاياها فى زمن السلم ، فانها على ذلك فى زمن الحرب أشد حرصاً وأكثر عناية ، حيث أن كثيراً من الأمم لا يكفيها ما تجود به أرضها من غلات ، فكانت فى زمن السلم تبتاع ما ينقصها من السلع من البلاد التى توجد فيها أو تبادلها سلعة بسلعة فى يسر وسهولة أما اليوم وقد انقسمت أمم الأرض جميعا الى معسكرين يسعى كل منهما الى هلاك الآخر بكل ما يستطيع . فقد حيل بين كثير من هذه الأمم وبين ما تشتهى حيث امتلأت البحار بآلات الدمار وصار اجتلاب المؤن من ناحية الى أخرى من أخطر الأعمال ، بل صار وصول السفينة سالمة الى غايتها من عجائب الصدف فائن أخطأتها قنبلة طائرة لا يخطئها طوربيد غواصة ، فان من أمضى الأسلحة التى أعدتها الأمم بعضها لبعض فى هذه الحرب الجوع بتدمير مواعين النقل والحيلولة بين الأمة وما هى بحاجة اليه من الأرزاق . فاتجه تفكير كل أمة الى كفاية نفسها من غلة أرضها على قدر الاستطاعة ووضع بعضها برامج سارت فى تنفيذها شوطا بعيدا ونجحت فيها نجاحا لا بأس به .

ومصر ولو أنها لم تشترك فى هذه الحرب إلا أنها أصيبت مما أصيبت به البلاد المحاربة من إقفار فى الرزق ، وضيق بلغ اشده فى هذه الأيام . ووجه الغرابة فى ذلك الأمر ان مصر بلاد زراعية وسواد اهلها يشتغلون بالفلاحة ، وقد وهبها الله ذلك النهر المبارك - نهر النيل - الذى اخصب تربتها وصير لها شهرة فى جودة المحصول ووفرته من فجر التاريخ الى اليوم ، وقد حكى الله عن مباهاة فرعون بملك مصر وخصب تربتها فى قوله تعالى : « أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون » . وجعل ذلك الملك من مبررات ادعائه الألوهية وبه استخف قومه فأطاعوه . ومن قبل ذلك عالج يوسف عليه السلام بحزمه وأمانته أزمة القحط التى استمرت سبع سنين دأبا حتى أخرج الناس منها بسلام ، بل كانت مصر تموّن البلاد المجاورة بما فضل من قوت اهلها .

مصر هذه ذات الشهرة التاريخية والصيت القديم ، نظمتها هذه الحرب فى

سلك البلاد الجدبة التى لاتكفى غلتها حاجة اهلها ولا بعض حاجتهم ، فقد أبانت هذه الأزمه ان أغلب المنتجات الزراعية كانت تستورد من الخارج من بلاد فى خصوبة التربة دونها بمراحل ، ولكن أهلها عرفوا كيف يستغلونها بالأساليب العلمية الحديثة حتى فاضت خيراتها عن حاجة أهلها وصدروا الفايض منها الى الكسالى وعبدة القديم أمثالنا . فلما اشتد الخطر على سفن النقل ، واشتغلت كل أمة بهمومها قَلَّ الوارد من هذه الأشياء ؛ فارتفعت الأصوات بالشكوى وكان ارتفاعها نعياً ضمنيا لشهرة مصر الزراعية . ولقد كثرت الاقتراحات لدفع هذه الضائقة وتعددت الحلول وتباينت الآراء ، وانتهى أولوا الأمر إلى تضييق زراعة القطن والتوسعة فى زراعة القمح وباقى الحبوب والخضر والفاكهة ، وتشجيع المنتجات الزراعية بكافة أنواعها . ولو أن ذلك جاء فى وقت متأخر ، إلا أنه أفاد على كل حال ؛ ويقولون ان موسم القمح يبشر بمحصول جيد لو عرفوا كيف يوزعونه وبقية الحبوب على الناس بالقسط لأغنام ؛ ولكن مابالنا ونحن فى إبان الموسم نكاد لانجد منه مايكفينا ؟

الحقيقة أن الحكومة قامت فى مسألة التموين بمجهود مشكور لو وجد من اعوانها المنفذين إخلاصاً ومن أفراد الشعب تحملا عليه ورضاه به ؛ لما شعرنا بالضيق الذى نشعر به .

حُبُّ الربح يكاد يخرج الناس عن إنسانيتهم ، وينزع الرحمة من قلوبهم ، فكلما سنت الحكومة من القوانين الرادعة مايضمن ظاهره حصول الناس على حاجتهم بدون ارهاق فى السعر ولا عناء فى الحصول عليها، أفلت التاجر منها بكل حيلة فباع ماعنده سراً بأغلى من السعر الرسمى أو طفف الميزان ؛ والمستهلك مضطر لقبول مايعرضه عليه لضرورته الملحة . فكثير من تجار الدقيق يبيعون نصف مايصرف اليهم من الدقيق أو أكثر من النصف لأرباب المخابز بسعر أعلى مما يبيعونه المستهلك . وكثير من تجار السكر يبيعون مقطوعيتهم منه لأصحاب القهاوى ومحال الحلوى صفقة واحدة بأكثر من السعر الرسمى . و يستبقى تاجر الدقيق أو السكر

شوالا فى محله ذراً للرماد فى عيون المراقبين . ولقد سمعنا أن تجار البفتة وغيرها من أصناف الأقمشة التى اختفت من السوق صاروا يتبايعون مع عملائهم فى الحقول البعيدة عن أنظار البوليس حتى يعطوهم بالثمن الذى يرغبون ، وهكذا قل عن كل صنف يعانى الناس فى الحصول عليه مايعانون .

لاتخلو أمة من أنانيين يضحون فى سبيل مصلحتهم بمصالح الناس ، ولكن هؤلاء على كل حال قلة بالنسبة المجموع ، وكثير من الأمم المتحاربة اليوم حتى تخفف على نفسها عبء المراقبة ، فرضت عقوبات رادعة للمحتكرين من التجار ، بل والمحرزين أكثر من حاجتهم فى مدة معينة ، حتى قيل إن بعض الحكومات تعاقب بالاعدام ، على بعض هذه الجرائم .

وما دمنا كأمة مسلمة ، دينها يأمر بالعدل والاحسان ، لم يرهبنا مافى الدين من وعيد ، ولم يرغبنا مافيه من وعيد فوجب علينا أن نقتفى أثر هذه الأمم فنفرض العقوبات الشديدة على كل من يتلاعب بأقوات الناس فى هذه الأيام العصيبة حتى لانسمع عن موظف ضبط فى بيته مايزيد عن مائة قنطار من الصابون ، وعن آخر ضبط عنده بما يوازى مئات الجنيهات من الكبريت ، فضلا عما يرتكبه التجار من مخالفات ، بل من جرائم تزداد كل يوم كثرة ، مالم تجد من العقوبات مايحدها أو يلاشيها ، و يزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

محمد صادق عرنوس

الهدى النبوى

جميع المكاتبات : تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ١٥ قرشا داخل القطر المصري والسودان

المأموم يصير بعد سلام امامه اماما

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه فى الفتاوى (ج ١ ص ١٠٤)
(مسئلة) فى رجل أدرك مع الجماعة ركعة فلما سلم الامام قام ليتم صلاته ، فجاء آخر فصلى معه . فهل يجوز الاقتداء بهذا المأموم ؟

الجواب : أما الأول . ففى صلاته قولان فى مذهب أحمد وغيره . لكن الصحيح أن مثل هذا جائز . وهو قول أكثر العلماء . اذا كان الامام قد نوى الامامة والمؤتم قد نوى الائتمام . فان نوى المأموم الائتمام ولم ينو الامام الامامة ففيه قولان : أحدهما : تصح ، كقول الشافعى ومالك وغيرهما ؛ وهو رواية عن أحمد . والثانى . لاتصح . وهو المشهور عن أحمد . وذلك أن ذلك الرجل كان مؤتما فى أول الصلاة وصار منفردا بعد سلام الامام . فاذا ائتم به ذلك الرجل صار المنفرد إماما ، كما صار النبى ﷺ إماما بابن عباس بعد أن كان منفردا ، وهذا يصح فى النفل ، كما جاء هذا الحديث كما هو منصوص عن أحمد وغيره من الأئمة . وإن كان قد ذكر فى مذهبه قول بأنه لايجوز . وأما فى الفرض فنزاع مشهور . والصحيح جواز ذلك فى الفرض والنفل . فان الامام التزم بالامامة أكثر مما كان يلزمه فى حال الانفراد ، فليس بصير المنفرد إماماً محذور أصلا بخلاف الأول . اه

وحديث ابن عباس الذى أشار اليه الشيخ رحمه الله : هو مارواه البخارى فى باب اذا قام الرجل عن يسار الامام فحوله الامام عن يمينه لم تفسد صلاته . وفى الباب الذى بعده : باب اذا لم ينو الامام أن يؤم ثم جاء قوم فأمهم . عن ابن عباس قال: « بت عند خالتى ميمونة زوج النبى ﷺ — والنبى ﷺ عندها تلك الليلة فتوضأ ثم قام يصلى ، فقمت عن يساره فأخذنى فجعلنى عن يمينه . فصلى ثلاث عشرة ركعة . ثم نام حتى نفخ . وكان اذا نام نفخ — ثم أتاه المؤذن فخرج فصلى ولم يتوضأ »

وقد رواه البخارى فى عدة مواضع أخرى : ورواه مسلم وغيره . وفى الباب أيضاً أحاديث خروج النبى ﷺ فى رمضان الى المسجد وصلاته بالليل ، وصلاة ناس معه من أصحابه ليلة وليلتان ثم احتباسه عنهم خشية أن تفرض عليهم . رواه البخارى ومسلم وغيرهما . ففى هذه الأحاديث أيضاً : أنه بدأ الصلاة منفرداً ثم جاء الناس بعد دخوله فى الصلاة فائتموا به .

وقال الشيخ النووى رحمه الله : فى المجموع شرح المهذب (ج ٤ ص ٢٤٤) اذا سلم الامام وفى المأمومين مسبوقون . فقاموا لاتمام صلاتهم . فقدموا من يتمها بهم واقتدوا به . ففى جوازه وجهان . حكاهما المصنف - يعنى الرافعى - والبندينجى والشيخ أبو حامد والمحاملى والجرجانى وآخرون من العراقيين : أصحهما : الجواز . قال الشيخ أبو حامد والمحاملى فى التجريد وهو قول أبى اسحاق قياساً على الاستخلاف قالا : والوجهان مفرعان على جواز الاستخلاف . فان منعناه لم يجز هذا ، وجهاً واحدا قال النووى : وما ذكرته من تصحيح الجواز فاعتمده . ولا تغتر بما فى الانتصار لأبى سعيد بن عصرون من تصحيح المنع . وكأنه اغتر بقول الشيخ أبى حامد فى تعليقه : لعل الأصح المنع . والله أعلم . ثم قال النووى رحمه الله : الصحيح فى مذاهب العلماء الاستخلاف . وحكاه ابن المنذر عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعلقمة وعطاء والحسن البصرى والنخعى والثورى ومالك وأصحاب الرأى واحمد . ولم يصرح بن المنذر بحكاية منع الاستخلاف عن احد . والله اعلم .

وقال ابو طاهر - عفا الله عنهما — وهو ثابت باجماع الصحابة إذ استخلفوا عبد الرحمن بن عوف حين أصيب عمر رضى الله عنه فى صلاة العشاء . والله سبحانه وتعالى أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

بعد الاطلاع على الفقرة ١٣ من قانون الجماعة المؤرخ فى محرم ١٣٤٥ اجتمعت الهيئة بكامل أعضائها وتقرر الآتى :

١ - انتخاب مجلس ادارة جديد خلفا للسابق

وعليه أقر المجلس على ذلك وأسفرت النتيجة عن الآتى :ـ

حضرة	الأخ	الفاضل	محمد فتحى محمود	رئيس الجماعة
«	«	«	خليفه احمد بدر	وكيل الجماعة
«	«	«	محمد عبدالحميد سليمان	سكرتير الجماعة
«	«	«	عبد الرزاق هاشم	أمين الخزينة
«	«	«	مختار حلمى محمد	مراقب عام
«	«	«	على ابراهيم	عضو
«	«	«	حسن اللقانى	«
«	«	«	زكى زيدان	«
«	«	«	مختار عبد الجليل	«
«	«	«	عبد الفتاح سالم	«
«	«	«	عبدالسلام سعيد عبد العزيز	«

٢ — وقد عرضت الميزانية السابقة على بساط البحث ومقارنتها بالحالة الحاضرة

٣ — الدعوة العامة لجمع التبرعات والاعانات .

٤ — اعلان جلسة للاجتماع وذلك يوم الخميس القادم . وسوف نوافيكم بنتائجها وما يتقرر فيها .

رجب سنة ١٣٦١ العددان ١٣ و ١٤ السنة السادسة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

(مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية))

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقى

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ١٥ قرشا داخل القطر المصرى والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد . وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال ﴾

« تغيض » تمتص من ماء الذكر وتتشربه وتحتويه وتنضم عليه فيستقر في مكانه الذي أعده الله فيها لتخليق الأجنة وتكوينها ، يقال « غاض الماء » أي تشربته الأرض وامتصته وابتلعته فذهب في جوفها واحتوت عليه في باطنها ، و « تزداد » تنمو وتربو وتزيد عن حالها المعتادة ، « والأرحام » جمع « رحم » وهو العضو الذي جعله الله في الأنثى مستقراً لماء الذكر ومستودعاً لتخليق الجنين وتكوينه فيه وتصويره بإذن الله كيف يشاء (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم) وإنما سمي « الرحم » « رحماً » لأنه أجلى مظاهر رحمة الله إذ جعله الله برحمته بحيث يمتص ماء الذكر ، ثم ينكمش عليه ، ويشتمل أتم اشتمال وانكماش ، حتى لا تفسد النطفة باختلاط مواد أجنبية عنها ثم أخذ يمتصه ويطبخه بما أودعه الله فيه من القوى والمواد حتى أخذ أطواره : من نطفة إلى علقة إلى مضغة ، إلى عظام ثم كسا الله العظام لحماً ، ثم أنشأه خلقاً آخر (فتبارك الله أحسن الخالقين) فإذا نفخ فيه الروح دبر غذاءه في هذا المكان الذي لا تناله يد

ولا بصر ولا حيلة لوالد ولا والدة، ولا أحد فى التماس الغذاء ولا فى دفع الضرر عن ذلك الجنين بل دبر الله ذلك بلطفه ورحمته ألطف تدبير ، فأجرى اليه من دم الأم الذى هو خلاصة غذائها بواسطة الحبل السرى المتصل ببطنه من طرف ، وطرفه الآخر متصل بالأم بواسطة المشيمة التى تكونت معه بجذور لاصقة بجدار الرحم وأحاطته رحمة الله ولطفه بأغشية ومواد لزجة ومياه مختلفة التركيب والقوام ، بحيث يصير كأنه يعوم فى بحر متلاطم ، حتى لا يصدم ولا يصطدم بجدار الرحم ، فيؤذى الأم ، ويتأذى هو بصلابة تلك الجدران ، وما زال ذلك البحر يتسع كلما زاد حجم الجنين حتى يبلغ غايته بقدرة الله ورحمته ، فاذا كمل تخليق أعضاء الجنين واستحكم وبلغ نموه الذى هو على قدر الرحم وفى حدود وظيفته وطاقته بمقتضى الرحمة، وقوى أديمه على مباشرة الهواء ، وبصره على ملاقاة الضياء ، وصلبت عظامه على مباشرة الأيدى والتقلب على الارض ، وصار بحيث يضره البقاء فى هذا المكان ويضر بقاؤه هذا العضو هاج الطلق بالأم فأزعج الجنين الى الخروج أيما ازعاج ، وركضه الرحم من مكانه بعنف وقوة ، وفتح الله له برحمته ذلك الباب الضيق ووسعه بحيث يمرق منه مروق السهم ، لا يخنقه ولا يضايقه ، فاذا تأملت كيف دخلت من هذا الموضع نطفة ، ثم خرجت إنساناً خلقاً سوياً تبين لك من آثار رحمة الله بك ولطفه ما يتضح لك منه لِمَ سمى هذا الموضع « رحماً » ثم هو كذلك أقوى سبب فى تراحم وتعاطف الذين حواهم وضمهم وخلقهم الله فيه من الأخوة والأخوات ، ثم هو سبب للصهر الذى هو من أقوى أسباب التعارف والتراحم ، من أجل هذا سمى « رحماً » وجعل الله بسببه من حقوق الصلة والبر بذوى الأرحام ما هو معروف فى الكتاب والسنة .

وقوله « وكل شىء عنده بمقدار » فالمقدار فى اللغة : « القدر » « والمقدار » أيضاً : المنداز الذى يقدر به الشىء ويقاس به القماش ونحوه ، يعنى أن الأشياء كلها علويها وسفليها ، ناطقها وصامتها ، عند الله خالقها ومدبرها ومقدرها ، بمقتضى

سننه الكونية وأحكامه وتدبيره : بمقدار معلوم عنده سبحانه مفصلة ومهيئة على صورة معينة وزمان معين سبق فى علمه قبل كونها فى الوجود الحسى أن تكون بحسبه وعلى قدره وهيئته ، وفى الشكل والحجم والطول والعرض ، واللون وبقية الصفات ، لكل شىء بحسبه . ومادة « التقدير » استعملت فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ، ولعدة معان ترجع كلها الى معنى التحديد والتفصيل المنظم المحكم

وقوله (وما قدروا الله حق قدره) أى ما أعطوا الله سبحانه حقه المحدد المفصل المبين من أسمائه وصفات حمده ومجده وتنزيهه عما لا يليق به ؛ بل خلطوا حقه بحق أوليائهم العاجزين الضعفاء ، وأعطوهم من حق الله فى العبادة ماينبغى أن يكون خالصاً له ، واعطوا الله من اتخاذ الوسطاء والشفعاء فى قضاء حاجات الدنيا واستجابة دعائهم ماهو من خواص المخلوق الذى لا يقدر ولا يعلم (فلا تضربوا لله الأمثال . إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) فهى أيضاً راجعة الى معنى التحديد والتعيين والتفصيل وتجنب التخليط والعبث والفوضى والقول بغير الحق والعدل ، قال تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل) وقال (والقمر قدرناه منازل) وقال (وخلق كل شىء فقدره تقديراً) وقال (وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) وقال (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) وقال (والله يقدر الليل والنهار) وقال (انا كل شىء خلقناه بقدر) وقال (وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام) وقال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر) وقال (ألم نخلقكم من ماء مهين ؟ فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون) وقال (ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا)

وقوله « عالم الغيب والشهادة » « الغيب » كل ما غاب عن الحواس الخمس التى هى سبيل العلم فى الانسان فلا سبيل لها إلى أدراكه وأصله من غابت الشمس إذا استترت وراء الأفق عن العين ، قال تعالى على لسان سليمان (مالى لا أرى الهدهد

أم كان من الغائبين) و « الشهادة » أصل معناها : الحضور مع المشاهدة ، ثم أطلقت على الأمر الواقع تحت إدراك الحواس الخمس أو أحدها ، فطبعت صورته فى حافظة الانسان قال تعالى (ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) وقال (أشهدوا خلقهم ؟ ستكتب شهادتهم ويسئلون) فالمعنى : أنه سبحانه أحاط علمه بكل شىء : مايغيب عن حواس الناس وبصائرهم وما يشهدونه (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين)

وقوله « الكبير » بمعنى العظيم والجليل ، ومعناه يعود الى كبر قدره سبحانه واستحقاقه صفات العلو ، وهو أكبر من كل كبير ، لأن كل كبير يصغر بالاضافة اليه.

« المتعال » العلو : الارتفاع و « العلى » هو الرفيع ، فالمتعالى هو الذى يرتفع ويعلو عن وصف الواصفين ، ويعلو ويرتفع عما يتوهمه المشركون الذين وصفوه بما لاينبغى لعظمته وكبريائه وجلاله من اتخاذ الوسطاء والشفعاء ، ومن احتياجه إلى من يتمم له دينه ويكمل له شرائعه بما تهوى العقول وتستحسن الآراء .

وقد قرأ ابن كثير « المتعالى » باثبات الياء وقفاً ووصلا . وهو القياس، وليس مافيه الألف واللام من هذا كما لاألف ولا لام فيه من هذا النحو، مثل « قاض وغاز » وقال سيبويه : إذا لم يكن فى موضع تنوين فان البيان أجود فى الوقف، نحو قولك: هذا القاضى . لأنها ثابتة فى الوصل . يريد أن اللام مع الألف تثبت ولا تحذف كما تحذف فى الوصل ، فاذا حذفت فى الوصل كان القياس أن تحذف فى الوقف وهى اللغة التى أشيع وأفشى ، فأما اذا دخلت الألف واللام فلا تحذف اللام التى أكثر عند سيبويه ! فأما من حذف فى الوقف والوصل فان سيبويه زعم أن من

العرب من يحذف هذا فى الوقف يشبهه بما ليس فيه ألف ولام اذا كانت تذهب الياء فى الوصل فى التنوين لم يكن فيه ألف ولام ، هذا فى الوقف ، وأما فى الوصل فكان القياس أن لاتحذف ، لأنه لايوجب حذفه شىء غير أن الفواصل تشبه بالقوافى ، وقد كثر حذف ذلك من القوافى اه

قوله « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به » « سواء » اسم بمعنى استواء مصدر استوى ، ووصف به ، بمعنى مستوٍ . وهو يطلب اثنين ، تقول : سواء زيد وعمرو ، وإذا كانت مصدراً فالمعنى : ذو سواء ، كما تقول : عدل زيد وعمرو ؛ أى ذو عدل ، وهى هنا مصدر ، بمعنى : مستوٍ . أى كلا الأمرين عند الله متساويين: الاسرار بالقول ، والجهر به ، لايزيد أحدهما فى الوضوح وإحاطة الله بعلمه عن الآخر و « أسر القول » كتمه وأخفاه فى سربرته وصدره ، و « جهر به » أظهره وأعلنه وأصل « الجهر » ظهور الشىء بافراط ، يقال :جهر البئر واجتهرها، إذا أظهر ماءها

« ومن هو مستخف بالليل » أى مستتر بظلام الليل ، سواء كان ساعياً تحت جنح الظلام فى فساد ومعصية ، أو كان ساعياً فى خير وطاعة لله وإصلاح . « وسارب بالنهار » قال الفراء وأبو اسحاق الزجاج : ظاهر بالنهار فى سربه ، أى طريقه . يقال : خَلِّ له سربه ، أى طريقه. قال الأزهرى :والعرب تقول : سربت الابل تسرب ، أى مضت فى الأرض ظاهرة حيث شاءت . قال الزجاج والفراء : معنى الآية : الجاهر فى نطقه والمضمر فى نفسه ؛ والظاهر فى الطرقات والمستخفى فى الظلمات علم الله فيهم سواء ؛ وقال الأخفش وقطرب . « السارب » المتوارى الداخل سربا وانسرب الوحش ، إذادخل فى كناسه.اه ومادة «سرب» تدل بمختلف منصرفاتها على أن الشىء المتصف بها ليست حقيقته على مايظهر لرائيه ، فالسراب : مايتوهمه السائر الظمآن وقت الحر ماء وليس هو بماء . و «السرب» الطريق الضيق ؛ الذى هو لضيقه كأنه ليس بطريق (واتخذ سبيله فى البحر سربا) أى حوت موسى

عليه السلام . معناه : شق الماء على قدر جسمه ، وأوغل فى البحر وترك وراءه أثراً خفيفاً فى الماء يعلم بموضعه ، وإن كان فى الحقيقة ليس طريقاً . فيكون معنى « السارب » على هذا - والله أعلم . الذى يحاول الاختفاء فى وضح النهار ، فهو فى ظنه ووهمه مختف ، وفى حقيقة الأمر ونفس الواقع ليس بمختف ؛ وإن الذين يمشون فى الأرض فساداً اما أن يمشوا بالليل مستترين بظلمته ، وإما أن يمشوا بالنهار محاولين الاختفاء بما يظنونه ساتراً لهم عن أعين الناس . والله أعلم ؛ وقوله « له معقبات من بين يديه ومن خلفه » أى للانسان المعلوم من قوله « من أسر القول » وقيل : الضمير يعود على اسم الله فى عالم الغيب والشهادة و « المعقبات » المتناوبات التى يخلف كل واحد منها صاحبه ويكون بدلا منه ؛ وهم الملائكة الحفظة . قال الفراء : « المعقبات » ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار ؛ قال الازهرى : جعل الفراء « عقب » بمعنى « عاقب » كما يقال : ضعف بمعنى ضاعف ، وعقد بمعنى عاقد ؛ وقال أبو الهيثم : كل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقب ؛ ويقال للذى يغزو غزواً بعد غزو ، والذى يتقاضى الدين فيعود الى غريمه فى تقاضيه : « معقب » اهـ والمعنى : أن الله سبحانه قد وكل بالانسان ملائكة يتعاقبون الليل والنهار فى حفظه وحراسته من بين يديه ومن خلفه فى يقظته ونومه من الهوام والحشرات والسباع والوحوش . ولولا ذلك لم يستطع الانسان لضعفه أن يعيش فى أمن وسلام ، من تلك العوادى والضوارى وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الصبح وفى صلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم - وهو أعلم بكم - كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون) وعلى هذا فسر قوله سبحانه (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) أى تشهده ملائكة الليل والنهار

وقوله (يحفظونه من أمر الله) ذكر الفراء فيه قولين . أحدهما : أنه على التقديم

والتأخير . تقديره : له معقبات من أمر الله يحفظونه . وعلى هذا لاتعلق ليحفظونه بمن . وهو معنى قول ابن عباس فى رواية سعيد بن جبير فى هذه الآية . قال : هم الملائكة ، وهم من أمر الله ، والثانى أن هذا على إضمار ، أى ذلك الحفظ من أمر الله أى من أمر الله به ، قال ابن الأنبارى : فحذف الاسم وأبقى خبره . كما تكتب على الكيس : الفان . أى فى الكيس الفان . ونحو هذا قال الزجاج ، لأنه قال: حفظهم إياه من أمر الله ، أى مما أمرهم الله به ؛ لا أنهم يقدرون أن يدفعوا أمر الله ، وهذا معنى قول سعيد بن جبير : حفظهم له من أمر الله ؛ وهناك قول آخر ؛ وهو أن (من) مؤدية عن معنى الباء ، إذ الصفات يقوم بعضها مقام بعض ، كما تقول : أجبتك من دعائك إياى أى بدعائك ، والتأويل : يحفظونه بأمر الله .وهذا قول مجاهد وعطاء وابن عباس والحسن وقتادة . والمراد من أمر الله هنا أمره الكونى المبين فى قوله سبحانه (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ونحوها من الآيات ، وأولئك الملائكة الحراس القائمون بأمر الله على حفظ الانسان من المدبرات أمراً ؛ الذين أقامهم الله فى حفظ الكائنات الأرضية ، من النبات والحيوان والجبال والهواء والماء وغيرها مما يتعلق بهذه الأرض وأهلها من عافية ومرض وصحة واعتلال ، ونحو ذلك وكذلك للسموات وما فيها نحو ذلك . والله أعلم

قال أبو طاهر — عفا الله عنهما — : يرد الله سبحانه وتعالى على المشركين الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ وتعنتوا فى طلب الآيات والمعجزات التى يريدون أن يغير الله بها سننه الكونية : دليلا على صدق رسوله ، وزعمهم شيطان الجهل والغرور أن الله لايفعل ذلك ، لأنه عاجز عنه ، وكان جحدهم لنبوة محمد ﷺ جحداً لكل نبوة ، واستبعاداً أن يكون هناك مايدعو الى دين يأخذ الناس بالأمر والنهى والحظر والاباحة ، فليس بالناس حاجة اليه ، لأنهم فى غنى عنه بما فى أيديهم من أهواء رؤسائهم وعادات آبائهم ، أو لأن الحياة الدنيا استغرقت كل تفكيرهم فنسوا أن

بعدها حياة آخرة سيجزون فيها بما كسبوه فى هذه الدنيا من خير وشر ، وأنها هى الحياة الدائمة الباقية . فكان غرورهم بالدنيا واغفالهم للآخرة ، وفتنتهم بالدنيا وزينتها ، ونسيانهم للآخرة ونارها ونعيمها — كان ذلك أكبر سبب يدعوهم الى تكذيب رسل الله الذين بعثهم الله مبشرين ومنذرين ، وأرسلهم يدعون الناس إلى الايمان بالله واليوم الآخر ، وما يترتب على ذلك من تزكية أنفسهم وتطهيرها من الرجس والاقلاع عن عادات وتقاليد موروثة زينتها النفس الجاهلة ، وأوحت بها شياطين الأنس والجن لتصد القلوب وتصرفها عن بارئها وفاطرها الذى سعادتها فى عبادته ، فتتخذ من دونه آلهة من الخلق ومعبودات لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ، وليكون دينهم الظنون الآثمة وماتهوى أنفسهم من الفواحش والمنكرات (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها (إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس) وأن لأولئك الأولياء والآلهة من السلطان النافذ ، والتصرف المطلق فى ملك الله سبحانه فى الدنيا والآخرة حتى أنهم ليدخلون الجنة والنار من يشاءون ويخرجون منهما من يشاءون ، فما على أحدهم إلا أن يطلب من الله الجنة لأحد محاسيبه ، أو النار لمن كان ينكر عليه فيجاب الى ذلك ، فما للناس بعد هذا وللرسل يأمرونهم بالعمل والعبادة والطاعة ويكلفونهم خلاف ماتهوى أنفسهم وما ألفوا من عادات الآباء والأجداد ويخوفونهم عذاب الله وغضبه ؟ وهل غضب الله إلا فى غضب أولئك الأولياء أو رضاه إلا فى رضاهم ؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، فهذا الذى كان — ولا يزال — مستقراً فى نفوس الجاهلين الذين اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله — هو الذى أغراهم بعداوة الأنبياء ، وحملهم على محادتهم والعمل بعكس مايدعونهم اليه من الايمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات ، (استكباراً فى الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) ولقد حاول ، ويحاول حزب الشيطان أن يضعوا على عيونهم أغشية من الجهل محاولين حجب آيات الله واطفاء نورها ، ولكن الله سبحانه لم

يجعل لهم ولن يجعل لهم إلى ذلك سبيلا ؛ فقد بث فى السموات والارض وفى أنفسهم آيات ناطقة بلسان الحال والمقال . بأنه أحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين ؛ وأنه القادر الذى وسع كل شىء رحمة وعلماً ؛ وأنه الحكيم الخبير الذى ماخلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ؛ وأنه لايعجزه شىء فى السموات والأرض ؛ فضلا أن تعجزه آية يؤيدبها نبيه . وكم لله سبحانه من آية فى السموات والأرض والأنفس لايحصيها العد ولا يعجزه أن يعيد الانسان كما خلقه أول مرة فيجزيه الجزاء الأوفى

ففى هذه الآيات يبسط الله الدليل على عظيم قدرته وباهر صنعته وبليغ حكمته وواسع علمه الذى يرتب الأشياء بمقتضاه فى الوجود التكوينى أحكم ترتيب وأدقه ، وقد مزج الله سبحانه فى هذه الآيات كشأن كثير غيرها - آيات القدرة الباهرة مع آيات العلم المحيط ، مع آيات العظمة والاستعلاء وشدة البطش التى لا يغلبها غالب

وتأمل تلك الآية وما فيها من عجيب صنع الله وعظيم قدرته ولطيف رحمته بالانسان وغيره من الحيوان إذ جعل نسله من سلالة من ماء مهين ؛ ونبهنا إلى دقة الصنعة فى تكون هذا الانسان جنيناً وخلقه من هذا الماء المهين ، وكيف أنه سبحانه جعل الرحم كالأرض الخصبة ينزل عليها الماء فتمتصه وفيه جرثومة الخلق وبذرة الحيوانية ، فتحتضنه وتغذوه مدة معلومة مقدرة بتقدير الحكيم الخبير الذى أتقن كل شىء صنعه ، وأحسن تقدير كل شىء خلقه وصوره ، ثم يزداد كما تزداد الأرض وتهتز وتربو حتى يكمل نمو ذلك الخلق وتكوينه ؛ فيفتق عنه الأغشية والحجب التى ضمته وحضنته ويخرج بشراً سويا ، كما يفلق الحبة والنواة عن الزروع والثمار ، وتأمل كيف أن الله سبحانه قدم فى أول هذه السورة آيات قدرته فى الأرض وما يخرج منها (من جنات وأعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد) ثم عقبها كذلك بآياته فى الأرحام وخلق الانسان والحيوان منها كذلك مختلف الأشكال والألوان والعقول والأمزجة والأخلاق الحلوة والمرة والمالحة والحامضة

والقلوب والنفوس كذلك واختلاف الألسنة ، وكلهـــا من رحم واحدة وتسقى بماء واحد ، فسبحان الله العليم الحـكيم ، وتأمل حكمته سبحانه فى أنه كذلك جعل من الأرحام عقيما ، كما جعل من الأرض سبخة لاتمسك ماء ولا تنبت شيئاً ، ومن الأرحام مايتكون فيـه أكثر من جنين ، كما أن من الأرض ماتنفلق الحبة والنواة فيها عن عدة أعواد وأشجار ، والـكل محل واحد يغيض الماء ويبلعه ، ثم يزداد على مايشاء الله ويقدر ، أو يفسد الماء والبذر على مايشاء و يقدر سبحانه العلى القدير

فالذى هذا بعض آياته فى أنفسنا وفيما نعانيه بالعمل كل يوم ، ونشهده كل صبـاح ومسـاء يعجزه أن ينزل من عنده آية يؤيد بها رسوله ومصطفاه اذا كانت رسالتـه بحاجة إلى هذه الآية ؟ أو يعجزه أن يعيد الانسان إلى الحياة مرة ثانية ويجزيه على ماعمل فى هذه الدنيا من صالح أو سىء أو خير أو شر ؟ كلا (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)

(٢٢ : ٥ ـ ٧ ياأيها النـاس ، إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقـة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لـكم ، ونقر فى الأرحام مانشاء الى أجـل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لـكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ، وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها المـاء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير ، وأن الساعة آتيـة لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) ولـكن صدق الله (سأصرف عن آياتى الذين يتكـبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها ، وأن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كـذبوا بأياتنا وكانوا عنها غافلين)

قال الامام العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله فى كتاب مفتاح دار السعادة

وإذا تأملت مادعا الله سبحانه فى كتابه عباده الى التفكر فى القرآن أوقفك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله : من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه . فبهذا تعرّف الى عباده ، وندبهم الى التفكر فى آياته ، ونذكر لذلك أمثلة مما ذكرها الله سبحانه فى كتابه ليستدل بها على غيرها ، فمن ذلك خلق الانسان

فقد ندب الله سبحانه الى التفكر فيه والنظر فى غير موضع من كتابه ، كقوله (فلينظر الانسان مم خلق ؟) وقوله (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وقوله (أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نطفة من منى يمنى ؟ ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟)وقوله (ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكين ، إلى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون) وقوله (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) وقوله (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين) وهذا فى القرآن كثير ، يدعو الله العبد إلى النظر والتفكر فى مبدأ خلقه ووسطه وآخره ، إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره وبارئه وأقرب شىء إلى الانسان نفسه ، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ماتنقضى الأعمار فى الوقوف على بعضه ، وهو غافل عنه ، معرض عن التفكير فيه . ولو فكر فى نفسه لزجره مايعلم من عجائب خلقها عن كفره ، قال تعالى (قتل الانسان . ما أكفره ؟ من أى شىء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره . ثم اذا شاء أنشره) فلم يكرر الله سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذه الآيات لنسمع ذكر النطفة والعلقة والمضغة والتراب أو لنتكلم بها فقط ، ولا لمجرد تعريفنا بذلك ، بل لأمر وراء ذلك كله ، هو المقصود بالخطاب . وإليه جرى ذكر الحديث .

فانظر الآن إلى النطفة بعين البصيرة ، وهى قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر لو مرت به ساعة من زمان فسدت وأنتنت : كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والترائب ، منقادة لقدرته ، مطيعة لمشيئته ، مذللة الانقياد وتذليل ؛ على ضيق طرقها واختلاف مجاريها ؛ إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها وكيف جمع سبحانه بين الذكر والانثى ، وألقى المحبة بينهما ، وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة إلى الاجتماع الذى هو سبب تخليق الولد وتكوينه ، وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين مع بعد كل منهما عن صاحبه ، وساقهما من أعماق العروق والأعضاء وجمعهما فى موضع واحد جعل لهما قراراً مكيناً لا يناله هواء يفسده ، ولا برد يجمده ، ولا عارض يصل اليه ، ولا آفة تتسلط عليه ، ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشربة علقة حمراء تضرب إلى سواد ، ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة فى لونها وحقيقتها وشكلها ، ثم جعلها عظاماً مجردة لا كسوة عليها ، مباينة للمضغة فى شكلها وهيئتها وقدرها وملمسها ولونها [illegible]

وانظر كيف قسم تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس واللين وبين ذلك ، ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشده وأبعده من الانحلال ؟ وكيف كساها لحماً ركبه عليها وجعله وعاء لها وغشاء وحافظاً وجعلها حاملة له مقيمة له ؟ فاللحم قائم بها وهى محفوظة به ؟ وكيف صورها فأحسن صورها ، وشق لها السمع والبصر والفم والأنف وسائر المنافذ ، ومد اليدين والرجلين وبسطهما ، وقسم رؤوسهما بالأصابع ، ثم قسم الأصابع بالأنامل وركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء كل واحد منها له قدر يخصه ومنفعة تخصه [illegible]

ثم أخذ الامام الجليل القوى الايمان الذى رزقه الله فقهاً عظيماً وبصيرة نافذة فى دينه وكتابه ـــ يتكلم على تكوين الانسان وعظامه وأعضائه ووظائفها ومنافعها وحكمتها وبديع صنعة الله فيها عضواً عضواً فى كلام ممتع جداً ، وعلم غزير جم لا تجده

له عند غيره نظيراً ، مما يستوجب على كل مسلم أن يستوعبه قراءة وفهماً ليزداد به إيماناً ويقيناً وهدى ونوراً . ثم قال : والمقصود : التنبيه على أقل القليل من وجوه الحكمة التي في خلق الانسان . والأمر أضعاف أضعاف مايخطر بالبال ، أو يجرى فيه المقال . وإنما فائدة ذكر هذه الشذرة التي هي كل شيء بالنسبة إلى ماوراءها — التنبيه . وإذا نظر العبد إلى غذائه فقط في مدخله ومستقره ومخرجه رأى فيه العبر والعجائب ، وكيف جعلت له آلة يتناول بها ، ثم باب يدخل منه ، ثم آلة تقطعه صغاراً ، ثم طاحون يطحنه ، ثم أعين بماء يذيب من غدد في الشدقين — يعجنه ثم جعل له مجرى وطريقاً إلى جانب التنفس . ينزل هذا ويصعد هـذا فلا يلتقيان مع غاية القرب . ثم جعل له حوايا وطرقاً توصله إلى المعدة فهي خزانته وموضع اجتماعه ولها بابان : باب أعلى يدخل منه الطعام ، وباب أسفل يخرج منه ثفله ، والباب الأعلى أوسع من الأسفل ، إذ الأعلى مدخل للحاصل ، والأسفل مصرف للضار منه ، والأسفل منطبق دائماً ليستقر الطعام في موضعه . فاذا انتهى الهضم فان ذلك الباب ينفتح إلى انقضاء الدفع ، ويسمى البواب ، والأعلى يسمى فم المعدة والطعام ينزل إلى المعدة متكيساً ، فاذا استقر فيها انماع وذاب ، ويحيط بالمعدة من داخلها وخارجها حرارة نارية ، بل ربما تزيد على حرارة النار ينضج بها الطعام فيها كما ينضج الطعام في القدر بالنار المحيطة به ، ولذلك يذيب ماهو مستحجر كالحصى وغيره حتى يتركه مائعاً ، فاذا أذابته علا صفوه إلى فوق ، ورسا كدره إلى أسفل ، ومن المعدة عروق متصلة بسائر البدن يبعث فيها معلوم لكل عضو وقوامه بحسب استعداده وقبوله . فيبعث أشرف مافي ذلك وألطفه وأخفه إلى الأرواح . فيبعث إلى البصر بصراً ، والى السمع سمعاً ، والى الشم شماً وإلى كل حاسة بحسبها . فهذا ألطف مايتولد عن الغذاء ، ثم يبعث منه إلى الدماغ مايناسبه في اللطافة والاعتدال ، ثم ينبعث من الباقي إلى الأعضاء في تلك المجارى بحسبها ، ثم ينبعث منه الى العظام والشعر والأظفار مايغذيها ويحفظها ، فيكون الغذاء داخلا إلى المعدة من طرق ومجار ، وخارجا منها

إلى الأعضاء من طرق ومجار. هذا وارد اليها، وهذا صادر عنها. حكمة بالغة ونعمة سابغة.

ولما كان الغذاء إذا استحال فى المعدة استحال إلى مرة سوداء ومرة صفراء وبلغم، اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل واحد من هذه الأخلاط مصرفا ينصب اليه ويجتمع فيه، ولا ينبعث الى الأعضاء الشريفة إلا أكمله، فوضع المرارة مصبا للمرة الصفراء، ووضع الطحال مقرا للمرة السوداء، وجعل الكبد تمتص أشرف مافى ذلك، وهو الدم، ثم تبعثه إلى جميع البدن من عرق واحد ينقسم على مجار كثيرة؛ يوصل إلى كل واحد من الشعور والاعصاب والعظام والعروق مايكون به قوامه.

ثم إذا نظرت الى مافيه من القوى الباطنة والظاهرة المختلفة فى أنفسها ومنافعها رأيت العجب العجاب؛ كقوة سمعه وبصره وشمه وذوقه ولمسه وحبه وبغضه، ورضاه وغضبه. وغير ذلك من القوى المتعلقة بالادراك والارادة؛ وكذلك القوى المتصرفة فى غذائه كالقوة المنضجة له وكالقوة الماسكة له والدافعة له إلى الأعضاء والقوة الهاضمة له بعد أخذ الاعضاء حاجتها منه الى غير ذلك من عجائب خلقته الظاهرة والباطنة – فى حوالى المائة صفحة من هذا الكتاب الجليل.

وذهب ابن القيم رحمه الله يشرح الانسان تشريحا علميا حكميا من أول كونه نطفة إلى جميع أطواره وأدواره، ويبرز حكم الحكيم العليم فى هذا الخلق البديع ويظهر الانسان على مالله سبحانه من الرحمة والفضل على الانسان فى كل هذه الأدوار وأنه بكل هذا حرى أن يعرفه حق معرفته ويخلص له العبادة وحده ويعظم شكره على ماأسبغ عليه من هذه النعم التى مصدرها العدل والحكمة وأن ينزه الله ربه عما يصفه به المعطلون والزنادقة الملحدون. (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)

محمد حامد الفقى

أحاديث الأحكام

٨٢ – وعن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال « من أصابه قىء أو رعاف . أو قلس أو مذى فلينصرف فليتوضأ ، وليبن على صلاته ، وهو فى ذلك لا يتكلم » رواه ابن ماجه وضعفه الشافعى وأحمد والدارقطنى وغيرهم

٨٣ – وعن جابر بن سمرة : أن رجلا سأل رسول الله ﷺ « أتوضأ من لحوم الغنم ؟ قال : إن شئت فتوضأ وإن شئت فلا تتوضأ . قال : أتوضأ من لحوم الابل ؟ قال : نعم ، فتوضأ من لحوم الابل . قال : أصلى فى مرابض الغنم ؟ قال : نعم . قال : أصلى فى مبارك الأبل ؟ قال : لا » رواه مسلم

٨٤ – وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « من غسل ميتا فليغتسل . ومن حمله فليتوضأ » رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجة والترمذى وحسنه . ولم يذكر ابن ماجة الوضوء وقال أبو داود : هذا منسوخ . وقال الامام احمد: هو موقوف على أبى هريرة . وقال البخارى وقال احمد بن حنبل وعلى بن المدينى: لا يصح فى هذا الباب شىء .

قال أبو طاهر – عفا الله عنهما – حديث عائشة رواه ابن ماجه فى أبواب الصلاة فى باب ماجاء فى البناء على الصلاة . عن اسماعيل بن عياش عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة . وكذلك رواه الدارقطنى . بلفظ « إذا قاء أحدكم فى صلاته أو قلس الخ » ثم قال الدارقطنى : كذا رواه اسماعيل بن عياش عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة ، وتابعه سليمان بن أرقم ، وهو متروك الحديث وأصحاب ابن جريج الحفاظ يروونه عن ابن جريج عن أبيه مرسلا . والله أعلم

قال الشيخ شمس الحق فى التعليق المغنى على سنن الدارقطنى : ورواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة اسماعيل بن عياش ؛ ثم قال : هكذا رواه ابن عياش مرة قال عن ابن جريج عن أبيه عن عائشة . وكلاهما غير محفوظ . قال : وبالجملة فاسماعيل ابن عياش ممن يكتب حديثه ويحتج به فى حديث الشاميين فقط . وأما حديثه فى الحجازيين فلا يخلو من ضعف ، إما موقوف فيرفعه ، أو مقطوع فيصله ، أو مرسل فيسنده أو نحو ذلك . ونحو هذا قال الحازمى فى الناسخ والمنسوخ عن اسماعيل ابن عياش . وروى البيهقى مثل هذا القول عن احمد فى ابن عياش وضعف هذا الحديث . وأسند البيهقى عن الشافعى : أن هذه الرواية ليست ثابتة عن النبى ﷺ وإن صحت فتحمل على غسل الدم لا على وضوء الصلاة اه

وقال النووى فى المجموع (ج٢ ص ٥٤) ومذهبنا أنه لا ينتقض الوضوء بخروج شىء من غير السبيلين كدم الفصد والحجامة والقىء والرعاف سواء قل ذلك أو كثر . وبهذا قال ابن عمر وابن عباس وابن أبى أوفى وجابر وأبو هريرة وعائشة وابن المسيب وسالم بن عبد الله بن عمر والقاسم بن محمد وطاوس وعَطاء ومكحول وربيعة ومالك وأبو ثور وداود بن على .. قال البغوى : وهو قول أكثر الصحابة والتابعين ثم ذكر النووى القائلين بالانتقاض وحججهم وبين أن الأحاديث التى ساقوها كلها ضعيفة لا يقوم بها حجة . ثم ذكر حجة القائلين بعدم النقض فقال : احتج أصحابنا بحديث أنس « احتجم النبى ﷺ وصلى ولم يتوضأ ، ولم يزد على غسل محاجمه » لكنه ضعيف . وأجود منه حديث جابر قال « خرجنا مع رسول الله ﷺ يعنى فى غزوة ذات الرقاع ـ فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فحلف أن لا أنتهى حتى أهريق دما فى أصحاب محمد ، فخرج يتبع أثر النبى ﷺ فنزل النبى ﷺ منزلا . فقال : مَن رجل يكلؤنا ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، فقال : كونا بفم الشعب قال : فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب اضطجع المهاجرى وقام الانصارى يصلى ، وأتى الرجل . فلما رأى شخصه عرف أنه ربيئة

للقوم، فرماه بسهم فوضعه فيه، فنزعه، حتى رماه بثلاثة أسهم ثم ركع وسجد، ثم انتبه صاحبه، فلما عرف أنهم قد نذروا به هرب، فلما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء قال: سبحان الله، ألا أنبهتنى أول مارمى؟ قال: كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها » وقد بين البيهقى فى الدلائل أنها سورة الكهف. قال النووى: اسناده حسن وقد احتج به أبو داود. وموضع الدلالة منه: أنه خرج منه دم كثير واستمر فى الصلاة. ولو كان خروج الدم ناقضاً لما جاز بعده الركوع والسجود وإتمام الصلاة. وقد علم النبى ﷺ ذلك ولم ينكره اهـ. ويدل أيضاً على أن دماء الجراحات معفو عنها. وقد تواترت الأخبار أن المجاهدين فى سبيل الله كانوا يصابون بالجراحات التى تملأ ثيابهم دماً، ثم يصلون فيها مع رسول الله ﷺ ولا يأمرهم بنزعها. وحديث سعد بن معاذ حين أصيب بسهم فى أكحله فى غزوة الخندق، وكان لا يرقأ. ومازال يسيل دماً حتى مات منه. وقد ضرب له النبى ﷺ عليه وسلم خيمة فى المسجد. حتى لقد كان الدم يسيل حتى يخرج من الخيمة. ومن الأدلة على ذلك أيضاً أثر عمر بن الخطاب رضى الله عنه: وفيه « أنه صلى صلاة الصبح وجرحه يجرى دما » والجرح الذى يجرى دما لابد أن يلوث الثوب. ومن المحال أن يصلى عمر بالناس بلا وضوء وبحالة غير جائزة شرعا. ومن المحال أن يسكت عنه الصحابة اذا فرض أنه فعله. فهذا يكاد يكون اجماعا من الصحابة على أن سيلان الدم من الجرح لاينقض الوضوء وأنه معفو عنه فى الصلاة.

فالصحيح أن خروج الدم والقىء والقلس — وهو ماخرج من الجوف ملء الفم أو دونه فان زاد فهو القىء — كل ذلك ليس بناقض للوضوء. والقياس على البول والغائط غير صحيح لأن العلة غير معلومة وهى أمور تعبدية وقال أبو بكر بن المنذر رحمه الله: لاوضوء فى شىء من ذلك لأنى لا أعلم من أوجب الوضوء فيه حجة اهـ وان كان المطلوب التنظف من أثر ذلك وغسله للتطيب وقد أطال فى عون المعبود شرح سنن أبى داود القول فى تحقيق عدم النقض بما خلاصته ماتقدم والله أعلم

وأما الحديث (٨٣) فقد رواه أحمد وأبو داود بلفظه عن البراء بن عازب؛ وفيه زيادة «وسئل عن الصلاة فى مبارك الابل ؛ فقال لا تصلوا فى مبارك الابل ، فانها من الشياطين ؛ وسئل عن الصلاة فى مرابض الغنم فقال :صلوا فيها فانها بركة» قال الحافظ المنذرى : وكان احمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم الحنظلى يقولان قد صح فى هذا الباب حديث البراء بن عازب وحديث جابر بن سمرة . وقد أعل على بن المدينى حديث جابر بجهالة جعفر بن أبى ثور راوية عن جابر : وقد رد الحافظ ابن القيم هذا فى تهذيب سنن أبى داود ، وحقق عن البخارى والبيهقى أن جعفر مشهور وليس بمجهول . وقال البيهقى : قال محمد بن اسحاق بن خزيمة الامام لم نر خلافا بين علماء الحديث أن هذا الخبر صحيح من جهة النقل لعدالة ناقليه ثم قال البيهقى : وروينا عن على بن أبى طالب وابن عباس « الوضوء مما خرج وليس مما دخل» وإنما قالا ذلك فى ترك الوضوء مما مست النار . ثم ذكر عن ابن مسعود أنه أتى بقصعة من الكبد والسنام من لحم الجزور فأكل ولم يتوضأ . قال : وهذا منقطع وموقوف . وروى عن أبى عبيدة قال « كان عبد الله بن مسعود يأكل من ألوان الطعام ولا يتوضأ منه » قال البيهقى : ومثل هذا لا يترك ماثبت عن رسول الله ﷺ قال ابن القيم : وهو كما ترى صريح فى اختيار البيهقى القول باحاديث النقض واختاره ابن خزيمة . ومن العجب معارضة هذه الأحاديث بحديث جابر « كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار » ولا تعارض بينهما أصلا . ثم حقق ابن القيم عدم التعارض. ثم قال : وأيضا فأبين من هذا كله أن جابراً لم يحك لفظاً ،لاخاصاً ولا عاما من كلام صاحب الشرع ﷺ وإنما حكى أمرين هما فعلان . أحدهما متقدم ؛ وهو فعل الوضوء ، والآخر متأخر وهو ترك الوضوء مما مست النار . فهاتان واقعتان توضأ فى احداهما وترك الوضوء فى الأخرى من شىء معين مسته النار . ولم يحك لفظا عاما ولا خاصا ينسخ به اللفظ الصحيح الصريح. اهـ

وقال النووى رحمه الله فى شرح المهذب (٢: ٥٩) وأجاب الاصحاب عن حديث

جابر بن سمرة والبراء بجوابين . أحدهما : النسخ بحديث جابر بن عبد الله «كان آخر الأمرين.. » والثانى : حمل الوضوء على غسل اليد والمضمضة . قالوا وخصت الأبل بذلك لزيادة سهوكة لحمها : وقد نهى أن يبيت وفى يده أو فمه دسم ، خوفا من عقرب ونحوها . وهذان الجوابان اللذان أجاب بهما أصحابنا ضعيفان . أما حمل الوضوء على اللغوى فضعيف ، لأن الحمل على الشرعى مقدم على اللغوى كما هو معروف فى كتب الأصول . وأما النسخ فضعيف أيضا أو باطل . لأن حديث ترك الوضوء مما مست النار عام وحديث الوضوء من لحم الأبل خاص . والخاص يقدم على العام سواء وقع قبله أو بعده . وأقرب ما يستروح اليه قول الخلفاء الراشدين وجماهير الصحابة والله أعلم . اه

وقال فى شرح مسلم : ذهب الأكثرون إلى أنه لا ينقض الوضوء . وممن ذهب اليه الخلفاء الراشدون وابن مسعود وأبى بن كعب وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو امامة وجماهير التابعين : مالك وأبو حنيفة والشافعى وأصحابهم . وذهب الى الانتقاض به : احمد واسحق بن راهويه ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة . واختاره البيهقى . وحكى عن أصحاب الحديث مطلقاً وعن جماعة من الصحابة ـ إلى أن قال : وهذا المذهب أقوى دليلا وإن كان الجمهور على خلافه اه كلام النووى وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : لما كانت الأبل فيها من الشيطنة مالا يحبه الله ورسوله أمر بالوضوء من لحمها ؛ فان ذلك يطفىء تلك الشيطنة . ونهى عن الصلاة فى أعطانها ومباركها ؛ لأنها مأوى الشياطين — كما فى حديث البراء مصرحا — كما نهى عن الصلاة فى الحمام لأنه مأوى الشياطين . فان مأوى الارواح الخبيثة أحق بأن تجتنب الصلاة فيه وفى موضع الاجسام الخبيثة اه

قال أبو طاهر - عفا الله عنهما — التعليل فى حديث البراء بالنهى عن الصلاة فى مبارك الابل يعطى علة الفرق بين لحوم الابل وغيرها ، كما يعطى العلة فى الفرق بين مباركها ومرابض الغنم . وأنه ليس النهى عن الصلاة لنجاسة بعر الابل وبولها . وإنما

هو لما فيها من الشيطنة . وقد ثبت طهارة أبوال الابل فى حديث أنس الذى رواه البخارى ومسلم فى العرنيين الذين اجتووا المدينة فأمر لهم النبى ﷺ بلقاح يشربون أبوالها وألبانها ، الحديث . وبوب البخارى فى صحيحه لذلك بابا فقال : باب أبواب الابل والدواب والغنم ومرابضها . وصلى أبو موسى الأشعرى فى دار البريد والسرقين ، والبرية فى جنبه . فقال « ههنا وثم سواء » والسرقين هو الزبل ويقصد أبو موسى رضى الله عنه أن يعلم الناس أن الصلاة فى البرية ، يعنى الأرض التى فيها هذا السرقين والصلاة فى هـذا السرقين على حد سواء . والباحث المحقق لايجد من قول النبى ﷺ مايصلح دليلا على نجاسة أبوال هذه الدواب ولا أبعار الابل والغنم ومأكول اللحم من البقر والجاموس ونحوه . اللهم إلا نهيه ﷺ عن الاستنجاء بالروث — وهو خاص بالبغال والحمير والخيل — وقوله لابن مسعود إذ أتاه بحجرين وروثة : إنها ركس ورماها وأخذ الحجرين . والله أعلم

وأما الحديث (٨٤) قال الحافظ فى التلخيص الحبير : ويدل للنسخ مارواه البيهقى عن الحاكم عن أبى على الحافظ عن أبى العباس الهمدانى الحافظ حدثنا أبو شيبة حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « ليس عليكم فى غسل ميتكم غسل إذا غسلتموه . إن ميتكم يموت طاهراً . وليس بنجس . فحسبكم أن تغسلوا أيديكم » قال البيهقى : هذا ضعيف والحمل فيه على أبى شيبه . قلت : أبو شيبة هو ابراهيم بن أبى بكر بن أبى شيبة احتج به النسائى ووثقه الناس . ومن فوقه احتج بهم البخارى . وأبو العباس الهمدانى هو ابن عقدة حافظ كبير إنما تكلموا فيه بسبب المذهب ولأمور أخرى ولم يضعف بسبب المتون أصلا . فالاسناد حسن ، فيجمع بينه وبين الأمر فى حديث أبى هريرة بأن الامر على الندب ، أو المراد بالغسل غسل الأيدى يصرح به فى هذا . ويؤيد أن الأمر للندب ماروى الخطيب باسناد صحيح عن نافع عن ابن عمر قال « كنا نغسل الميت فمنا من يغتسل ومنا من لا يغتسل » وهو أحسن ماجمع به بين هذه الأحاديث اه

تلك الايام

مابكاء السقيم على العافية ، ولا بكاء الشيخ الفانى على الشباب ، وأيامه الحلوة ولياليه العذاب ، ولا بكاء المفلس على ماضاع من ماله ، وفسد من حاله ؛ ولا بكاء الثكلى فقدت وحيدها ، ولا بكاء الملك المغلوب ، على ملكه المسلوب ، وتراثه المنهوب : بأمرّ من بكاء الاسلام لو تمثل الاسلام شخصاً وأتيح له ان يبكى ماضى يفقده ، من عزه ومجده وحوله وطوله ، وسلطانه الواسع ، وملكه الشاسع .

كانت المسلمين الأولين عقيدة نقية صافيـة لاتشوبها الشوائب ولا تكدرها الأرجاس ؛ قوية لا يعتورها ضعف ولا خور ، صادقة تدفع إلى البـذل والتضحية والجود بالمال والنفس فى سبيل الله وفى سبيل الجماعة ، فما زال بها الفساد والضعف والتحلل حتى اصبحت كالطلل الدارس والأثر العافى ، والثوب الخلق المهلهل البالى والخيال الماثل ، او كالشجرة الجرداء لاظل ولا ثمر . وانتقلت من القلب إلى اللسان فصـارت الفاظاً جوفاء . تنطق بها الشفاه وتلوكها الألسنة ، وتصخب بها الحناجر ولـكن الأفئدة منها هواء .

كان المسلم يؤمن بإلـه واحد لايشرك به احداً ، يفزع إليه إن مسه ضر او حزبه أمر ، ويضرع إليه فى قضاء الحاجات ، وكشف الملمات فأصبح يلوذ بكل مصروع ومخبول ، وممرور ومشلول . ويعوذ بكل من رثت ثيابه وتمزق إهابه ، ويعتصم بالقبور

قال أبو طاهر — عفا الله عنهما — هذا على أن حديث أبى هريرة متـكلم فيه كثيراً ، فلا يكاد يصـل الى درجة الحسن . فالأظهر أن يكون على التنظيف والتطيب . والله سبحانه وتعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



والرُّجام ، والأباطيل والأوهام والاحجار ، والاشجار والآبار . كأن الله نزل عن سلطانه لهذه المخلوقات ، ومنحها التصرف فى الكائنات سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

كان المسلم يضحى بكل مايملك فى سبيل الذود عن عقيدته ،فأصبح يضحى بعقيدته فى سبيل عرض تافه خسيس من اعراض هذه الحياة الدنيا

كان المسلم يحرص الحرص كله على مرضاة الله تعالى ولو أغضب فى سبيل ذلك الناس جميعاً . فأصبح يحرص على مرضاة أحقر الناس شأناً ، وأضعفهم سلطانا ،ولو أغضب العزيز الجبار الذى بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه. كان المسلم يجهر بكلمة الحق فتذهب مدوية فى الفضاء تتفتح لها أبواب السماء . وترتعد لهيبتها فرائص الطغاة والجبابرة وتندك صروح الظلم والطغيان . فأصبح يقول فى غير خجل ولا حياء : إذا رأيت الحق يثير عليك العامة فاكتمه وكن أجبن الجبناء .

كان المسلم مرفوع الرأس موفور العزة والكرامة لايذل لمخلوق مهما يعل قدره ويسم مكانه ؛ ولا يخضع — فى غير الحق - لانسان مهما يبلغ من الجبروت والطغيان لأنه مؤمن قوى الايمان بقول القاهر الديان : « ولله العزة ولرسوله والمؤمنين »

كان المسلم يعاهد فيوفى بالعهد مهما يكلفه الوفاء من جهد ووقت ومال ، استجابة لقول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)

كان المسلم صادقا لايكذب لعلمه أن الكذب مع الفجور ، وأن الفجور يهدى إلى النار .

كان المسلم يؤدى العبادة التى فرضها الله عليه صحيحة خالصة كما علمه كتاب الله وسنن رسوله . فان شاء أن يتقرب إلى الله تعالى لم يجد بين ألوان القرب خيراً من أداء فرائض الله عملا بالحديث القدسى الذى رواه رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه : « ماتقرب إلىّ عبدى بمثل أداء ماافترضته عليه » فاذا طمحت نفسه الى المزيد رأى فى ميدان النوافل متسعاً لمن يريد الزلفى الى الله « وما يزال

عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه .. فلئن دعانى لأجيبنه ولئن سألنى لأعطينه »

كان المسلم لا يلحد فى أسماء الله ، ولا يدعوه بغير أسمائه الحسنى ؛ ولا يقسم عليه بخلقه ، ولا يتوسل بأشخاص عباده لأن القرآن هداه السبيل المستبين : (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا وكانوا لنا خاشعين)

كان المسلمون جميعاً جنوداً فى جيش الله يجاهدون فى سبيله بأموالهم وأنفسهم؛ ينصرون دينه ويعلون كلمة الحق لا يحفلون بما أصابهم فى سبيل ذلك لأنهم يعلمون أنه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ؛ ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا ، إلا كتب لهم به عمل صالح ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ، فدانت لهم الأرض ، وألقيت إليهم مقاليد الأمور وخضعت لسلطانهم الشعوب ، وملكوا بالعدل شعاب الدنيا وألفاف الأرض ، بعد أن كانوا قليلا مستضعفين يخافون أن يتخطفهم الناس .

أصبحت دولتهم مرهوبة الجانب تلقى إليها الأمم بالمودة وتتسابق الشعوب إلى العيش فى ظلالها ؛ لأنها بسطت ظل العدل على الأرض ودكت صروح الظالمين

كان المسلم يذكر الله فى نفسه تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولم يكن من الغافلين فأصبح الذكر مكاء وتصدية وشهيقاً ونعيقا وحركات كحركات المرورين ورقصات كرقصات السكارى والمخبولين .

كان الاسلام دينا وعقيدة وعملا ولم يكن جدلا وخصومة وطعنا وسفها وكيداً وبذاء . وكان المسلم يتعلم أمور دينه ليعمل بها لا ليجادل ولا ليخاصم ، ولا يتشدق بما تعلم ولا ليقوم به فى المحافل ليقول الناس : ما أبلغه أو ما أفصحه ! وما أبل ريقه ، وما أذلق لسانه ، وما أوضح بيانه ! وما أثبت جنانه وما أغزر علمه وما أقوى إيمانه !

أسقط المسلمون الأولون الناس من حسابهم فى العبادة ، وعملوا لله وحده فنصرهم الله وآواهم وأيدهم ورزقهم من الطيبات وأقاموا للناس الوزن فى المعاملة فشدوا أزرهم

وسدوا خللهم وأعانوهم على البر والتقوى ، وكانوا لهم كالبنيان يشد بعضه بعضا فلم يدعوا منهم جائعا إلا أطعموه ولا عاريا إلا ستروه، ولا ذا خلة إلا سدوا خلته ، ولا ذا حاجة إلا قضوا حاجته ، فصاروا حقا خير أمة أخرجت للناس ولم تشرق الشمس منذ شب الله نارها ، وجلى نهارها على أمة خير من أمتهم .

كانوا يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر لا باغين ولا مستطيلين ولا مستكبرين ، ولا شاتمين ولا مؤنبين . ولكن ناصحين مشفقين محبين مخلصين متواضعين هينين لينين . مبشرين غير منفرين ، ميسرين غير معسرين . أسسوا مدنية هي خير مدنيات الدنيا . مدنية قائمة على صدق التعاون وحسن التعامل ، والنظافة والنظام والطاعة في المعروف ، والوفاء والبر والعدل والعطف والرحمة والاحسان . لا كهذه المدنيات الزائفة التي قوامها الخلاعة والفسوق والمجون والعصيان والتمرد واللهو واللعب والدعارة والخمر والميسر والزنا والربا والغطرسة والكبرياء واحتقار الضعفاء . والظلم والعدوان والبغي والطغيان .

مدنية يحميها الايمان والتقوى وتحوطها حدود الله التي لاهوادة فيها ولا شفاعة مدنية وضع الله قواعدها ، وأسس الاسلام مبادئها وضمن الايمان حمايتها والقيام من دونها والذياد عن حياضها . فأثمرت ألذ ثمر وأطيبه . وجني منها المسلمون خير الدنيا والآخرة

كان للمسلمين جيش تخشاه دول الأرض جميعا لأنهم عملوا بقول الله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)

كان للمسلمين قانون هو أعدل ما رأى الناس من قانون لأنه حكم الله والله أحكم الحاكمين . ياحسرتا على ما فرطوا في جنب الله — وياحسرتا على تلك الأيام !

وهل يسمح بمثلها الزمان ؟

نعم . لو أراد المسلمون

أبو الوفا محمد درويش

الأشهر الحرم

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد مخيمر الواعظ بالقاهرة

من القواعد الاسلامية أن الله فضل بعض الأزمنة على بعض ، كما فضل بعض الأمكنة على بعض ، وبعض الناس على بعض . وأن من الأزمنة التى فضلها الله على سواها : الأشهر الحرم ، وتحريمها منذ خلق الله السموات والأرض وتحريمها تعظيمها بمضاعفة ثواب الحسنه فيها وعقاب السيئة ، فاذا كان الظلم محرماً فى جميع الأوقات فهو فى الأشهر الحرم أشد تحريماً ؛ كما ضاعف عقوبة الذنب فى الحرم أو قتل ذى رحم محرم . وهذا حكمة تخصيصها بالنهى عن الظلم فيها فى قوله عز وجل (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) وكان أهل الجاهلية يعظمونها ويرون القتل فيها — حتى لأعدى أعدائهم — إفراطاً فى الظلم ؛ فكان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه أو ابنه ؛ فيمنعه ماوقر فى نفسه من احترام تلك الأشهر أن يرفع عليه سيفاً أو يتقدم نحوه بأذى ، وذلك من الأخلاق الفاضلة التى أقرها الاسلام واستقر عليهـا التشريع فى آخر أيام حيـاة النبى ﷺ حين خطبهم فى حجة الوداع بقوله « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ؛ السنة اثنى عشر شهراً ، منها أربعة حرم ثلاث متواليات ، وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر ، الذى بين جمادى وشعبان »

بعث ﷺ وقد غير العرب الأشهر الحرم بجعل بعضها حلالا ووضع أشهر أخرى مكانها بأهوائهم ، فقد روى « أن عوف بن جنادة الكنانى قام على جمل له ، وكانت قبيلته تقاتل أخرى ولم تتم معها القتال ، وكانت منتصرة ففاجأها رجب وخاف عوف أن يفوت النصر قومه . فنادى فيهم : ان آلهتكم قد أحلت لكم هذا الشهر فأحلوه

وحرموا مكانه شهراً آخر ففعلوا . وواصلوا القتال » وقد جاء فى الحديث أنهم جعلوا المحرم صفراً ، فنشأ عن ذلك أن ضاع تعيين الأشهر الحرم ، وقالوا ماتريد آلهتنا منا إلا أن نحرم أربعة أشهر من السنة ، وافتخروا بذلك فى أشعارهم حتى قال قائلهم

ألسنا الناسئين على قريش   شهورهمو فنجعلها حلالا   وقال آخر

ألسنا الناسئين على قريش   شهورهمو الحرام الى الحلال

وفى ذلك أنزل الله (إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله . زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين) والمراد بالنسىء فى الآية تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر . فلم تزل الأشهر الحرم بعيدة عن مواضعها بأصل الخلقة تامة فى السنة كلها حتى اذا كانت السنة ، التى حج فيها ﷺ رجع كل شهر منها إلى مكانه الذى خلقه الله عليه ؛ وهذا معنى قوله ﷺ « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض الحديث » وقد كانت ربيعة تجعل جمادى الآخرة مكان رجب وتحرمه وتسميه باسمه وبقيت مضر على تحريم رجب الذى بين جمادى وشعبان حتى أضيف اليها واشتهر بها : فنبه ﷺ على فساد عمل ربيعة وصلاح عمل مضر وموافقته للتحريم الالهى بقوله « ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان »

والمراد بالظلم المنهى عنه فى الآية الكريمة : مقارفة الذنوب وارتكاب المعاصى التى نهى الله عنها . والمراد باضافته إلى نفس مرتكبه فى الآية الاشارة إلى أن نفس الانسان ونفس غيره سواء فى المحافظة عليها وعدم الاعتداء على أحد من المسلمين سواء كان الظلم واقعاً على المعتدى أو على المعتدى عليه ؛ فان فى الاعتداء على الغير ظلماً على نفس المعتدى ، فان من قتل نفسا ظلما فقد ظلم نفسه كما ظلم غيره

ولما كان أساس الفساد فى الأرض منحصراً فى ثلاثة أمور وهى الاعتداء على النفس ، أو على أحد أطرافها ، والاعتداء على المال بصرفه فى غير ما أحل الله أو اكتسابه من غير وجه حلال والاعتداء على العرض باستحلاله بغير ما أحل الله —

تفرعت الأحكام الآتيـة على هذه الأمور الثلاثة ورجعت المفاسد كلهـا اليها . ولنضرب لذلك أمثلة : —

القتل : هو اعتداء على النفس ، ولهذا جعل الشارع عقوبته الأساسية أن يفعل بالقاتل مثل مافعل بالمقتول (ولـكم في القصاص حياة) حتى سمى ﷺ الوسيـلة اليه كفراً في قوله « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »

وروى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال لايزال الرجـل في فسحة من دينه حتى يقتل نفساً ظلماً ، فاذا فعل ذلك ضيقت عليـه الرحمة » وبين الله أن من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فـكأنما أحيى الناس جميعا . وفرع تحريم السرقة والربا والغصب والسلب وقطـع الطريق وكل أكل لأموال الناس بالباطل على تحريم المال ، وأن تحريم الخمر والميسر راجع الى أنه أكل لأموال الناس بالباطل وكسب من غير وجـه حلال . ومثله منع الزكاة والبخل بالصدقة ومنع الـكفارات المالية وترك الحج مع القدرة عليه . وبالجملة فـكل ماأدى إلى صرف المال في غير وجهه الحـلال أو كسبه من غير ذلك الوجه فهو راجع إلى تحريم المال

ومن أمثلة المفاسد التي حرم العرض لاجتنابها الزنا ومقدماته واللواط كذلك واتيان البهائم .

وبالجملة فان هذه الأمور الثلاثة هي أساس حفظ الأمن بين الناس وهي التي يعبر عنها الناس اليوم بالمحافظة على الأمن العام .

ومن هذا يدرك المتأمل الواسع التفكير السر في قوله ﷺ « أيها الناس إن دماءكم وأموالـكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم » فأنت ترى أن هذه الجملة البالغة حد الاعجـاز قد نبهت على ترك جميع المفاسد التي يختل بهـا النظام والأمن بين الناس .

وإذا كان الاسلام قد نهى عن ترك المفاسد في جميع الأوقات فان النهي عنها

فى الأشهر الحرم وفيما يجتازه الناس اليوم من الظروف أشد تأكيداً ، لأن التحذير عن مظالم العباد والاعتداء على حقوقهم فى نفس أو عرض أو مال أعظم فى تأمين الأمة من التحذير عن المظالم التى يكون بين العبد وربه .

فنتوجه بهذه النصيحة الى جميع المسلمين ونأمل من كل ذى دين وخلق متين أن يكون حرصه على مصالح غيره وأمنهم مساويا لحرصه على مصالحه وأمنه « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » وإنك لتلمس هذا بحواسك كلها فى كلام الله تعالى ورسوله ﷺ

أنظر إلى قوله ﷺ « ان أول مايقضى فيه الله تعالى يوم القيامة بين العباد من المظالم الدماء » ثم انظر الى قوله ﷺ « من قتل دون نفسه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد »

ثم تأمل كيف أن الله تعالى حمل ابن آدم الأول كفلا من ذنب كل نفس تقتل ظلماً لأنه أول من قتل نفساً آدمية فى الارض ، وفى ذلك يقول ﷺ «مامن نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل فى الأرض »

أيها المسلمون : إنكم وقد حل بكم أول شهر من الأشهر الحرم التى نهاكم الله فيها عن الظلم ، وانكم مع ماأنتم فيه من الحاجة الى الالتجاء الى الله عز وجل فى تفريج كروبكم وكشف ماتعانونه من ضروب البلاء ، وانكم وأنتم أمة خير الرسل ودينكم الاسلام دين الاخلاق ودين تعظيم الله عز وجل والاخلاص له — انكم وهذه الامور أحرى أن تبتعدوا عن معاصى الله تعالى فى هذا الشهر العظيم ، وأولى أن يقلع صاحب المعصية عنها وأن يستبدل الحسنة بالسيئة ، والخير بالشر ،والتوبة بالاصرار على معاصى الله. فاغتنموا هذه الأزمان المحترمة فى السموات والارض وعند الله عز وجل فتجردوا من المظالم وارجعوا الى تعاليم القرآن وسنة النبى ﷺ والوارثين له من خيار الامة فاقتدوا بهم (إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم)

البدع ...!

لقد راجت البدع – وما أكثرها – فى سوق التقليد ، ووجدت لها أنصاراً من علماء الرسوم الجامدين يخترعون العلل والشبهات لشرعيتها ، والقاعدة العامة عندهم لاثبات كل بدعة قولهم « بدعة حسنة » . والمقصود من كلمة اليوم إنما هو تبيان وجه الضلال فى تلك القاعدة التى قعدوها ، وأقاموا عليها قصوراً من البدع والأهواء لا عداد لها . وهم – بزعمهم – يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ألا ساء مايصنعون !

عرف العلامة الشاطبى فى كتابه « الاعتصام » البدعة بأنها عبارة عن « طريقة فى الدين مخترعة تضاهى السنة الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه وتعالى » . فهى بهذا الاعتبار – الذى لا مفر منه – استدراك فى الدين ، وحاش لله ولدينه من هذا الاستدراك . وبعد أن جعل الله سبحانه الاسلام صراطه المستقيم (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه) لتكميل البشر فى أمورهم الروحية والجسدية ، ليكون وسيلة للسعادة العاجلة والآجلة . ولما كانت الأمور الروحية التى تنال بها السعادة الأخروية من العبادات والعقائد لاتختلف باختلاف الزمان والمكان – أتمها الله وأكملها أصولا وفروعا – (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) . وقد أحاطت بها النصوص ، فليس لبشر بعد الرسول ﷺ أن يزيد فيها ولا أن ينقص منها شيئا . وقد أنكر الامام مالك على من استشاره فى الاحرام من مسجد الرسول ﷺ من عند قبره ، ونهاه عن ذلك ، وأمره بالاحرام من الميقات ، فلما ألح الرجل قال له : « لاتفعل فانى أخشى عليك الفتنة » فقال الرجل وأى فتنة فى هذا ؟ إنما هى أميال أزيدها . قال « وأى فتنة أعظم من أن ترى انك قد سبقت فضيلة قصر

عنها رسول الله ﷺ إنى سمعت الله يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم) ومن أجل كلامة رضى الله عنه « من أحدث فى هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله خان الرسالة لأن الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) فما لم يكن يومئذ دينا لايكون اليوم دينا »

هـذا وقد ثبت فى كتب الأصول ، ان الأصل فى العبادات الحظر والبطلان حتى يأتى النص من الله ورسوله على طلبها على الوجه والكيفية ؛ والأصل فى العقود والمعاملات الاباحة والصحة حتى يجىء النص من الله ورسوله على البطلان والتحريم والفرق بينهما : أن الله سبحانه لايعبد إلا بما أحبه وشرعه على ألسنة رسله ، فان العبادة حقه على عباده ، وحقه الذى جعله حقاً له ورضى به وشرعه ، وأما العقود والشروط والمعاملات فهى عفو حتى يحرمها ، ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين مخالفة هـذين الأصلين ، وهو تحريم مالم يحرم ، والتقرب اليـه بما لم يشرعه . (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) أما انهم لم يكونوا يعبـدونهم ، ولـكن اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ؛ واذا حرموا عليهم شيئا حرموه ، كما ثبت ذلك من حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه .

وورد فى الصحيح من حـديث عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : « من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد » وفى رواية لمسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وهــذا الحديث عده العلماء ثلث الاسلام ، لأنه جمع وجوه المخالفة لأمره عليه السلام . وورد أيضاً أن النبى ﷺ كان يقول على المنبر « وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ؛ وكل بدعة ضلالة » وهذا الحديث - كما ترى مناقض لقاعدتهم « بدعة حسنة » - تلك القاعدة التى افتتن بها خلق كثير من الناس ؛ بل أكثر الناس ؛ فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل . وقد رواه مسلم ، وهو مجمع على معناه فى البدع الدينية ، وانما قال من قال من العلماء : ان البدعة تنقسم

الى حسنة وسيئة فى البدعة اللغوية ، وهى مايخترعه الناس ويضعونه من العلوم والفنون والصناعات والاعمال الدنياوية

ولما بايع الناس عمر بن عبد العزيز رحمه الله صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناس ! إنه ليس بعد نبيكم نبي ؛ ولا بعد كتابكم كتاب ، ولا بعد سنتكم سنة ؛ ولا بعد أمتكم أمة ، ألا وان الحلال ما أحل الله فى كتابه على لسان نبيه حلال الى يوم القيامة ، ألا وان الحرام ماحرم الله فى كتابه على لسان نبيه حرام الى يوم القيامة . ألا وانى لست بمبتدع ولكنى متبع ، ألا وانى لست بقاض ولكنى منفذ ، ألا وانى لست بخازن ولكنى اضع حيث امرت ؛ ألا وانى لست بخيركم ولكنى اثقلكم حملا : ألا ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . ثم نزل »

ومن كلامه الذى عنى به و بحفظه العلماء وكان يعجب مالكا قوله : « سَن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فى شيء خالفها . من عمل بها مهتد ، ومن انتصر بها منصور ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ماتولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا »

وخلاصة القول أن العبادات منها ماهو مقيد بعدد أو زمان او مكان او وصف فالواجب فيه التزام القيد المأثور عن الشارع فلا يباح ان يزاد فيه ولا ان ينقص منه ولا أن يغير عن وصفه ؛ واذا غير عن وصفه أو زمانه دخل فى البدعة المحدثة المذمومة كما حقق ذلك العلماء ، ومنها ماورد مطلقا غير مقيد فيلتزم فيه الاطلاق

فمثلا : الأذان ؛ من النوع الأول ، وهو شعيرة من شعائر الاسلام التعبدية ، مروى بالتواتر العلمى والعملى من عهد الرسول ﷺ معدود الكلمات ، مصروف الأداء ، وكل عبادة هذا شأنها يجب فيها الاتباع بلا زيادة ولا نقصان . فمن زاد فى آخره (الصلاة على النبى ﷺ ـ كما يفعل المؤذنون اليوم ـ فهو مبتدع فى الدين بما لم يأذن به الله داخل تحت قوله ﷺ « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار »

(١) يقتل فى حديقة

كان فراج محمد العامل بحديقة الأوقاف الملكية نائما صباح أمس فى الحديقة ولما أيقظه رئيسه محمد محمد الصيفى أبطأ فى القيام فتغيظ منه وضربه بفأس فقضى نحبه واعتقل المتهم !!

(٢) موعدنا غدا ...

فى الحفلة الساهرة الكبرى التى سيقيمها جماعة إنقاذ الطفولة المشردة بأفخم نادى بالشرق نادى البوليس الخاص « ليتوريا سابقا » بطريق الاهرام . برنامج

بخلاف العبادات المطلقة : من ذكر الله تعالى أو صلاة على النبى ﷺ فى أى وقت غير الأذان ؛ فكل امرىء مخير فى الاكثار منها بشرط أن تكون الصلاة على الصفة المأثورة ، وأن لا يلتزم فاعل العبادة المطلقة قيوداً لها من الزمان أو المكان أو الجهر و الجماعة تخرجها عن دائرة إطلاق الشرع ، وتدخلها فى عداد ماسماه الامام الشاطبى بالبدع الاضافية المخرجة لها عن إطلاقها . وقد عد الشاطبى فى كتابه (الاعتصام) من البدع الاضافية : اجتماع المصلين عقب الصلوات ورفع أصواتهم بالتسبيح والتحميد والتكبير ٣٣ مرة وغير ذلك والتزامهم إياه فى المسجد، لأنه يوهم أنه مشروع بهذه الصفة .

و إن من شر مفاسد هذه البدع فى الدين . أنها بطول الزمن عليها عد الناس فاعلها متبعاً للدين ومنكرها مبتدعا . فأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا. وأعجب من ذلك إقرار أدعياء العلم المبتدعين على بدعهم ابتغاء عرض زائل (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون) (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أحمد أحمد القصير — بكفر المدرة

لم يسبق له مثيل . غناء أم كلثوم ، رقص كاريوكا ، رقص على الجاز بند بنلوهات ؛ محمد البكار ؛ سيرينا دافينسيا ، رقصة الديكة ، رقصة الزنوج ؛ رقصة الفراعنة ألخ ثمن التذكرة بما فيها عشاء فاخر ١٠٠ قرش . التذاكر محدودة وتطلب من شباك الأوبرا الملكية ونادى البوليس الخاص .

الخبر والاعلان نشرتهما الاهرام منذ عهد قريب . أما الخبر فان دل على شىء فانما يدل على نوع الرحمة التى صار يعامل الناس بها بعضهم بعضا . والحق ان إبطاء فراج محمد العامل المسلم عن إجابة الرئيس المسلم محمد محمد الصبفى (الذى تكرر لفظ (محمد) فى اسمه مرتين) يوجب إيقاظه بهذه الطريقة المبتكرة ـ طريقة ضربه بالفأس ـ ولعل الفأس علمت ان هذا العامل المسكين فى حاجة الى الراحة الأبدية فلم تقع فى موضع الايقاظ كما أراد صاحبها الرحيم ولكنها وقعت فى موضع نومة المصاب فيه طويلة !! ونحن لا انتقاد لنا على حضرة الريس ـ فله طريقته فى إيقاظ عماله ـ إلا من حيث انه استعمل الفأس فى إيقاظ أو إنامة مرءوسه وكان أولى له أن يساير الزمن فيوقظه بقنبلة يدوية أو على الأقل برصاصة بندقية ، ولله فى خلقه شئون .

أما الاعلان فماذا أقول عن هذا الاعلان ؟ إنه لايحتاج فى الدلالة على ماوصلنا اليه فى محادة الله ورسوله وعدم الاعتبار بما بين أيدينا وما خلفنا إلى تعليق وصدق الله عز وجل إذ يقول : (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

محمد صادق عرنوس

أضرحة الأولياء

أحياؤنا لايرزقون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات
من لى بحظ النائمين بحفرة	قامت على أحجارها الصلوات
تسعى الأنام لها ويجرى حولها	بحر النذور وتقرأ الآيات
ويقال: هذا القطب باب المصطفى	ووسيلة تقضى بها الحاجات

إلى سادتنا العلماء

تطوع !!

كتبت إحدى المجلات الاسبوعية المصورة بعنوان «حفلة خيرية» تحت صورة منشورة مابلى : أقامت مدام . : . بك حفلة خيرية لجمعية . . . وقد أبدى الحضور رغبتهم فى مشاهدة الرقص الشرقى ، فتطوعت السيدة . . . مصطفى لاجابة هذه الرغبة فأبدعت وأجادت ونالت إعجاب الجميع . . ألخ

أيرجى لدين الله فوز ونصرة
وما وقعت عيناى إلا على إثم

يئست وما يأسى تعلة واهم
ولكنه ينأى عن الوهل والوهم

فخلوا سبيل الوعظ لاتحفلوا به
فما صفقة «الوعاظ» منه سوى الهم

أيلقى على السمع الموقر حكمة
فما الحزم إلقاء النصائح للصم

اذا ماقلوب الناس ضلت على هدى
وجدت ذكى القوم أغبى من البهم

اذا لم تقيموا الحد بالسيف شرعة
فلستم بداء المسلمين على علم

قرأتم حديث الافك ماصد نشره
حفاظ على خلق ولاخيف من وصم

أمرضية الحفل (الكريم) تطوعا
توالين رقص البطن عارية الجسم

تظنين أن الخير أطلق أمره
فما تقبل الخيرات من طرق الذم

أما كان عن هذا (التظرف) مبعد
فمهدى به صنو المعاول فى الهدم

أأنت على الاسلام ترضين شرعه
رويدك لاشىء لديك سوى الاسم

أيلبس وجه الخير بالشر محسن
كذا النور فى تلك المواطن قد يعمى !

ركبنا سفين الغرب فى غير وجهة
فياويل هذا الشرق من ثبج اليم

أخذنا ولم نعط الحقوق «تقية»
فصرنا الى حال أذل من اليتم

أإن جد داعى الجد فى حومة الوغى
فهل فيك ياشعب التظرف من يرمى !

محمد سيد سليمان — رئيس الزامى

من صور الحياة المصرية

٣٨ - فى عالم المطبوعات

عثرت بوجه الصدفة على رسالة مطبوعة فى (مناقب القطب الغوث سيدى عبد الرحيم القنائى الشهير بالقناوى رضى الله عنه ونفعنا به آمين) فطالعتها مع جماعة من اخوانى ترويحا عن النفس فى هذا الوقت الذى بلغت فيه القلوب الحناجر وأخذت الهموم فيه بالكظم وتحدثا بنعمة الله علينا إذ حفظنا من التردى فى حمئة التصديق بمثل هذه الطوام . فخرجنا من قراءتها ونحن نردد قوله تعالى : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

طالعنا هذه الرسالة فوجدنا أن مافيها لايخرج فى جملته عن دسائس الباطنية التى كادوا بها لهذا الدين من زمن بعيد يرجع مبدؤه الى عهد شيخهم عبد الله بن سبأ اليهودى عليه اللعنة ، الذى دق أول إسفين - بلغة العصر الحربية - فى جبهة هذا الدين المنيعة وجعلها (جيوبا) سهل على أتباعه من بعده مهاجمتها حتى نالوا منها نيلا عظيما إذ لم يكتفوا بايقاع الناس فى الشرك بالألوهية حتى أوقعوهم فى الشرك بالربوبية والمياذ بالله ، وهى حالة قل أن وصلت اليها أمة من الأمم الجاهلية التى يحكى الله عنها فى كتابه مثل قوله : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، ليقولن الله) وفى مثل قوله : (قل من يرزقكم من السموات والأرض ؟ قل الله) وغير هاتين الآيتين كثير . والمدهش حقاً أن يروج هذا الباطل بين المسلمين الذين لم ينزل كتاب مثل كتابهم توحيد الله وتزيياله عن أية شائبة من شوائب الشرك ، حتى لقد حفظ هذا الكتاب حفظا لم ينخرم معه حرف زيادة أو نقصانا ، وأنت اذ تسمع قوله تعالى : (قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى

السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى اذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير) نعم انك عندما تسمع هذا القول الجلى الصريح فى نفى كل تصرف فى الكون لغير الله تعالى تعجب أشد العجب من قدرة أولئك الباطنية على ترويج هذا الباطل بين المسلمين حتى جعلوا الغالب فيهم ينسب التصرف فى هذا الكون الى غير الله ، وهل عقيدة وجود الأقطاب والأنجاب والأبدال وغير ذلك من هذه الألقاب بجانب الله تعالى يعينونه فى إدارة ملكه لكل منهم (دَرَك) فيه ـ غير إنكار صريح لصفات الألوهية وخصائص الربوبية . وهذا يظهر واضحاً من الصور التى رسموا بها أولياءهم المزعومين مما تفيض به أمثال كتب محيي الدين بن عربى والشعرانى وغيرهما من دعاة وحدة الوجود التى وضعوها فى المناقب والسنن وسواها من الأسماء ستراً لمقاصدهم الخبيثة وترويجاً لكيدهم .

وكم تعبنا وتعب من قبلنا من علماء السلف فى رد أولئك المارقين الى القرآن الكريم والتحاكم اليه فيما لا يمكن للعقول أن تحيط به من غير طريقه كصفات الله وامرارها على ظاهر ما عبر به عنها فكان سلفهم بالامس وخلفهم اليوم كما قال الله تعالى : (فانك لا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) ولا ننكر أن من بين من استهواهم أولئك الشياطين من التبس عليهم الامر فاندفعوا فى تيار المروق من غير أن يكون عندهم من مناعة التفكير ما يمكنهم من مقاومة هذا التيار ، ولكنهم توافقوا على جعل أصابعهم فى آذانهم اذا صيح بهم إن ما أنتم عليه هو الضلال المبين . (واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله والى الرسول رأيتهم يصدون وهم معرضون) .

ونحن لا نأسى إلا على المغترين بهذه الضلالات بحسن نية ؛ فكانوا من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ومن أولئك الضحايا علماء رأيتهم يقرءون للناس كتب الشعرانى وأمثالها ظنا منهم ان قراءتها عبادة وفيها من الزيغ ما ينسف العقائد نسفا ، فيذرها قاعا صفصفا .

وعلى هذا الأساس طبع أصحاب الرسالة التي نحن بصددها رسالتهم ، وليس ببعيد أن يكونوا قد فعلوا ذلك بقصد حسن ، والدليل على ذلك قولهم على غلافها (طبعت هذه النسخة مساعدة لتعمير مسجد عبدالرحيم بقنا . وهكذا تراهم بفساد الوسيلة أفسدوا الغاية فبلغوا من التناقض النهاية . ولابراهيم الدسوقي والسيد أحمد البدوي وعبدالقادر الجيلاني وأمثالهم من الكرامات التي تتحدث عنها هذه الكتب ما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . ولعل أحداً من قراء « الهدى » لايجهل هذه الكرامات ، فلئن فاتته قراءتها فما فاته سماعها . وها هو ذا القطب الغوث السيد عبدالرحيم القنائي الشهير بالقناوي ينسب أصحاب الرسالة اليه أنواعا من الكرامات في حياته و بعد مماته . لا نقول انها منازعة لمعجزات الأنبياء صلوات الله عليهم ، بل هي منازعة صريحة لله في خصائص ربوبيته . والسيد عبدالرحيم هذا هو صاحب فائدة الأربعاء الموصوفة في الرسالة والتي قامت حولها ضجة من عهد غير بعيد . فما ذكر عن مقامه في هذه الرسالة : أن الشيخ أبا مدين لما بلغته وفاة الشيخ عبدالرحيم قال لو مكنت منه لجعلته في تابوت وجعلته على وجه الأرض فكل من نظره نطق بالحكمة !! وانه سمع مرة شعراً من أحد المنشدين فتداخل الشيخ أمر عظيم . فقال المنشد أعيده ؛ فتأخر عن قوله . فقال له الشيخ اسكت فلم يقدر على النطق ، ومكث كذلك أياما ثم جاء الى الشيخ معتذراً مستغفراً !! فقال له اتل شيئاً من القرآن . فقرأ عند الشيخ ما شاء الله أن يقرأ وانصرف مسروراً . فكان اذا أراد أن يقرأ القرآن قرأ ، واذا أراد أن يقول شيئاً من الشعر وغيره لم يقدر على النطق . فأتى الى الشيخ مستغيثاً فقال له : اذهب فتكلم . فانصرف الرجل منطلق اللسان كحاله أولا .

وحكى بعضهم قال : كان لي ويبة من البر وكان لي عيال كثير ، فأتيت الى الشيخ عبدالرحيم بقنا وشكوت له العيال والفاقة ، فأخرج لي قدحا من بر وقال لي اخلطه على برك واطحن ولا تكل ؛ ففعلت وكانت زوجتي تطحن كل يوم من ذلك

البر قدحين ، فمكثت على ذلك أربعة أشهر ثم أعلمت زوجتى جيرانها ففقد .

وكان الشيخ عبدالرحيم يخرج على أصحابه ثم يقول: هل فيكم من يعرف من اذا أراد الله أن يحدث فى العالم شىء أعلمه به قبل إحداثه . فيقولون لا ؛ فيقول ابكوا على قلوب محجوبة عن الله تعالى . وتقول الرسالة انه أحد من أظهره الله تعالى الى الوجود ، وقلب له الأعيان وخرق له العوايد وأظهر على يديه العجائب الخ .

وقال الشيخ أبو مدين : رأيت الملائكة تصافحه والجن بعد صلاة الصبح الى الضحى وركع وخرج الى بستانه فرأيت الأشجار تسلم عليه وتشكوا اليه العطاش .

وحكى بعضهم قال نزل مرة شيخ من الجو فى مجلسه لايدرى الحاضرون من هو فأطرق الشيخ عبدالرحيم ساعة ثم ارتفع الشيخ الى السماء ، فسألوه عنه فقال هـذا ملاك وقعت منه هفوة بالنظر لمقامه فنزل يستشفع بنا فتقبل الله شفاعتنا فيه فارتفع .

وكان اذا شاوره انسان يقول تمهل حتى أستأذن لك جبريل عليه السلام . فيمكث ساعة وهو مطرق ثم يقول افعل أو لا تفعل . قال بعضهم والمراد بجبريل هذا ليس جبريل الذى يأتى الأنبياء إنما هو ملاك على اسم جبريل الأعظم !!

وكان اذا قال لعامى أو صغير يافلان تكلم لنا فى معنى هـذه الآية يتكلم فيها بكلام ماطرق الأسماع مثـله حتى لو كان هناك ألف محـبرة تكتب عنه لعجزت. ثم اذا قال اسكت يافلان لايجد عنده كلمة واحدة . الخ .

هذه نماذج من كرامات السيد عبد الرحيم التى أعتقد انها ألفت فى غرزة حشيش ، تطبع فى رسالة ثم تنتشر بين الناس فيأخذون مافيها من شرك وضلالات على أنه دين يجب اعتقاده ثم لانجد من أولى الأمر من يصادرها أسوة بالمطبوعات الضارة بالأخلاق مع أن أثر الأولى فى إفساد عقائد الناس و إهدار عقولهم أسوأ بما لايقاس من أثر الثانية لو حررت الموازين .

ولو أن رسالة صودرت لبليغ ضررها بالناس لما وصلت الى أيديهم من هذه الرسالة نسخة واحدة ؛ ولله الأمر من قبل ومن بعد .

محمد صادق عرنوس

لنا فى رسول الله أسوة حسنة

يفهم بعض الناس من قوله ﷺ « من أمّ بالناس فليخفف » انه ﷺ يأمر بما يفعلونه فى صلاتهم من التخفيف الذى يجعلها أشبه باللهو والعبث . وحاشا رسول الله ﷺ أن يأمر بذلك . وانما جاءهم هـذا من جهلهم بسنته العملية التى تفسر سنته القولية . واليك وصف قراءته ﷺ ومقدارها كما رواه مسلم فى صحيحه:

(١) عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ كان يقرأ فى صـلاة الظهر فى الركعتين الأوليين فى كل ركعة قدر ثلاثين آية ، وفى الأخريين قدر خمس عشرة آية ، وفى العصر فى الركعتين الأوليين فى كل ركعة قدر قراءة خمس عشرة آية وفى الأخريين قدر نصف ذلك .

(٢) وعنه قال لقد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضى حاجتـه ثم يتوضأ ثم يأتى ورسول الله ﷺ فى الركعة الأولى مما يطولها .

هذا فعل رسول الله ﷺ فى الصلاة السرية ، ومعلوم أنه كان يقرأ فى الجهرية أكثر من السرية ، فهل آن المسلمين أن يفهموا دينهم على ما أراده وعمـل به من جاء به من عند ربه ويتركون ماهم عليه من تقليد غيره ﷺ

والله إن هم فعلوا ذلك لأعاد الله لهم مجدهم وعزهم . والله على كل شىء قدير .

فاتنا أن نذكر أن مانشرناه على صفحة ٤٠ من العدد الماضى هو خاص بمجلس إدارة فرع الجماعة بالاسكندرية

شعبان سنة ١٣٦١ العددان ١٥ و ١٦ السنة السادسة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

(مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ١٥ قرشا داخل القطر المصرى والسودان
و ٣٠ قرشا خارج القطر .

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره :

﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وإذا أراد الله بقوم سوءاً لا مردّ له . وما لهم من دونه من وال ﴾

يقول الله جل ثناؤه : (إن الله لايغير مابقوم) ما أسبغ عليهم من عافية ونعمة فيزيل ذلك عنهم ويسلط عليهم عقابه ويصب عليهم سوط عذابه حتى يغيروا ما بأنفسهم من شكر نعمه باخلاص عبادته وحسن طاعته ، والوقوف عند حدوده والانتفاع بوصاياه ومواعظه ، إلى الكفر بأنعمه ، وتضييع حقوقه وتجافى القلوب عن عن حظيرة قربه وحبه ، واستلقائها فى خرطوم الشيطان راضية بما ينفث فيها من سموم الشرك والشهوات والفسوق والعصيان ؛ والجرأة على انتهاك حرمات الله والعدوان على حدوده فى غير خجل ولا وجل ؛ وتنكب وصايا الله الحكيمة الرحيمة ونسيان عظاته والاعراض عن آياته والخوض فى الأموال والأعراض والدماء بالبغى والظلم والفساد . واتخاذ آيات الله هزواً ، ودينه لهواً ولعبا . وموت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقطع ماأمر الله به أن يوصل ، والمسارعة الى طاعة الهوى ، والاحتيال على تحليل ماحرم الله لارضاء ذوى الرياسة ، وتحريم ماأحل الله بالكذب والقول بالباطل لأنه على غير ماتهوى الأنفس ، والتتابع فى اشباع الشهوات البهيمية حتى تنحل الأخلاق وتنعكس الفطر ، فتنهار الرجولة وتتلاشى بالتخنث ويتلاشى حياء الأنوثة وخفرها وعفتها بالتهتك والاستهتار والدعارة والفجور . فاذا غلب ذلك على

القوم واستحكم فيهم : أحلهم الله دار البوار ، وأذاقهم العذاب الأليم ، وبدلهم مكان النعمة نقمة ، ومكان الرحمة غضبا وسخطا ، ومكان العز ذلا ، ومكان الأمن خوفا ، وجعل كل أمرهم فرطا ، ولقاهم فى كل حياتهم غياً ، وجعل عيشهم نكدا ، وسلط عليهم أنواع البلايا والمحن فى أنفسهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم وحكامهم ، حتى يدع الحليم فيهم حيرانا ، وما يزال أمرهم كذلك فى سفل وشقاء متزايد ، ونكد بعد نكد ، حتى يدمر الله عليهم فيكونوا نكالا لما بين يديهم وما خلفهم وموعظة المتقين (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ، وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيرا) (ضرب الله مثلا : قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار : جهنم يصلونها وبئس القرار) (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) . (فأمليت للكافرين ثم أخذتهم ، فكيف كان نكير ؟ فكأين من قرية اهلكناها وهى ظالمة ، فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) (فذرهم فى غمرتهم حتى حين ، أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات ؟ بل لا يشعرون . . بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون . حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون . لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون . قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون . مستكبرين به سامراً تهجرون . . . ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون . ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون . حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) (ومكروا مكراً ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم : أنا دمرناهم وقومهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ؛ إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) (وكم أهلكنا من

قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ، وكنا نحن الوارثين ، وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ؛ وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها غافلون) (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا ، فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى إلا الكفور) (وإذ تأذن ربكم : لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم ، وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) (أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ؟ إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) (أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؛ كانوا أشد منهم قوة ؛ وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات . فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ؟ إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون ؟)

تلك آيات الكتاب الحكيم ، هدى ورحمة للمحسنين ، وشفاء لما فى صدور المؤمنين ، ولا تزيد الظالمين إلا خسارا . تهدى للتى هى أقوم ، وتبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا ؛ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعد الله لهم عذابا أليما فى الدنيا ، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

يؤكد الله سبحانه فيها أنه يسبق برحمته الى عباده ؛ فيوالى عليهم فضله ، والليل والنهار ، ويسبغ عليهم نعمه ظاهرة و (الله الذى خلق السموات والأرض أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم . وسخر لكم الفلك لتجرى فى

البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ؛ وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ماسألتموه . وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ؛ إن الانسان لظلوم كفار) فان هم عرفوا نعمة الله فأنكروها وكفروا بها مستعينين بها على مساخطه ومحاربته ، قلبها عليهم نقمة وعذابا ، سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا . وإن هم عرفوا نعمة الله فقابلوها بالشكر واستعانوا بها على مرضاته والايمان به وطاعته وحسن عبادته ؛ وأعطوها حقها من التقدير والاكبار منتفعين بكل نعمة فيما جعلها الله له وأسداها من أجله على الوجه الذى يحبه وارتضاه لعباده : جعلها عليهم رحمة وسعادة ؛ وزادهم من نعمة وفضله ؛ وكانوا بعين الله وفى كنفه ، وتحت جناح رحمته ومعونته وحسن توفيقه .

فنعمة الرسول الذى هو أعظم مظاهر رحمة الله وفضله ، يقابلونها بالحب الصادق والتوقير والتعزيز والنصر له ولكل ماجاء به من الهدى والعلم والحكمة والدين والآداب والأخلاق ، والاتباع له والتحرى للاقتداء به حيث كان وكيف كان ، والفهم والتدبر لما نزل الله عليه من كتاب وعلم ، والتفقه فيه للاتباع والعمل . واليقين كل اليقين أن لا حق ولا هدى ولا دين ولا خير ولا فلاح فى الدنيا والآخرة إلا من طريق هذا الرسول ؛ ومن منبع علمه الذى أوحاه الله اليه وهداه اليه وألهمه إياه لبيان ماأنزل عليه من آيات وأحكام وشرائع ، والحرص أشد الحرص على الاستمساك بحبله والاعتصام بسنته : والوقوف عند طريقته والعض على ذلك بالنواجذ ، مهما قل الرفقاء وندر الموافقون ، ورؤية الشر والشقاء والخسار الأكبر فى الدنيا والآخرة فى ضد ذلك مهما كثر المتنكبون . وان كان الناس أجمعون ، موقناً أشد اليقين بأن كل ما أحدث الناس من عند أنفسهم زائدين به على ماهدى الله اليه رسوله ومصطفاه ومختاره وحبيبه : أن كل ذلك شر فى الدين وهلاك فى الآخرة . مهما زينوه بزخرف القول وألبسوه خلع التحسين الكاذب ، ولفوه فيما شاءوا من قول مزوق ولفظ منمق وأجلبوا وشياطينهم على خلافه بمنكر القول وشنيع الألقاب ، وخلعوا على أنصار

السنة النبوية ماشاءوا من قبيح اللمز والنبز ومختلق التهم والفرى .

أقول : إن عرف النـاس نعمة الله سبحانه فى رسوله ﷺ وقدروها قـدرها كـذلك وشكروا الله عليها حق الشكر بما سبق لك من البيـان ، وباعوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل نصرتها وتأييدها والذب عنها . ووالوا عليها وعادوا عليها وكانت هى الميزان الذى توزن به العقائد والأقوال والأعمال والنظم والشئون والناس : كان الله لهم بالعز والنصر والتأييد والتمـكين فى الدنيا ، وأدال لهم من عدوهم ، وورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ، وكـثرهم بعد القلة وقواهم بعد الضعف ، وأغناهم بعد الفقر ، فكانوا فى التعاطف والتناصر كالجسم الواحـد اذا اشتكى منه عضو تألمت له بقيـة الأعضاء بالسهر والحمى ، وربط على قلوبهم بالمحبة والأخاء الصادق ، وألقى فى قلوب أعدائهم الرعب منهم ، فما يستطيعون أن يقفوا لهم ، ولا أن يصافوهم لأنهم أشداء على أعدائهم رحماء بينهم ، لا يجد العدو منفذاً إلى جماعتهم ولا يأتى فى حصون عزتهم وقوتهم أقل ثغرة يدخل منها ؛ لأنها محاطة بسور من العلم والهدى والايمان ، والانتفاع بكل ما أنعم الله فى الأنفس والأرض وبحارها وجبالهـا ومعادنها والسماء وكواكبها ونجومها . تلك كانت الحال التى انتقل اليها المهاجرون والأنصار ومن سلك بهجهم وسار على دربهم ، حتى غيـّروا ما كان بأنفسهم قبل إشراق شمس الرسالة : من الشرك والوثنية والصمم والبكم والعمى وسوء الجاهلية . فلما أشرقت شمس الرسالة المحمدية على قلوبهم فاستضاءت بنورها التام ، واهتدت الى الصراط المستقيم بضوئها غيـّر الله ماكان بهم أولا من الفرقة والشتات والذلة والصغار ، ومكن لهم فى الأرض وأظهرهم على عدوهم . وأدال لهم من أعظم دول الأرض عدداً وعُـدَدا وغنى وعتادا وعراقة فى الملك والسلطان . واذا اراد الله بقوم خيراً فلا مرد له ولن يستطيع احـد أن يمسك ذلك الخير و يمنعه ، والله على كل شىء قدير .

وما زال هذا شأن الأمة الاسلامية حتى خدعت بالدخلاء من اليهود والنصارى والمجوس ولعبوا دورهم الذى تم لهم ولشياطينهم به ما أرادوا من تغيير ما بقلوب المسلمين

من الايمان الصادق بالله والرسول والكتاب ، وشغلوهم عن ذلك بما شغلوهم من بدع وخرافات وقيل وقال واختلافات واضطرابات ومنازعات وخصومات، ففشلوا وذهب ريحهم وضاع ما كان بأيديهم من عز وسلطان، وأصبحوا لقما سائغات يتلقفها الذين كانوا بالأمس يعطونهم الجزية عن يد وهم صاغرون . وما ظلمهم الله شيئاً ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم بما فرطوا ويفرطون فى جانب الله . وبما أعرضوا عن كتاب الله ورسول الله . وبما فتنوا به من شهوات وشبهات ، آل أمرها إلى أن قلبتهم رأساً على عقب ، ونكستهم شر نكسة يمسون ويصبحون فى مساخط الله سراً وعلانية، ما تركوا بابا منها إلا ولجوه ، ولا دربا إلا سلكوه مسارعين. وكم أعذر الله اليهم بالآيات المتلوة والآيات الكونية فلا يزيدهم ذلك إلا نفورا ، وطالما وعظهم بما أراهم من العبر فى الأمم من بين أيديهم ومن خلفهم فما يتعظون (وكم من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) (وإذا جاءتهم كل آية لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) ومن عجب أنهم رأوا وسمعوا ذلك العذاب الأليم ثم لا يزالون بعيدين عن الأوبة إلى الله ولا يزالون فى ضلالهم يعمهون . ألم تسمع بالقفص الفضى الذى صنعوه لقبر على بن أبى طالب رضى الله عنه وأنفقوا عليه مائة ألف من الجنيهات ؟ أرأيت أسفه من هذا وأبعد عن الانابة والرجعة إلى الحق الذى جاء به رسول الله ﷺ وكان على من أشد المسارعين إلى القيام به وتنفيذه حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن لهدم القباب وإزالة القبور العالية وتسويتها بالأرض ، وتقويض ماكان الشيطان بنى من قواعد الوثنية بتلك القباب والقبور والأضرحة ؟!!

يالله للمسلمين وللاسلام . فى هـذا العصر الذى يرى الناس فيه نيران الحرب مستعرة تلتهم كل بلد وكل قطر فى غير شفقة ولا رحمة — ونسأل الله العافية — تنفق تلك الأموال الطائلة فى هذا الزور والمنكر والسخف ؟!! أهذا يرضى الله ورسوله ، وعلياً بطل الاسلام الذى كان يبخل على قوته ليشترى السلاح والكراع والعدة للجهاد فى سبيل نصرة الاسلام ؟!! أقسم لو بعث علىّ رضى الله عنه ؛ بل لو بعث أقل

أولاد على اليوم لقوضوا تلك القباب والأضرحة وباعوا أنقاضها واشتروا بها طيارات ودبابات ومدافع وغواصات ونحوها ليمدوا لأعداء الاسلام مااستطاعوا من قوة برية وبحرية وجوية يرهبون بها عدو الله وعدوهم . ولينقذوا الاسلام والمسلمين مما هم فيه من الرهبة والخوف والجزع الذى بلغ حد التلاشى والموت من عدوهم .

أيها المسلمون : غيروا مابأنفسكم من عبادة القبور والموتى الذين لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا ، إلى إخلاص العبادة للحى القيوم الذى لاتأخذه سنة ولا نوم ، يغير الله مابكم من هذه الضيعة والذل والخوف إلى مثل ما كان عليه سلفكم الصالح رضى الله عنهم .

أيها المسلمون : غيروا مابأنفسكم من الأعراض والجفاء لكتاب الله وسنة رسوله والحب والرضى لما شرع شياطين الجن والانس من الأقوال والأحكام والنظم والقوانين ، يغير الله مابكم من الفقر والحاجة والبؤس وانحلال الأخلاق والقوى وتلاشى كل المقومات إلى مثل ما كان عليه سلفكم الصالح رضى الله عنهم من الرجولة والشهامة وقوة الأخلاق وغنى النفس وعزتها .

أيها المسلمون : غيروا مابأنفسكم من الفسوق والعصيان واستباحة المحرمات والعدوان على حدود الله باسم المدنية والحرية ، إلى مكارم الأخلاق والاستقامة والعفاف وصيانة النساء وحفظهن من هذا التبرج والتهتك والاستهتار ، يغير الله مابكم من الفساد والشقاء والملل والأمراض التى فككت أجزاء الأمة ومزقت شملها ، إلى مثل ما كان فيه سلفكم من الصلاح والسعادة والقوة والعدل والاحسان الذى كانوا به قادة الأمم وسادتها .

أيها المسلمون : هذا خير الآونة وأعظم الفرصة للانابة إلى الله ومراجعة الاسلام الصحيح وإصلاح أنفسكم وأبنائكم ونسائكم ، فانتهزوا ذلك . فوالله لوضاعت تلك الفرصة لتكونن خيبة مامثلها خيبة ، وهيهات هيهات . انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

محمد حامد الفقى

أحاديث الأحكام

باب حكم الحدث

٨٥ — عن عطاء بن السائب عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « إن الطواف بالبيت صلاة ، إلا أن الله تعالى أحل فيه النطق فمن نطق فلا ينطق إلا بخير » رواه الترمذي وسَمُّوَيْهْ — وهذا لفظه — وابن حبان والحاكم ، وقال الترمذي : وقد روى عن طاوس عن ابن عباس موقوفا . ولا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عطاء بن السائب . وقال الامام احمد : عطاء ثقة ، رجل صالح وقال ابن معين : اختلط ، فمن سمع منه قديما فهو صحيح . وقد رواه غير عطاء عن طاوس ، فرفعه أيضاً . ورواه عبدالله بن طاوس وغيره من الاثبات عن طاوس عن ابن عباس موقوفا وهو أشبه

قال أبو طاهر — عفا الله عنهما — : « الحدث » بفتح الحاء والدال المهملتين ثم ثاء مثلثة : مصدر « أحدث » أي انشأ وأوجد أمراً جديداً يقتضي إحداث وتجديد طهارة جديدة . وهو حدث أصغر لما استوجب الطهارة الصغرى ، وهي الوضوء ، وحدث أكبر لما استوجب الطهارة الكبرى ، وهي الغسل .

و « سمويه » بفتح السين وضمها وتشديد الميم مضمومة وسكون الواو وفتح الياء وسكون الهاء : هو الحافظ اسماعيل بن عبدالله . قال الذهبي : كان من الحفاظ الفقهاء ، من تأمل فوائده المروية علم اعتناءه بهذا الشأن . والحديث رواه الدارمي في سننه . (ج ٢ ص ٤٤) والامام احمد في المسند (ج ٣ ص ٤١٤ و ج ٤ ص ٦٤ و ج ٥ ص ٣٧٧) عن رجل أدرك النبي ﷺ . ورواه الترمذي في أواخر ابواب الحج قبل آخرها

بأربعة أبواب . وقد رجح وقف الحديث على ابن عباس النسائى والبيهقى وابن الصلاح والمنذرى والنووى . وقال النووى : ان رواية الرفع الى النبى ﷺ ضعيفة . وقد أطال الحافظ ابن حجر فى التلخيص الحبير الكلام على الحديث وحاول ترجيح المرفوع على الموقوف . ولكن الظاهر الذى تطمئن اليه النفس بعد البحث : انه من كلام ابن عباس وأن عطاء اخطأ فى رفعه ، بل إن ألفاظه «النطق فمن نطق فلا ينطق» ليس عليها مخائل النبوة ؛ فان هذا لم يعرف من ألفاظ النبوة . وهو يدل على أنه يشترط للطواف مايشترط للصلاة إلا جواز كلام الناس : ومثل هذا لا يثبت بمثل هذا الحديث فى ضعفه واعتلاله . غير انه يستفاد من عمومات ونصوص أخرى : أن الأفضل ان يكون الطائف طاهراً . لأن الطواف عبادة وقربة وفيه ذكر الله فالأفضل ان يكون طاهراً ، خصوصاً وانه يسن أن يصلى عقب الطواف ركعتين سنة الطواف .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى مناسك الحج : فى وجوب الطهارة فى الطواف نزاع بين العلماء ، فانه لم ينقل احد عن النبى ﷺ أنه أمر بالطهارة للطواف ولا نهى المحدث ان يطوف ، ولكنه طاف طاهرا : وثبت عنه انه نهى الحائض عن الطواف . وقد قال النبى ﷺ «مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم» فالصلاة التى اوجب لها الطهارة ماكان يفتتح بالتكبير ويختتم بالتسليم، كالصلاة التى أوجب فيها الركوع والسجود ، وكصلاة الجنازة وسجدتى السهو . واما الطواف وسجود التلاوة فليسا من هذا ، والاعتكاف يشترط له المسجد ولا يشترط له الطهارة بالاتفاق . والمعتكفة الحائض تنهى عن اللبث فى المسجد مع الحيض وإن كانت تلبث فى المسجد وهى محدثة . قال احمد بن حنبل فى مناسك الحج ـ لابنه عبد الله : حدثنا سهل ابن يوسف انبأنا شعبة عن حماد ومنصور قال «سألتهما عن الرجل يطوف بالبيت وهو غير متوضىء فلم يريا به بأسا . قال عبد الله : سألت أبى عن ذلك فقال: أحب إلى أن لا يطوف بالبيت وهو غير متوضىء ، لأن الطواف بالبيت صلاة ؛ وقد اختلفت الرواية عن احمد فى اشتراط الطهارة فيه ووجوبها كما هو أحد القولين فى مذهب أبى حنيفة . لكن لا يختلف مذهب أبى حنيفة أنها ليست بشرط . اه

محمد حامد الفقى

داؤنا ودواؤنا

— ١ —

تمهيد

الطبيب اذا أخفى على المريض داءه ، أو لم يبين له الخطر الذى يكمن له فيه ، استهان المريض به ، ولم يعمل على علاجه فاستفحل وقضى عليه

والأمة الاسلامية مريضة من دهور ، تنخر فى جسمها عدة من أمراض فاتكة ، ولولا شدة أسرها ومتانة بنيانها ، لاستأثر بها الفناء ، واستبد بها العدم ، وأصبحت صفحة بالية ضعيفة الشأن ، قليلة الخطر من صفحات التاريخ

والمريض اذا عرف داءه ، واستيقن مايجره عليه من خطر الهلكة وكان على شيء من الرشد والحكمة ، وبعد النظر ، وأصالة الرأى ، واصابة الحق ، التمس الدواء وبذل فى سبيله أثمن مايملك ؛ بل كل مايملك ، ولم يضن على نفسه بشيء .

وقد شبه رسول الله ﷺ هذه الأمة بالجسد وأفرادها بالأعضاء اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . وقد أصبح الجسد كله مريضاً . ولست أعنى الأمراض الجسمية فما يكون لى أن أتكلم فيها ؛ لأنى لست من اطبائها ؛ وانما أعنى الأمراض الروحية أى تلك التى تصيب الدين والعقيدة والخلق والضمير ، واطباؤها هم دعاة الحق الذين وقفوا أنفسهم على الجهر به ورفع مناره ، وابداء انواره مهما يلاقوا فى سبيله من تعنت المتعنتين ، وغضب الجاهلين ، وتعصب الأغبياء ، وسفه السفهاء ، وكبرياء المستكبرين ، وصراخ المشتومين .

لو أن الطبيب حفل بصراخ المريض وأنينه وتألمه وتلوّيه واضطرابه وهو يشق له الدمل المميد لتركه لدائه ؛ وينس من شفائه . ولكن الطبيب يمضى فيما هو بسبيله من إنقاذ المريض ، وصرف الأذى عنه ، ويدعه يصيح ويئن ويتلوى فلا يباليه ولا

يحفل به : لعلمه انه يفعل الخير وأن المريض سيحمد عاقبة أمره ؛ وانه اذا ابرأه باذن ربه قام اليه شاكراً لفضله ؛ مثنياً على همته ونبله .

أطباؤها هم أولئك الأحرار الشجعان الذين يجهرون بكلمة الحق واقعة حيث وقعت ، بالغة من نفوس الجامدين مابلغت ، نائلة من المبطلين مانالت . لايخشون لومة لائم ؛ ولا يرهبون صولة جبار حتى ينقذوا الأمة من دائها ، وينتشلوها من بلائها

أولئك هم أطباء الأمة الأمناء الحارسون لعقيدتها ؛ الحافظون لدينها ؛ القائمون على حياتها . والواجب يهيب بهم ألا يخفوا عليها من دائها شيئاً ، وأن يصارحوا بما لايعلمون من أمر الخطر الذى يهددها . وإن لم يفعلوا فما أدوا ما فرض عليهم ، ولا حفظوا أمانتهم ولا شكروا نعمة الله ولا أدوا حق الاسلام .

لو أن مرضاً واحداً يهدد الأمة الاسلامية لهان خطبه ؛ وخفت البلوى فيه . ولكنها منيت بأمراض شتى ، أيسرها قاتل ؛ وأهونها يذهب بالحياة .

أمراض النفس أشد خطراً على الأمة من أمراض الجسم لأنها توهى أركانها ، وتصدع بنيانها ، وتمحوها من صفحة الوجود ، وما ثل العروش إلا فساد النفوس وانحلال الأخلاق وضلال العقائد . وان فى أحداث التاريخ الحاضر والغابر لعبرة لأولى الألباب .

هذه الأمراض لايكاد المصاب بها يحسها فى نفسه ، ولا يكاد يشكوها الى طبيب . فهل رأيت أو سمعت مرائياً ذهب الى طبيب من أطباء النفوس يشكو اليه داء الرياء ويسأله المعونة على الشفاء منه ؟ وهل رأيت أو سمعت منافقا شكا مرض النفاق والتمس البرء من آلامه ؟ لا ، ولكن الناس يرون هذه الأمراض فى غيرهم واضحة أشد الوضوح ، جلية أعظم الجلاء ، فاتكة أذرع الفتك ، لايكاد يضمك مجلس من هذه المجالس التى يجتمع فيها الناس ويفيضون فى الحق وفى الباطل ، إلا سمعت ممن يضمهم المجلس جميعاً ، الشكوى المرة مما انحدرت اليه حال المسلمين ومما أصابهم فى دينهم وأخلاقهم . والخطب — على ذلك — لايزداد إلا تفاقما ؛ والداء

لايزداد إلا استشراء وفساداً ، فما السر ؟

السر : أن المرء لايرى عيب نفسه، ولا يشعر بما يسرى فى خلقه من الوهن ؛ ولا ما أصاب روحه من الضعف . أو يلتمس لنفسه المعاذير ليبرئها من الوصمات والعيوب

* * *

إن الله جلت قدرته وبلغت حكمته ، يبعث الينا النذر من حين الى حين ، لينبهنا من غفلتنا ، ويوقظنا من سباتنا . ويسوق الينا الأحداث والخطوب آونة بعد أخرى لعلنا نذكر أو نخشى . ولكن النذر لاتغنى عنا شيئا ؛ والخطوب تمر وكأنها تنزل بسوانا ، والأحداث تنتابنا وكأنها تنتاب قوما فى أقصى الأرض لايمتون الينا بصلة . ذلك بأن الغفلة قد استحكمت ، والداء قد أزمن ، والضمائر قد أصابها خدر شديد ، فلم تعد تشعر بوخز ولا ندم .

« * »

ومن المؤلم حقا ان الذين يقرءون ما أكتب هم الأصحاء الذين سلمت ضمائرهم ، وصحت قلوبهم وعوفيت أرواحهم ، فلم يعودوا فى حاجة الى طب ولا طبيب . أما المرضى الذين هم أحوج الناس الى العلاج فقد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، وصدهم عن سبيل النجاة فأصبحوا يزدلفون الى الشيطان بالطعن فى كل ماكتب لهم المصلحون، فالزراية على كل مايقولون ، فان ألقيت اليهم صحيفة تمحضهم النصح ، ألقوها من أيديهم كأنها جمرة تحرق أناملهم أو أفعى حارية تنهش أصابعهم ثم مضوا فى ضلالهم يعمهون .

فمن لى بمن يوصل صوتى الى أولئك الذين انغمسوا فى الفتنة ، وغفلوا عن أنفسهم وتركوها للداء يبطش بها ؛ وللعلة تعصف بحياتها ؟ .

« * »

. المسلمون مرضى، ولست أعنى مسلمى قطر خاص أو اقليم معين . إنما أعنى العالم الاسلامى كله . أعنى المسلمين المنتشرين على سطح الأرض فيما بين الصين ومراكش

ومن المدهش أن هـذه البلاد يسكن فيها الى جانب المسلمين غير المسلمين . فاذا وازنت المسلمين بمن يواطنهم من غيرهم تبين لك البون البعيد والفرق الشاسع . تبين لك الفقر والعسر والذلة وسوء الحـال فى المسلمين ، وتبين لك الغنى واليسر والعزة واستقامة الحال فى غـيرهم ، كأن الاسلام سبب مايكابد المسلمون وأصل مايقاسون . حتى ظنت الأمم ان الاسلام والرقى لايجتمعان ، وان الاسلام سبب نكبة الأمم التى تدين به ، وأصل شقائها وينبوع بلائها . وحتى قال حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغانى : « لو شئنا أن ندعو أمم الغرب إلى الاسـلام لوجب علينا قبل كل شىء أن نقنعهم بأنا لسنا بمسلمين » .

أى وربى إنه لحق . فلو قلنا لهم إنا مسلمون ثم دعوناهم الى الاسلام مع مانحن عليه من الجمود والتأخر وسوء الحال ، لأجفلوا من الاسلام ونفروا منه . وقالوا لنا : أتريدون أن تدعونا الى اعتناق دين يجعلنا مثلكم ضعفاء أذلاء جامدين متأخرين ؟ فوا شـقاء الاسلام بأهله ! وياضيعة الحق فى ديار المبطلين !

« * »

قد يلوح لك من جانب كلامى هـذا شىء من الشدة أو القسوة ، فاعذرنى أيها القارىء الكريم ، ولا يكن فى صدرك حرج منه ، فانى أوجهه الى نفسى قبـل أن أوجهه اليك . . واذكر أنى قلت لك آنفا : ان المرضى الذين أسوق اليهم الحديث هم غيرك ، وودت بجدع الأنف لو وجدت السبيل إلى أن أوصل لهم القول لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا .

وبعد فقد صح العزم على أن أتناول البحث فى علل المسلمين علة علة ، وأبين لك أعراضها ، وأبحث عن اسبابها وأردها الى أصولهـا ، ثم أصف لك علاجها الناجع ودواءها النافع ، فان استطعت ان أكون سبباً فى برء شخص واحد فانى بذلك لسعيد وسنلتقى على صفحات « الهدى » فى العدد المقبل إن شاء الله ووفق .

أبو الوفا محمد درويش

الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد

صاحب الفضيلة رئيس تحرير مجلة « الهدى النبوى » الغراء

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

وبعد فقد قرأت تفسيركم للآية المذكورة أعلاه فى عدد رجب من المجلة . وسرنى جداً ماقرأت فيه من المعلومات التى لم أرها فى أى تفسير آخر . وسرنى أكثر أنكم فتحتم العيون إلى اعجاز القرآن وأنه لايزال ولن يزال معجزا ، لا كما كنا نفهم من أن إعجازه بالأسلوب البلاغى فقط ، لكنه إعجاز علمى تخر له كل النظريات والبحوث والباحثين والمحققين ساجدة . فسبحان الله الذى انزله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

ثم إنى أحببت ان أزيد فى الآية بعض الشرح على قدر معلوماتى ، معتقداً ان ذلك يزيد المؤمنين إيمانا . ولعل الله يهدى من اعمى شيطان العصبية والغواية بصائرهم عن نور الهداية المحمدية التى تملأ الدنيا ، فيثوبوا إلى رشدهم ويعاودوا تدبر القرآن بصدق واخلاص فانهم إن شاء الله مهتدون بذلك الى صراط الله المستقيم . واسأل الله أن يوفق علماء المسلمين لتفسير القرآن على الوجه الذى تفسرونه به . ليعلم الناس مافيه من العلم والهدى والآية على انه الحق الذى لن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل الحكيم الحميد .

﴿ المقدمة ﴾

تفسير هذه الآية الكريمة من الناحية العلمية يتطلب من القارىء الالمام ببعض المعلومات عن تركيب جسم الانسان واوصاف الرحم فيما يتعلق بشكله وتركيب جداره ووصف الأعضاء التى تتصل به وغير ذلك مما سنبينه فى هذه المقدمة .

القسم الأول : الخلية الحيوانية

قد لا يرى القارىء ضرورة إلى الكلام عن الخلية . ولكننا نرى ذلك ضروريا للتمهيد إلى التفسير التالي وخاصة فقرة « ما تحمل كل أنثى »

أولا — تركيب جسم الانسان : الخلية

خلق الله أجسام الانسان والحيوانات والنباتات كلها على نمط واحد ، فكلها مكونة من جزيئات صغيرة جداً لا ترى بالعين المجردة لكن بالمنظار المعظم « المجهر » أو « الميكروسكوب » . وهذه الجزيئات يسميها العلماء « الخلايا »

كل الخلايا متشابهة التركيب . وأحسن تشبيه للخلية هو بيضة الدجاجة ، فهي مكونة من قشرة بداخلها مادة زلالية لزجة في وسطها كتلة كروية من مادة زلالية صفراء . كذلك الخلية لها غلاف خارجي ولكنه ليس صلباً كقشرة البيضة طبعا . بل هو غشاء شفاف رقيق جداً . ويحتوى هذا الغلاف على مواد زلالية لزجة مثل مواد البيضة وفي وسط المادة الزلالية هذه كتلة زلالية كروية تشبه صفار البيضة ولكنها ليست صفراء بل شفافة لا لون لها .

ولنعط كلا من هذه الجزيئات إسما ليسهل علينا التفاهم . فالغلاف الذي يقابل قشرة البيضة نسميه « جدار الخلية » والمادة الزلالية اللزجة التي بداخلها نسميها « المادة الخلوية الأولية » والكرة التي في قلب هذه المادة الأولية نسميها (نواة الخلية) . وأعود فأكرر أن حجم هذه الخلية صغير جداً حتى أنه لا يتعدى جزءاً من مائة من المليمتر (المليمتر جزء من ألف من المتر)

ومع أن كل الخلايا متشابهة تمام التشابه من حيث وجود النواة والمادة الأولية والغلاف فان لكل نوع من الخلايا شكلا خاصاً وحجما خاصا ووظيفة خاصة . فمثلا هناك فروق شاسعة بين شكل وحجم ووظيفة الخلايا العضلية والخلايا العظمية . فالخلية العضلية طويلة رفيعة أطرافها مدببة وحجمها يختلف في المواضع المختلفة ولكنها غالباً أكبر من الخلية العظميه . أما الخلية الأخيرة فهي خلية صغيرة مكورة الشكل . هذا من

ناحية الشكل والحجم ، أما من ناحية الوظيفة فالخلية العضلية وظيفتها أن تنقبض ثم تنبسط ، وأما الخلية العظميه فوظيفتها تكوين العظم وترسيب المواد الجيرية فى الأماكن المكسورة من العظام .

ثانياً — كيف ينمو جسم الانسان ؟

إذا كانت لدينا خلية بالأوصاف التى أتينا بها ثم انقسمت هذه الخلية إلى خليتين ثم كبر كل من الخليتين الناتجتين إلى حجم يساوى الخلية الأصليه وبقيتا متصلتين لتكوّن من ذلك جسم أكبر حجما وأكثر خلايا عن الأول ؛ وهذه هى الطريقة التى ينمو بها حجم الجسم الانسانى فجسم الانسان أصله خلية واحدة هى البويضة الملقحة. تنقسم هذه الخلية إلى خليتين ينموان ويظلان ملتصقتين فيصير حجمهما معاً ضعف حجم البويضه الملقحه . ثم تنقسم كل خلية إلى اثنتين فيصير المجموع أربعاً حجمها معاً أربعة أضعاف حجم البويضه الملقحه . ثم تنقسم كل خلية إلى اثنتين ، وهكذا يستمر الانقسام والنمو إلى أن يصبح عدد خلايا الانسان ملايين الملايين من الخلايا .

وهناك نوع آخر من النمو . وهو نمو الخلية الأصليه نفسها حجما كما يلاحظ ذلك فى النمو العظيم الذى يحدث فى الخلايا العضلية الرحمية والذى سنفصله فيما بعد ؛ وقد يحدث نمو فى بعض أجزاء فى الجسم لا عن طريق انقسام الخليه ولا نموها ، بل عن طريق تراكم بعض المواد فى أنسجة الجسم أو داخل الخلايا مثل تراكم الدهن فى خلايا الأنسجة التى تحت الجلد .

والبويضه الملقحة هى البويضة التى اندمج فيها الحيوان المنوى ، والحيوان المنوى هو الخلية التناسلية المذكرة ؛ والبويضة هى الخلية التناسليه الأنثى (الخليه التناسليه هى التى يستعملها الحيوان فى التناسل وإبقاء نوعه على الأرض) وطريقة التلقيح سنفصلها فيما بعد

أما كلمة « نسيج » فمعناها مجموعة من الخلايا متشابهة الأوصاف والخواص والوظيفة . فمثلا كل العضلات تكوّن بخلاياها ما يسمى النسيج العضلى ، والدم نسيج لأنه مجموعة من الخلايا تسبح فى سائل ، وتقوم جميعها بوظائف متصلة بعضها ببعض.

ثالثا — طريقة انقسام الخليه

تنقسم جميع الخلايا بطريقة لها سنتها وقواعدها الخاصـة ، لاتتغير ولو قليلا . لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل للخلية ميزة نقل الخواص الوراثيه وتثبيت النوع . بمعنى أن كل طفل يرث عن أبويه نوعه وأوصافه ؛ بحيث يكون كل مولود صورة من أبويه فى النوع والأوصاف . فمن المستحيل أن ينسل حيوان حيوانا آخر فى النوع والخواص . فلا يمكن أن ينسل القرد انسانا ، ولا الانسان قرداً ، ولا الكلب شاة ولا الشاة كلباً . وهكذا صنع الله الذى أتقن كل شىء وهو الحكيم الخبير . فان لم يكن الله قد جعل لانقسام الخلية سنة ثابتة لتغيرت الخواص والأنواع

انقسام الخليه يتحقق بانقسام أجزائها الثلاثه كل إلى قسمين متساويين . فتنقسم النواة إلى اثنين ، وكذلك المادة الأوليه والغلاف الخلوى ، وأهم جزء فى هذا الانقسام هو النواة .

يغلف النواة غلاف رقيق تنتشر خلاله شبكة من من مادة تسمى « كروماتين » وتتكون الشبكة النواوية هـذه من أجزاء صـغيرة مستطيلة متراصة الواحـدة إثر الأخرى . وليس معنى ذلك أن تكون الواحدة موازية للأخرى بل معناه أن يلمس طرف كل قطعة طرف قطعة أخرى فى صف متواصل ، وكل من هـذه القطع يسمى قضيباً شبكياً أو « كروموسوم » معناها بالترجمة الحرفيه قطعة من مادة الكروماتين » وتوجد انتفاخات متراصه على طول كل قضيب شبكى ، كل واحدة من هذه الانتفاخات تمثل خاصة واحدة من الخواص الوراثيه ؛ كالطول ولون البشرة والشعر والعين والملامح وخواص الدم وغيرها ، ولكل قضيب خواص وراثيه يحملها وحده لايشاركه فيها إلا ضيب واحد آخر ، بمعنى أن القضبان مرتبة على شكل أزواج ، كل زوج من القضبان متشابه تمام التشابه .

فحين انقسمت الخلية قسمين انقسمت معها طبعاً النواة بهـذا الانقسام إلى شطرين ، فيذهب نصف القضبان إلى خلية من الخليتين الناتجتين ويتحول النصف

الآخر إلى الخليه الثانيه . ولهـذا التقسيم نظام غاية فى الدقةوالأحكام ، فبالبحث وجـد أنه :

١ - لابد أن يكون كل من الخليتين الناتجتين مماثلا للآخر فيما يتعلق بالنوع الحيوانى : الانسانيه وغيرها

٢ - لابد أن يكون كل من الخليتين الناتجـتين مماثلا للآخر فيما يتعلق بالصفات الوراثيه (اللون والطول).ونحوها

أما النوع فيمثله فى الخليه عدد القضبان الشبكيه وهو عدد ثابت لـكل نوع من أنواع الحيوان ، فللانسان ثمانيـة وأربعون قضيباً ولـكل حيوان عدد آخر محدود معدود .

أما الخواص الوراثيه فيمثلها فى النـواة الانتفاخات الموجودة على القضـبان الشبكيه ، فكل انتفاخ يمثل خاصة معينة .

فبملاحظة هاتين النقطتين يتبين أن انقسام الخليه قد يعرضهما إلى الزوال إن لم تكن قدرة الله قد ذللت لحفظ النوع والخواص كل عقبة قد تقوم فى طريق هذا الانقسام كما هو مفصل فيما يلى :

إذا تهيأت الخليه للانقسام مرت بالأدوار الآتيه التى تنتهى بانتاج خليتين ؛ ويلاحظ فيما يلى أن أول ماينقسم فى الخليه هو النواة ، وذلك يدل على أهميتها .

١ — فى حالة السكون وعدم الانقسام لايمكن التحقق من حـدود وأطراف القضبان الشبكيه التى فى نواة الخليه ؛ إذ أنها تكون جميعها مندمجة فى بعضها فتظهر كأنها خيط واحـد نظم على شكل شبكة ولا يدرك طرفا هذا الخيط ، وأول مايظهر من النشاط الانقسامى هو أن تفقد الشبكة شكلها الشبكى وتظهر على هيئـة خيط طويل ملتو يرى طرفاه ، ثم ينقسم هذا الخيط إلى ثمانية وأربعين قطعة (هذا العدد فى الانسان فقط)

٢ - هـذه الخطوة أهم خطوة إذ أنها هى التى تحافظ على عدد القضبان وعلى

الخواص الوراثية يتضح مما سبق أن كلا من الخليتين الناتجتين لابد أن يحوى عدداً من القضبان يساوى عددها الموجود فى الخلية الأصليه . لذلك يجب أن ينقسم كل من القضبان الثمانية والأربعين إلى اثنين ويكون هذا الانقسام فى اتجاه طولى لا فى اتجاه عرضى . ونظرة واحدة الى الشكل المستطيل (ا ب ح د) يفسر سبب ذلك فلو فرضنا أن (ا ب ح د) قضيب شبكى وأن كلا من (ا ط ى د) و (ب ك ل ح) يمثل انتفاخا من الانتفاخات التى تحمل خواص الوراثه فاننا نرى أن انقساماً على الخط « ز ح » (وهو الاتجاه العرضى) ينتج قضيبين غير متشابهين بكل واحد منهما خاصة واحدة وراثيه لا خاصتان كما فى القضيب الأصلى . فاذا ذهب كل واحد من القسمين الى نواة من النواتين اللتين ستنتجان لنقص فى نواة منهما مازاد فى الأخرى من الخواص الوراثيه . أما انقسام الخط (و هـ) فانه يقسم كلا من الانتفاخين (ا د ى ط) و (ب ك ل ح) الى قسمين كل منهما موجود فى قضيب من القضيبين الناتجين فيكونان مطابقين فى خواصهما للقضيب الأصلى تمام المطابقة.

وانما كان هذا الانقسام طولياً لأنه اذا فرض قضيبين متماثلين انقسم كل منهما الى قسمين فى اتجاه عرضى لنتج من ذلك أن يتجه قسمان متشابهان الى خلية والقسمان الآخران الى الخلية الأخرى ، فيزيد فى خليـة ناتجة ماينقص فى الخلية الأخرى .

٣ — تختفى النواة كوحدة محدودة ولا يبقى منها الا القضبان الشبكية فى وسط الخلية وأما باقى النواة فيمتزج مع المادة الأوليه الخلوية .

٤ — يتجه ثمانية وأربعون من الأقسام الى ناحية من الخليه والثمانية والأربعون الأخرى تتجه الى الطرف الآخر ، وهـذا يحدث بحيث يتجه نصف من كل قضيب الى نواة .

٥ — تندمج كل من الثمانية والأربعـين قضيباً فى بعضها مكونة نواتين فى كل طرف من الخلية نواة .

٦ — يتحزز الغلاف الخلوى فى الوسط فيما بين طرفى الخلية ثم يترسب عند هذا التحزز مادة تشبه مادة الجدار الخلوى فتقسم هـذه المادة الأوليه الى قسمين متساويين يحيط بكل قسم نصف جـدار الخلية الأولى ويتوسطه نواة بها ثمانيـة وأربعون قضيبا :

٧ — تنمو كل خليه من الخلايا الناتجه الى أن تصل الى حجم الخليه الأولى وهناك نوع آخر من الانقسام سنورده فى الفقرة الآتيه عن التلقيح لأنه خاص بتكوين الخلايا التناسليه .

القسم الثانى : الرحم وما يحدث فيه

أولا — وصف الرحم وشىء عن تشريحه والأجزاء المتصلة به :

الرحم عضو صغير جـداً لايتجاوز حجمه فى الفتاة العـذراء حجم البرتقالة المتوسطة الحجم ، وجـداره سميك جـداً وفراغه صغير جـداً (الفراغ مرموز اليه بحرف ﻫ) وفراغه على شكل مثلث . وفى كل زاوية من زوايا المثلث فتحه . ففى زاويتى قاعدة المثلث تفتح قناة تسمى القناة الرحميه (الفتحة هى ح والقنـاة ب) وأما الفتحه التى فى زاوية رأس المثلث (د) فتسمى العنق وهى متصلة بالفراغ المهبلى (ز) . والقناة الرحميه (ب) مفتوحة من طرفيها . فالطرف (ح) يفتح فى الرحم والطرف (و) يتسع على شكل قمع تنقسم أطرافه الى أقسام على شكل أصبع اليـد المفتوحه (القمع ﻫ والأقسام و) والقناة الرحميه مبطنة بغشاء مخاطى به أهداب ، أى شعيرات دقيقة جداً ، وهى تتحرك على شكل تموجات ، تتجه نحو فتحة القناة فى الرحم :

ثانياً — وصف تركيب جدار الرحم

جـدار الرحم يمكن وصفه بأنه مكون من غلاف خارجى وغـلاف داخلى : فالغلاف الخارجى عبارة عن طبقة سميكة جداً تكون الجزء الأكبر من سمك الجدار ، ويعظم سمك هذه الطبقة عند العنق لتكون عضلة قوية تقفل مدخل الرحم

أما الغلاف الداخلي فيسمى الغشاء المخاطي وهو في حالته الطبيعية (أي في غير أيام الحمل أو بعده أو في أيام الحيض) مكوّن من طبقة رفيعة تحوى غدداً تفرز إفرازات لزجة زلالية قلوية . ويبطن هذا الغشاء من الداخل طبقة من الخلايا بها أهداب (أي شعيرات دقيقة جداً) بارزة في فراغ الرحم وهي تتحرك على شكل تموجات متجهة نحو فتحة القناة الرحمية . ويمكننا تشبيه هذه التموجات بالتموجات التي تحدث على رؤوس أعواد القمح اذا هبت الرياح عليها .

ثالثاً - تكوين الخلايا التناسلية والتلقيح :

قلنا ان الخلايا التناسلية اثنتان : الأولى البويضة ؛ وهي الخلية الأنثى . والثانية الحيوان المنوى ، وهو الخلية الذكرية . والبويضة خلية كبيرة بيضية الشكل ذات نواة كبيرة ، ويرجع كبر حجم البويضة الى أنها تختزن مواد غذائية كثيرة ؛ أما الحيوان المنوى فيتكون من جزأين أولهما الجسم والثاني الذيل . فالجسم كمثرى الشكل ذو طرف أمامي مدبب وطرف خلفي عريض . والذيل عبارة عن خيط رفيع جداً يتصل بمؤخرة الجسم . واذا تحرك ذيل الحيوان المنوى في سائل تقدم جسمه بحيث يكون طرفه المدبب في المقدمة . والحيوان المنوى أصغر بكثير من البويضة بحيث لا يتعدى حجم جسمه عشر حجم نواة البويضة .

والبويضات موجودات على سطح المبيضين . ويحيط بكل بويضة سائل ؛ فاذا تم نمو البويضة حدث على سطح المبيض في موضع هذه البويضة انفجار بسبب ازدياد هذا السائل ، ويسبب هذا الانفجار اندفاع البويضة نحو قمع القناة الرحمية . فاذا ماوصلت البويضة الى هذا القمع دفعتها الأهداب المبطنة لداخل القناة نحو الرحم .

ذكرنا قبل الآن كلمة التلقيح وقلنا انها اندماج خليتين ذكرية وأنثية ، فما معنى ذلك ؟ وكيف يحدث ؟ لا يظن أن عملية التلقيح بسيطة ، بل هي في غاية الدقة ، فان التلقيح يشمل اندماج كل جزء من أجزاء الخليتين بالجزء المماثل له

فى الخلية الأخرى . فالجدار بالجدار والمادة الأولية بالمادة الأوليه والنواة بالنواة .

تندفع ملايين من الحيوانات المنوية متسابقة نحو بويضة واحـدة تحت تأثير جذب خاص ، فالحيوان الذى يسبق غيره ويصل أولا الى البويضة هو وحده الذى يقوم بتلقيحها ، فيخترق جدارها بطرفه المدبب ويدخل جسمه فقط ، ويبقى ذيله فى الخارج ـ وهـذا التلقيح يحدث والبويضه فى القناة الرحميه ـ فاذا مادخل حيوان منوى واحد فى البويضه تكونت فى الحال على البويضة قشرة تمنع غيره من الدخول ثم تنتشر مادة الحيوان المنوى الأوليه وجـداره فى داخل البويضة وتتحد بمثيلاتها من البويضه ؛ بحيث لايمكن أن ترى بعد ذلك أى جزء من جسم الحيوان المنوى داخل البويضه إلا نواته ، وتقترب النواة من نواة البويضه وتندمج بها ، وبذلك تتم عملية التلقيح وتسمى البويضه عند ذاك البويضه الملقحة .

وعملية التلقيح هـذه يمكن تعريفها بأنها العمليـة التى بها تتم تهيئة الخلية التناسليه الأنثية للبدء فى تكوين الجنين ، إذ أن البويضه الملقحة تبتدىء بعد التلقيح بالانقسام الى خليتين ، ثم الى أربع ، ثم الى ثمان ، ثم الى ست عشرة خليـه . وهكذا يتضاعف العدد رويداً رويداً حتى يبلغ العدد الموجود فى جسم الانسان ، وهو ملايين الملايين .

هنا يعترضنا القارىء متسائلا : ألا يدل هذا التلقيح على تناقض ؟ فانه إن كان فى كل من الحيوان المنوى والبويضه ثمانية وأربعون قضيباً شبكياً فحين اتحادهما يتكون بذلك خليه فيها ضعف العدد الطبيعى من القضبان الشبكيه المميز لخلية الانسان أى ست وتسعون قضيباً ، فكيف يكون ذلك ؟ أو لا يغير ذلك شيئاً من نوع الانسان ؟

فنقول : ليس فى ذلك شىء من التناقض ولا يغير التلقيح شيئاً من نوع الانسان ، ذلك لأن الخلايا التناسليه ، سواء منها البويضة أو الحيـوان المنوى ـ تحوى كل منهما أربعة وعشرين قضيباً فقط ، حتى اذا اتحد اثنان منهما (بويضه

وحيوان منوى) كان المجموع ثمانية وأربعين ، وهـذا التنصيف فى العدد يأتى بانقسام خاص بالخلايا التناسلية أشرنا اليه عند التكلم عن انقسام الخليه ، وهذا النوع من الانقسام يسمى الانقسام الاختزالى ، أو الانقسام التنصيفى ، وذلك يكون بأنه اذا انقسمت خليه من خلايا المبيض أو الخصية لتكوين بويضات أو حيوانات منويه سبق ذلك الانقسام اتحاد بين كل قضيبين متشابهين ، بحيث اذا انقسمت الخليه بعـد ذلك انقسم كل قضيب الى اثنين ، أو على الأصح انفصلت القضبان من بعضها ثم اتجه قضيب إلى كل من الخليتين الناتجتين بحيث لاتحوى كل نواة إلا أربعة وعشرين قضيبا ، كلهم غير متشـابه ، وبعـد اندماج نواة الحيوان المنوى بنواة البويضه يصبح عدد القضبان فى البويضة الملقحة ثمانية وأربعين

ثالثا — فاذا لقحت البويضة ثم دخلت من فتحة القناة الرحميه ، يصحب ذلك افراز هورمونات[1] خاصة للمحافظة على الحمل

والهورمون معناه افراز داخلى، وهو عبارة عن مادة تفرزها غدة خاصة وتسكبه بعد افرازه فى الدم ، فيسير فى مجراه وينتشر مع الدم فى جميع الجسم ، ومع ذلك فان تأثيره لايظهر إلا على أعضاء أو أجزاء من الجسم خاصـه بكيفية وشكل خاص . فمثلا الغدة الدرقية تفرز افرازاً داخلياً له تأثير على الشعيرات الدمويه وعلى احتراق المواد الغذائيـه فى الجسم ، وهناك خلايا خاصـة فى المبيض تفرز افرازات داخليه تسبب إحداث الحيض وتبرز فى المرأة خواصها الجنسية ، ومظاهر أنوثتها الحسية والمعنويه ، وللرجل مثل هذا الافراز يفرز من خلايا خاصة من خلايا الخصية ، وغير ذلك من الهورمونات الكثيرة المعروفة وغير المعروفه .

وجميع الخلايا التى تفرز هذه الافرازات الداخلية تقع تحت سيطرة افرازات أخرى خاصه تفرزها غدة خاصه موجودة تحت المخ تسمى الغدة النخاميه ، فبهذا

(١) الافرازات فى الجسم تكون من غدد ذات قناة وأخرى ليس لهـا قناة ، فافراز الغدد التى ليست بذات قناة يسمى « هرمونا »

نعلم أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الجمجمة المركز الرئيسى للتأثيرات التى تسيطر على الجسم كله ، ففيها المخ وهو المركز العصبى الرئيسى ، وفيها الغدة النخامية وهى المركز الرئيسى المنظم للافرازات الداخلية كلها التى تغذى الجسم وبها قوامه .

وهناك افراز خاص من الغدة النخاميه يحدث إنضاج البويضات ، فاذا ماانفجر موضع البويضة وخرجت هى الى الرحم أفرزت الغدة النخامية افرازاً آخر يسبب تكوين خلايا خاصة فى موضع البويضه ، تظل تنقسم حتى تكون عضواً صغيراً جديداً يسمى الجسم الأصفر ، وهذا الجسم الأصفر سمى كذلك للونه . وتفرز خلاياه الافراز الخاص بالمحافظة على الجنين ومنع الاجهاض ، واعداد الرحم لملاقاة البويضة الملقحة واعداد الغدد اللبنية ، وهذا الافراز هو مايسمى « برجسترون » والجسم الأصفر يتكون بعد خروج أى بويضه من المبيض ولكنه يضمحل بعد مرور خمسة عشر يوما على خروج البويضه إلا اذا حدث الحمل فيظل يزداد حجما طول مدة الحمل ثم يضمحل بعد الوضع ويختفى .

وهو الافراز الذى يسبب ازدياد سمك الغشاء المخاطى الرحمى ويزيد من حساسيته حتى اذا مامسه أى شىء ولو لمساً خفيفا سبب ذلك تهيجاً محلياً وورود دم كثير وتكوين أوعية واسعه . وهذا هو مايحدث عند لمس البويضه للغشاء المخاطى الرحمى وهذا هو الذى يسبب تكوين المشيمة ، ثم تمتد ثلاثة أوعية من المشيمه الى الجنين ، وتظل هذه الأوعية الثلاثه تطول حتى تكوّن الحبل السرى وهو الذى يغذى الجنين من دم الأم .

التفسير

« الله يعلم ماتحمل كل أنثى »

لكل نوع من أنواع الحيوان والنبات جنسان : الذكر والأنثى . والأنثى من هذين الجنسين هى التى تحمل وتغذى وتقى الجنين بعد التلقيح من الذكر لغرض واحد هو التناسل لحفظ النوع فى عالم الوجود والاكثار منه الى أن يقضى الله أمره بنهاية العالم .

وتتجمع الخلايا التناسلية فى النبات فى مجموعات محفوظه داخل الأزهار . ومن النباتات مايوجد فيها كل من الذكر والأنثى على شجرة مستقلة ، فاذا وجدت هذه الحالة قامت الريح بنقل حبوب اللقاح (وهى فى النبات مايقابل الحيوان المنوى فى الحيوان) من الشجرة المذكرة الى الشجرة المؤنثة ، أو قام الانسان بهذه العملية كما فى تلقيح النخل ونحوه . واذا وجد الجنسان على شجرة واحدة فأحيانا تكون الزهرة المذكرة فى أعلى الشجرة والأنثى فى أسفلها وأحيانا العكس ، وأحيانا أخرى يوجد الجنسان فى زهرة واحدة ، وفى هذه الحالات إما أن تتساقط حبوب اللقاح من أعلى إلى أسفل فتلقح الأنثى التى بأسفل الشجرة أو تحملها الرياح إلى أنثى موجودة على شجرة أخرى بجوارها .

قد علم العلماء كل هـذه الطرق فى التلقيح فى النبات . وهناك قوانين كثيرة للوراثة استنبطوها ؛ ولكن الله وحده يعلم ماتحمل كل أنثى من أنثى النبات ؛ فهو يعلم إن كانت البذرة التى تحملها الزهرة ستكوّن نباتا ذكراً أو أنثى ، وهو يعلم اللون الذى ستتصف به أزهار النبات الذى ستنتجه البذرة ، وهو يعلم طعمها وريحها وكل صفاتها التى تكون عليها .

ثم من ذا الذى يعـلم ماتحمل أنثى الحيـوان ، أو حتى أنثى الانسان إلا الله ، نعم إن العلماء يعلمون شـيئاً من تحديد الجنس فى الجنين ، وقد يظهر أن مايعلمون كثيراً ولكنهم فى الواقع ماأوتوا من العلم إلا قليلا ، وقليلا جداً .

تضارب العلمـاء فى تحديد جنس الجنين إن كان ذكراً أو أنثى ، وهم فى أول أبحاثهم فى هذا الموضوع قد ضلوا ضلالا بعيداً عن الحقيقة ، وأتوا بآراء مضحكة لم تبن إلا على الخيال والتخمين ، نعم انهم توصلوا إلى اكتشاف القواعد التى وضعها الله لانتاج الذكر أو الأنثى فى داخل الرحم ، ولكنهم توقفوا عند هذه النقطة على النحو الذى سنرويه فيما يلى :

تكلمنا فى المقدمة عن نواة الخلية والقضبان الشبكيه والانقسام الاختزالى

وأنه يحصل فقط فى نوايا الخلايا التناسلية ، وعلمنا أن فى كل خلية تناسليه أربعة وعشرين قضيباً ، وأن فى كل خلية أخرى من خلايا جسم الانسان ثمانية وأربعين قضيباً ، وأن الأربعة والعشرين قضيباً التى فى الخلايا التناسليه كلها غير متشابهه وأن الثمانية والأربعين عبارة عن أربعة وعشرين زوجا كل زوج مكون من قضيبين متشابهين .

من الثمانية والأربعين من خلايا الانسان زوج واحد من القضبان يحمل الخواص الجنسية وأحد هذين القضيبين يسمى (ى) والآخر يسمى (س) والقضيب (ى) أقصر القضيبين . كل خلايا جسم المرأة كذلك فيها ثمانية وأربعون قضيباً شبكياً ، منها اثنان من النوع (س) أى يمكننا أن نرمز إلى خلية جسم المرأة بالعدد (٤٦ س س) وكل خلية من خلايا جسم الرجل فيها ثمانيـة وأربعون قضيباً منها اثنان جنسيان أحدهما من النوع (س) والآخر من النوع (ى) ولنرمز لهذه الخلية التى تكوّن جسم الرجل بالعدد (٤٦ س ى) فاذا انقسمت خلية من خلايا الخصية وهى من النوع (٤٦ س ى) لتكوّن حيوانين منويين ذهب القضيب (س) إلى حيوان من الحيوانين الناتجين والقضيب (ى) إلى الحيوان الآخر . أى أن الحيوانين الناتجين مختلفان فى نوع القضيب الجنسى الذى فيهما ، ولنرمز إلى كل واحد بالرمز (٢٣ س) أو (٢٣ ى) . أما اذا انقسمت خلية من خلايا المبيض لتكوين بويضتين فانه يذهب أحد القضيبين (س س) إلى بويضته والآخر إلى البويضه الثانيه فيكون الرمزان للبويضتين (٢٣ س) و (٢٣ س) أى انهما متشابهان تمام التشابه، فاذا لقح حيوان منوى (٢٣س) بويضة (٢٣س) كان الناتج بويضه ملقحه (٤٦ س س) أى خلية أنثى تنقسم مكونة جنيناً أنثى . أما إذا لقح حيوان منوى (٢٣ ى) بويضة - وهى دائما (٢٣ س) - فانه يكون الناتج بويضة ملقحة (٤٦ س ى) أى خلية ذكرية تنقسم مكونة جنيناً ذكرا .

كل هذه حقائق مثبوتة بكل الطرق فى كثير من الحيوانات والنباتات والانسان

عرفها العلماء ، ولكنهم وقفوا عند هـذا الحد يائسين من فائدة ترجى من بحوثهم الطويلة المرهقـة . وقد فسر الله توقفهم هـذا بالفقرة التالية من الآية (وما تغيض الأرحام) فهو وحده يعلم ماتغيض الأرحام كما سيأتى فيما يلى :

« وما تغيض الأرحام »

ماهى الأشياء التى تغيض الأرحام ؟ وكيف تلجها ؟

للرحم ثلاث فتحات وجدار . ومن كل منها يدخل شىء معين :

(١) فمن فتحة العنق تدخل الحيوانات المنوية ـ وأقصد هنا الحيوانات المنوية بالذات لا السائل المنوى إذ أن الأخير يتجمع فى الفراغ المهبلى ويحتوى على اثنين إلى خمسة ملايين من الحيـوانات المنوية يجب أن يكون على الأقل ثمانون فى المائة منها أحياء ـ ويلج الرحم منها بعضها . وتنجذب الحيوانات المنوية بطبيعتها نحو المواد القلوية بتأثير خاص يسمى «جذبا كيميائيا» . وما يجذب الحيوان المنوى نحو الرحم هو افرازات زلاليه لزجة قلوية يفرزها العنق الرحمى ، وتتجمع فيه فتجذب بذلك نحوها الحيوانات المنوية . فبتأثير هذا الجذب تتجه الحيوانات المنويه نحو عنق الرحم وتتقدم مستعينة بذيلها بمعدل اثنين الى ثلاثة مليمترات فى الدقيقه أى مايعادل خمسة عشر سنتيمتراً فى الساعة . وعند ما تصل الحيوانات المنويه إلى العنق يساعدها فى تقـدمها اهتزازات الأهداب المبطنة لداخل جـدار الرحم . وبما أن التلقيح يحدث فى القناة الرحميه فان الحيوان المنوى يتابع سيره من فتحة هذه القناة تساعده الأهداب المبطنة لها حتى يلاقى بويضة «غير ملقحة» فيلقحها . فان لم يلق بويضة بأن وجـد بويضة ملقحه أو لم يجـد بويضة بالمرة فانه يموت . وتستغرق رحلته هذه حوالى ثلاثة أرباع الساعه .

والحيوانات المنويه ـ كما قلنا ـ نوعان هما (٢٣ س) و (٢٣ ى) . فالله يعـلم إن كانت ستدخل الرحم ، وأى عدد منها سيدخله ، وأى نوعيها سيدخله بعـدد أكثر ، وأى واحد منهما سيحظى بالسبق بالوصول إلى البويضه .

الله يعلم مصير هذه الحيوانات المنوية داخل الأرحام . يعلم إن كانت ستصل هذه إلى البويضه ، أو تجد بويضة فتلقحها أو لا تلقاها فتموت .

(٢) ومن فتحتى القناتين الرحميتين يدخل إلى الرحم البويضات الملقحة أو غير الملقحه وقد وصفنا سيرها فى القناة الرحميه ؛ وتستغرق رحلتها ثلاثة أيام كاملة

وبعد التلقيح تكون البويضه الملقحه إما (٤٦ س س) أو (٤٦ س ى) إذاً فالله وحده هو الذى يعلم جنس البويضه الداخلة فى الرحم إن كانت ذكراً أو أنثى . هذا اذا كان نصيب البويضه التلقيح . أما إن لم تلقح فالله يعلم مصيرها أيضاً ، وهو وحده الذى يعلم إن كانت البويضة ستموت قبل لقائها الحيوان المنوى أو تظل حية حتى تلقاه أو تظل حيه أو تموت بعد التلقيح ؛ أو لا تلقح ، أو تلقح ولا تدخل الرحم فتسبب حملا خارج الرحم .

(٣) فاذا أراد الله أن يحدث تلقيحاً مثمراً ناجحاً ، ثم لمست البويضه الملقحه الغشاء المخاطى وتكونت لها المشيمة والحبل السرى بعد أن نفد الغذاء المختزن فى البويضه ، بعد ذلك يدخل الرحم أشياء أخرى عن طريق الجدار فالمشيمه فالحبل السرى فالجنين ، وهذه هى الأغذيه والمواد الوقائيه .

فالمواد الغذائيه كثيرة الأنواع متشعبة الفوائد ، ومنها مالو قلت أو زادت مقاديره لكان ذلك وبالاً على الجنين أو الأم ، أو الاثنين معاً . ومنها الزلاليات والسكريات (النشويات) والدهنيات والفيتامينات والهورمونات ، ومنها الماء وهو من أهمها لأنه ليس فقط معدوداً من بين الأغذيه بل انه مادة وقائيه للجنين ، بل انه يدخل فى تكوين السائل الذى يتجمع فى أكياس تغلف الجنين من كل جهة (السائل الأمنيوسى) فتقيه شر المؤثرات الخارجية من صدمات وضغط وخلافهما .

فلنفرض أنا نعلم كل هذا ، ولكن من أين تدخل الروح إلى الجنين فى الرحم ؟ وهل حيوية الخلية الأولى تكفى لاعطاء الروح لكل هذه الملايين من الخلايا ؟ وكيف ذلك ؟ وما هى الحياة وما هى هذه الروح ؟ كل ذلك مالا نعلمه ولن نعلمه ، ولا يعلمه إلا الله وحده لاشريك له .

وكل ماتفيضه الأرحام من خلايا وأغذية ومواد وقائيـة وحيوية ، كل هـذه وحدها لايشاركها فى ذلك أى عامل طبيعى آخر هى التى تسبب نمو الرحم وازدياد حجمه ، وهذا ماتفسره الفقرة التالية من الآية الكريمة :

« وما تزداد » :

ماهو ازدياد الرحم وكيف يزداد ؟

يزداد الرحم حجما عن طريقين : ازدياد فراغه بالجنين الذى يحويه ويحتضنه ؛ وازدياد جداره .

١ — فازدياد حجم الفراغ ازدياد عظيم حقاً، فان حجم رحم الأنثى التى لم تحمل قط لايتعدى اثنين إلى خمسة سنتيمترات أى مالا يزيد على حجم مقدار « كستبان» أو « كستبانين» . يظل هذا الحجم يزداد بعد التلقيح باطراد حتى يصل إلى حجم الجنين وملحقاته أى مابين خمسة آلاف الى سبعة آلاف من السنتيمترات . (ألف سنتيمتر تساوى لتراً) . أى أن ازدياد فراغ الرحم وحده يكون بمقدار ألف مرة أو ثلاثة آلاف من المرات عما يكون عليه حجم فراغ رحم الأنثى العذراء ونشير هنا لمجرد الاشارة - لضيق المقام عن التفاصيل - إلى أن ازدياد حجم الجنين لايكون ازدياداً مطرداً فى جميع أجزائه ، بل يسرع عضـو من الأعضاء فى النمو ثم يتوقف أو يبطىء فيـه ، ثم يزداد عضو آخر وهكذا . ولكل عضـو زمن مخصوص ينمو فيه ، وقد يكون ازدياد الحجم ناتجاً من حمل توأمين أو أكثر وكل ذلك لايعلمه إلا الله وحده .

٢ - ازدياد حجم جدار الرحم ناتج عن ازدياد سمكه وازدياد مساحته

ا — فازدياد مساحته نتيجة طبيعية لازدياد حجمه .

ب - وازدياد سمكه ناتج عن الهورمون (بروجسترون) وهو يشمل ازدياداً فى كل الألياف العضلية والغشاء المخاطى والأوعية الدموية .

(١) أما الازدياد فى الألياف العضلية فازدياد عددى وازدياد فى حجم الألياف

حتى أن الليفة العضلية تزداد طولا سبعاً إلى إحدى عشرة مرات ، وعرضاً ثلاثا إلى خمس مرات .

(٢) أما الازدياد فى الغشاء المخاطى فازدياد كبير وهو تهيئة للرحم لاستقبال البويضة الملقحة وتكوين المشيمة .

(٣) وازدياد حجم الأوعية يشمل تكوين المشيمة وازدياد حجم أوعيتها ، وذلك لتوفير الدم والغذاء الكافيين للجنين ولتيسير رجوع هذا الدم مع فضلات وافرازات من الجنين .

الخلاصة

الآية الكريمة فيها معان عالية ، وعبر سامية ، أرفع من أن يلمّ بها اكتشافات العلماء الحديثة وأبحاثهم المتوالية .

ويمكن تلخيص كل ماقلنا بأن الله وحده يعلم ماتحمل كل أنثى (نبات أو حيوان) فان كان الانسان قد علم طريقة احداث الجنس فى الانسان فانه لن يعلم الجنس فى الجنين ، لأن الله وحده يعلم ماتغيض الأرحام ، ولو استعان العلماء بالأشعة للكشف على ماتحمله الأنثى لما أجداهم ذلك نفعاً ، لأن وضع الجنين فى الرحم يحول دون ذلك . فضلا عن أن أعضاء التناسل (ذكراً أو أنثى) ليس بها عظام تظهر فى الأشعة ، وليس العلم بما تغيض الأرحام مفتاحا لعلم جنس ماتحمله كل أنثى فقط بل انه مفتاح العلم بازدياد الأرحام . وهذا المفتاح فى يد الله فقط وليس بيد انسان قط مهما بلغ من العلم والتجارب .

ومن كل هذا نستخلص : أن أولى الناس أن يؤمنوا بالله أقوى الايمان ويعبدوه حق العبادة بكل ماشرع من الصلاة وغيرها : هم علماء التشريح الذين تتجلى لهم آيات قدرة الله وعظمته ورحمته ، فان هم كفروا بالله وفسقوا عن طاعته واتبعوا شهوات أنفسهم بالمعصية ومجانبة الطاعة كانوا أخسر عباده وأحقهم بلعنة الله وغضبه وعظيم سخطه . ومن يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا .

أمين رضا

على هامش الحوادث

رمال تتكلم ...

وفى حديثها عظات !

إنها ـ والله ـ رمال الصحراء المنتشرة فى الفضاء . ما أنطقتها يد الرّمّال ، ولا أعمل فيها فكره الدجال ! وهى ـ مع ذلك ـ تصيح بلسان فصيح : هنا العظات النافعات . والحكم البالغات ، نعم تتكلم الرمال فتنصت لها الأجيال ! وان فى صوتها المذاع لسلطانا على الأسماع ، لا يصم دونه الآذان . إلا من تخلف عن الركبان . وباء بالخسران .

هنالك على رمال صحراء مصر : تتنازل جيوش أعدت للنزال عدته : وحسبت له مدته . جمعت شباب الأمم وصفوة الشعوب ، وخلاصة المفكرين . كل يؤدى عمله فى دائرته المعلومة وخطته المرسومة . يحمل روحه فى كفيه . ورأسه بين كتفيه . فى إقدام ظاهر ، واستعداد حاضر . رووا رمال الصحراء بدمائهم الحمراء ، لا عبثاً بالأرواح ولا لهواً بالكفاح . وانما ليخطوا على صفحاتها آيات المجد والفخار ، فى ظلام الليل ووضح النهار . فترتلها الصخور والكثبان ، وتنصت لها أسماع الزمان . إن تلك الآيات التى اختلط فيها المداد ، واجتمعت فيها الاضداد ، لتنقلها يد التاريخ فى غير جمع وازدواج ، واختلاط وامتزاج ، نقية خالصة ، وكاملة غير ناقصة ، يسطر لكل كتابه ، ويوفيه حسابه . هنالك يعلم العالم أن سوق الموت فوق أديم القفار ، لم ينفقها رخص السلع ولا زهادة التجار : انما أنفقها حب الوطن والشعور بالحياة : نعم أنفقها حب الوطن الذى يحملون اسمه ، ويرفعون رايته ، ويعملون لحسابه . وأنفقها الشعور بالحياة التى تزكو بالدماء ، ومقارعة الأعداء ، وتقديم الفداء .

لا يكاد العقل يتصور ما عليه أولئك الناس من حياة مهددة ، وضروب متعددة ،

من فنـاء ماحق ، واستئصال لاحق . والمستحدثات أثرها الفعّـال ، فى ميادين القتال . ومع ذلك يؤدون على مايعتقدونه الواجب.. وإن أحاط الموت من كل جانب وهم أبناء الظل الدائم ، والعيش الناعم ، والحظ القائم .

لم يكن ذلك ـ علم الله ـ ارتجالا فى الاستعداد ، وإنما هى التربيـة الصحيحة من فجر الميلاد تضافر عليها المنزل والمدرسة ، والأعين الحارسة . فكان منهم ليوث وأبطال ، ضربوا الأمثال للاجيال ، واستنطقوا بدمائهم الرمال !

ألا أين أنتم أيها المسلمون لتقرأوا صحف الصحراء وتملأوا العيـون من ذلك الضياء ؟ لقد تكشفت الحوادث فاذا بنا ، معشر المسلمين (غثاء كغثاء السيل) أكل بعضنا بعضا ، وهدم بعضنا بعضا . فلم نقم دليلا على استحقاقنا الحياة فى جانب تلك الأمم العاملة .

نعيش فى بلادنا ، وننتفع بخيراتنا ، غـير مشتتين ولا مشردين . ومع ذلك استبد القوى بالضعيف ، والكبير بالصغير ، والغنى بالفقير . ونحن على حال تستدعى التعاون والتناصر ، والتكاتف والتآزر .

أما لنا فى أولئك قدوة إن لم يكن لنا فى آبائنا أسوة ؟ لقـد أشبعتنا تعاليم الاسلام حثاً على السير فى طرق الحيـاة ، وتلمس النجاة من مسالك النجاة ، ولقد بينت سنة الله فى خلقه وهى لاتحابى ولا تميل ، ولا يعـتريها التغيير والتبديل ، فما لنا قد سلكنا شر المسالك وطرقنا أبواب المهالك ، واعتمدنا على غير معتمد ؟

لقد برهنا على أننا بعداء عن حقيقة الحياة وإدراك سرها بما أتينا من فعال هى آية الفناء والانحلال . ترابطت الأمم وتعاونت ، وآثر الافراد مصالح الجماعات ، وتلاشوا فى الهيئات ، وقدموا الأرواح فى غـير تردد ولا ندم ، فأدوا واجبهم فى الحياة غالبين أو مغلوبين ، وطالبين أو مطلوبين

ولـكن كل مسلم قد انكمش على نفسه ومصالح شخصه ، ثم لم يعبأ بعـد ذلك بمصالح الآخرين ، بل إنه ليتعمد الأذى والعـدوان ، ويتطوع لخيانة الاوطان

رفع عيسى بن مريم

عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

كثر الكلام فى هذه الأيام فى هذه المسئلة بسبب فتوى لأخينا فى الله صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار علماء الأزهر نشرها فى العدد (٤٦٢) من مجلة الرسالة استعرض فيها الآيات (٥٢ — ٥٥) من سورة آل عمران . والآيتين (١٥٧ - ١٥٨) من سورة النساء ، والآيتين (١١٦ و ١١٧) من سورة المائدة ، ثم ذكر أن كلمة « توفى » وردت فى القرآن كثيراً بمعنى الموت ، حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى إلا وبجانبها مايصرفها عن هذا المعنى المتبادر . (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) (توفته رسلنا) (ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) (حتى يتوفاهن الموت) (توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) .

ثم ذكر العلامة الشيخ شلتوت ، وفقنا الله و إياه . أن مايعتمد عليه جمهور المفسرين فى رفع عيسى ونزوله

أولا — على روايات مضطربة ، مختلفة فى ألفاظها ومعانيها اختلافا لا مجال معه

أمامك من أمثال ذلك الشىء الكثير ، والعدد الوفير ؛ فأجل النظر تواتك العبر ، ثم ابك معى على المجد الغابر والحظ العاثر ، فى الزمان الحاضر .

ولكن لا أيأس ولا تيأس ، فعسى أن تردنا الحوادث إلى المعقول ، وذلك هو المأمول إن شاء الله أرحم الراحمين .

على السيد جعفر
الواعظ بالقاهرة

للجمع بينها ، وقد نص على ذلك علماء الحديث ، وأنها فوق ذلك من رواية كعب الأحبار ووهب بن منبه .

وثانياً : على حديث مروى عن أبى هريرة اقتصر فيه على الاخبار بنزول عيسى وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد . وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لاتفيد عقيدة ، ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات .

وثالثا : على ماجاء فى حديث المعراج . من أن محمداً ﷺ رأى عيسى ويحيى فى السماء الثانية ، وأنه يكفينا فى توهين هذا المستند : ماقرره كثير من شراح الحديث فى شأن المعراج وأن اجتماع محمد ﷺ كان روحياً لا جسميا (انظر فتح البارى وزاد المعاد وغيرهما)

ثم خلص بعد كلام طويل إلى النتائج الآتية :

١ — أنه ليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن اليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه الى السماء ، وأنه حى إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان الى الأرض .

٢ - أن كل ماتفيده الآيات الواردة فى هذا الشأن : هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه اليه ، وعاصمه من الذين كفروا . وأن هذا الوعد قد تحقق ، فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ، ولكن وفاه الله أجله ورفعه اليه .

٣ - أن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء ، وأنه فيها حى إلى الآن ، وأنه سينزل منها آخر الزمان ، فانه لايكون منكراً لما ثبت بدليل قطعى ؛ فلا يخرج عن إسلامه وايمانه ، ولا ينبغى أن يحكم عليه بالردة ؛ بل هو مسلم مؤمن ، اذا مات فهو من المؤمنين : يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين ، ويدفن فى مقابر المؤمنين

وانى لعلى أتم يقين أن الأخ الشيخ شلتوت ماصدر فى فتواه إلا عن ايمان ويقين بعد بحث وتنقيب جهد طاقته : أن هذا القول هو الذى تعطيه النصوص التى حصل عليها ، واطمأنت نفسه المؤمنة بها ، مع اليقين أنه مع ما أراد بفتواه إلا وجه الله والحق.

وليقيني القوى أن الأخ الشيخ شلتوت من أحرص من أعرف على نصرة الحق؛ لايخشى فيه إلا الله ؛ ولا يرهب جانبا مهما كان ، ومن أحب من أعرف للرجوع إلى الحق اذا تبين له ، وانه أبعد من أعرف عن الهوى والعصبية لنفسه ، وأنه لذلك لايزال يطلب العلم حيث يظن وجوده ؛ ويسعى اليه حيث يعلم أنه ثم .

لذلك أخذت أبحث الموضوع وأدرس النصوص من الكتاب والسنة متناً وإسنادا ، وأتفهمها وأمعن التدبر فيها ؛ من يوم أن نشرت فتوى الأخ الشيخ شلتوت حتى خرجت من ذلك بما سأبسطه على صفحات مجلة الهدى النبوى ، راجياً من الله سبحانه أن يهدينى وأخى الشيخ شلتوت واخواننا المؤمنين سواء السبيل ، وأن يجنبنا الزلل ، ويقينا شر أنفسنا وسيئات أعمالنا . انه سميع مجيب

وقبل أن أتكلم فى الموضوع أقول كلمة صريحة أود من كل نفسى أن يتفطن لها إخواننا الذين يكتبون فى هذا الموضوع وحوله : خصوصاً اذا جاءت الأسئلة عنه من الهند . ذلك أن الذين يكثرون اليوم من الالحاح واللجاجة فى إنكار رفع عيسى ونزوله : هم فرقة القاديانية الكافرة المارقة ، التى تحرف الأحاديث الواردة فى نزول عيسى عن معناها العربى وتجعلها حجة لدجالها الكذاب الخبيث غلام احمد القاديانى الذى يدعى أنه نبى يوحى اليه . وان له قرآنا تتلوه هذه الشرذمة الخاسرة . هو المثل الأظهر للسخف والكذب على الله وعلى العقل والأخلاق . وتحاول هذه الشرذمة الضالة بكل ماتستطيع من لف ودوران واحتيال أن تحصل على كلمات لعلماء المسلمين لتتخذها شبكة تصيد بها سفهاء الأحلام وصغار العقول مع ماتبذل لهم من فتات الدنيا وحثالتها ، لتوقعهم فى شرك الكفر بأن محمداً ﷺ خاتم النبيين وأنه لا نبى بعده ولا كتاب ينزله الله بعد كتاب القرآن المبين الذى جمع الله فيه كل مايحتاج اليه البشر من الهدى والرحمة فى الدنيا والآخرة ؛ ليصدقوا سخف وكذب الدجال غلام أحمد ، عليه من الله مايستحقه ومن أغواهم فاتبعوه على ضلاله . وان أشد ما أخشاه أن تكون هذه الفئة المنبوذة قد استخدمت فتوى الأخ الشيخ شلتوت

فيما تهوى من الدجل والباطل . بل أخشى أن تكون هي التي دست السائل ، وصاغت سؤاله على هذا الأسلوب اللئيم . ثم أقول :

(أولا) إن الله سبحانه لم يذكر في الكتاب الكريم في حق نبي من الأنبياء مثل الآيات والنصوص التي ذكرها في حق عيسى عليه السلام . فما ذلك إلا لأن هذا الشأن لعيسى خاصة وأن سائر الأنبياء لا يشاركونه في ذلك ، كما أن معجزات كل نبي خاصة به دون غيره من اخوانه الأنبياء الذين لكل واحد منهم معجزات تناسب زمانه حسبما يرى الله من الحكمة والمصلحة في تأييد رسله . وإن لم تكن هذه الآيات دالة على خصوصية عيسى ، وأنه كغيره من إخوانه الأنبياء في الموت ، فلا معنى لهذه النصوص ولا فائدة . واذا جوزنا ذلك واطرحنا هذه النصوص ، وحملناها على مثل ماجاء في موت إخوانه الأنبياء فتحنا بذلك بابا من التأويل الباطل ، كما فتح الباطنيون هذا الباب ليخرجوا منه عن كل التشريع وينحلوا عن كل الأوامر والنواهي .

لم يقل الله سبحانه في حق سيد المرسلين محمد ﷺ (بل رفعه الله اليه) ولا نحوها مما قاله في عيسى ؛ بل قال (إنك ميت وانهم ميتون) (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟) (أفإن مت فهم الخالدون ؟)

ثانياً كلمة « توفى » معناها في اللغة العربية : من استيفاء الحق وافياً ؛ أي كاملا لا نقص فيه . قال في القاموس : أوفى فلانا حقه ، أعطاه إياه وافيا ، كوفّاه ووافاه فاستوفاه وتوفاه . اه وقد جاءت في القرآن الكريم على معنى استيفاء حظ الانسان بعمله اليومي ؛ فيكون بعده الليل يتوفى الله فيه الأنفس ، وعلى معنى استيفاء حظ الانسان وعمله في حياته كلها ، فيكون بعده الوفاة بمعنى الموت . قال الله تعالى في سورة الزمر « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » يعني : ويتوفى أيضا التي لم تمت في منامها . « فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى

أجل مسمى) فكلمة « توفى » استعملت هنا بالمعنيين ، وقرن بكل منهما مايدل على المقصود منه ؛ فيدل على أنها لاتدل بمطلقها على الموت . وقال فى سورة الأنعام : (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار . ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى) إلى أن قال (ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون) فأخبر أولا عن النوم فى الليل بأنه وفاة ، وثانياً عن قبض ملائكة الموت للروح بأنها وفاة . ولكن القرينة بجانب الأخيرة أقوى منها بجانب الأولى . (حتى اذا جاء أحدكم الموت ، توفته رسلنا) وفى الأمثلة التى ذكرها فضيلة الأخ الشيخ شلتوت يلاحظ أن بجانب كل واحد منها قرينة فى الدلالة على الموت (قل يتوفاكم ملك الموت) (إن الذين توفاهم الملائكة) (ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) فالمقابلة بأنه يطول عمره حتى يرد الى أرذل العمر ، قرينة بينة على أن المراد من « يتوفى » الموت ؛ لا النوم ، ولم تقرن (انى متوفيك) بمثل تلك القرائن التى تعنى أن المتبادر الموت ، فهى على احتمال المعنيين : النوم ، أو الموت . وكذلك (فلما توفيتنى) فى سورة المائدة ، والخطاب فيها فى الآخرة ، بعد وفاته وموته الحقيقى كما يقول الذين يثبتون الرفع والنزول . فلم يصح لفضيلة الأخ الشيخ شلتوت دعوى أن المتبادر من كلمة « توفى » الموت ، وهى الدعوى التى بنى عليها : أنه ليس فى الآيات القرآنية مايدل على رفع عيسى ونزوله .

ثم نقول للعلامة المحقق — وفقنا الله وإياه — إن فى القرآن نصاً صريحا بأن عيسى لم يمت . اقرأ قوله سبحانه وتعالى : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ؛ مالهم به من علم إلا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه) مامعنى هذا الأضراب بعد هذا النفى؟ ومالة هنا لم يذكر الوفاة ؟ ثم يقول (وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته . ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) هذا فيما أعتقد صريح فى الدلالة على أن عيسى لم يمت بعد ، وأن الله طهره من أيدى اليهود الآثمة ، ورفعه الله اليه بروحه وجسمه .

ثم قول الله تعالى خطابا لعيسى (أنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) أليست كاف الخطاب فى كلها راجعة الى عيسى الذى لما أحس بكفرهم قال من أنصارى الى الله . والذى قال له الحواريون : نحن أنصار الله . وأشهدوه على أنهم مسلمون . فهل روح عيسى هى التى أحست بكفر اليهود ، وهى التى قالت للحواريين وأجابها الحواريون ؟ أو أن عيسى بروحه وجسمه هو الذى أحس وخاطب وأجيب؟ فان حملت (رافعك) على معنى رافع روحك هل يستقيم نظم الآية على الأسلوب العربى المبين ؟ وهل يعرف فى اللغة العربية : أن يسند الفعل الى كاف الخطاب العائد على مخاطب سابق فى اللفظ ، ويراد بها الروح لا الشخص الذى هو مجموع الجسم والروح ؟ وهل يكون لرفع روحه خصوصية تستدعى أن يسجلها الله ويمتن عليه بها ، وغيره من الأنبياء كذلك ؛ بل والمؤمنين أيضا : واذا كان المراد الروح . فلماذا لم يقل الله: ورافع روحك الى ؟

ثم نقول لفضيلة الأخ الشيخ شلتوت ومن يقول بقوله : ما الذى يدعونا الى كل هذا التأويل وتحميل الآيات مالا تحتمله ، ورد الأحاديث المتواترة التى سنوردها مستوفاة البحث بعد ان شاء الله ؟

ألأن هذا يخرق سنة الله الكونية ، فعيسى من أول وجوده آية بل هو وأمه آية للعالمين (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) واذا جرينا على ذلك أنكرنا كل ما أخبر الله به من معجزات الأنبياء التى خرق الله بها سنته الكونية ؛ وجعل ذلك آية على صدق رسله عليهم الصلاة والسلام وأعتقد أن هـذا لا يرضاه الأخ الشيخ شلتوت ولا اخوانه المؤمنون .

واذا آمنا ـ وواجب أن نؤمن كل الايمان ـ بالمعجزات وآمنا أن من أعظم الجرائم إنكارها وتأويلها على غير ما أخبر الله بظاهر القول . وآمنا بمعجزة رسولنا الأكرم سيدنا محمد ﷺ فيما صنع الله له من عروجه بجسمه وروحه المعبر عن ذلك بقوله (بعبده) واطمأنت أنفسنا لذلك ولم نجد له حرجا فيها وسلمنا له كل التسليم ، لأن الله أخبر به فى كتابه إجمالا . والسنة الصحيحة الثابتة فصلته تفصيلا ، ولأنه

من صنع الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها . والذى خلق الأرض وجاذبيتها، وهو القادر على أن يبطل جاذبية الأرض ويوقفها عمن شاء ، وهو الذى خلق الأرض ووضع فيها من الغازات والأغذية أسباب الحياة والعيش فيها ، وهو الذى يقدر أن يسلبها ذلك ، وأن يعطى واحداً أو أكثر من اسباب الحياة والعيش فى الأرض وفى غير الأرض بما يشاء ربنا ، وكما يشاء . ألسنا نؤمن بقصة (الذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال أنى يحيي هـذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه) الخ القصة من سورة البقرة ؟ ألسنا نؤمن بأصحاب الكهف والرقيم الذين كانوا من آيات الله عجبا ؟ (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) و بعثهم الله بعدها ليتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم : (كم لبثم ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم) ـ القصة من سورة الكهف ، ألسنا نؤمن بذلك وغـيره مما قص الله علينا ؟ (ومن أصدق من الله قيلا ؟) (فبأى حديث بعـده يؤمنون) فاذا آمنا بذلك . ونحن بلا شك بحمد الله مؤمنون ومسلمون كل الاسلام بذلك فما يحملنا على تأويل الآيات التى يمتن الله فيها على عيسى بأنه خصه بما لم يعطه لغـيره : وأنه رفعه الله اليه وطهره من الذين كفروا ؟

أو لأن الشيطان قد اتخذ ذلك سبيلا الى فتنة الناس وإيقاعهم فى الغلو الذى قالوا به على الله غير الحق . فـكفروا بعيسى وأمه ، وكانوا أشد الناس عداوة لعيسى وكفراً به ؟ فلأجل ذلك ننكر الرفع الثابت فى القرآن والسنة ؟ إن كان ذلك كذلك . فان ولادة عيسى التى جعلها الله آية عظيمة ، كـذلك استغلها الشيطان واتخذ منها مصيدة صاد بها أولئك الكافرين، فزعموا أنه ابن الله . فهل ننكر كذلك آية ولادة عيسى من مريم بدون أب كما أخبر الله ؟ وأمثال ذلك من أصول الدين وفروعه كثيراً ماوسوس الشيطان للناس فألحدوا فيه وزاغوا به . والله يقول فى وصف القرآن (يضل به كـثيراً ويهدى به كـثيراً) (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة) وأمثال ذلك كثير لايحصى .

« يتبع »

محمد حامد الفقى

رمضان سنة ١٣٦١ العددان ١٧ و ١٨ السنة السادسة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

(مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقى

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ١٥ قرشا داخل القطر المصرى والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله جل ثناؤه : ﴿ هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال . ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته . ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ، وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال ﴾

« البرق » هو الشرارة الكهربائية العظيمة التى تحدث عند اتحاد الكهربائية السالبة والموجبة التى شحنت بها كتل السحاب . فان الله سبحانه وتعالى حين يؤلف بين قطع السحاب بواسطة الريح حتى يكوّن منها سحابة واحدة عظيمة — قد كانت قبل بين سحابتين أو أكثر . وعلى قدر كبرها على قدر عظم شحنتها من الكهربائية ، ثم يسوق الله هذا السحاب حيث يشاء ، ففى أثناء سوقه وانتقاله بالريح يقترب السحاب المشحون بالكهرباء الموجب من السحاب المشحون بالكهرباء السالب ، وينشأ عن هذا الاقتراب زيادة فى ثقل السحاب وزيادة فى كهربائية مجموعه بالتأثير ؛ وعندئذ يتجاذبان ولا يزالان يتقاربان ويتجاذبان ، حتى لا يكون محيص عن اختلاطهما واتحاد كهربائيتهما بهدوء أو من بعد . فعندئذ تحدث تلك الشرارة الكهربائية العظمى التى هى « البرق » ويمكنك أن تتصور مافى البرق من القوة الكهربائية العظمى إذا عرفت أن شرارته قد يبلغ طولها ثلاثة أميال أو يزيد . فى حين أن أكبر شرارة أحدثها الانسان لاتزيد عن بضعة أمتار . فلا شك أن هذه القوة الكهربائية العظمى تحدث حرارة هائلة ؛ ينشأ عنها تمدد الهواء بشدة ويحدث بذلك التمدد مناطق جوية عظيمة مخلخلة — التخلخل : ضعف الضغط —

الضغط داخلها يعادل الضغط خارجها مادام الهواء داخل المنطقة ساخنا ، حتى إذا تشعشت حرارته و بردت تلك المناطق برودة كافية ـ وما أسرع ماتبرد ـ خف ضغطها وصار أقل كثيراً من ضغط الطبقات الهوائية السحابية المحيطة بها . فهجمت تلك الطبقات الهوائيـة عليها فجأة ـ بحكم مابينهما من الفرق العظيم فى الضغطين ـ وتمددت فيها ، وحدث لذلك صوت شديد . هو «الرعد» هذا الصوت قد يكون له صدى بين كتل السحاب يتردد . فنسميه قعقعة الرعد . أما صوت الشرارة الكهربائية فهو بدء الرعد . ويكون ضعيفا بالنسبة لهزيمه وقعقعته . لذلك تسمع الرعد ضعيفا ثم يزداد قوة وعنفا .

فالرعد يحـدثه الله سبحانه وتعالى عنـد اتحاد الـكهربائيتين المشحون بهما السحاب الذى اختلط ببعضه بعـد تجاذبه ، وذلك حين يحـدث البرق ويحدث اكثره وأشده عند تمدد الـكتل الهوائية العظيمة الهاجمة فى المنطقة الهوائية المفرغة بفعل سخونة الشرارة الـكهربائية .

فاذا حدث ذلك وتمددت تلك الـكتل الهوائية بردت برودة شديدة . فمندئذ يتكاثف مافيها من البخار ومن كتل السحاب . فينزل على الأرض إما مطراً ، وإما بردا . حسب مقدار البرودة الحادثة فى تلك المنطقة . وهذا هو السر فى أن الله سبحانه يحدث المطر الشديد عقب البرق والرعد .

« خوفا وطمعا » أى خائفين وخاشين أن يحدث الله من هـذا البرق صاعقة تنشأ عن هذه الشرارة القوية الهائلة فتحرق وتصعق كل ماتصل اليه وتمسه ، فاضرعوا إلى الله فى دفع ذلك ومنعه . فانه لايقدر على ذلك غيره . وطامعين وراجين أن يجعل الله سبحانه برحمته عظم هذه الشرارة وقوتها سبباً فى الحياة والغيث المريع الصيب الذى يحيي الله به العباد والبلاد ، و يخرج به من الأرض كل زوج بهيج .

« وينشىء السحاب » أنشأ الله الشىء : أحدثه وأوجده من العدم ، ثم ربَّاه شيئاً فشيئا حتى يكمل ويتم : يعني أن السماء تكون صحواً صافية الأديم ، لايرى فيها

أى أثر لغيم أو سحاب ، فلا تكاد ترد الطرف عنها حتى ترى أن الله قد أوجد سحابة من لا شيء ، ثم لا يزال يربيها حتى تسود وتثقل وتصير ركاما ، ثم تتسع وتمتد ، وتملأ الأفق حتى تحجب الشمس ، ثم يطلق الله أفواهها بالغيث المدرار ، حتى تملأ الأرض ماء ، فيحيي الله بها البلاد والعباد . روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « كان رسول الله ﷺ يخطب يوم جمعة . فقام الناس فصاحوا ، فقالوا : يارسول الله ، قحط المطر واحمرت الشجر وهلكت البهائم ، فادع الله أن يسقينا . فقال : اللهم اسقنا — مرتين — وأيم الله مانرى فى السماء قزعة من سحاب ، فنشأت سحابة ، فأمطرت . ونزل عن المنبر فصلى ، فلما انصرف لم يزل المطر الى الجمعة التى تليها ، فلما قام النبى ﷺ يخطب ، صاحوا اليه : تهدمت البيوت وانقطعت السبل ، فادع الله يحبسها عنا . فتبسم النبى ﷺ وقال : اللهم حوالينا ولاعلينا ، فكشطت المدينة ، فجعلت تمطر حولها ، وما تمطر بالمدينة قطرة ، فنظرت إلى المدينة وانها لفى مثل الاكليل » وهذا يدل صريحاً على أن الله يحدث السحاب الممطر الصيب من لا شيء ، وأن ذلك ليس متوقفا على بخار البحار وما اليها الذى جرت سنة الله الكونية أن يسوق اجزاءه إلى بعضها بالرياح والجذب الكهربائى ، ثم يجعل منها سحابا ثقالا يسوقه إلى البلد الذى يريد احياءه ، وان ربى على كل شيء قدير .

« ويسبح الرعد بحمده » التسبيح : تنزيه الله عما لا يليق به من العيب والنقص و « الحمد » الثناء على الله بما هو أهله من العظمة والجلال والقدرة والفضل والاحسان ، والتدبير والحكمة والتسخير والرحمة .

و « الملائكة » التى وكلت بهذا السحاب تسوقه وتوجهه بأمر الله حيث يريد إنزال رحمته ، وغيرهم من بقية الملائكة التى وكلت بالأرض ونباتها ودوابها وإنسها وكل شيء فيها والتى وكلت بالسموات وكواكبها ونجومها . والحافة حول العرش ، والتى وكلت بحمل العرش ، كل أولئك الملائكة يسبحون كالرعد وككل شيء بحمد الله

خوفا من عذاب الله وهربا من غضبه، وطلباً لرضاه ورجاء لرحمته .

و « الصواعق » جمع صاعقة . وهى تفريغ كهربائى فجائى يحدث بين السحاب والأرض، بدلا من أن يكون بين السحاب والسحاب . وانما يكون ذلك إذا كان السحاب عظيم الكهربائية وقريباً من الأرض . فاذا حدث هذا التفريغ نشأ عنه ضوء وصوت ، يسمى مجموعهما «صاعقة» إذا أصابت حيوانا أو نباتا أحرقته، واذا أصابت بناء مرتفعا دكته . وقد جعل الله سبحانه من اسباب هذا الصعق : أن هذا التفريغ الكهربائى من السحاب يطلب الأشياء المدببة المرتفعة عن سطح الأرض ؛ فلذلك كان من الخطأ أن يستظل الانسان وقت العواصف ذات البرق بالشجر أو المظلات وقد هدى الله الانسان وعلمه من رحمته أن يستخدم لسهولة هذا التفريغ فيحدث تدريجاً ولا تنشأ عنه الصاعقة ـ قضبانا حديدية أو نحاسية مدببة الأطراف يقيمها على سطوح الأبنية ، بحيث يكون طرف القضيب أعلى قليلا من أعلى نقطة فى البناء ؛ وطرفه الآخر متصلا بلوح فلزى ـ الفلز : هو النحاس الأبيض أو كل معدن له خاصية النحاس ـ مدفون فى أرض رطبة . فبذلك يحدث التفريغ الكهربائى تدريجا، ويتقى التفريغ الفجائى المعروف بالصاعقة ، واذا فرض وأن الصاعقة نزلت فانها تصيب القضيب وتنصرف الكهربائية الى الأرض بدلا من أن تدك البناء ، ويسمى هذا القضيب « مانعة الصواعق »

وقوله « وهم يجادلون فى الله » (الجدال) المفاوضة على سبيل المغالبة والمنازعة. وأصله من جدلت الحبل، أى أحكمت فتله . فكأن المتجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه . يقول الله : إن آياته الظاهرة الواضحة الدالة على عظيم قدرته وجلاله ورحمته ، تقتضى الاذعان والتسليم بالايمان به واخلاص العبادة له وحده والكفر بكل مايعبد من دونه ، والايمان بما أخبر به من اليوم والآخر والحساب والجزاء والثواب والعقاب فيه ، والمسارعة الى العمل بطاعته ابتغاء رضوانه وخوف عقابه وفراراً من عذابه ، ومع ظهور هذه الآيات المقتضية لذلك فالذين كفروا وغلبت

عليهم شقوتهم يجادلون فى أسماء الله وصفاته وأخباره ، وتوحيده واستحقاقه للعبادة دون غيره ، فيقولون (أإذا متنا وكنا ترابا أإنا لفى خلق جديد ؟) (إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) (من يحيي العظام وهى رميم ؟) (أإذا متنا وكنا ترابا ؟ ذلك رجع بعيد) الى غير ذلك مما قالوه يستبعدون به البعث والحياة والآخرة وما أعد الله فيها من حساب وجزاء ، وجادلوا كذلك فى وحدانيته وإلهيته ، فقالوا : (اتخذ الرحمن ولدا . سبحانه بل عباد مكرمون) (واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئا وهم يخلقون) و (اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وامثال ذلك من مقالاتهم التى اقتصها الله علينا فى كتابه الحق ، مبيناً لنا أنهم بها كانوا يحتجون لشركهم ويدافعون عنه ، وبها كانوا يجادلون من يدعوهم الى اخلاص العبادة لله والتجرد من كل مايتخذون من دونه من أولياء ، وبها كانوا يخاصمون رسل الله ضاربين المثل لله بالرؤساء والملوك الذين لايمكن لذى حاجة أن يصل الى قضاء حاجته منهم إلا بواسطة مقرّب لديهم من ذى رحم أو منصب يساعدهم به على القيام بأعباء رياستهم ، ولولاه لما استطاعوا أن يقوموا بتلك الأعباء وان تلك المجادلات والمنازعات لمن مكر شياطين الجن والانس بهم ، واحتيالهم عليهم ، ومخادعتهم عن الحق والهدى والرشاد ، يلبسون تلك الوثنيات والكفريات ثيابا من زخرف القول ، ويتحينون لها فرص الغفلة وتحكم الهوى والجهل ليروجوها بدهائهم ومكرهم .

« والله شديد المحال » أى شديد المكر والكيد لأعدائه ، و « المماحلة » شدة المماكرة . ومنه « تمحّل لكذا » إذا اجتهد فى احكام الحيلة وتدبيرها ، يتهدد الله سبحانه شياطين الانس الذين يحتالون بالكيد والمكر والدهاء وزخرف القول لانتزاع العباد من سيدهم ، واغوائهم ليكونوا من حزب الشيطان ، الذين يكفرون بالله وينتقصونه بما يضربون له من الأمثال المؤدية الى إشراك غيره معه فى العبادة بالدعاء

والتوكل والاستغاثة ، وتعلق القلوب بالحب والذل والرغبة والرهبة . يتهدد الله أولئك الشياطين بأنهم مهما مكروا فالله خير الماكرين ، ومهما احتالوا فالله شديد المحال ، ومهما زخرفوا القول وألبسوا الحق بالباطل ، فإن الله كاشف ذلك بما يرسل من نور الحق وشمس الرسالة التي تكشف سحب الجهل ، وتجلو ظلمات خدعهم ، وتكشف للناس طريق الهدى والرشاد ، والعلم والايمان ، والطاعة والتوحيد الخالص

يقول الله جل ثناؤه ، وتعالت أسماؤه : إن الله الذى أبان لكم عن عظيم قدرته وواسع علمه وسابغ نعمائه ، ورحمته ، بما تلوتم من الآيات الماضية وأمثالها من كتابه الحكيم ، وبما أشهدكم فى أنفسكم وفى السموات والأرض من آيات بينات : مايخلق هذا الخلق عبثاً ، ولا يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة لعبا ، وما يريكم من آياته تسلية ولهواً ، بل ان كل ذلك لتعرفوه حق معرفته أنه عليم حكيم ، لايضع الرحمة إلا فى موضعها وبالسنن والأسباب التى جعلها سبيلا اليها ، ولا يضع العذاب إلا فى موضعه وبالسنن والأسباب التى بين انها مؤدية اليه . فارجوا رحمته واطمعوا فيها ولا يغلبكم الشيطان فيقنطكم من رحمة ربكم ويؤيسكم من عفوه وفضله، فاطلبوها بسننها ومن سبيلها بالعلم والايمان والطاعة واخلاص العبادة . والوقوف عند حدود الله التى حدها لكم فلا تعتدوها ، والقيام بحق نعم الله من الذكر والشكر ، وخافوا من عذاب الله وسخطه . واهربوا منه وفروا من الشيطان الذى يهوّن عليكم حق الله وينسيكم نعمه ، ويوطىء لكم أكتافه حتى تركبوها إلى الشرك والفسوق والعصيان والاثم والبغى والعدوان . وان كل آية ونعمة من الله لتنادى بالرغبة والرهبة ، والرجاء والخوف : بالرغبة فى ابقاء النعمة والمزيد منها والتوفيق للشكر عليها ؛ والرهبة من سلبها ومن عكسها الى نقمة وبلاء ، والله وحده هو القادر على ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله . فكم من نعمة انقلبت على أصحابها نقما وشقاء ، وكم من بلاء كان لصاحبه تمحيصا وطهرة وتزكية للنفس من كدورات جهلها ورعونات طيشها وغفلتها وغرورها .

والله يهدى من يشاء إلى صراطه المستقيم .

محمد حامد الفقى

أحاديث الأحكام

٨٦ — وروى مالك عن عبدالله بن أبى بكر . وهو ابن محمد بن عمرو بن حزم « أن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم : أن لا يمس القرآن إلا طاهر » وهذا مرسل. وقد رواه أحمد وأبو داود فى المراسيل، والنسائى والدارقطنى وابن حبان ، من رواية الزهرى عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده . وراويه عن الزهرى : سليمان بن داود الخولانى . وقيل: الصحيح : أنه سليمان ابن أرقم ؛ وهو متروك .

٨٧ — وفى الصحيحين : فى حديث هرقل « أن النبى ﷺ كتب اليه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم . وفيه : (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون)

قال أبو طاهر ـ عفا الله عنهما ـ : عمرو بن حزم الأنصارى الخزرجى . أول مشاهده الخندق واستعمله النبى ﷺ على أهل نجران ـ وهم بنو الحارث بن كعب ـ وهو ابن سبع عشرة سنة ، بعد أن بعث اليهم خالد بن الوليد فأسلموا ؛ وكتب لهم كتابا فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات ، توفى عمرو بعد الخمسين من الهجرة رضى الله عنه .

قال الحافظ بن حجر فى كتاب تلخيص الحبير (ص٣٢٧) : وقد اختلف أهل الحديث فى صحة هذا الحديث . فقال أبو داود فى المراسيل: قد أسند هذا الحديث ولا يصح . والذى فى إسناده سليمان بن داود : وَهْمٌ ، انما هو سليمان بن أرقم .

وقال في موضع آخر : لا أحدث به . وقد وَهِمَ الحكم بن موسى في قوله : سليمان بن داود ، وقد حدثني محمد بن الوليد الدمشقي أنه قرأه في أصل يحيى بن حمزة : سليمان ابن أرقم . وهكذا قال أبو زرعة الدمشقي : انه الصواب . وتبعه صالح بن محمد جزرة وأبو الحسن الهروى وغيرهما . وقال جزرة : حدثنا دحيم قال : قرأت في كتاب يحيى بن حمزة حديث عمرو بن حزم ، فاذا هو عن سليمان بن أرقم . قال صالح جزرة : كتب هذه الحكاية عني مسلم بن حجاج .

قال الحافظ بن حجر : ويؤكد هذا مارواه النسائى عن الهيثم بن مروان عن محمد بن بكار عن يحيى بن حمزة عن سليمان بن أرقم عن الزهرى . قال . وهذا أشبه بالصواب . وقال ابن حزم : صحيفة عمرو بن حزم منقطعة لاتقوم بها حجة . وسليمان ابن داود متفق على تركه . وقال عبدالحق الاشبيلي في الأحكام : سليمان بن داود ـ هذا الذى يروى هذه النسخة عن الزهرى ـ ضعيف . ويقال : انه سليمان بن أرقم . وتعقبه ابن عدى ، فقال : هذا خطأ ، انما هو سليمان بن داود ، وقد جوده الحكم بن موسى اه . وقال أبو زرعة : عرضته على أحمد فقال : سليمان بن داود هذا ليس بشىء وقال ابن حبان : سليمان بن داود اليمامى ضعيف ، وسليمان بن داود الخولانى ثقة . وكلاهما يروى عن الزهرى . والذى روى حديث الصدقات هو الخولانى . فمن ضعفه فانما ظن أن الراوى هو اليمامى . قال الحافظ بن حجر : ولولا ماتقدم من أن الحكم بن موسى وَهِم في قوله : سليمان بن داود وانما هو سليمان بن أرقم ـ لكان لكلام ابن حبان وجه . قال الحافظ : وقد صحح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة لا من حيث الاسناد ، بل من حيث الشهرة . فقال الشافعي في رسالته : لم يقبلوا هذا الحديث حتى ثبت عندهم أنه كتاب رسول الله ﷺ .

وقال ابن عبد البر : هذا كتاب مشهور عند أهل السير ، معروف مافيه عند أهل العلم معرفة يستغنى بشهرتها عن الاسناد ، لأنه أشبه المتواتر في مجيئه ، لتلقى الناس له بالقبول والمعرفة ، قال : ويدل على شهرته ، ماروى ابن وهب عن مالك عن الليث بن

سعد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال «وجد كتاب عند آل حزم يذكرون أنه كتاب رسول الله ﷺ . وقال العقيلى: هذا حديث ثابت محفوظ ، إلا أنا نرى أنه كتاب غير مسموع عمن فوق الزهرى . وقال يعقوب بن سفيان : لا أعلم فى جميع الكتب المنقولة كتابا أصح من كتاب عمرو بن حزم هذا » اه

قال أبو طاهر عفا الله عنهما ـ : فمما تقدم يعرف أن كتاب عمرو بن حزم هذا لاينهض أن يكون دليلا قويا يثبت به مثل هذا الحكم الذى تعم به البلوى ، وتشتد حاجة الناس اليه . فغير معقول أن يتركه النبى ﷺ بدون أن يبين فيه للناس بيانا كافياً كشأنه ﷺ فى كل الدين ـ على أنه مما يوقع الشك فى كتاب عمرو بن حزم هذا : أنه لم يكن القرآن قد جمع فى مصحف، حتى ينص فى هذه الصحيفة على عدم مسه إلا للطاهر، ولئن قيل : ان الرسول ﷺ قد بين أحكام كثيرة من الأشياء التى لم تكن موجودة ، فنقول : ان صحة إسناد الرواية بذلك لم يدع لنا مجالا للشك .

ثم نقول : فان زعموا أن فى قول الله تعالى (لايمسه إلا المطهرون) حجة كافية لاثبات هذا الحكم ، قلنا لمن زعم ذلك : ان سياق الآية لمن تأملها أقل التأمل انما هو فى دفع دعوى الكافرين الذين زعموا أن القرآن من قول البشر لا تنزيل الحكيم الحميد . وأنه نزل به الروح الأمين بأمر الله من الكتاب المكنون ، أى المخزون المحفوظ ، وهو اللوح المحفوظ . كما صرح به فى سورة البروج (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) وكما فى سورة عبس (فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة) مما يدل صراحة أن هذا الوصف للملائكة ، لا للبشر، وغير ذلك من الآيات فى هذا المعنى التى يدفع الله بها فرية الكافرين أنه (إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) ، وأنه (أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) وأنه (سحر يؤثر) وأنه (قول البشر) وأمثال ذلك من بهتانهم وكفرهم ، ويدل على ذلك أن هذه السورة «الواقعة» مكية والخطاب فيها لكفار قريش، بالدفاع عن القرآن ليؤمنوا ، لا للنهى عن مسه لغير الطاهرين، وهل يعقل أن ينهاهم الله عن مسه بغير طهارة وهم لايزالون

به كافرين ؟ وأقرأ الآية بتأمل (فلا أقسم بمواقع النجوم ـ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ـ انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون • تنزيل من رب العالمين) وتدبر ختام الآيات بأنه تنزيل رب العالمين يتضح لك المراد جيداً على شرط أن تترك التقليد جانباً ؛ وتفهم أنت الآيات مستقلا بمدلول أسلوبها العربى المبين ؛ والله أعلم •

ولئن استدلوا بقصة إسلام عمر بن الخطاب وأن أخته وزوجها سعيد بن زيد أبيا أن يعطياه الصحيفة إلا اذا تطهر ، فانا نقول : ان سندها واه ، والواقع يزيدها وهناً ، فانه لم يكن قد شرع وضوء ولا غسل من الجنابة بعد ، لأن الطهارة انما شرعت بعد شرع الصلاة ولم تشرع الصلاة إلا فى ليلة الاسراء قبل الهجرة بثلاث سنين أو بخمس على خلاف فى ذلك فكيف يأمرانه بشىء لم يعلماه ولم يكن قد شرع بعد ؟

ولو فرضنا أن هذه القصة سلمت من هذا الوهن وكانت بعد شرع الطهارة فليس فيها مايدل على وجوب ذلك لكل أحد ، فان موقفهما هذا من عمر ـ انما يدل على أنهما يريدان ايقاع الرهبة فى قلبه ، لأنه كان فى أشد القسوة عليهما وعلى المؤمنين •

ثم نقول أخيراً : إن الثابت فى الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبى سفيان فى قصة هرقل . وهو الحديث (٨٧) يدل على خلاف مازعموه فانه ثابت أن رسول الله ﷺ بعث بكتبه وفيها آيات : لهرقل ولغيره من النصارى ، وأنه لا يعقل أن يأمرهم بالطهارة قبل أن يقرءوا كتبه ، وغير معقول كذلك أن يكون الله قد نهاه عن مس القرآن إلا للطاهرين ، ثم هو ﷺ يرسله الى هؤلاء الذين لا يتطهرون .

بقيت الروايات عن السلف فى ذلك . فتحمل على الاستحباب ، لا على الوجوب .

وبذلك أخيراً نقول : انه الأحب والأفضل أن لا يقرأ قارىء القرآن أو يذكر الله إلا على طهارة ، هذا ولا أعتقد أن أحداً يأثم بمس المصحف وهو محدث ، ولا إذا قرأ القرآن بغير وضوء . ولا يشك مسلم يعرف الاسلام أن رسول الله ﷺ انما جاء باليسر لا بالعسر ولا بالحرج ، كما بين الله ذلك فى ختام آية الوضوء من سورة المائدة (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) وأى حرج أشد من أننا نلزم الوضوء صبيان

داؤنا ودواؤنا

— ٢ —

العقيدة : فسادها داء ، وإصلاحها دواء

جاء الاسلام بعقيدة صحيحة بيضاء ، واضحة كل الوضوح ، سهلة كل السهولة ، بينة كل البيان ، ليس فيها تعقيد ولا خفاء ، ولا نبوّ عن العقل ، ولا اعتياص عن الفهم . ولا دقة عن الادراك . ليلها كنهارها ، وسرها كعلنها ، وباطنها كظاهرها

المكاتب ومعلميهم ، وكل من يريد أن يقرأ القرآن وهو سائر فى الطريق ، ضلت ذاكرته آية فأراد أن يراجعها فى المصحف ، فهل يذهب فيبحث فى الطريق على ماء ووضوء ، أو يقرأ الآية على خطأ ، أو يترك القراءة ، أو ينظر فى المصحف وهو معتقد نفسه آثما . وكذلك القول فى الصبيان ومعلميهم ، هل نلزمهم أن لا يمسوا ألواحهم إلا على وضوء ، أو نقول لهم اقرأوا وأنتم موقنون بالآثم والخطيئة ؟ أو نتجاوز عن أولئك الصبيان ومعلميهم ؟ وبأى دليل نخصص هؤلاء من العموم فيما يدعون من الأدلة ؟ أو نمنع الجميع من القراءة بتاتا إلا بوضوء وفى ذلك تعطيل للقرآن وإلزام المسلمين بالاعراض عنه . وفى ذلك مافيه . من الصد عن دين الله ، وايقاع الناس فى الجهل بالقرآن الذى جرهم الى الاستعاضة عنه بغيره من كلام الناس . واشتغالهم به عن القرآن وطال عليهم الأمد فى ذلك فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . ولا حول ولا قوة إلا بالله . نسأل الله أن يرجع الناس الى الاشتغال بالقرآن وتدبره وتفهمه والعمل به والاهتداء بنوره فى جميع شئونهم ليهتدوا به للتى هى أقوم ولتحيى به قلوبهم بعد موتها ، وليؤمنوا بالله وبرسوله إيمانا يحملهم اذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . اللهم اجعلنا من هؤلاء برحمتك يا أرحم الراحمين .

محمد حامد الفقى

ليس فيها مثار لاختلاف ، ولا مدعاة لتفرق ، ولا باعث إلى نزاع . عقيدة تعلو بالانسان الى أوج العزة والكرامة ، وتنتشله من حضيض الذلة والمهانة وترقى به الى أوسع آفاق الحرية ، وتعتقه من كل رق ، وتطلقه من كل أسر . عقيدة تسمو بالقلب بالروح فوق مستوى الماديات الخسيسة ، والشهوات الوضيعة . وتجعله خليقا بأن يكون خليفة فى الأرض ، وتوحى اليه الشعور بالشرف والاباء ، وتلهمه فضيلة الشجاعة والاقدام ، وتجعل منه اذا رعاها حق رعايتها ملكا طاهراً كريما ، لا يسأل إلا يعطى ولا يدعو إلا يستجاب له .

تقوم هذه العقيدة على قاعدتين اثنتين :

الأولى : «لا إله إلا الله» والثانية «محمد رسول الله» يالجلال الحق ! ويالنصاعة الصدق ! ما أيسر هذه العقيدة وما أوضحها وما أخلصها ، وما أمثل طريقها ، وما أهدى سبيلها !

تنص القاعدة الأولى على أنه « لا معبود بحق الا الله » وهذا اللفظ يتردد على كثير من الألسنة ، فاذا سأل سائل عن معنى كلمة التوحيد ، فسرعان ما ينطق المسئول ان كان من أولى العلم قائلا : « لا معبود بحق الا الله » بيد أن كثيراً من الذين ينطقون بهذه العبارة الصحيحة يلوكونها لفظا ، ولا يعقلونها معنى وقد ساقهم الجهل بمعناها الى السقوط فى هاوية الشرك ، والتردى فى وهدته ، والانغماس فى أوحاله ، من حيث لا يعلمون .

ليست العبادة منحصرة فى أداء الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت ، بل هناك أمور هى من صميم العبادات لا يلقى اليها الناس بالا ، ولا يحسبونها من العبادة فى شىء فيوجهونها الى غير الله ويشركون به ، وهم جاهلون . فالدعاء والاستعانة والاستغاثة بظهر الغيب ، وتحليق الرءوس وتقصيرها ، والتطوف والتمسح والنذر والنحر ، كل هذه عبادات . فاذا وجهت الى الله كانت توحيداً وطاعة وبراً ، وان صرفت الى غيره كانت شركا وبهتانا ووزرا .

قال تعالى : (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم)
وقال تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)
وقال تعالى (إياك نعبد واياك نستعين)
وقال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ...)
وقال تعالى (وهما يستغيثان الله)
وقال تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون)
وقال تعالى (ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق)
وقال تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا)
وقال تعالى (فصل لربك وانحر)

كل هذه النصوص من كتاب الله الكريم تقنعك ـ إن كنت من أهل الانصاف ـ أن هذه الأمور كلها عبادات توجيهها الى غير الله عدوان وظلم وحوب كبير

هذه الكلمة الطيبة « لا إله الا الله » علم التوحيد الخالص ، فاذا نطق بها الانسان فى اعتقاد ويقين وفهم : فقد خلع ربقة الشرك من عنقه فتصبح عبادته خالصة لله ؛ واعتماده وتوكله عليه ، ودعاؤه وتضرعه له ، وفراره وفزعه اليه واستعانته به واستمداده منه ، و يعتقد قلبه على أن الأمر كله لله ، له الخلق والأمر ، فليس لأحد معه تصرف فى شيء من ملكوت السموات والأرض ، فلا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا كاشف ضر ولا مانع خير إلا هو جل شأنه وعظم سلطانه . كما يعتقد قلبه على أنه تعالى واحد لا شريك له ، وأنه موصوف بكل ماوصف به نفسه فى كتابه الكريم من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل .

تلك هى القاعدة الأولى وذلك توضيحها .

أما القاعدة الثانية فمعناها : ان محمداً ﷺ هو الرسول الذى أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق الى الخلق كافة بشيراً ونذيرا ، ليبلغهم شريعته ويبين لهم منازل

اليهم . فمن بلغت هذه العقيدة من نفسه مبلغ اليقين لم يأخذ دينه عن غير الرسول الذى أرسله الله اليه ، ولم يخترع عبادة من تلقاء نفسه ، ولم يتبع هواه عما جاء به الرسول من الحق . بل يكون هواه تبعاً لما جاء به ، ولا يفتات عليه وعلى شريعته بشيء ويحبه أكثر من نفسه ، حباً يتمثل فى طاعته والدفاع عن شريعته ، والذود عن ملته ، والجود بالنفس والنفيس فى سبيل دفع الأذى عن أمته . لا فى دعائه ﷺ والقسم به والضراعة اليه ، لأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وليس له من الأمر شيء ، بل الأمر كله لله وحده لا شريك له .

تلك هى القاعدة الاسلامية السليمة التى جاء بها كتاب الله الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تلك هى العقيدة التى انتصر بها المسلمون الأولون وملكوا العالم وعمروا الأرض ، وسيطروا بالعدل على الأمم والشعوب . تلك هى العقيدة التى ثل بها المسلمون عروش الأكاسرة والقياصرة وغير الأكاسرة والقياصرة بعد أن كانوا قليلا مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس . تلك هى العقيدة التى استخلف بها المسلمون الأولون فى الأرض ومُكّن لهم دينهم و بدلوا من بعد خوفهم أمنا .

فماذا فعل بها المسلمون الآخرون ؟

عبثوا بالتوحيد حتى شوهوا جماله، وأذهبوا جلاله، فسمحوا للرياء ـ وهو الشرك الأصغر ـ أن يعبث فى عباداتهم فأحبط أعمالهم .

تصنعوا للخلق وجملوا ظواهرهم بعبادات لم يريدوا بها وجه الله . طلبوا حاجاتهم من الموتى واستعانوهم واستغاثوهم ، وتوجهوا اليهم ، وشدوا الرحال الى قبورهم ، وهتفوا بأسمائهم فى القومة والقعدة والحركة والسكون، وتوجهوا إلى قبورهم مستنجدين شاكين ، ضارعين خاشعين ، وغفلوا عن رب العالمين وأحكم الحاكمين .

حلفوا بغير الله ، وضربوا الذكر صفحاً عن قول رسول الله ﷺ : « من حلف بغير الله فقد أشرك » « من حلف بغير الله فقد كفر »

نذروا لغير الله وحلقوا رءوس ولدانهم عند أجداث الموتى ؛ من مسلمين وغير مسلمين ، وتطوفوا بغير البيت العتيق ، وتمسحوا بغير الركن ، واستلموا غير الحجر الأسود وقبلوا الأعتاب ، واستقسموا بالأزلام ؛ وطافوا حول الأنصاب ، وتورطوا فى جاهلية جهلاء ؛ وتاهوا فى مضلة عمياء .

عبثوا بعقيدة التوحيد السمحة الجميلة وأفسدوها بما ادخلوه عليها من عقائد المتصوفة الذين تلطخوا بأوحالها من الوثنيات القديمة التى كان يدين بها الاغريق والهنود فى غابر العصور . ولا أدرى كيف نفث هؤلاء المتصوفة سموم عقائدهم فى الأمة حتى أصبحت تدين بدينهم إلا قليلا ممن عصم الله وهدى ؟؟

تصوفوا فى العقائد فأفسدوها ، وتركوا الأخلاق تمليها عليهم مقتضيات الأحوال والظروف والمنافع العاجلة .

أفسدوا التوحيد بعقيدة وحدة الوجود التى تهدم التوحيد هدما ، إذ يرى أصحابها — وبئس مايرون — أن إلههم هو مجموع ظواهر هذا الوجود : سمائه وأرضه ، وشمسه وقمره ، وكواكبه ونجومه ، وسحبه وغيوثه ، ورعوده وبروقه ، وزوابعه وأعاصيره ؛ ورياحه ونسماته ؛ وبحاره وجباله ، وعامره وغامره ، وأوديته وأنهاره ، ووهاده ونجاده ؛ وصخوره ورماله ، ووحشه وأنعامه ، ودوابه وحشراته ؛ ورجاله ونسائه ، وصباياه وغلمانه ، وزهره وثمره ، ويقولون — وبئسما يقولون — إن القوة الالهية انبثت فى جميع الموجودات كلية وجزئية ، وجمعتها وأحاطت بها من كل وجه : لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ، ولا من جهة الصورة ولا من جهة المادة ، فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية (راجع مقدمة ابن خلدون)

وليس عندهم وجود قديم خالق ، ولا وجود حادث مخلوق ، بل وجود هذا العالم هو عين وجود الله . وهو حقيقة هذا العالم ؛ وليس عندهم رب وعبد ؛ ولا راحم ولا مرحوم . بل الرب هو نفس العبد وحقيقته ؛ والراحم هو عين المرحوم قال كبير منهم هو ابن عربى جزاه الله مايستحق :

العبـد رب ، والرب عبـد ياليت شعرى من المكلف ؟
إن قلت : عبـد فذاك رب أو قلت : رب ، أنى يكلف ؟

وقد بنوا على عقيدتهم هذه الفاسدة أن المريد اذا جاز الدرجات السبع ، وبلغ مقام الجمع ، سقط عنـه التكليف ، وأصبح لايطالب بصلاة ولا ولا صوم ولا زكاة ولا حج . وكيف يكلف وقد صار رباً ؟ ومن هنا تعرف السر فى قولهم : لاينبغى للمريد أن يعـترض على الشيخ اذا رآه يفعل الحرام !. أى لأنه واصل سقط عنه التكليف ، والمريد المبتدىء لايحيط علماً بهذا السر المحجب . قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ولست أريد ان أصك سمعك ، أو أقذى عينيك بالاطالة فى ايراد مثل هـذا السخف البغيض ـ فمن شاء أن يتفكه بالوقوف عليه فليرجع الى كتب القوم وهى أكثر من الذباب ، وأرخص من التراب .

هذا هو الداء فأين الدواء .

الدواء يسير سهل قريب على طرف الثمام فى متناول كل يد ، وفى وسع كل انسان

الدواء هو الرجوع الى التوحيـد الخالص وعبادة الله وحـده واعتقاد الوحدة المطلقة لله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيرا .

الدواء أن نعبد الله مخلصين له الدين حنفاء ، وأن ندعوه تضرعا وخفية وأن نصفه بما وصف به نفسه فى كتابه بغير تشبيه ولا تمثيل ، ولا تجسيم ولا تعطيل ولا تخريج ولا تأويل ، وأن نربأ بأنفسنا عن التفكير فى ذاته وأن نفكر فى آلائه ، فذلك أجدر أن يدعونا إلى شكره واخلاص العبادة له واقامة الوجوه لدينه القيم .

الدواء أن نرجع الى كتاب الله نتلوه ، ونتدبر آياته ، ونبنى عقائدنا على أساسه المتين ، وننبذ كل ماخالفه أو نكب عن سبيله . وأن نقبل على ذلك مخلصين راغبين فى العاقبة ، مبتغين شفاء الصدور ، فان فعلنا فقـد رممنا أساس البناء ، وإصلاح الباقى يسير ، وشفينا القلب وشفاء الأطراف غير عسير .

أبو الوفاء محمد درويش

من صور الحياة المصرية

٦٩ — أزياء السيدات فى مجلس النواب

« إن هذا الاقتراح ولو أنه مقبول شكلا إلا أنه غير جدير بالنظر من المجلس لتعارضه مع الحرية الشخصية المكفولة فى المادة الرابعة من الدستور علاوة على أنه لا يتمشى مع الروح الاجتماعية الحديثة ، وترى اللجنة الاكتفاء بما ورد فى القانون العام من نصوص تكفل صيانة الآداب العامة » !؟

هذا هو الحكم الذى أصدرته لجنة الاقتراحات والعرايض بمجلس النواب على الاقتراح بقانون المقدم من حضرة النائب المحترم محمد بك قرنى بشأن الأزياء التى تلبسها السيدات المصريات فى الطرق والأماكن العامة والشواطىء ؛ ولقد قال الأستاذ الحضرى مقرر اللجنة إن الحالة الاجتماعية تقدمت وهذا القانون يريد الرجوع بهذا التقدم الى الوراء ... وقال إن فى القانون العام ما يعاقب المرأة على تبرجها. ولما أعطيت الكلمة لصاحب الاقتراح قال بعد الديباجة : انى لأعجب كل العجب من أن لجنة الاقتراحات ترفض هذا القانون مع أنه الفضيلة بعينها . ان ستر العرض أمر يهم كل شخص فى الانسانية فكيف ترفض اللجنة اقتراحا كهذا ، ومضى فأشار إلى أنه يأسف على سوء حظ اقتراحه ، فقد سبق أن قدمه سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٣٧ فلم يصادفه التوفيق ، وها هو ذا يقدمه المرة الثالثة راجياً أن يلاقى من حضرات الزملاء تأييداً الخ .

ولقد صدّق حضرات النواب ظن زميلهم قرنى بك فى تأييد اقتراحه ، حيث تكلموا فيه كلاما طيباً يدل على إحاطتهم بسبب الفساد الذى استشرى فى هذه البلاد

من جراء بروز النساء فى الطرقات كاسيات عاريات ، وما أحدثن من فتنة يكاد لاينجو منها إلا من رحم ربك .

ونعى حضرات النواب على اللجنة التى رفضت هذا الاقتراح ولاموها بعبارات تدل على مبلغ تأثرهم من الحالة العامة حتى ليقول الأستاذ عبدالحليم السنوسى سكرتير هذه اللجنة بالذات: أنه وإن كان سكرتيراً للجنة إلا أنه يعارضها بسبب أنها تجاوزت اختصاصها بحفظ الاقتراح وقال انه كان واجباً عليها أن تحيله على لجنة الموضوع ، وذكر أن فى القانون شيئاً كثيراً من الحق واقترح إحالته على لجنة الشئون التشريعية

وقد وافق المجلس على اقتراحه بأن أحال القانون المقترح على لجنة الشئون التشريعية لترى هل فى مثل هذا القانون مخالفة للدستور أو لا . وهذه على كل حال خطوة لابأس بها تبشر بأن هذا الاقتراح سوف يتم خطواته القانونية . فى نجاح مطرد حتى يصير قانونا نافذ المفعول بفضل الحماسة التى قابله بها حضرات النواب ، والغيرة التى بدت واضحة من حضراتهم فى أثناء مناقشته ؛ ورجاؤنا فيهم وطيد أن لا تلين قناتهم أمام أية معارضة مهما اشتدت حتى يصلّتوه سيفا على رقاب المستهترات اللاتى أسأن الى سمعة البلد وآذينه أذية بالغة فى خلقه وآدابه وتقاليده الموروثة .

والذى نلاحظه فى هذا الموضوع ، أن الأستاذ الحضرى مقرر اللجنة أراد أن لا يخالف اسمَه قولُه ، فكان حضرياً إلى أبعد حدود الحضارة ، ولكنها الحضارة المتعارفة التى بينها و بين الحضارة الحقة بعد المشرقين ، والتى اعترف شيخ الدولة الفرنسية المنكوبة أنها كانت السبب المباشر فيما أصيبت به هذه الدولة من ذلة صارت بها عبرة ومثلا على وجه الزمان .

نسمع حضرة النائب يقول بملء فيه أمام ممثلى البلد جميعاً من اخوانه النواب: إن الحالة الاجتماعية تقدمت وهذا القانون يريد الرجوع بهذا التقدم إلى الوراء ...

نعم يا حضرة النائب إن هذا القانون لا يريد الرجوع بهذا النوع من

التقدم إلى الوراء فحسب بل يجب أن يجتثه من جذوره إن استطاع ليحل محله التقدم الذى يعرفه دينك الرسمى وهو الاسلام ، والذى يقول كتابه أو دستوره فى مثل هذا المقام من سورة الاحزاب (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) ويقول من السورة نفسها (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) وفى سورة النور من الآداب التى تحدد موقف النساء من الرجال من حيث الاختلاط وإبداء ما يصح إبداؤه وما لا يصح ، ما لا يخطر على بال مسلم أن يتأوله أو يمارى فيه . والذى أظهرت تجارب هذه القرون المتطاولة أنه الهدى الذى ليس بعده إلا الضلال، والنظام الذى وضع على خير مثال .

نعم والله انه لكثير على حضرة النائب أن يقول هذا . بينما يشير النائب المحترم الأستاذ كامل يوسف ، إلى ما ورد على لسان بعض الخطباء من أن الدين الاسلامى يحض على الفضائل ويقول ان الأديان كلها تحض على الفضائل وسمى هذه الحالة المحزنة « فضائح » وهى التى سماها النائب المسلم « تقدما » ثم قال انه يحتج على هذه الفضائح لأنها تقع فى بلاد مصرية، ومضى فقال: لقد شاهدنا ذلك بأنفسنا ليس فى المدائن والشواطىء فقط ؛ بل فى القرى أيضاً ، واستطرد فأشاد بالقانون المعروض وقال انه كان يرجو أن يتقدم به الى المجلس معالى عبد الحق بك وزير الشئون الاجتماعية ، ولعله يفعل ذلك بعد ما رأى شعور المجلس ضد اللجنة ، وانتقل من ذلك الى ما يشاهده فى المصايف وقال إننا نشمئز كل الاشمئزاز من هذه المناظر وطبعاً لا نستطيع أن نحرك ساكناً إزاء ما نراه ، ورد على مقرر اللجنة وقال إن المواد التى استشهد بها لا تمت إلى الموضوع بصلة ، ثم قال إن هذه الحالة منكرة وهى ترتكب أمامنا كل يوم وفى كل لحظة ، ولهذا أقول لكم وجميعكم قد ذهبتم الى رأس البر . فماذا يقول بعد ذلك حضرة النائب المسلم الذى يرى الرجوع بالمرأة الى حظيرة العفة والاحتشام — رجوعا بالتقدم — الذى يزعمه هو — إلى الوراء ؟

أى تقدم هذا الذى صيّر المرأة تخرج من بيتها شبه عارية تعرض مفاتنها على الناس بغير أدب ولا حياء ، فيطمع الذى فى قلبه مرض، والناس جميعهم أو أغلبهم اليوم مرضى القلوب .

ولى من قصيدة فى مثل هذا المعنى أخاطب بها رجال هذا البلد :

المرأةُ انطلقت تمشى مُبهلَلَةً ... وخلفها سبع الأعراض قد ركضا
ترتاد عاريةً أو شبه عاريةٍ ... دور الهوى بقبول منكم ورضا
داست على الشرف الغالى وما اصطدمت ... يوماً بعرق حماسٍ فيكمُ نبضا
هبْها بطيشٍ نضت عنها الحياء فما ... أصاب زوجاً لها أو محرما فنضا
اذا أهين لكم من طيشها شرف .. ... فهل ترون لكم فى غيره عِوَضا ؟
يا للرجال ولكن لا رجال هنا ... أظن ذلك صنفا كان وانقرضا !!

ما الذى ينقص من حق المرأة اذا ارتدت ما يستر جسمها وخرجت تمشى لغايتها مؤدبة محتشمة ؟ نعم انها تفقد نظرات الفساق المجرمين، وغمزات الشبان المستهترين وإشارات الرقعاء الماجنين ، وأظن أن فى ذلك كله تزهد كل سيدة عاقلة محترمة .

ومن المدهش أن كل من يزعم هذا الزعم الفاسد إنما يغالط نفسه لأننا نرى المشاهد المحسوس اليوم أى فى هذا الزمن الذى انقلبت فيه الأوضاع وتبدلت الحقائق حتى وجد فيه من يسمى تبرج الجاهلية تقدماً — أن السيدة التى تخرج فى ثوب الاحتشام ويعرف الناس أنها آخذة سمتها إلى حيث يدعوها غرض لازم أى أنها لا تتسكع ولا تكثر التلفت ، ولا تمشى مشية الراقصة الهلوك : نعم إن مثل هذه السيدة تحمل الناس جميعا حتى الفساق منهم على احترامها . فما سمعنا أن سيدة على هذا الطراز تطاول عليها أحد بنظرة خائنة أو لفظة نابية مهما كان داعراً . أما الأخريات فهن عرضة لكل أذى لسانى وغير لسانى من صعاليك الناس وعليتهم مهما سما مركزهن، بل هن عرضة لأن يتخطفن وتنتهك أعراضهن من رجال مصريين وغير مصريين !! وعلى نفسها تجنى براقش كما يقول المثل العربى .

وما رأيت نظاما اتبع ، ولا مبدأ ابتدع ، ثم حوفظ عليه أشد المحافظة مع قيام البراهين على ضرره البالغ كهذا التبرج ، فهو قاض على السمعة ذاهب بالثروة ، مفسد لنظام البيوت ، مقوض لأركان سعادتها . فالبنت التى تتبرج وتخرج مبدية زينتها على اعتقاد أن إظهار محاسنها مما يحبب فيها الشبان فتجد من بينهم من يقبلها عروساً : قلما تنال أمنيتها ، إذ أن تبرجها من صوارف الشباب عنها ، فان رزقت بواحد منهم بعد التعب الشديد فقلما يوفقان فى هذه الزوجية ، بل سرعان ماتذهب السكرة وتجىء الفكرة ، ويعرف كلاهما خلق صاحبه فيفترقان ، وما أنجبا غير الشقاق فالطلاق !! واسأل رواد المحاكم الشرعيـة من الجنسين ومن بينهم العروس التى ما أمضت شهر العسل بعد ، عن سبب ماهم فيه من شقاء وتعاسة ، يجبك الجميع بلسان واحد « عند التبرج الخبر اليقين » .

وأما ان التبرج مذهب للثروة ، فذلك ماصار مثار الشكوى من كل الطبقات المصرية ، فان المبتلى بامرأة من هذا النوع والعياذ بالله تعالى لايمكن أن يقل ماينفق على زينتها الخاصة عن نصف ثروته — مع التساهل فى التقدير — ولها أن تتجاوز فضلا منها عن النصف الباقى لجميع مرافق البيت الأخرى .

حدثنى من لا أشك فى صدقه أنه كان له صديق يعمل فى أحد البيوت الكبيرة كلفته سيدته ذات يوم أن يشترى لها علبة مسحوق تغير به خلق الله وأعطته جنيها يشترى منه أو به هذه العلبة ، فذهب الى البائع وساوم فى شرائها حتى استخلصها بنصف هذا المبلغ ، فلما رجع وأخبرها بثمنها كالفاخر بما صنع ثارت عليه وانتهرته لأن غلاء الثمن أو رخصه لايدخل فى حسابها وانما المهم هو أن يكون النوع راقياً ولا يكون كذلك إلا ان كان مرتفع الثمن فعاد واشترى لها علبة بالجنيه كله أو قرابته فرضيت عن ذلك ، وربما كانت الأولى أجود نوعا من الثانية ، إذ أنه ساوم فى الأولى ولا شك معتقداً أنه أدى خدمة لسيدته ، أما وقد قابلت جميله بالنكران فهو إن ساوم فى الثانية فلا يساوم إلا ليزيد فى ثمنها عما قدر له البائع نزولا على رغبة هذه العقلية الشاذة !!

أما ان التبرج قاض على هناءة البيوت مقوض لنظامها ، فأية سعادة لبيت تصرف ربته الساعات الطوال فى غرفة زينتها أمام مرآتها ثم تخرج الى الشارع فى هيئة كانت المرأة فى الماضى القريب تستحى أن تظهر بها فى بيتها ، وكانت المصيبة تخف وطأتها لو أن هذه الزينة كانت وقفا على الرجل ولكنها جملتها لأبناء السبيل الذى تصرف مابقى من ساعات النهار رائحة فيه غادية بغير قصد ولا لأية غاية . هذه الساعات التى كان من الواجب أن توزع بين زوجها وأولادها وبيتها فقط كلاً نصيبه فيها ؛ فلزوجها البشاشة والترويح ولأولادها البشاشة الخلقية والخلقية ؛ ولبيتها الترتيب والاشراف . ولكن هيهات فقد اختلت المعايير ، واضطربت الموازين ، حتى رأينا من بين حضرات النواب من يدافع عن التبرج مع ظهور ضرره ظهور الشمس الطالعة وراح يسميه تقدما ، ويسمى الحد من شره رجوعا بهذا التقدم الى الوراء ! ولكن الحمد لله فان هذه التسمية لم تجد رواجا بين جمهرتهم حتى أن الذين اعترضوا على هذا الاقتراح — غير حضرة المقرر — لم يخل كلامهم من بعض الوجاهة فقد اتفق الأستاذان حسن يس وزهير صبرى على وجوب سن هذا القانون — إن كان لابد منه — على الرجال دون النساء فقوامتهم على النساء تجعل منهم سبباً مباشراً فيما وصلوا اليه . فقد قال الاستاذ حسن يس : ان المجلس كله رجل واحد فيما يختص بالحض على صيانة الآداب والتمسك بأهداب الفضيلة ، ولكن على من تقع تبعة هذا ؟ ان النساء يخرجن كما يقول حضرات الخطباء عاريات ، ومن هن ؟ هن أمى ، هن أختى ، هن كريمة النائب ، هن زوجته . ومن الذى يدفع لهن ثمن الملابس ؟ أليس الرجال ؟ فهم المسئولون إذن ، ثم قال ان تقويم الأخلاق لايأتى بالقوانين ولكن يأتى بالتمسك فى بيوتنا بالحض على الفضيلة .

وقال الأستاذ زهير صبرى من كلمته : أما ماقيل هذه الليلة فهو ليس موجهاً إلى النساء ولكنه موجه الى من هم قوامون على النساء ؛ موجه الى (الرجل) الذى يقوم على رعاية شئون السيدة ، فنحن الرجال نشترى للسيدات « الروج » و « البدرة »

و «الشنط» و «الأحذية» ونذهب معهن إلى السينما ومحال اللهو والنزهة. وطلب بعد كلام طويل أن يصدر القانون على الرجال وحدهم وبذلك تصون الأديان والآداب ألخ.

وهذا كلام فيه شيء من الحق بدون ريب لأن الرجال في الحقيقة بحسب مكانهم الطبيعي من النساء تقع على كواهلهم مسئولية الحالة السيئة التي تردت اليها أخلاق البلد من جراء عبث النساء وأيضاً في هذا التبرج اللعين من غير حسيب ولا رقيب. ولكن مادامت الآية قد انعكست وأفلت زمامهن من أيدي الرجال بل صار زمام الرجال في أيديهن فيجب أن تفرض العقوبة على النساء مباشرة لعل الرجال بعد ذلك يستحيون أو يَحْيَوْن فتعود لهم القوامة عليهن، والذي يحيي الموتى قادر على أن يبعثهم خلقاً جديدا.

واني أختم هذه الصورة بقصيدة سبق أن قلتها في (التبرج) من سنين خلت ولكن أبياتها تكاد تكون مفصلة على حالة النساء في تبرجهن اليوم. والرواية واحدة وإن اختلف الممثلون.

أرقتُ والهمُّ حليف السهادْ	تنازعا الليلةَ مني الفؤادْ
وفي الحشى جمر أسى كامن	يذكيه ماصارت اليه البلاد
قوموا انظروا كيف تمشي بها	تهتك يبكي عيون الجماد
فليمشِ في أنحائها خطوة	من شاء أن يعرف معنى الفساد
هذي فتاة حسنها رائع	قد أبرزته فتنة للعباد
قد ارتدتْ ثوباً تعرت به	يشف عن أعضائها أو يكاد!
تمشي فتهتز بكيفية	تجعل أعضا جسمها في ارتعاد
وترسل الطرف لها رائدا	يصيد بالألحاظ من لا يصاد
هيهات أن ينجو من فخه	كيف وقد أخفته بين السواد!
والشفتان ارتدتا ( )رمزا	يشتدّ في الفتنة أي اشتداد
والخد ورداً زاهياً لونه	له المساحيق شبيه السماد
ألغيتُ عقلي وجهلت الهدى	إن لم يكن في النفس شيء يراد!

من منكم بالله زوجاً لها ... نبلغه إشهارها فى المزاد ؟!
فى معرض الحسن غدت زوجة ... بذكرها فى كل ناد يشاد
أحسنت الرقص فلم تنصرف ... إلا وقلب الخدن وارى الزناد
إن لم يكن زوج فهل من أب ... أو من أخ أو من محرم ذى رشاد
إذا رآها خرجت مرة ... فانتقدت ، آلمه الانتقاد
هل ماتت النخوة من بينكم ... فقل كل قد لزمت الحياد ؟
كرامة أودت ودين قضى ... وأنتم فى سكرات الرقاد
أهكذا التفريط فى عرضكم ... يجرحه الفسق وما من ضماد
ياقوم خافوا الله فى حالة ... مابلغتها سالف الدهر عاد
أدخلنا الله جزاء لها ... جهنم الذل وبئس المهاد
يطلب أهل النصح توقيفها ... لكنها سائرة باطراد
وطالما آذاهم حزبها ... بفاحش القول وبالاضطهاد
ما أحوج الناس إلى شرعة ... يظاهر الحجاج فيها زياد
أو يبعث الله أباً مسلما ... يعلن فى الحال علينا الجهاد
فالأمر بالمعروف إن لم يكن ... له على السيف الجراز اعتماد
فما له من قدرة مطلقا ... تنفع فى تقويم أهل العناد

❊

ياواعظ القوم بغير العصا ... دون الذى ترجوه خرط القتاد
سودت كتباً ثم وجهتها ... إلى قلوب كسواد المداد
ان تنثر الدر عظات لهم ... من سمطه فهو حديث معاد
سلهم اذا كنت لهم راجياً ... من ذا الذى أرخى لهن القياد
فأينما سرت ترى نسوة ... منتشرات كانتشار الجراد
يجلن فى الأسواق لا غاية ... يقصدن أو شيئاً به يستفاد

غزوات

ولست أعنى تلك التى قام بها رسول الله ﷺ جهاداً فى سبيله ، وابتغاء مرضاته ، وحرصاً على إعلاء كلمته ، وانتصاراً لدينه ، وتيسيراً لسبيله التى كان الكافرون يصدون عنها ويبغونها عوجا . ولا تلك التى قام بها الخلفاء الراشدون من بعده رغبة فى اتصال دعوة الحق ، وذياداً عن حياض الاسلام وحماية لحوزته . ولا تلك التى قام بها ملوك بنى أمية وبنى العباس والغزاة من بنى عثمان لينشروا الاسلام فى أطراف الأرض ، وليكثروا سواد معتنقيه ، وليظهروا للعالم كله أن الاسلام عزيز جانبه ، منيع حماه ، لا ينبغى أن يطمع فى بلاده الطامعون ، ولا أن يعتدى على حياضه المعتدون.

لست أعنى هذه الغزوات ، فقد سجلها التاريخ فى صفحاته المشرقة ، وقرأها محبو الاطلاع من المسلمين وغير المسلمين ، وأحاط بها علما من يحب أن يلم بتاريخ هذا الشرق المجيد ، ويقف على عظمة هذا الدين الحنيف . ولعلك قرأتها مراراً وأحطت بها خبراً ، ولم تعد فى حاجة الى من يحدثك عنها أو ينبئك من أخبارها .

إنما أريد أن أحدثك عن لون آخر من الغزوات ، ينهض به خلفاء غير أولئك الخلفاء تجمع بينهم وبينهم الأسماء ، وتفرق بينهم وبينهم العقائد والأخلاق والأعمال ، ودخائل القلوب وسجايا النفوس .

والبنت كالأم وأخلاقها ... أخلاقها فى سرعة واتئاد
ياقوم أهملتم فأسرفتم ... عودوا إلى تجربة الاقتصاد
للزيغ سوق نافق بينكم ... لكنما سوق الهدى فى كساد
لو ناقش الجبار تفريطكم ... فما هى الحجة يوم التناد
أليس هذا كله كافيا ... ليلبس المؤمن ثوب الحداد

محمد صادق عرنوس

غزوات لايجرد فيها سيف ولا يشرع رمح ، ولا تنثل كنانة ولا يفوق نصل ، ولا توتر قوس ولا يرمى بسهم ، ولا تلبس لأمة ولا تتخذ درع ، ولا تصطنع خوذة ولا يحمل مجن .

غزوات تجمع فيها الرجال وتشد الرحال ، لا لكر ولا لفر ، ولا لقتال ولا لصيال ولا لكفاح ولا لنزال .

غزوات تمد فيها الأسنان مكان السنان ، والأنياب بدل القرضاب ، والضروس بدل التروس .

غزوات تراق فيها الدماء وتمزق الأشلاء ، لا دماء الكافرين ولا أشلاء المارقين ، ولكن دماء الخراف المساكين ، وأشلاء كل ذبح سمين .

غزوات جعل لها قوادها من العام وقتاً معلوما لايستقدمون عنه ولا يستأخرون . كأنه يوم عرفات . إن لم يدرك بطل الحج وفات ، فى أواخر أبيب وأوائل مسرى اذا طابت الثمار ، ودرت الأبقار ، ونضج القمح والفول وسمنت الكباش والعجول . هنالك تشن الغارات وتتدفق الغزوات .

غزوات تفتقر إلى لون من الشجاعة غير الذى عرفه الناس يتمثل فى بلادة الحس وسماجة النفس ، وصفاقة الوجه وإعواز الشعور ، ونضوب الحياء . والقدرة على الختل والخداع والتمويه والتضليل . فاذا اجتمعت هذه الخلال وأمثالها لشخص كتب له الفوز فى هذه الغارات ، والنصر فى هذه الغزوات . والرجوع من هذه الملاحم بالأسلاب والمغانم .

غزوات أسلحتها السبح والمساويك ، وإطراق الطرف ، وارضاء الكف .

ولعلك اشتقت الى الوقوف على حقيقة هذه الغزوات . والاحاطة برجالها وأبطالها وفرسانها والأنجاد المغاوير وقوادها الصناديد المشاهير . فأعلمك .. علمت الخير — ان هذه الغزوات هى التى ينهض بها الأشياخ الطرقيون أصحاب الطريقة والحقيقة . والأسرار والأسنار والشطحات والمكاشفات . والقبضة والسلوك والجيش المفارك .

والدخول والوصول والأسماء السبعة والدرجات السبع . والفرق والجمع . والفرق الثانى والكشف الشيطانى . والخرقة والعمامة والعكاز والعلامة ، ووحدة الوجود والفناء والشهود ، وسقوط التكليف والمقام المنيف . إلى سائر الأسماء التى سموها هم وآباؤهم وما أنزل الله بها من سلطان .

جماعة من الكسالى العاطلين ، لاتزاول شغلا ولا تأتى عملا ولا تحترف صناعة ولا زراعة ، أقسمت لتأكلن أموال النـاس بالباطل ولتصدن عن سبيل الله • وفى سبيل البر بهذا القسم جعلت دأبها أن تسقط على الأفراد سقوط الجراد ، وأن تهجم على القرى والكفور ، كما تهجم على الحمائم النسور • وأن تتصل بما فيها من الخير والنعيم اتصال النار بالهشيم ؛ فلا تغادر القرية من القرى إلا بعد أن تعتصر بلحها ، وتحتلب درتها ، وتترك أهلها بين محروب ومنكوب ، ومسلوب ومنهوب ، ومثقل بآصار الدين ؛ ومنقصم الظهر دامع العـين • ولا يدعون بيت أرملة ولا يتيم حتى يجعلوه أعرى من سراة الأديم ، ويفرضون ثمن البركة وضريبة الزيارة دجاجة فما فوقها

« * »

لو أن هؤلاء على شىء من التقوى لرحموا الناس فى هذه الأزمة الطاحنة ، وفى هذا الغلاء الذى أخذ بالأكظام وجعل الناس لايحصلون على مايمسك الذماء إلا بشق الأنفس . وفى الحق انه ماطوع لهم ذلك إلا جهل الأمة وغفـلة الشعب ، والتباس الحق بالباطل فى مجارى أمورهم . والعهد بالثعالب أنها لاتقتنص الدجاج إلا فى الليالى المظلمة . فلو استنار الشعب ماوجدت هذه الطفيليات إلى أموالهم سبيلا . والعهد بالقاصر أن يتولى شأنه ولى يحوطه ويذود عنـه ؛ فلم لايكون أولو الأمر قواماً على الغافلين من هذه الأمة ؟ ولم لايصدرون قانونا يحرم هـذه الغزوات ، ويقضى على هذه الطفيليات ؟

لئن عجبنا لهؤلاء العاطلين الذين يحتالون على كسب القوت بأمثال هـذه الترهات ، إن عجبنا لأشـد هؤلاء المستخدمين الذين ضمنت لهم الدولة أرزاقهم

التبان (البنطلون القصير)

« التبان » بضم التاء المثناة : هو السراويل القصير الذي يستر العورة الغليظة فقط ، وقد قضت ظروف الأيام الحاضرة أن يلبس كثير من الرجال هـذا التبان على شواطىء المصيفات ، ففكر بعضهم أن يتخذ لباساً عاما بدل البنطلون الطويل الذي يصل الى أسفل من الكعبين . فرأى بعض آخر أن ذلك نقص في حق الرجال . لأن المعروف في العادة أن هذا البنطلون القصير انما يلبسه الأطفال دون سن العاشرة حين يذهبون الى المدارس ، فلا يليق أن يتشبه الرجال الكبار بأولئـك الأطفال الصغار . وهـذا رأى غير مصيب ودليله غير وجيه . فان دعوى النقص والعيب منقوضة بأن النساء قد قصرت ثيابهن الى فوق الركبة ، وبدت عوراتهن الفاحشة . ولو أن البيئة لاتراعى تلك الاعتبارات في النقص والعيب لكان النساء أولى أن يطلن ثيابهن . لأن ذلك أحفظ لهن وأصون لعفافهن وأبعد لهن عن الريبة

وهم لايقنعون بما آتاهم الله من فضله ، ويأبون إلا أن يأخذوا إخذ هؤلاء ويسلكوا سبيلهم . واذا كانت الحكومة تحرم على مستخدميها الاشتغال بالتجارة وكسبها حلال طلق . فكيف لاتحرم عليهم هـذا الدجل وهو بسل حرام . وكيف اذا كانوا من العلماء الذين أقامتهم للتعليم والارشاد والهداية الى الصراط المستقيم .

قد يكون نزولهم بالقرى محتملا بعض الشيء لأن أهلها من الزراع الذين قد يجدون في بيوتهم مايطعمون هؤلاء الجياع . وأما المدن التي لايعرف فيها الطعام إلا بقدر ، فنزولهم بها حرج ليس وراءه حرج ، وضيق ليس بعـده ضيق ، ولقد يضطر مضيفوهم الى الحصول على طعامهم بوسائل يحرمها القانون .

هذا بلاغ للناس ولينذروا به . وليعلموا أنما هو إلـه واحد وليتذكر أولو الألباب

أبو الوفا محمد درويش

وطمع الذى فى قلبه مرض : ولأن ذلك هو الكمال الحقيقى لمن والأحرى بالحياء والخفر اللائق بهن ، فان جمال المرأة فى خفرها وحيائها وتصونها ؛ لا فى تبذلها وعرضها لجسمها على أعين المارة الذين أغلبهم مرضى النفوس والقلوب . ومن العجيب جداً فى عقلية البيئة المصرية : أن ترى قصر ثياب الذكور وضيقها حتى ولو كانوا صغاراً ـ عيبا ؛ وترى ذلك فى حكم الواجب المحتم للاناث ، فترى ثياب الرجل واسعة طويلة، واذا قصرها الخائط أو ضيقها عيب عليه وأنب ، وحرم من أجره . وربما ألزم بغيرها . وعكس ذلك تماما ثياب الاناث . وهذا يدل على انتكاس العقول لدرجة أن أصبح الحق فى نظرها باطلا ، والباطل حقا . والصلاح فسادا والفساد صلاحا . والخير شراً والشر خيرا . فهى بحاجة شديدة الى تربية جديدة وانشاء جديد فى البيت والشارع والمدرسة ، وكل ناحية من النواحى ، ويكون ذلك بجملة من كل الطوائف وعلى رأسها حكومة مخلصة صادقة فى قصدها الى تطهير عقلية الأمة من هذا المرض القتال ؛ والعمل على إعادتها الى سلامة التفكير والنظر : لترى الأشياء على حقائقها . ولعل البشرى بذلك قريبة ان شاء الله . فقد قامت جماعة محترمة من الرجال تدعو إلى تعديل الثياب ، باطالة ثياب النساء وتقصير ثياب الرجال . نرجو لها التوفيق والنجاح فى عهد جلالة الملك فاروق الذى رأى الناس أنه يحرص على إحياء شعائر الاسلام ، واعزاز الدين فى كل مناسبة . زاد الله فى توفيقه وتسديده واصلاحه والاصلاح به .

وقد قام بعض الناس يعترض على البنطلون القصير ؛ ويرى أنه كاشف لعورة الرجل ـــ التى يقولون انها من السرة الى تحت الركبة ـــ ولقد كان الأولى بهؤلاء (أولا) أن يشنوا الغارة على قصر ثياب النساء ، فانها كشفت عن عورات لاشك فيها بالنص القرآنى والنبوى واجماع المسلمين . و (ثانيا) أن يتريثوا ويبحثوا الموضوع على ضوء النصوص من الكتاب والسنة . فانهم واجدون أن دعوى أن عورة الرجل من السرة الى الركبة ليس بنص من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ

وانما هي أقوال للفقهاء باجتهادهم . أما النصوص فتدل على أن لبس هـذا اللباس القصير لا بأس به ولا كراهة فيـه ، ولا هو من التشبه المذموم شرعا . وأن الصلاة فيه صحيحة لا شيء فيها .

فقد روى البخاري عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ جلس وحوله أبو بكر وعمر ، وقد دلى رجليه في البئر وكشف عن ركبتيه . وعن أبي الدرداء قال « كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخـذاً بطرف ثوبه حتى أبدى ركبتيه . فقال النبي ﷺ : أما صاحبكم فقـد غامر — الحديث » وروى البخاري أيضاً عن أبي هريرة قال « قام رجل الى النبي ﷺ فسأله عن الصلاة في الثوب الواحـد . فقال : أو كلكم يجـد ثوبين . ثم سأل رجل عمر . فقال : إذا وسع الله فأوسعوا . جمع رجل عليه ثيابه ؛ صلى رجل في ازار ورداء ، في ازار وقميص ، في ازار وقبـاء ، في سراويل وقميص ، في سراويل وقباء ؛ في تُبان وقباء ، في تبان وقميص . قال : وأحسبه قال : في تبان ورداء »

هذا ولم يجيء عن النبي ﷺ في تحديد العورة : بأنها من السرة الى الركبـة أحاديث صحيحة يعتمد عليها في هذا التحديد ، والأحاديث الواردة في هذا الباب ليس فيها هذا التحديد ، مع أنها كلها ضعيفة . فقد روى أحمد والبخاري في التاريخ — لا في الصحيح — عن محمـد بن جحش قال « مرّ رسول الله ﷺ على معمر بن عبدالله بن نضلة ، وفخذاه مكشوفتان . فقال : يامعمر ؛ غط فخذيك فان فخذيك عورة » وهو من رواية أبي كثير مولى محمد بن جحش ؛ ولم يعد له أثر . وروى أحمد والترمذي عن ابن عباس أن النبي ﷺ « مر على رجل ، وفخذه خارجة . فقال : غط فخذك فان فخذ الرجل عورته » وفي اسناده ابو يحيى القتـات وهو ضعيف . وروى مالك في الموطأ وأحمد وأبو داود والترمذي عن جرهد الأسلمي قال : « مرّ رسول الله ﷺ وعليّ بردة وقد انكشف فخذي (١) . فقال : غط فخذك فان الفخذ عورة » وقد ضعفه البخاري في تاريخه للاضطراب في إسناده .

فهي على ضعفها لا تصلح أن تكون حداً فاصلا عند النزاع ، لأن من المحتمل أن يكون النبي ﷺ رأى من الذي كشف فخذه أصل الفخذ الذي يلي الفرج ، وهو بلا شك مستقبح كشفه وابداؤه بمرأى من الناس . وانما قلنا ذلك لأن النبي ﷺ - الذي هو أتقى الناس وأعلمهم بالله وأخشاهم لله وأشدهم حياء - قد ثبت عنه بالرواية الصحيحة أنه كشف عن فخذه بحضور الناس كما تقدم في حديث أبي موسى الأشعري ؛ وكما روى البخاري ومسلم عن أنس قال « كنت رديف أبي طلحة يوم خيبر فأجرى النبي ﷺ في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ رسول الله . ثم حسر الازار عن فخذه حتى أني لأنظر الى بياض فخذ رسول الله ﷺ »

وروى احمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ « كان جالساً كاشفا عن فخذه . فاستأذن أبو بكر . فأذن له وهو على حاله . ثم استأذن عمر . فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان ، فأرخى عليه ثيابه . فلما قاموا قلت : يارسول الله استأذن أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك . فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك . فقال ياعائشة : ، ألا أستحيي من من رجل ، والله ان الملائكة لتستحيي منه » ورواه مسلم وفيه « كاشفا عن فخذيه أو ساقيه »

لا يقال: عن حديث أنس - : أن النبي ﷺ كان في حالة حرب وكر وفر فأهمل تغطية فخذه لذلك أو غلبه . لأن النبي ﷺ تمادى على ذلك وأبقاه ولم يبادر إلى تغطيته . والنبي ﷺ لا يتمادى على ترك واجب أو فعل محرم ، خصوصاً ورواية البخاري مصرحة بأن النبي ﷺ هو الذي حسر ازاره عن فخذه ، وأن أنساً رأى بياض فخذه ومعه ابو طلحة .

ولا يقال عن حديث عائشة - : ان الراوي شك في المكشوف هل هو الفخذ او الساق ، لأنا نعلم بالضرورة ان النبي ﷺ لم يكن وقومه يلبسون السراويل التي من شأنها أنها تغطي الساقين . وانما كان يلبس الازار الذي يلف الحقوين . وقد كان أحيانا يمشي به وحده ، وأحيانا يلبس عليه الرداء أو القميص ، أو القباء ، أو ماتيسر من عباءة ونحوها . ولم يكن من عادتهم أن يتعهدوا الساقين بالستر ويستحيوا من كشفهما . فعلم أن المراد بما في

حديث عائشة : هو الفخذان بلا شك. ويدل على ذلك أيضاً أن فى رواية لمسلم «ان عثمان رجل حيي، وانى خشيت أن لا يبلغ حاجته وأنا على تلك الحال»

والخلاصة: أن العورة السوأتان وما جاورهما من الفخذين ومن اصل الظهر والأليتين وأن ماسوى ذلك فليس بعورة . والتحليل والتحريم انما يعتمد الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة أو اجماع المسلمين الذى علم اصله من الكتاب والسنة .

وقد روى البخارى عن ابى سعيد الخدرى قال «نهى رسول الله ﷺ ان يحتبى الرجل فى الثوب الواحد، ليس على فرجه منه شيء» فعلم من هذا ان العورة التى يجب سترها: هى الفرجان وما اتصل بهما . وبهذا يجمع بين الروايات وبين ما يلائم الفطرة السليمة وتدل عليه الأحاديث الضعيفة . وهو الذى يسع الناس من حيث التشريع وطبيعة المجتمع : والدين يسر :

وقد سئل النبى ﷺ : هل يصلى الرجل فى الثوب الواحد ؟ فقال على سبيل الانكار « أو لكلكم ثوبان؟ » وقال لجابر اذا كان الثوب واسعا فالتحف به. واذا كان ضيقا فأتزر به» وقال «لا يصلين احدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء» وقال سهل ابن سعد «كان الرجال يصلون مع النبى ﷺ عاقدى أزرهم على اعناقهم كهيئة الصبيان. ويقال للنساء : لا ترفعن رءوسكن حتى يستوى الرجال جلوسا» وقال محمد بن المنكدر : «دخلت على جابر وهو يصلى فى ازار عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب . فقال له قائل: تصلى فى ازار واحد؟ فقال : انما صنعت ذلك ليرانى احمق مثلك، وانما كان له ثوبان على عهد النبى ﷺ » رواه البخارى ومسلم فى الصحيح .

فبذلك يعلم أن ما اشترطه الفقهاء المتأخرون وزادوه بقياس رأيهم واستحسانهم من غير ذلك باطل كله وإن كان ألف شرط ، وان دعواهم ان كشف الرأس فى الصلاة مناف للادب أو الخشوع فهو جهل واتباع للهوى وتضييق لما وسعه الله وتنطع فى الدين يكرهه الله ورسوله . واشد من ذلك تنطعا ، الذين يدعون ان العمامة من الدين وان الصلاة بها افضل ، ثم يفترون الكذب على رسول الله فيقولون «ركعتان بعمامة خير

من سبعين ركعة بلا عمامة» فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكذبون . إنهم والله إنما يتبعون الهوى والسنة منهم بريئة فى ذلك . وأقوى وأوضح مايدل على أن دينهم الهوى: أنهم يكرهون الصلاة فى النعلين أشد الكراهية . بل يجعلون المصلى بهما خارجا عن الدين ، ويضعون بأهوائهم وبغضهم لسنة رسول الله ﷺ القيود لتطهير النعلين واشتراط أن يكون ذلك بالحجاز فقط، جهلا منهم بالدين الذى جاء به رسول الله ﷺ للناس كافة ، وأن أرض الحجاز فيها السبخة والطين كغيرها من كل الأرض التى خلقها الله . ولكن هو الجهل والحمق والهوى ، والعصبية الجاهلية تعمى وتصم عن الحق الذى جاءت به الأحاديث الصحيحة وأجمع عليه الأمة سلفا وخلفا — إلا أولئك المتنطعون الجاهلون طبعاً — من أن النعل اذا تلوثت بالنجاسة كانت طهارتها بالدلك بالأرض ، كما روى ابوداود وغيره أن النبى ﷺ قال «اذا جاء أحدكم الى المسجد فليقلب نعليه ولينظر ، فان وجد بهما أذى فليدلكهما فى الأرض — أو فى التراب — ثم ليصل فيهما» لكن أولئك الحمقى لا يرضون هذه السنة التى أمر بها رسول الله لأجل مخالفة اليهود الذين لا يصلون فى نعالهم وخفافهم ويطعنون بها فى نحرها ويردونها أشنع رد : بأن ذلك خاص بأرض الحجاز الرملية . إنا لله وإنا اليه راجعون . ثم يحملهم تعصبهم وحمقهم وتنطعهم على أن يروجوا لرأيهم وهواهم بالكذب على رسول الله (ص) فى أفضلية الصلاة بالعمامة ولا بد أن تكون ذات ذنب . بل ويكادون يشترطونها ، لانهم يحرمون الصلاة وراء إمام لا ذنب لعمامته . وترى احدهم ينظر اليه فى غضب واحتقار ، لا ينظره الى مرتكب منكر معلوم من الدين بالضرورة ، بل يحملهم شيطان الجهل والهوى على أن يترك الجماعة ويصلى وحده منفردا ، أو يقيم جماعة هو وواحد آخر قد فهم جهله وشيطانه أن المنديل الذى لفه على رأسه أصبح به معمما . لا حول ولا قوة إلا بالله .

كم يلاقى الدين من أولئك المتنطعين المتغالين ، وكم وقع من الخصومة والنزاع بسبب هذه الأهواء الجاهلية .

عبد العزيز بن راشد

رفع عيسى بن مريم عليه السلام

السنة الصحيحة الصريحة أثبتته

أولا — إن السنة النبوية الصحيحة هي الحديث الذي يرويه عن رسول الله ﷺ صحابي زائل عنه اسم الجهالة، وذلك بأن يروى عنه تابعيان عدلان ثم يتداوله أهل الحديث الثقات العدول الضابطون المعتبرون عند من يعتد به من علماء الأمة ونقدتها الى أن يبلغ الى من يريد العمل به ، إما بطريق الرواية المسلسلة بأولئك العدول الضابطين الثقات ، أو من كتاب معتبر عند علماء الأمة المعتد باجماعهم وقولهم ، مثل صحيح البخاري ومسلم ، وأمثالهما مما تلقته الأمة بالقبول وأجمعت على اعتماده ، واعتداده من كتب الحديث المعتبرة عند أهله الذين عنوا بفن الحديث وتدوينه وضبطه وحفظه وصيانته. وهذه السنة الثابتة على هذه الصورة واجب اعتبار العلم الذي تفيده والعمل بمقتضاه .

قال الامام ابن حزم في كتاب الأحكام (١٩ ص١٠٧)

فان سألنا سائل ، فقال : ماحد الخبر الذي يوجب الضرورة ؟

فالجواب ـ وبالله التوفيق ـ أننا نقول : ان الواحد من غير الأنبياء المعصومين بالبراهين قد يجوز عليه تعمد الكذب ، يعلم ذلك بضرورة الحس . وقد يجوز على جماعة كثيرة أن يتواطئوا على كذبة اذا اجتمعوا ورغبوا أو رهبوا ؛ ولكن ذلك لايخفى من قبلهم ، بل يعلم اتفاقهم على ذلك الكذب بخبرهم اذا تفرقوا ، لابد من ذلك ، ولكننا نقول: اذا جاء اثنان فأكثر من ذلك ـ وقد تيقنا أنهما لم يلتقيا ولم يدسسا ولا كانت لهما رغبة فيما أخبرا به ، ولا رهبة منه ولم يعلم أحدهما بالآخر ـ فحدث كل واحد منهما مفترقا عن صاحبه بحديث طويل لايمكن أن يتفق خاطر اثنين على توليد مثله . وذكر كل واحد منهما مشاهدة أو لقاء لجماعة شاهدت أو

أخبرت عن مثلها بأنها شاهدت ، فهو خبر صادق يضطر بلا شك من سمعه إلى تصديقه ويقطع على غيبه . وهذا الذي قلنا يعلمه حساً من تدبره ورعاه فيما يرده كل يوم من أخبار زمانه من موت أوولادة أو نكاح أو عزل أو ولاية أو واقعة ، وغير ذلك . وانما خفي ماذكرنا على من خفي عليه لقلة مراعاته ماير به . ولو انك تكلف انسانا واحداً اختراع حديث طويل كاذب لقدر عليه - يعلم ذلك بالضرورة المشاهدة - فلو أدخلت اثنين في بيتين لايلتقيان وكلفت كل واحد منهما توليد حديث كاذب لما جاز بوجه من الوجوه أن يتفقا فيه من أوله الى آخره . هذا مالا سبيل اليه بوجه من الوجوه أصلا - وقد يقع في الندرة التي لم نكد نشاهدها ، اتفاق الخواطر على الكلمات اليسيرة والكلمتين . والذي شاهدنا اتفاق شاعرين في نصف بيت . وأما الذي ، لا أشك فيه وهو ممتنع في العقل فاتفاقهما في قصيدة ، بل في بيتين فصاعدا ، والشعر نوع من أنواع الكلام ، ولكل كلام تأليف ما إلى أن قال :

والقسم الثاني من الأخبار : مانقله الواحد عن الواحد . فهذا اذا اتصل برواية العدول الى رسول الله (ص) ، وجب العمل به . ووجب العلم بصحته ايضاً ، وبين هذا وبين شهادة العدول فرق نذكره ان شاء الله تعالى . وهو قول الحارث المحاسبي والحسين بن علي الكرابيسي ، وقد قال به ابو سليمان ، وذكره ابن خويزمندار عن مالك بن أنس ، والبرهان على صحة وجوب قبوله قول الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) . فأوجب الله تعالى على كل فرقة قبول نذارة النافر منها : بأمره النافر بالتفقه وبالنذارة . ومن أمره تعالى بالتفقه في الدين وانذار قومه فقد انطوى في هذا الأمر ايجاب قبول نذارته على من أمره بانذارهم ، والطائفة في لغة العرب التي بها خوطبنا تقع على الواحد فصاعدا ، وطائفة من الشيء (١) بمعنى بعضه ، هذا مالا خلاف بين أهل اللغة فيه - الى أن قال - :

وبرهان آخر : وهو أن رسول الله (ص) بعث رسولا رسولا الى كل ملك من

ملوك الأرض المجاورين لبلاد العرب ، وقد اعترض بعض من يخالفنا في ذلك بأن قال : ان الرفاق والتجار وردوا بأمر النبي ﷺ فلم يقتصر بذلك على الرسول وحده .

قال أبو محمد : وهذا شغب وتمويه لا يجوز إلا على ضعيف . ونحن لا نشك أن النبي (ص) لم يقتصر بالرسل المذكورين على الاخبار بظهوره ومعجزاته المنقولة بخبر الرفاق والسفار، بل أمرهم بتعليم من أسلم شرائع الاسلام ومسائل العبادات والأحكام . وليس شيء من ذلك منقولا على ألسنة السفار والرفاق، وبعثة هؤلاء الرسل مشهورة بلا خلاف، منقولة نقل الكواف . فقد ألزم النبي (ص) كل ملك ورعيته قبول ما أخبرهم به الرسول الموجه نحوهم من شرائع دينهم . وكذلك بعث رسول الله (ص) معاذاً إلى الجَنْد - موضع باليمن - وجهات من اليمن، وأبا موسى الى جهة أخرى، وهي زبيد وغيرها، وأبا بكر على الموسم مقيما للناس حجهم، وأبا عبيدة الى نجران وعلياً قاضياً إلى اليمن. وكل من هؤلاء مضى إلى جهة ما معلماً لهم شرائع الاسلام . وكذلك بعث أميراً إلى كل جهة أسلمت، بعدت منه أو قربت، كأقصى اليمن والبحرين، وسائر الجهات والأحياء والقبائل التي أسلمت، بعث الى كل طائفة رجلا معلماً لهم دينهم، ومعلما لهم القرآن، ومفتياً لهم في أحكام دينهم، وقاضياً فيما وقع بينهم، وناقلا اليهم ما يلزمهم عن الله تعالى ورسوله (ص) وهم مأمورون بقبول ما يخبرونهم به عن نبيهم، وبعثة هؤلاء المذكورين مشهورة بنقل التواتر من كافر ومؤمن، ولا يشك فيها أحد من العلماء ولا من المسلمين، ولا في أن بعثهم انما كانت لما ذكرناه، ومن المحال الباطل الممتنع أن يبعث اليهم رسول الله (ص) من لا تقوم عليهم الحجة بتبليغه، ومن لا يلزمهم قبول ما علمهم من القرآن وأحكام الدين وما أفتوهم به في الشريعة ومن لا يجب عليهم الانقياد لما اخبروهم به من كل ذلك عن رسول الله (ص) إذ لو كان ذلك كذلك لكانت بعثته لهم فضولا، ولكان (ص) قائلا للمسلمين : بعثت اليكم من لا يجب عليكم أن تقبلوا منه ما بلغكم عني ومن حكمكم : ان لا تلتفتوا إلى ما نقل اليكم عني وأن لا تسمعوا منهم ما اخبروكم به عني ومن قال بهذا فقد فارق الاسلام .

وكذلك من نشأ في قرية أو مدينة ليس فيها إلا مقرئ واحد أو محدث واحد أو مفت

واحد، فنقول لمن خالفنا: ماذا تقولون؟ أيلزم اذا قرأ القرآن على ذلك المقرىء أن يؤمن بما قرأه، وان يصدق بأنه كلام الله، ويثبت على ذلك، أم عليه ان يشك ولا يصدق بأنه كلام الله؟ فان قالوا. يلزمه الاقرار بأنه كلام الله، قلنا: صدقتم؛ فأى فرق بين نقلهم للقرآن وبين نقلهم لسائر السنن؟ وكلاهما من عند الله، وكلاهما فرض قبوله، وان قالوا: عليه ان يشك فيه حتى يلقى الكواف، أتوا بعظيمة فى الدين؛ ونسألهم حينئذ فيمن لقى اثنين او ثلاثة أو اربعة؟ فلابد لهم من حد يقفون عنده من العدد؛ فيكون قولهم سخريا وباطلا، ودعوى بلا برهان، أو يحيلوا على معدوم فيما لا يصح على قولهم قبول القرآن والدين إلا به، وفى هذا إبطال للدين والقرآن جملة، والمنع من اعتقادهما، ونعوذ بالله من ذلك؛ وهكذا القول في وجوب طاعة من اخذ عن أولئك الرسل قرآنا أو سنة، وبلغ ذلك الى غيره، ولانها بلاد واسعة لاسبيل لكل واحد من أولئك الرسل الى لقاء جميعهم من رجل او امرأة، ولكن يبلغ ويبلغ من بلغه هو وهكذا ابدا، لئلا يقول جاهل: هذا خصوصى لأولئك الرسل - الى ان قال - :

فصح بهذا كله ان كل مانقله الثقة عن الثقة مبلغا الى رسول الله ﷺ من قرآن او سنة ففرض قبوله والاقرار به، والتصديق به واعتقاده والتدين به - إلى ان قال -:

وبرهان آخر: وهو انه قد صح يقينا وعلم ضرورة: ان جميع الصحابة: اولهم عن آخرهم - قد اتفقوا دون خلاف من أحد منهم ولا من احد من التابعين الذين كانوا فى عصرهم - على أن كل احد منهم كانت اذا نزلت به النازلة سأل الصاحب عنها، واخذ بقوله فيها. وانما كانوا يسألونه عما أوجبه النبى (ص) عن الله تعالى فى الدين فى هذه القصة. ولم يسأل قط احد منهم إحداث شرع فى الدين لم يأذن الله تعالى به. وهكذا كل من بعدهم جيلا فجيلا لانحاشى أحداً. ولاخلاف بين مؤمن ولا كافر قطعا - فى أن كل صاحب وكل تابع سأله مستفت عن نازلة فى الدين، فانه لم يقل له قط: لايجوز لك أن تعمل بما أخبرك به عن رسول الله (ص) حتى يخبرك بذلك الكواف، كما قالوا لهم فيما اخبروهم به: أنه رأى منهم فلم يلزموهم قبوله - إلى ان قال - :

فصح بهذا إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبى (ص). وأيضا فان جميع اهل الاسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبى (ص) حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من الهجرة، فخالفوا الاجماع فى ذلك. ولقد كان عمرو بن عبيد يتدين بما يروى عن الحسن البصرى ويفتى به. هذا أمر لا يجهله من له أقل علم.

وبرهان آخر: وهو أن كل عدد محصور فالتواطؤ جائز عليهم وممكن منهم. ولا خلاف بين كل ذى علم بشىء من اخبار الدنيا: مؤمنهم وكافرهم - أن النبى (ص) كان بالمدينة واصحابه مشاغيل فى المعاش وتعذر القوت عليهم لجهد العيش بالحجاز، وأنه (ص) كان يفتى بالفتيا ويحكم بالحكم بحضرة من حضره من اصحابه فقط، وان الحجة انما قامت على سائر من لم يحضره بنقل من حضره، وهم واحد واثنان، وفى الجملة عدد لا يمتنع من مثلهم التواطؤ عند خصومنا، فان جميع الشرائع - إلا الأقل منها - راجعة الى هذه الصفة من النقل. وقد صح الاجماع من الصدر الأول كلهم وممن بعدهم على قبول خبر الواحد ولأنها راجعة اليه والى ما كان فى معناه. وهذا برهان ضرورى، وبالله التوفيق.

وبالضرورة نعلم ان النبى (ص) لم يكن اذا أفتى بالفتيا او إذا حكم بالحكم يجمع لذلك جميع من بالمدينة، هذا مالا شك فيه، لكنه (ص) كان يقتصر على من بحضرته، ويرى ان الحجة بمن يحضره قائمة على من غاب، هذا مالا يقدر على دفعه ذو حس سليم، وبالله التوفيق — إلى ان قال —:

وقال بعض الحنفية: ما كان من الأخبار زائداً على ما فى القرآن، أو ناسخا له او مخالفا له: لم يجز اخذه بخبر الواحد حتى يأتى به التواتر

قال ابو محمد: وهذا تقسيم باطل ودعوى كاذبة وحكم بلا برهان، ونقول لهم: أيجوز الأخذ بشىء من اخبار الآحاد فى شىء من الشريعة أم لا؟ فان قالوا: لا، كلمناهم بما قد فرغنا منه آنفا، وكانوا خارجين عن مذهبهم ايضاً، وان قالوا: نعم- وهو قولهم- قلنا لهم: من اين جوزتم ان يخبر عن النبى (ص) به وان يشرع فى دين الله به شريعة تضاف اليه فى الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك فى الموضع الذى اجزتم فيه، ثم

نمعهم من قبوله حيث هو بزعمكم زائد على ما فى القرآن أو ناسخ له، فلا سبيل الى فرق اصلا.

وأما قولهم : مخالف الأصول. فكلام فاسد فارغ من المعنى واقع على ما لا يعقل . لأن خبر الواحد الثقة السند أصل من أصول الدين، وليس سائر الأصول أولى بالقبول منه ولا يجوز أن تتنافى أصول الدين — إلى ان قال — :

وقد ثبت عن أبى حنيفة ومالك والشافعى واحمد وداود رضى الله عنهم وجوب القول بخبر الواحد . وهذا حجة على من قلد أحدهم فى وجوب القول بخبر الواحد ، وإذ خالفه من قلده من بعض من ذكرنا خطأ وتناقضا لا يعرى منه بشر، سوى رسول الله (ص) وبالله التوفيق

ومن البرهان فى قبول خبر الواحد : خبر الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال له رجل من أقصى المدينة (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج) فصدقه وخرج فاراً، وتصديقه المرأة فى قولها (إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) فمضى معها وصدقها

« يتبع »　　　　　　　　　　　　　　　　محمد حامد الفقى

شوال سنة ١٣٦١ العددان ١٩ و ٢٠ السنة السادسة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقي

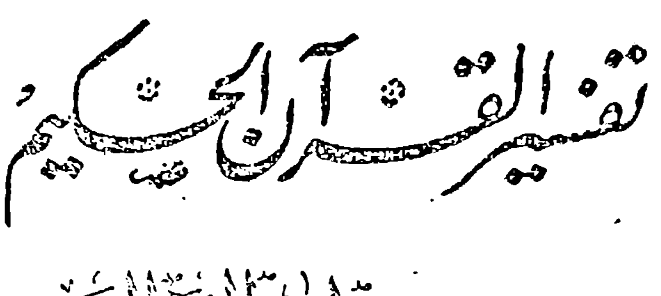
جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ١٥ قرشا داخل القطر المصري والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية



قول الله تعالى ذكره :

﴿ له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾

هـذا مثل ضربه الله تعالى للذين يدعون من دونه أولياءهم وصالحيهم الذين اتخذوهم آلهـة يدعونها ، ويخصونها بالخوف ، والرغبة ، والرجاء والرهبة ، ويجعلون لها مما رزقهم الله من الحرث والأنعام نصيباً باسم النذور كشبه الرشوة لها ، ثم يستمدون منها المدد ، ويستغيثون بها في تفريج الكروب ، ودفع الشدائد ؛ ويزعمون أنها تفعل ذلك بما أعطاهم الله مما يشاءون (لهم مايشاءون عند ربهم) بسبب مابلغوا من الكرامة عنده والقرب لديه بما نحلوهم من صفات الولاية التي اخترعوها من عند أنفسهم وبغير ما أذن الله .

يقول الله تعالى ذكره . ان الله الذي تلوتم فيما سبق من الآيات صفات عظمته وجلاله وقدرته ورحمته : هو الذي ينبغي دعاؤه والالتجاء اليه وحده في تفريج الكروب ودفع الشدائد . فان الدعاء مخ العبادة ، ولا يستحق جميع أنواع العبادة إلا الله الحق المبين . فمن دعا الله وحده ، فقد دعا دعوة الحق ؛ فدعوته مستجابة ومتقبلة عند الله الحق ؛ ويثيبه عليها في الدنيا استجابة لمطلوبه ، إن كان في ذلك خير للداعي ، أو أجراً ورحمـة في الآخرة ؛ ان علم سبحانه ان الخير في ادخار الثواب لعبده يوم الجزاء ، وإن دعاء الذين تدعونهم من الموتى من الصالحين وغيرهم هو الباطل ؛ أبطل

الباطل، لأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فضلا عن أن يملكوا لغيرهم ممن يدعونهم ويفزعون اليهم ويتخذونهم آلهة شيئاً من ذلك . فهم لا يستجيبون لهم بشيء مما يدعونهم ويسألونهم مهما ألحوا وألحفوا فى الدعاء والمسألة، ومهما عظم رجاؤهم فيهم، فذلك وهم وخيال، ومهما اشتد أملهم فيهم، فما لهم من ذلك إلا الخيبة والخسران . مثلهم فى ذلك مثل الذى يبسط كفيه مفرقا أصابعه الماء النازل من المطر، فكلما سقطت حبة سالت الى الأرض لأنه لم يقبض يديه لامساكها، فلن يبقى فى يديه شيء من ذلك يبلغ الى فيه ليروي ظمأه ويطفىء غلته . ولا يزال كذلك حتى يهلكه العطش ويقتله الظمأ بجهله وسفهه، وهو قادر على إمساك الماء، بما أعطاه الله من الكف والأصابع يقبضها بالكيفية المعهودة التى تجعل الكفين كالاناء يحبس الماء، ويمسكه فيتناوله بفيه ويروى ظمأه :

شبه الله سبحانه الذين غلب عليهم الجهل وعمى البصيرة واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . وشغل قلوبهم وألسنتهم بذكر أوليائهم ومعبوديهم من الموتى والصالحين، يدعونهم كلما قاموا وقعدوا، وكلما وقعوا فى شدة أو كرب، ويلتجئون الى قبورهم يطوفون بها ويتمسحون ويلتمسون البركة والخير والعافية من تلك الأحجار والأجداث والرجوم والأنصاب - شبههم الله فى خيبة آمالهم وعظيم خسرانهم، لأنهم عطلوا أسباب النفع التى أعطى الله الانسان من سمع وبصر وفؤاد، فكانوا كالأنعام بل أضل - بالجاهل السفيه الظامئ الذى أرسل الله اليه الماء ليروى ظمأه، وأمده باليدين جعلهما الله له بحيث يتخذ منهما إناء يملؤه من ذلك المطر ويرفعه الى فيه فيشرب ويروى ظمأه؛ لكن ذلك الجهل ضيع على نفسه الرى والحياة، وقتل نفسه بتفريطه وعدم انتفاعه بهذا الاناء الذى هو من أعظم رحمة الله . فالداعى لغير الله عطل ما أنعم الله عليه من العقل والسمع والبصر، فلم يميز بين الرب الحى القيوم القادر السميع العليم، الرحمن الرحيم، وبين المربوب المخلوق الميت العاجز الذى لا يدرى عن نفسه شيئا ولا يقدر لها على شيء، ويوم كان حياً كان الهوى والغرض

يصرفه ويلعب به ؛ والذى قتل نفسه بتفريطه فى استعمال يديه إناء ؛ عطل نعمة الله التى أنعم عليه بها ؛ وكلاهما خاسر أشد الخسران ، لأن الداعى لغير الله لن ينال من دعائه الميت خـــيراً ، ولن يستجيب له الميت شـيئا (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) .

﴿ وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ أى فى ضياع وتبار وهلاك سواء كان فى الدنيا ، قال تعالى (قل أرأيتكم إن آتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة ؛ أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ؟ بل إياه تدعون ، فيكشف ماتدعون اليـه ان شاء ، وتنسون ماتشركون) (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) (واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم ، وكان الانسان كفورا) (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئـك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ، أيهم أقرب ويرجون رحمتـه ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محظورا) (واتخذوا من دونه آلهـة ليكونوا لهم عزاً . كلا . سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ؟ بل هم عن ذكر ربهم معرضون . أم لهم آلهـة تمنعهم من دوننا لايستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) (يدعو من دون الله ما لا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) (ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ، ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب ، ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز) (أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإلـه مع الله ؟ قليلا ماتذكرون) (إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا ، فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً

وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون) (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم . هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون) (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ، لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) (ذلكم الله ربكم له الملك . والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم . ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) (أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغنى عنى شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون ؟ إنى اذن لفى ضلال مبين) (واتخذوا من دونه آلهة لعلهم ينصرون . لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى . ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار) (أليس الله بكاف عبده ؟ ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد . ومن يهد الله فما له من مضل . أليس الله بعزيز ذى انتقام . ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله . قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ، إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون ؛ أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون . واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة . واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) (ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم ، وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير . هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا . وما يتذكر إلا من ينيب . فادعوا الله مخلصين

له الدين ولو كره الكافرون) (قل أرأيتم ماتدعون من دون الله ، أروني ، ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك في السموات ؟ ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله مالا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ؟ واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة ؟ بل ضلوا عنهم . وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) (وقالوا : لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا) :

ودعاؤهم إياهم أيضا في ضلال وضياع في الآخرة ، فلن يجدوا لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا . وقد كانوا يزعمون أنهم شفعاؤهم الذين ضمنوا لهم الجنة والنجاة من النار لا لشيء إلا لأنهم كانوا محسوبين عليهم في الدنيا ومحبين لهم ، وعاكفين عند قبورهم ، ومقيمين لهم الموالد والأعياد ، ولا يفتر لسانهم عن ذكرهم ودعائهم ، وكانوا ينافحون عنهم ، وينصرونهم من كل من يدعو إلى الكفر بعبادتهم لاخلاص العبادة لله من دونهم ، ويجردون عليهم من ألسنتهم وأقلامهم وسلاحهم مااستطاعوا على نحو ماقال قوم ابراهيم (حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) فاذا حشروا يوم القيامة تقطع مابينهم وبينهم مما كانوا يزعمون من أسباب وضلوا عنهم بماشغلوا به من هول الموقف (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) قال الله تعالى (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب . إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب. وقال الذين اتبعوا : لو أن لنا كرّة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا . ويحذركم الله نفسه) (ويوم نحشرهم جميعا ، ثم نقول للذين أشركوا : أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ؟ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . انظر كيف كذبوا

على أنفسهم ؟ وضل عنهم ما كانوا يفترون) (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم . وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون) (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا : أين ما كنتم تدعون من دون الله ؟ قالوا : ضلوا عنا . وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال : ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار) (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا : مكانكم أنتم وشركاؤكم . فزيلنا بينهم، وقال شركاؤهم : ما كنتم إيانا تعبدون . فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين . هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق ، وضل عنهم ما كانوا يفترون) (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون) (وعرضوا على ربك صفا . لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ، بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا . ووضع الكتاب، فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون : ياويلتنا ، مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ماعملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا) ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) (ويوم يحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول : أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ قالوا سبحانك ، ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ، ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانواقوماً بورا ؛ فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا) (وبرزت الجحيم للغاوين ، وقيل لهم : أين ما كنتم تعبدون من دون الله ؟ هل ينصرونكم ، أو ينتصرون ؟ فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون . قالوا : وهم فيها يختصمون . تالله إن كنا لفى ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم) (ويوم يناديهم . فيقول : أين شركائى الذين كنتم

تزعمون ؟ قال الذين حق عليهم القول : ربنا هؤلاء الذين أغوينا ، أغويناهم كما غوينا ، تبرأنا اليك ، ما كانوا إيانا يعبدون . وقيل ادعوا شركاءكم ، فدعوهم فلم يستجيبوا لهم . ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) (وقال : انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا . ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا . ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون . ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ، وكانوا بشركائهم كافرين) (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة . أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ؛ بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون . فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا . ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) (وإذ يتحاجون فى النار . فيقول الضعفاء للذين استكبروا : إنا كنا لكم تبعاً ، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ؟ قال الذين استكبروا إنا كل فيها . إن الله قد حكم بين العباد . وقال الذين فى النار لخزنة جهنم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب . قالوا : أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا : بلى . قالوا : فادعوا ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) (إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل ، يسحبون فى الحميم ، ثم فى النار يسجرون . ثم قيل لهم : أين ما كنتم تشركون من دون الله ؟ قالوا : ضلوا عنا ، بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً . كذلك يضل الله الكافرين)

وقد حكم الله بأن دعاء غيره من الأولياء والصالحين دعاء الرغبة والرهبة انه شرك . وسجل ذلك فى كثير من آى القرآن . فمن ذلك قوله فى سورة فاطر (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى بدعائكم اياهم ؛ وهم لا يملكون لهم من قطمير من النفع أو الضر . وقوله فى سورة الأحقاف (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين) أى بعبادتهم اياهم بدعائهم الباطل لأنه شرك بالله ، وأولئك المدعوون من الصالحين كانوا موحدين لله لا يدعون غيره ولا يرجون أحداً سواه ، أخلصوا دينهم كله لله رب العالمين .

وقد حكم الله أيضاً فى القرآن بأن الجنة حرام على المشرك ، وأن عمله — مهما كان كثيراً — فهو حابط وهالك ، فمن ذلك قوله فى سورة المائدة (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وقوله فى سورة الزمر ؛ خطابا لنبيه امام الموحدين وسيد المهتدين ، وأعرف العارفين برب العالمين (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك : لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

وبهذا تعرف أن دعاء غير الله : أياً كان : نبياً أو وليا أو ملكا ؛ أو إنساً أو جنا — أبطل الباطل وأخسر الخسار فى الدنيا والآخرة ، وكذلك كل من دعا الى غير الله ، دعوة سياسية أو دينية ؛ سواء كان المدعو الى تعظيمه واجلاله وخوفه ورجائه حيا أو ميتا ؛ كانت الدعوة اليه دينيـة أو سياسية ، لأنها ليست الى مرضاة الله وطاعته واتباع دينه ، الذى هو دعوة الحق . والى رسوله ﷺ الذى هو امام الداعين الى الحق — فانها كذلك أبطل الباطل وأخسر الخسار فى الدنيا والآخرة .

وتعرف أيضا أن فلاح الدنيـا والآخرة وسعادتهما للفرد والجماعة ، انما هو فى الدعوة الى الله والى حبه وتعظيمه واجلاله ؛ اخلاصا وعبادة بجميع أنواعها وفروعها والى دينه الذى شرعه لاصلاح النـاس واسعادهم فى دنياهم وآخرتهم ، والى حب رسوله وتعظيمه وتوقيره ونصره وتفديته بالنفس والمال . تلك هى الدعوة الحق كل الحق . وتلك هى الدعوة التى جاء بها الكتاب الحق المبـين ، ودعا اليها الرسول الصادق الأمين ، ومن تبعه باحسان الى يوم الدين . وتلك هى الدعوة التى نسأل الله سبحانه أن يستعملنا فى اقامة عمادها ، وبذل أنفسنا وأموالنا فى سبيلها ؛ وأن يحيينا عليها ويميتنا ويحشرنا عليه بمنه وكرمه ، وصلى الله على سيدنا محمد الداعى بالحق الى الحق ، والهادى بالحق الى الحق والى صراط الله المستقيم .

محمد حامد الفقي

أحاديث الأحكام

٨٨ — وعن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » رواه مسلم

قال أبوطاهر عفا الله عنهما — : تريد عائشة : أنه ﷺ ماكان يفتر عن ذكر الله فى كل أحواله وهيئاته : حتى اذا أتى أهله قال بسم الله . اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا » واذا دخل الخلاء قال « اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث » وهكذا حاله ﷺ . والحديث أخرجه كذلك ابو داود بالسند الذى رواه به مسلم ، وأخرجه الترمذى وابن ماجه . وعلقه البخارى فى باب تقضى الحائض المناسك كلها — يعنى مناسك الحج — إلا الطواف بالبيت ، قال البخارى ، وقال ابراهيم — يعنى النخعى — « لا بأس أن تقرأ الآية » يعنى الحائض ، ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأسا ، وكان النبى ﷺ يذكر الله على كل أحيانه ، وقالت ام عطيه « كنا نؤمر ان نخرج الحيض ، فيكبرن بتكبيرهم ويدعون » وقال ابن عباس « اخبرنى ابو سفيان : أن هرقل — ملك الروم — دعا بكتاب النبى ﷺ فقرأه ، فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا — الآية » وقال عطاء عن جابر « حاضت عائشة فنسكت المناسك كلها غير الطواف بالبيت ولا تصلى » وقال الحكم « نى لأذبح وأنا جنب » وقال الله عز وجل (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) انتهى كلام البخارى رضى الله عنه

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (ج١ ص٢٨٠) : مراد البخارى الاستدلال على جواز قراءة الحائض والجنب ، بحديث عائشة لأنه ﷺ لم يستثن من جميع مناسك

الحج إلا الطواف ، وإنما استثناه لكونه صلاة مخصوصة ، وأعمال الحج مشتملة على ذكر وتلبية ودعاء ولم تمنع الحائض من شيء من ذلك ، فكذلك الجنب ، لأن حدثها أغلظ من حدثه . ومنع القراءة إن كان لكونه ذكرالله ، فلا فرق بينه وبين ماذكر . وان كان تعبداً ، فيحتاج الى دليل خاص ، ولم يصح عند المصنف - يعنى البخارى - شيء من الأحاديث الواردة فى ذلك ، وان كان مجموع ماورد فى ذلك تقوم به الحجة عند غيره . لكن أكثرها قابل للتأويل - كما سنشير اليه - ولهذا تمسك البخارى ، ومن قال بالجواز غيره - كالطبرى وابن المنذر وداود بن على الظاهرى بعموم حديث « كان يذكرالله على كل أحيانه » لأن الذكر أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره ، وانما فرق بين الذكر والتلاوة بالعرف - الى أن قال : وروى عن مالك نحو قول ابراهيم يعنى جواز الآية للحائض - وروى عنه الجواز مطلقا ، يعنى قراءة القرآن كله - وروى عنه الجواز للحائض دون الجنب . وقد قيل : انه قول الشافعى القديم ، وأثر ابن عباس قد وصله ابن المنذر بلفظ « ان ابن عباس كان يقرأ ورده وهو جنب » وأما حديث أم عطيه فوصله البخارى فى العيدين ، ووجه الدلالة منه : ماتقدم من أنه لافرق بين التلاوة وغيرها . ثم أورد البخارى طرفا من حديث أبى سفيان فى قصة هرقل ، وهو موصول عنده فى بدء الوحى ، ووجه الدلالة منه : أن النبى ﷺ كتب الى الروم وهم كفار ، والكافر جنب . كأنه يقول : اذا جاز مس الكتاب للجنب ، مع كونه مشتملا على آيتين . فكذلك يجوز له قراءته ، كذا قال ابن رشيد ، وتوجيه الدلالة منه : انما هى من حيث انه انما كتب اليهم ليقرءوه ، فاستلزم جواز القراءة بالنص ، لا بالاستنباط

وقد أجيب عمن منع ذلك — وهم الجمهور — بأن الكتاب اشتمل على أشياء غير الآيتين ، فأشبه مالو ذكر بعض القرآن فى كتاب فقه أو تفسير ، فانه لايمنع من قراءته ولا مسه عند الجمهور ، لانه لايقصد منه التلاوة . ونص احمد : أنه يجوز مثل ذلك فى المكاتبة لمصلحة التبليغ ، وقال به كثير من الشافعية ، ومنهم من خص الجواز بالقليل كالآية والآيتين . قال الثورى : لابأس ان يعلم الرجل النصرانى الحرف من

القرآن ؛ عسى الله أن يهديه ، وأكره ان يعلمه الآية ، هو كالجنب ، وعن احمد : أكره ان يضع القرآن في غير موضعه ، وعنه : إن رجي منه الهداية جاز وإلا فلا ؛ وقال بعض من منع : لا دلالة في القصة على جواز تلاوة الجنب القرآن ، لأن الجنب انما منع التلاوة اذا قصدها ، وعرف أن الذي يقرؤه قرآنا . أما لو قرأ في ورقة ما لا يعلم أنه من القرآن ، فانه لا يمنع ؛ وكذلك الكافر . ثم قال الحافظ رحمه الله : واستدل الجمهور على المنع بحديث علي «كان رسول الله (ص) لا يحجبه عن القرآن شيء ، ليس الجنابة» رواه أصحاب السنن ، وصححه الترمذي وابن حبان ، وضعف بعضهم بعض رواته ؛ والحق أنه من قبيل الحسن ؛ يصلح للحجة ؛ لكن قيل في الاستدلال به نظر ، لأنه فعل مجرد ؛ فلا يدل على تحريم ما عداه ، وأجاب الطبري عنه بأنه محمول على الأكمل ، جمعاً بين الأدلة ، وأما حديث ابن عمر « لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن » فضعيف من جميع طرقه . اهـ كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله

قال ابو طاهر — عفا الله عنهما — : فيؤخذ مما تقدم ان القول بالتحريم ليس عليه دليل صحيح صريح ؛ وانما هو اجتهاد من الفقهاء ، وأن جوابهم عن حديث عائشة وحديث قصة كتاب النبي ﷺ الى هرقل ليس وجيها ، والظاهر من كلام الحافظ ابن حجر أنه يميل الى مذهب البخاري في عدم المنع ، وتفريقهم بين التلاوة والذكر ليس عليه دليل من النبي (ص) ، وكلام احمد رضي الله عنه يفيد أن من اراد أن يهتدي بالقرآن وينتفع به في دينه وتهذيب اخلاقه يجوز له ان يقرأ أو يكتب اليه .

والخلاصة — والله اعلم — : ان التحريم وان قال به الجمهور — فليس بوجيه ، وان القول الذي تطمئن اليه النفس : ماذهب اليه الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري : من أن القراءة للجنب جائزة ؛ إلا ان الأكمل والأفضل : ان يغتسل ، أما الحائض فلا دليل ينهض على منعها من القراءة وحرمانها من هداية القرآن مدة الحيض ، التي ربما استغرقت اسبوعا واكثر ؛ فلعلها يقسو قلبها ويضعف ايمانها إذا هي حرمت هداية القرآن ، وإن وجدت من يقرأ لها كان ذلك أولى وأحوط والله أعلم .

محمد حامد الفقي

استقبال شهر رمضان

ألقاها صاحب الفضيلة العلامة المحدث الشيخ احمد محمد شاكر فى المحفل الذى رأسه بمدينة بنها لاستقبال هلال رمضان .

أيها السادة :

لقد أظلكم شهر رمضان ، شهر الصيام ، شهر العبادة ، شهر سمو الروح ونقائها، ويوشك أن تصبحوا غداً صائمين ، أو لا فبعد غد . فهل أعددتم العدة لاستقباله ، فحاسبتم أنفسكم على ما أسلفتم ، من خير تحمدون الله عليه ، وتسألونه التوفيق الى المزيد منه ، أو شر تأسفون عليه وتتوبون وتستغفرون الله منه ، وتسألونه ان يحفظكم من العودة اليه .

هكذا يستقبل شهر رمضان ، وأخشى ان يفهم كثير من الناس ان رمضان يستقبل بالاحتفالات الرسمية ، والاستعداد للتأنق فى المآكل والمشرب ، والاستكثار من ألوان الطعام والشراب ، والاستعداد لأصناف من اللهو واللعب فى السهرات ثم لا يفكرون فيما وراء ذلك ! !

أيها الناس : إن الله شرع لكم الصيام تطهيراً لأرواحكم ، وحفظا لها من طغيان الجسد وشهواته . ولم يشرعه لتقاسوا آلام الجوع والعطش فقط ، ولذلك يقول رسول الله ﷺ « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

شرع الله لنا صيام نهار رمضان وقيام ليله ، فجعله شهر عبادة ، بذكر الله وقراءة القرآن ، والاكثار من الصلاة ، وخاصة صلاة الليل ، وجعل ثوابه أعظم الثواب . وفى الحديث الصحيح عن رسول الله (ص) : « كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر امثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى إلا الصوم ، فانه لى وأنا أجزى به ،

يدع شهوته وطعامه من أجلي . للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك »

أيها السادة انى أرى فى كثير مما اتخذنا من العادات فى الصوم ماينافى حقيقته بل ما يحبط الأجر عليه ، بل مايزيد الانسان به إثما . فهمنا أن معنى قيام الليل ، سهر الليل ، فصرنا نسهر فى القهوات والنوادى ، لانفكر إلا فى اللهو واللعب الى ساعة متأخرة من الليل ، ثم نأكل ماشاء الله أن نأكل ، ثم نصبح مرهقين متعبين ، قد ضاقت صدورنا ، واضطربت أعصابنا ، وساءت اخلاقنا ، فلا يكاد اثنان يتحدثان ، حتى ينفجر الغضب وتثور الثائرة ، وتتدفق الألفاظ النابية ، إلى ماترون من حال كلكم تعرفونها ، وقد تعتذرون لصاحبها بأنه صائم . ولا أستثنى من ذلك أحداً إلا من عصم الله . فانظروا وتفكروا ، وقارنوا هذه الحال الشاذة الشائعة فى الصوم بقول رسول الله ﷺ « فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابّه أحد أو قاتله فليقل انى صائم انى صائم » وذلك ان الصائم ينبغى ان يكون هادىء النفس ، رضى الخلق ، يضع نُصْبَ عينيه أن الصيام جُنَّة له من الاثم ، جنة له من سوء الخلق ، جنة له من المعاصى ، جنة له من فحش القول ، جنة له من قول الزور والعمل به .

والذى ينبغى لكم فى هذا الشهر المبارك — إن سمعتم لنصحى — أن تتبعوا شريعتكم فى الصيام ، فتقتصدوا فى الطعام والشراب ، عند الفطور وعند السحور ، وأن تجعلوا سهركم ، إن سهرتم ، فى قراءة القرآن وتدبره ، ومن استطاع منكم ان يقوم الليل فليفعل ، وذلك ان يصلى فى بيته أو مسجده ماشاء الله له ان يصلى . وهذه هى صلاة التراويح التى غيرت عن أصلها ، فصار المصلون ينقرونها سراعا فى وقت مبكر بعد صلاة العشاء ، صلاة لاتنفع ولا تقبل ، وانما الصلاة ما كانت فى خشوع وطمأنينة وكلما أخرها المصلى الى مابعد الثلث الأول من الليل كان افضل . ثم ينام احدكم ماشاء الله له ان ينام ، ثم يقوم قبل الفجر فيطعم طعاما خفيفا للسحور ، ثم يصلى الفجر ، وان شاء نام بعد ذلك ، وان شاء تصرف فى شأنه وعمله .

أما الذين يأكلون عند انقضاء سهرتهم ثم ينامون الى مابعد طلوع الشمس

فانهم يخالفون سنة الاسلام في السحور ، وأخشى ان يذهب تركهم صلاة الفجر بثواب صيامهم ، فلا هم صاموا ولا هم أفطروا . وليس لله حاجة في ان يدعوا طعامهم وشرابهم ، إذ لم يطيعوا امره ، ولم يأخذوا بسنة نبيه ، وإذ أضاعوا صلاة الفجر عن وقتها عمدا .

أيها السادة : ان الأمم تهوي الآن في النيران ، عقابا لها على ما كفرت بأنعم الله ولعل الله قد صان بلاد الاسلام من كثير مما يلاقي غيرها ، لحكمة يعلمها ، ومأثرة يدخرها لهم ، أن يعود الاسلام بمجده وأن يعود المسلمون حكام الدنيا كما كانوا . ولكن هذا اذا كانوا مسلمين ، واذا تمسكوا بدينهم واقاموا شريعته واهتدوا بهديه والنذر من بين ايديكم ومن خلفكم ، فاعتبروا واخشوا ربكم ، فقد نرى من تهافت المسلمين على المنكرات مانخشى ان يعمهم الله بالعقاب من أجله ، وها أنتم أولاء ترون المجاهرين بالمعاصي ، لايخافون الله ولا يستحيون من الناس ولا يخشون عاقبة مايصنعون .

وقد كان مما نرى من مجاهرتهم ربهم بالحرب ان يجاهروا بالافطار في رمضان في الطرقات والأماكن العامة ، وفي دواوين الحكومة ، يزعمون أنهم يحتمون بما يدعونه الحرية الشخصية . وما هكذا كانت الحرية ، وما هكذا تكون الأمم في تمسكها بمقوماتها وعاداتها وشعائر دينها . وكان هذا العمل يؤذي المسلمين الصادقين في شعورهم ويحرج صدورهم وقد وفق الله الرجل الصالح : الزعيم الجليل ، صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس ، فأصدر بالأمس القريب كتابا عظيما في هذا الشأن ، حفظ على المسلمين كرامتهم وصان لهم شعورهم ، ورفع الحرج عن قلوبهم . فأمر أن لايجاهر مفطر بفطره ، مسلما كان أو غير مسلم ، احتراما لحق الأمة في الاستمساك بشعائرها وتقاليدها . فكان عمله عمل رجل يعرف مايريد ويعرف كيف يضع الأمور مواضعها ، مستعينا بربه متوكلا عليه .

إن الله قد منّ علينا في هذه السنين الشداد بمليكنا الفاروق الملك الحازم التقي ، زعيم القدوة هو الشباب أمته وكهولها وشيوخها . ملئ قلبه إيمانا وحكمة ، يقود أمته إلى المجد بخطوات سراع ، مهتديا بهدي الاسلام ، مستمسكا بعروته الوثقى .

وإنا لنرجو بيمن طلعته ان يكون المستقبل لنا ان شاء الله

أحمد محمد شاكر

داؤنا ودواؤنا

— ٣ —

الداء : التفرق ، والدواء : الاجتماع

كانت الأمة الإسلامية مجتمعة الشمل ، متفقة المقاصد والغايات ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، لا يجد الأعداء في صفوفها ثغرة ينفذون منها ، ولا ثلمة يقتحمونها عليها . ربهم الله ، ونبيهم محمد ﷺ ، وكتابهم القرآن ، وقبلتهم الكعبة ، ودينهم الإسلام ، به يعتزون وإليه ينتسبون ، وعن حوضه يذودون ، لا يعرفون غيره نسبا ولا يدخرون دون الدفاع عنه مالا ولا أشباحا ، لا تدور بأخلادهم أسباب الفرقة ولا يفكرون في بواعث الشتات ، ولا تجري في خواطرهم دواعي النزاع . يحكمون رسول الله فيما شجر بينهم ولا يجدون في أنفسهم حرجا من قضائه ، ويردون ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ؛ فاستقامت لهم الأمور ، واعتدلت لهم الأحوال ، ومكن الله لهم في الأرض وآتاهم من القوة والمنعة ما ملأ قلوب الأمم خوفا منهم ورهبة لهم .

لم يكد رسول الله ﷺ يلحق بالرفيق الأعلى حتى نجمت قرون الفتنة وظلت تنمو وتشتد حتى بطحت الخليفة الشهيد ذا النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه . وانقسم من بعده المسلمون إلى معسكرين كان البأس بينهما شديدا . وبدرت بوادر الشر فخرجت خوارج وتشيعت شيع . ثم أطلت الشعوبية برأسها فأحدثت صدعا في الصفوف . ثم استيقظت العصبية الجاهلية التي نامت في ظل الإسلام الذي ملء جفونها ، فوسعت الصدع وأشهرت الفتق . وفخر العربي على الأعجمي ، واستطال الأعجمي على العربي . وفخرت القبائل والعشائر العربية بعضها على بعض وعيّر بعضها بعضا وتنبهت المطامع الأشعبية والحرص على زهرة الحياة الدنيا . والفتنة بالعاجلة ،

فسفكت دماء المسلمين طمعاً فى تثبيت الملك . وحرصاً على بسطة السلطان وامتدت الأضغان إلى القلوب فعلقت بها كما يعلق السلال .

ثم عبثت السياسة بالدين عبثاً شديدا ، فنشأت فتنة القول بخلق القرآن والمنزلة بين المنزلتين ، ونجم عن ذلك اختلاف العقائد والنحل ، فهذا أشعرى ، وهذا ماتريدى وهذا معتزلى وهذا سلفى . ورمى بعضهم بعضا بالمروق والزندقة والكفر . فازداد الشر واستشرى الفساد .

وشجر الخلاف بين الفقهاء ورجال الحديث : يؤيد هؤلاء الحديث ولو كان ضعيفا ويعمل أولئك بالرأى والقياس ولو كان الرأى مأفونا والقياس باطلا . فانفرجت مسافة الخلاف بين المسلمين واتسع مدى التفرق والتدابر .

وشجر بين المتصوفة والفقهاء لون آخر من الخلاف ؛ فالمتصوفة يعملون بمقتضى أذواقهم ومواجدهم ولو كان الذوق فاسداً والوجدان سقيما ، ويغفلون عن النصوص الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة ، والفقهاء يخطئونهم فيما يذهبون اليه ، ويدعونهم إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وترك مايعمهون فيه من ضلالات وترهات ؛ ثم استطاعت المتصوفة أن تجد بين صفوف الفقهاء فئات قل حظهم من العلم ونصيبهم من الفطنة والادراك ، فاستغوتهم وخدعتهم بأباطيلها ؛ وفتنتهم عن الحق ؛ فاندمجوا فى صفوفها فوقعت الفتنة الكبرى ، والداهية الدهياء ؛ إذ انخدع العامة بهم وسارعوا إلى الوقوع فى حبائلهم فتفرق المسلمون بسبب ذلك أيدى سبا . وتمزقوا كل ممزق . وصرت حيثما ضربت فى الأرض قرعت سمعك ألفاظ : أحمدى رفاعى . جيلانى . نقشبندى . قاوقجى . فاسى . شاذلى بيومى . خلوتى . قادرى . تيجانى • بكتاشى • سمانى • ابراهيمى • وغيرها من الأسماء التى سماها أصحابها ولم ينزل الله بها من سلطان • هذه الأسماء التى أصبح بها المسلمون فرقا يكيد بعضها لبعض ويفخر بعضها على بعض ويحقر بعضها بعضا •

تفرقت الأمة طرائق قدداً ؛ وضربت الذكر صفحاً عما جاء فى كتابها الحق

وسنة رسولها الأمين . ضربت الذكر صفحاً عن قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ؛ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

وقوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

وقوله تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء)

وقوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)

وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

وقوله عليه الصلاة والسلام : « اقرأوا القرآن ما اجتمعت عليه قلوبكم ، فاذا اختلفتم فقوموا عنه »

ما أحكمه عليه الصلاة والسلام ! وما أحرصه على الخير لأمته ! وما أخوفه من التفرق والاختلاف وما يجره على الأمة من الضعف والفشل والتخاذل وذهاب الريح ! يأمر الأمة بأن تقرأ كتاب الله مادامت مجتمعة القلوب متفقة على معنى ماتقرأ : فاذا اختلفوا فى فهم شىء من آياته وذهب فريق منهم مذهباً ، وذهب فريق آخر مذهبا آخر ، فعليهم أن يكفوا عن القراءة حتى لايدب بينهم التفرق ولا تستحكم بينهم حلقات الخلاف ، فتهوى بهم فى مكان سحيق .

ضربت الأمة الذكر صفحا عن كل هذه النصوص الحكيمة من كلام الله وسنة رسوله وأبت الا أن تضرب فى تيهاء من الخلاف والتفرق كأن الله لم ينزل عليها كتابه هدى ونوراً وفيه تبيان كل شىء ، وكأن رسوله لم يبين لهم ما أنزل اليهم من ربهم ولم يهدهم الى سواء الصراط .

ثم أبت السياسة الا أن تضع ضغثاً على ابالة والا أن تزيد الشر تفاقما والخطب استفحالا .

أخرج الخلاف أمر الأمة الاسلامية من يدها . وجعل كل اقليم يضم طائفة منها تحت وصاية دولة أجنبية من دول الغرب تتحكم فى شئونها تحكم السيد فى المسود وتقضى فى أمرها وهى غير شاهدة ، ثم ضربت بينها بقاصمة الظهر وطوعت لها أن تتفرق - بعد كل ما بسطنا من ألوان التفرق - أضرابا تتهالك على الحكم ، وتتفانى فى السلطان يكيد بعضها لبعض ، ويمكر بعضها ببعض ، وتتراشق بالسباب ويتربص بعضها ببعض الدوائر . حتى تأربت العقدة وأعضل الداء وتقطعت الأسباب . وتمزقت الأوصال وصارت الوحدة الاسلامية أشلاء متناثرة وآرابا متطايرة .

هذا هو الداء . فما الدواء ؟

إذا كان الداء هو التفرق ، فليس الدواء إلا الألفة وجمع الكلمة والتئام الشمل ورأب الصدع واعتصام المسلمين جميعاً بحبل الله .

الدواء : أن نقضى على كل أسباب الفرقة بكل حزم وعزم وبغير هوادة ولا لين .

الدواء : أن نكون مسلمين فحسب لا تفرقنا جنسيات ولا لغات ولا ألوان . ولا مذاهب ولا طرائق ولا نزعات ولا أهواء .

الدواء : أن تلغى هذه الطرق الصوفية كلها إلغاء حتى يكون كل فرد من الأمة مسلماً وكفى ، لا يضيف إلى هذا الوصف الجميل شيئا .

سيقولون : ومن ذا يستطيع إلغاءها وقد انتشرت فى البلاد الاسلامية انتشار الوباء ، ونشبت بها نشوب السرطان ودخلت فى كل بلد وتغلغلت فى كل بيت ؟

الأمر أيسر مما تظن وأهون مما تقدر . ليحرص كل من قرنه الشيطان بأصفادها على أن يبادر بالخلاص منها . فاذا تحلل الناس من قيودها وأطلقوا من أغلالها أصبحت إسماً بلا جسم وكلمة بلا معنى ، وظلت تبكى شيوخها ونقباءها ، وتنعى نوابها وخلفاءها واستأثر بها الفناء ودرج عليها العفاء .

الدواء : أن نحيى الرابطة الاسلامية ونبث بين المسلمين الروح الاجتماعية . ونقتل روح الأثرة والفردية ، وأن نعتبر بلاد الاسلام وطننا الأكبر . فحيثما كنا

فى بلد من بلاد الاسلام . فنحن فى وطننا وبين أهلنا وعشيرتنا .

الدواء : أن يحرص المسلمون على إحياء لغة القرآن ونشرها فى البلاد الاسلامية جميعا . فخير وسيلة للائتلاف أن يسود حسن التفاهم بين المسلمين ولا يتم التفاهم بين المسلمين اذا كان بعضهم يجهل لغة بعض .

إن موسم الحج ـ وهو المؤتمر الاسلامى العام ـ لايثمر الثمرة المرجوة منه مادام المسلمون لايحسنون التفاهم فيما بينهم . يضم هذا المؤتمر عرباً وهنوداً وجاويين وأتراكا وأفغانيين وأردنيين وصينيين وغيرهم ، فكيف يتسنى لهذه الفئات أن تتعارف وأن تتفاهم وإن يَقْتبس بعضها من بعض وهم ينطقون بلغات متفرقة يتعذر عليهم التفاهم بها ؟ .

الدواء : أن تفهم هذه الشعوب التى رضيت الاسلام دينا ، أن الاسلام يهيب بها أن تتعلم لغة القرآن حتى تفهم خطاب الله وكلام رسول الله وحتى تعرف دينها حق المعرفة وحتى تحسن التأدب بأدب القرآن بعد أن تتذوقه وتدرك أغراضه ومراميه .

ذلك هو الداء ، وهذا هو الدواء . فان تعاطيناه مخلصين مثابرين تم لنا الشفاء وزايلنا البلاء ، وما ذلك على الله بعزيز . (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) .

ابو الوفاء محمد درويش

تاريخ القضاء فى الاسلام

مساوىء الأزياء الخالعة والأغانى الماجنة

فى كل زمان ترتفع صيحة الحق من رجال زكت نفوسهم وصفت قلوبهم يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . نعم فى كل أمة هداة مصلحون وأنصار للحق راشدون ، كتب الله لهم الايمان وزينه فى قلوبهم ، وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان . دأبهم نصر الفضيلة ومناوأة الرذيلة لايخشون فى الحق لومة لائم .

فمن هؤلاء طائفة فى مجلس النواب أثيرت للنضال عن الشرف والذود عن العفاف فأخذت تبين للمجلس مساوىء الأزياء الحديثة الخالعة والأغانى المصرية البذيئة الماجنة وما خالطهما من حماقات دنسة وخطورة على مابقى لنا من سابق مجد وشرف وسالف عز وجاه يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى .

وكان جديراً بالمصلحين الذين لهم اليد الطولى فى تخفيف وطأة البغاء الرسمى والذين لاتزال الألسنة رطبة بالثناء عليهم أن يصيحوا بهذه الصيحة ويغضبوا لها غضبة الحر الكريم ، ولكنهم قلبوا لها ظهر المجن وولوها الأدبار كأننا فى غير مصر ذات الشرف العريق والمجد التليد والعفاف المصون ومشرق النور والعرفان ومهبط العلم والعلماء .

ولعل هذا يرجع إلى السنن الكونية ، وهى أن الدعوة الى الحق محفوفة بالأشواك وأن الاصلاح فى الأرض لابد أن تعوقه عقبات ويؤذى صاحبه بشر أنواع العذاب . سنة الله فى المصلحين ولن تجد لسنة الله تبديلا (ياحسرة على العباد مايأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) وكان هذا طبعياً إذ أن همة المصلحين أن يفطموا النفوس عن شهواتها ويقاربوا بينها وبين الفضائل (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى اتاهم نصرنا)

ان حضرة النائب المحترم قرنى بك كان فى دعوته محاربا للفتنة خشية أن تعم وللشهوة لئلا تهدم الفضيلة وتخرب عامر البيوت ؛ وللشرف أن تقتله الرذيلة . ولا نريد

قتل عفاف ولا جرح كرامة ولا هتك ستر ولا استباحة شرف ، بل يريد أن يقف سداً منيعاً بين البغاة وبين دعاة الفسوق وما يوسوس لهم الشياطين من ذوى المفسدة وبين ذوى الشرف التليد . كما أنه لم يكلف الحكومة شططا ، ولم يرهقها عسرا ولم يأت شيئاً إدًّا ، ولكنه كان يطلب اليها كمصلح اجتماعى أن تصلح الأغانى المصرية وتبدل هذه الأزياء الفاجرة والتى كانت سبباً فى سفك دماء الفضيلة وانتشار ألوية الرذيلة وتقويض أركان الأسرة المصرية و إعراض الشبان عن الزواج . كل هذه أمور لاتخفى على كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

وإن تعجب فعجب قولهم أن هذا المصلح الاجتماعى رجعى وأنه يرجع بالأمة المصرية الى القهقرى . فياللمنطق المعكوس أى الفريقين أهدى ، الذى يحفظ المرأة شرفها ويصون عرضها ، أم الذى يسقطها فى هاوية اجتماعية ومأساة اجتماعية . فماذا على ولاة الأمور لو وضعوا لهذه الفوضى النسائية حداً واستبدلوا بهذه الأغانى أغانى عفيفة تكون أداة صالحة لتهذيب النفوس وترقيق الطباع وغرس الأخلاق الفاضلة والذود عن الكرامة وما ذلك على حكومتنا الرشيدة بعزيز ، إذ فيها الأدباء والشعراء الذين لم يشق لهم غبار فيستطيعون أن يقلبوا هذه الأغانى التى صيغت من ألفاظ سقيمة ومعانى أثيمة ، فلا هى تطيقه العواطف الشريفة ولا ترفع منار الفضيلة حتى تجعل الجبان شجاعا والشحيح سمحا كريما ، والفتاة يضرب بها المثل فى العفاف وليس فيها الهزل والمجون وأحوال الفسق وطرق الغواية مايغرى الشبان على الفساد ويغرى فى نفوسهم أن الدنيا لعب ولهو . وأيم الحق ان هذه الحالة ليست وصمة عار فى جبين مصر فحسب بل فى العالم الاسلامى طراً ، فان لم تعدل هذه الأزياء وتصلح هذه الأغانى فلا بد أن ينهار مجدنا التليد وشرفنا العريق .

ولنا فى تاريخ الأمم أجل عظة وأكبر عبرة . فلقد رأينا أمماً عظم مجدها وتسامى على الجوزاء شرفها ، فغمست فى اللهو واندفعت وراء الشهوات ، ونبذت الفضيلة فسقطت من علياء مجدها وأتى على بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم

من صور الحياة المصرية

٣٠ - سبح رمضان

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار ، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ؛ وما للظالمين من أنصار ، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ؛ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد » الى آخر الآيات من آخر سورة آل عمران .

***

كما لكل فاكهة موسم تظهر فيه ؛ كذلك فان للسبح موسما تروج فيه ؛ وتبدو على أطراف الأصابع كما تبدو الفاكهة فوق أغصان الشجر ، وذلك الموسم هو شهر رمضان من كل عام . ولكن القياس كما يقولون مع الفارق الكبير فليس بين المثلين من وجه للشبه إلا فى انتشار كليهما فى وقت معين وبعد ذلك فوجوه الشبه معدومة بينهما

وأذاقهم العذاب من حيث لايشعرون . وإنا معاشر رجال الدين لنحفظ لهذا النائب هذه المسألة الأخلاقية التى برهنت للعالم أن مصر لاتزال فيها رجال يحافظون على مجد الآباء ويذودون عن الشرف والعفاف تصديقا لقول المعصوم عليه الصلاة والسلام « لاتزال من أمتى طائفة على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله »

ابراهيم عبد الباقى

خطيب وواعظ بوزارة الأوقاف

البتة . ذلك بأن فى الزروع إذا نضجت والفاكهة اذا حان جناها ، ذكرى للذاكرين ؛ وآيات للعالمين ، الذين همهم النفوذ الى اللب ، لا الوقوف عند الظواهر ، فيجدون فى ذلك وغيره من آثار رحمة الله دوافع الى تسبيحه بقلوبهم قبل ألسنتهم ، والى شكر نعمته بأعمالهم قبل أقوالهم . وأما السبح فانها أداة النفاق ، ومطية الرياء . وليس من المعقول أن اليد التى ظلت احد عشر شهراً تهريق الخمر فى الكاس ، تنزع به العقل من الرأس ، وتجيل أقداح القمار ؛ بالليل والنهار ، وتجرح المآثم ، بنية العازم لا بقلب النادم : نعم ليس من المعقول أبداً أن يداً هذه أثارة من بعض أعمالها طوال السنة أن تدير السبحة — ولو عن طريق الابتداع — ذكراً لله ولأسمائه الحسنى ، فانها لو فعلت لاستشعرت الخشية واصطنعت شيئاً من الحياء ، ولكن هذه البثرات المشئومة ، لا الحبات المنظومة ، انما تصيب فريقين من الناس فى شهر رمضان خاصة. فريقا يرائى بها ليظهر بمظهر الصائم حقا ، وليخفى وراء هذه البثرات من أمراضه الخلقية الأخرى ما يستحق عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وفريقا يفعلها مسوقا بحكم العادة لا يلاحظ فيها معنى ولا يرمى لغرض ، ولكنه رأى الناس يفعلون ففعل . وهذا الفريق لا يرتقى الى درجة الانسان المفكر ، ولكن أعماله مجموعة عوائد لا تصدر عن روية وانما هى أعمال آلية محضة ليس للعقل عليها أدنى سلطان ؛ لأن أولئك قد عطلوا عقولهم تعطيلا تاما لعدم حاجتهم اليها ، وما حاجتهم اليها والجانب الحيوانى من حياتهم وهو الذى يعيشون من أجله لا ينقصه شىء من المتاع ؟ وما دام هذا الجانب موفور الحاجة بجزء يسير من التدبير الذى يقوم عندهم مقام الغريزة فى الحيوان ، هذه الغريزة التى تسوقه لتعاطى ما به قوام حياته ، فلا يهمهم أبداً ما يهم الانسان كانسان من ترقية الجانب الروحى منه وتربية نفسه بواسطة أستاذه الداخلى الذى أودعه الله فيه وهو العقل ليكون ديدبانا على هذه النفس الأمارة ، وذلك بايقاظه كلما نام ؛ وتنبيهه كلما غفل ، لا بتخديره كلما استيقظ وإسكاته كلما نطق .

إذن فالمرائى بالسبحة يقصد بها ولو معنى غير شريف ولكنه معنى على كل حال

جاء أثراً من آثار التفكير الذي يدل على أن صاحبه يستعمل عقله وان أخطأ استعماله ، فلم يعطله هذا التعطيل المشين ، وحاشا أن أقول ذلك تزكية للمرائي ولكني أقصد عقد مقارنة بينه وبين أسير العادة وضحية التقليد .

وهذا الفريق الأخير قد استغنى عن العقل الذي هو مناط الخطاب، فكل نصيحة توجه اليه مهما كان أسلوبها من البيان وتعزيزها بالبرهان فهي لديه من النوع الذي قال عنه أسلافه (ما نفقه كثيراً مما تقول)

وأما المرائي فطريق النصيحة اليه غير ذلول، وكيف تطلب ممن مرد على الفساد عامه كله ولم ير في نظره جُنّة يواري بها سيرته إلا السبحة تديرها يده في شهر رمضان ، فاذا به عند البسطاء من الناس إما التقي الصالح ان كان يقترف السيئات مستتراً . وإما التائب المنيب ان كان يأتيها مجاهراً ، فهو انما يطلب تقوى من النوع الرخيص الذي لا يتطلب من صاحبه أكثر من السمت الظاهر الذي جعلت السبحة عليه دليلا ، كما يعتقد العامة أن زيارة قبة من القبب السامقة نهاية الصلاح وعنوان التقوى، فكل عمل يحتاج الى مجهود أو مشقة أو جود بذات النفس أو المال فهو مُغْضَى عنه غير محسوب له أدنى حساب ، وهذا مادرج عليه الناس وكذلك صاروا يفعلون.

واننا لا ننكر أن هناك فريقا ثالثا غير مراءٍ ولا هو مسوق بحكم العادة في اقتناء السبح لأنه (غير رمضاني) فيها ، بل هو يحملها طول السنة يسبح بها دبر الصلوات وفي غير الصلوات . فالى هذا الفريق سقنا الآيات الكريمة آنفا ليعلموا أن ذكر الله غير مايفهمون وان تسبيحه غير مايلفظون . لو أن أولئك هداهم الله وأصلح حالهم تدبروا الآيات لأسلموا سبحهم الى الريح تهوي بها في مكان سحيق، إذ ان ذكر الله اكبر من أن يكون مجرد سرد لأسمائه او لبعض اسمائه على هذه الصورة بغير امعان ولا تفكير ولكنه تعالى عن ذلك علواً كبيرا ، وضع لنا دستوراً للذكر في هذه الآيات من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى .

وذكر الله تبارك اسمه في القومة والقعدة والنومة : رَوْحُه التفكر في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وغير ذلك من باهر آياته ، وساطع بيناته ، ومن

طريق هذا التفكير الصادق ينتهي الانسان الى حالة ايمان وسكينة واطمئنان يرجو معها رحمته ويخاف عذابه ، فلا يفعل من الأمر إلا مايرضى فان عثر فسرعان مايتذكر فاذا هو مبصر . فأنت ترى ان ثمرة هذا النوع من الذكر انما هي الاستقامة التي هي غاية كل عاقل وطلبة كل حصيف ، فأين ذلك من جولان السبح في الأيدى وصك حباتها بعضها ببعض وجريان اللسان بألفاظ يحسبها ذكراً وهي نهاية الغفلة إذ ربما نطق بها في أثناء تفكيره في حيلة ينال بها من عدوه أو وسيلة يبلغ بها شيئاً من حطام الدنيا ؟

واني أعرف أهل طريقة من هذه الطرق المنتشرة : عبادة أربابها محصورة في إجالة حبات السبح بالأصابع بأقصى سرعة حتى ليسمع لها مجتمعة صوت مزعج . وأشهد أني رأيتهم ذات ليلة يسمرون ويضحكون ويتعاطون الشاي وغير الشاي والسبح في أيديهم لاتهدأ حباتها ، ولا تسكن رناتها !! ويزعمون أنهم مسبحون ، ولله عابدون . فأي استهزاء بالله وآياته ورسوله بعد هذا الاستهزاء ، وأي مصيبة رمى بها هذا الدين مثل هذا البلاء ؟

فياذوى المسابح ممن حسنت نياتهم ، يامن تريدون ذكر الله كما يجب أن يذكر : إن أول درجات الذكر أن تطهروا أيديكم من هذه المسابح فتهبوها نساءكم عقوداً في الجيد، وولدانكم لعباً في العيد !! وحولوا الذكر من ألسنتكم الى قلوبكم تظفروا بتمحيص عيوبكم وغفران ذنوبكم ؛ واتخذوا دستور القرآن في الذكر لكم شرعة ومنهاجا ، ودعوا فيما تدعون ، هذه الأوزار الشركية والمنظومات البدعية ، ولكن آيات الله ذكركم الأكبر، وهل ذكر الله غير المراقبة وتحكيم الدين ، وإن كان المراقب أخرس أو لا يكاد يبين .

فان شئتم أن تشركوا اللسان مع القلب في هذه السعادة فان رسولكم الأكرم ﷺ ماترك من أنواع الذكر شيئا مما يجمع بين حاجات الدنيا وسعادة الآخرة إلا أورده بأفصح عبارة وأرق أسلوب ، عبارة من يميز بين قدرة الرب، وضعف المربوب ، فتزودوا منها قبل أن يعوزكم الزاد ، وارتووا منها قبل اشتداد الظمأ يوم التناد .

محمد صادق عرنوس

الصوم فى ضوء العلم الحديث

للدكتور محمد زكى شافعى بك

كثيراً ما نسمع بعض الذين لايعلمون ، يتشدقون بأن الصوم لايتفق والصحة فى عصر المدنية الحاضرة ، لتكاثر أعمالنا الفكرية والجسمية ، وكأنى بأولئك المتشدقين قد نسوا أن التقدم العلمى الحاضر أتى بوسائل خففت الكثير من عناء الاعمال عما كانت عليه الحال فى عهد أسلافنا . فأين نحن الآن من تلكم الأوقات التى كانت فيها كل الأعمال يدوية ، ولم يكن للانسان مطية إلا الحيوان ؟ وأما فى عصرنا هذا فقد أوشك الانسان أن يفقد قوة الاقدام وشدة المراس ، ولولا الرياضة البدنية لكان الانسان خيالا .

يحتم الأطباء على الانسان الراحة الذهنية والراحة الجثمانية ، حتى أصبحت العطلة الأسبوعية ، بل السنوية ، أمراً مقرراً لدى كل الطبقات ، فلماذا ننكر على الجهاز الهضمى حاجته الى الراحة الضرورية ؟ فالصوم — فضلا عن انه فرض دينى لتهذيب الروح والنفس وترويضها على الصبر الذى هو ملاك الأخلاق الكريمة — فهو العطلة اللازمة لهذا الجهاز الذى ينهكه كثير من الناس بكثرة مايحملونه من عناء الأغذية المتعددة الألوان المختلفة من الطعام الذى دعت اليه الرفاهية والترف فى عصر الحضارة والمدنية. وأحوج الناس الى الصوم أثراهم .

وإننى لا أقول بضرورة صيام رمضان فحسب ، بل أحبذ الصوم ولو يوما كل شهر

غير أن الصوم لايكون بحرمان الجسم من الغذاء طول النهار ثم الانكباب على ألوان الطعام عند الافطار حتى تمتلىء المعدة ، فان هذا يتنافى وحكمته الصحية ، بل الصوم هو الامتناع عن الأكل نهاراً والاعتدال فى تناوله مساء ، على أن يبدأ الأكل — فى فصل البرد — بطعام دافىء ، وأفضله حساء (شوربة) وأضره الافراط فى أكل

المصالح المرسلة

إن كثيراً من الناس عدوا كثيراً من المصالح المرسلة بدعا ، ونسبوها إلى الصحابة والتابعين، ثم اتخذوها حجة فيما ذهبوا اليه من اختراع العبادات. والغرض من كلمة اليوم إنما هو بيان أن المصالح المرسلة ليست من البدع فى ورد ولا صدر .

« المصالح [١] المرسلة يرجع معناها الى اعتبار المناسب الذى لا يشهد له أصل معين ، فليس له على هـذا شاهد شرعى على الخصوص ، ولا كونه قياساً بحيث اذا عرض على العقول تلقته بالقبول : »

وقد قسم علماء الأصول المناسب الى ماعلم اعتبار الشرع له ، وما علم إلغاؤه له، ومالا يعلم اعتباره ولا إلغاؤه له ، وهو الذى لا يشهد له أصل معين بالاعتبار ؛ بل يؤخذ من مقاصد الشرع العامة فيعد من وسائلها ـ وهـذا القسم هو الذى يسمونه بالمصالح المرسلة . ذكر ذلك الشوكانى فى ارشاد الفحول ، وقال : وقد اشتهر المالكية بالقول به ـ قال الزركشى : وليس كذلك فان العلماء فى جميع المذاهب يكتفون بمطلق المناسبة . ولا معنى المصلحة المرسلة إلا ذلك .

الأغذية الدسمـة كالفطائر ونحوها . أو الاكثار من الخـبز .

يدعى بعض الأصحاء ، أن لا طاقة لهم بالجوع ، غير أن جوع هؤلاء وهمى أكثر مما هو حقيقى ولا يولده إلا الخيال وكثرة التفكير فى الطعام وتشهيه والتفرس فى أطايبه، فاذا ما انصرفوا عن ذلك كله ، انقضى اليوم وهم لا يشعرون. على أن الله سبحانه وتعالى قد أعفى المرضى والضعفاء البنيـة والشيوخ والمرضعات اللاتى يخفن على أنفسهن أو أولادهن من الصيام (فمن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

---

(١) الاعتصام للشاطبى

ولقد أطنب فى بحث المصالح الامام نجم الدين الطوفى الحنبلى المتوفى سنة ٧١٦ والامام ابو إسحق ابراهيم الشاطبى الأندلسى المتوفى سنة ٧٩٠

أما الطوفى فقد وفى هذا الموضوع حقه عند شرحه لحديث «لا ضرر ولاضرار» من الأربعين النووية . وقال انه يقتضى رعاية المصالح إثباتا ونفياً ، والمفاسد نفيا . ودعم ذلك بالدليل العقلى . ولم يكتف بهذا حتى جعل رعاية المصلحة مقدمة على النص والاجماع عند التعارض ، فقال : وان خالفاها وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما ؛ لا بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لهما .

وهذا الذى قرره الطوفى فى رعاية المصالح أحكم وأوسع من القول بالمصالح المرسلة وقد صرح هو بذلك فقال :

« واعلم أن هذه الطريقة التى قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هى القول بالمصالح المرسلة على ماذهب اليه مالك، بل هى أبلغ من ذلك . وهى التعويل على النصوص والاجماع فى العبادات والمقدرات(١) وعلى اعتبار المصالح فى المعاملات وباقى الأحكام » ثم قال بعد بيان ذلك :

« وانما اعتبرنا المصلحة فى المعاملات ونحوها ؛ دون العبادات وشبهها ، لأن العبادات حق للشارع خاص به ، ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفا وزمانا ومكانا الا من جهته ؛ فيأتى به العبد على مارسم له ، ولان غلام أحدنا لا يعد مطيعاً خادما له الا اذا امتثل مارسم سيده وفعل مايعلم أنه يرضيه ، فكذلك ههنا . ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع ، أسخطوا الله عز وجل وضلوا وأضلوا . وهذا بخلاف حقوق المكلفين فان أحكامها سياسية شرعية وضعت لمصالحهم وكانت هى المعتبرة وعلى تحصيلها المعول .

« ولا يقال : ان الشرع أعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته - لأنا نقول قد قررنا أن المصلحة من أدلة الشرع وهى أقواها وأخصها فلنقدمها فى تحصيل المصالح .

---

(١) المراد بالمقدرات ماقدره النص بقدر معين كالحدود والكفارات

« ثم ان هذا انما يقال فى العبادات التى تخفى مصالحها عن مجارى العقول والعادات . أما مصلحة سياسة المكلفين فى حقوقهم فهى معلومة بحكم العادة والعقل . فاذا رأينا الشرع متقاعداً عن إفادتها علمنا أنا أحلنا فى تحصيلها على رعايتها » اه .

وأما الشاطبى فقد فرق بين البدع والمصالح المرسلة تفرقة واضحة بينة فى كتابه (الاعتصام) ووافق الأصوليين على عد المصالح المرسلة مما يسمونه المعنى المناسب ، ووضحها بعشرة أمثلة منها :

(١) اتفاق الصحابة على كتابة القرآن فى الصحف التى هى مجموعها المصحف (٢) اتفاقهم على حد شارب الخمر ثمانين جلدة (٣) تضمين الخلفاء الراشدين الصناع (٤) ماذهب اليه بعض العلماء من الضرب فى التهم (٥) جواز وضع الامام العادل ضرائب واعانات مؤقتة عند الضرورة لتكثير الجنود لسد الثغور وحماية الملك إذا لم يوجد فى بيت المال مايفى بذلك (٦) اختلاف العلماء فى العقاب على بعض الجنايات بأخذ المال (٧) الزيادة على سد الرمق إذا توالت ضرورة الأكل من المحرم كالميتة فى المجاعات (٨) قتل الجماعة بالواحد ، قال : والمستند فيه المصلحة المرسلة ، إذ لا نص على عين المسألة ، ولكنه منقول عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو مذهب مالك والشافعى (٩) اقامة إمام للمسلمين (خليفة) غير مجتهد فى الشرع اذا فقد المجتهد (١٠) بيعة من لم تتوفر فيه شروط الامامة ابتداء أو استدامتها بعد وجود الكفء لها كالقرشى المجتهد خوفاً من الفتنة وتفرق الكلمة اه . المراد منه

هذه الأمثلة العشرة توضح لوجه العمل بالمصالح المرسلة وتبين أن اعتبار أصل وهو الملاءمة لمقاصد الشرع بحيث لاتنافى أصلا من أصوله ولا دليلا من دلائله

إذا تقرر هذا علم أن البدع كالمضادة للمصالح المرسلة لأن موضوع المصالح المرسلة ماعقل معناه على التفصيل ، والتعبدات من حقيقتها أن لا يعقل معناها على التفصيل ، وأيضاً فان البدع فى عامة أمرها لاتلائم مقاصد الشرع .

وقد ثبت أن الامام مالكا كان يقول بالمصالح المرسلة على تشدده فى نصر السنة، ومبالغته فى مقاومة البدع ، حتى قال أحمد بن حنبل فيه : إذا رأيت الرجل يبغض مالكا فاعلم انه مبتدع . وقال عبد الرحمن بن مهدى — وناهيك بعلمه وهديه — : إذا رأيت الحجازى يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة . والله المستعان ، ومنه نستمد المعونة والتوفيق .

أحمد أحمد القصير — كفر المندرة

(الهدى النبوى) هـذا الموضوع بحاجة الى زيادة بحث ودقة ، لعلنا نعود اليه إن شاء الله فى القريب . وقصد الأخ القصير واضح : أنه انما أراد ابطال زعم الذين غلبهم الهوى والعصبية لما ورثوا عن الآباء والشيوخ من الخرافات والبدع فى العبادات فيحتجون بتلك المصالح المرسلة وهى بعيدة عنهم . فان العبادات موقوفة على النصوص . على ان كلام الطوفى رحمه الله بحاجة الى تقييد يضيق ما وسع من الدائرة . والله الموفق لتحقيق ذلك إن شاء الله .

صلاة العيد

بعون الله تعالى سنؤدى صلاة العيد كعادتنا بالفضاء الكائن بميدان الخديوى اسماعيل (قلم المرور سابقا)

وجماعة أنصار السنة المحمدية تتوجه الى جميع الموحدين بخالص التهنئة ، بعيد الفطر ، سائلة المولى عز وجل أن يعيده على المسلمين فى أمن وسلام ورخاء

المجاهد والمبشر الاسلامى

الأستاذ والى خان

قليل من الناس فى مصر من يعرف الأستاذ محمد والى خان . وسنحاول هنا أن نلم إلمامة سريعة بجهوده فى الخارج فى سبيل رفع لواء دين الاسلام منذ أن غادر بلاد الافغان فى صحبة الملك أمان الله خان ، فلقد تنقل بين انجلترا وفرنسا وسويسرا وألمانيا وايطاليا واليونان ورمانيا وبلغاريا وتركيا وغيرها ، دارساً أحوال المسلمين بها ومبشراً ومجاهداً ، ووفقه الله وهدى على يديه خلقا كثيراً من الأشراف والأدباء والأطباء والمهندسين . وكان يصدر فى انجلترا مجلة اسلامية اسمها «الهلال» تبحث فى شئون المسلمين وتتناول فلسفة الديانة الاسلامية والتفسير والحديث باللغة الانجليزية ، وكان الأستاذ والى خان يكتب المقالة الافتتاحية .

وحسبنا اليوم أن نشير الى ما اختصه به الأستاذ حافظ محمد فضل الرحمن أنصارى فى كتابه (العالم الاسلامى الجديد الناشىء ، سير الاسلام وانتشاره فى الغرب)

قال «ان أكبر مبعوث (مبشر) لسويسرا ، كان واعظ الاسلام الصادق الأستاذ محمد والى خان ، فانه قام بجملة رحلات تبشيرية فى كثير من البلاد الأوربية وأدخل كثيراً من الناس فى الدين الاسلامى . غير أنه صادف فى سويسرا نجاحا يجل عن الوصف . ويكفينا فى هذا المقام أن نومىء الى حادثة واحدة فقط ، فلقد مرض الأستاذ أخيراً مرضاً خطيراً جداً وتقرر أن يوضع تحت العلاج فى مصحة بسوجانو . وما هى إلا أيام قلائل حتى أبصر رئيس الجراحين الدكتور والامير فرن سيبر دورف وصديقه الحميم الهر كارتيبه هربرت والممرضة التى كانت تعتنى به وتسهر عليه نور الاسلام ، وأصبحوا بفضل نفوذه الروحى أتباعا متحمسين للايمان . ويمكننا أن ندخل فى عداد من حولهم الاستاذ والى خان الى الديانة الاسلامية اسم

رفع عيسى عليه السلام

السنة الصحيحة أثبتته

نقلنا فى العدد الماضى من (الهدى النبوى) كلام الامام الحافظ أبى محمد بن حزم فى خبر الواحد وان الصواب من القول ، الذى لاينبغى الحيد عنه ـ اعتماده طريقا للعلم والعمل ، اذا كان بنقل الثقاة العدول الضابطين السالمين من الجرح على حسب ما اصطلح عليه علماء الحديث ، ونقلة الأخبار الذين هم الحجة فى الدين ، وعلى قولهم المعتمد فى فروع الدين وأصوله . ونكتفى بكلام هذا الامام الحجة ولا نطيل بنقل كلام غيره من بقية الأئمة الأعلام مثل الحافظ ابن حجر وغيره . ففى كلام الامام ابن حزم الحجة إن شاء الله .

السيدة العلامة الآنسة دورا مولر ، بنت أخى الأستاذ ماكس مولر العالم والمدرس ذائع الصيت . وكانت هذه السيدة عدوة للاسلام لدودة وكانت تستعين بقلمها فى الصحافة وبخطاباتها فى الأندية والمجتمعات لمحاربة الاسلام ، ولكنها لم يمض عليها كبير وقت على تعرفها بالأستاذ الطاهر القلب والسريرة والى خان ؛ حتى أصبحت أحسن قدوة اسلامية يحتذى مثالها ، وهى الآن تقوم بدعوة عظيمة (قوية) لنشر الاسلام بين أبناء وطنها .

ومما ينبغى ملاحظته ويتعين التنويه به ، بشأن أستاذنا العلامة انه لايتعدى فى عمله ذلك المنوال الذى كان يسير عليه المجاهدون والمبشرون المسلمون من السلف الصالح رضى الله عنهم الذين بفضل جهودهم دخل الاسلام أمريكا والصين وغيرهما من البلاد النائية وهو فى كل عمله لايرجو الا وجه الله ولا يأكل الا من كسبه الخاص أطال الله عمره ، ووفق المسلمين لمعاونة أمثال هذا المجاهد العظيم . ولنا عودة الى آثاره فى الدعوة الاسلامية فى أوربا ان شاء الله .

على العمروسى

ثم نقول : إن الأمة قد أجمعت على قبول أحاديث البخارى ومسلم ؛ واعتبارها دليلا فى أصول الدين وفروعه ، وطريقا صحيحا فى العلم والعمل إلا بعض أحاديث قال علماء الفن انه اختل فيها ما اشترط هذان الامامان الجليلان فى تخريجهما للأحاديث ، وهى أحاديث قليلة معروفة ، ليس منها بحمد الله أحاديث عيسى عليه السلام

ولقد أصبحت أحاديث الصحيحين فى حكم المتواتر بتلقى الأمة لها بالقبول طبقة بعد طبقة إلى عصر الناس اليوم . وسند ماورياه فى رفع عيسى من الأسانيد التى نص علماء الحديث على انها من أعلى درجات الصحة ؛ وهى أحاديث عدة ؛ نسوقها بأسانيدها إن شاء الله . وسيرى القارىء أنها ليست من رواية أبى هريرة وحده ؛ على أننا اذا بلغنا إلى أبى هريرة ؛ فيجب أن نؤمن بروايته عن رسول الله ﷺ وما ينبغى لنا أن نرتاب فيها ؛ فان الريبة فى أبى هريرة تذهب بكثير من أصول الدين وفروعه . وما يجوز على أبى هريرة يجوز على بقية الصحابة الذين هم أمناء هذه الأمة على نقل دينها والاحتفاظ غضاً طريا حتى بلغوه إلى الناس كما سمعوه من رسول الله ﷺ وقد أقامهم الله تعالى بفضله حفظة على هذا الدين ؛ ولسنا بحاجة إلى تزكيتهم ونقل قول العلماء والأئمة فى ذلك فهو أشهر من أن يحتاج إلى دليل . فهم قوم اختارهم لصحبة نبيه وحبيبه ﷺ ، فهم أبر الناس قلوبا ؛ وأتقاهم لله . ولقد بذلوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل هـذا الدين وصيانته . ولو أنفق أحدنا مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، وليس فى أحاديث نزول عيسى رأى لأبى هريرة ولا اجتهاد له ولا لغيره ، حتى يسوغ لأحد القول بأن مجال الرأى والاجتهاد متسع لغيرهم كما قد اتسع لهم . فما هى إلا روايات وعوها عن لفظ رسول الله ﷺ كما سمعوها ، ثم أدوها كما سمعوها . فجزاهم الله عن الاسلام خير الجزاء .

(١) روى البخارى فى باب قتل الخنزير من كتاب البيوع ومسلم (ج ٢ ص ١٨٩ طبعة محمد عبد اللطيف) أحاديث نزول عيسى فى كتاب الايمان . حدثنا قتيبة بن سعيد ؛ حدثنا الليث بن سعد عن ابن شهاب الزهرى عن سعيد بن المسيب أنه سمع

أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، و يفيض المال، حتى لايقبله أحد » ورواه أحمد (ج٢ ص٢٤٠) و (ج٢ ص٢٧٢، ٤١٧)

(٢) روى البخارى فى باب كسر الصليب وقتل الخنزير من كتاب المظالم : حدثنا على بن عبدالله حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لاتقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا » ـ الحديث » رواه مسلم كذلك بعدة أسانيد إلى أبى هريرة والامام أحمد (ج ٢ ص ٥٣٨)

(٣) وروى البخارى فى نزول عيسى من كتاب أحاديث الأنبياء : حدثنا إسحاق بن راهويه ـ أخبرنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا أبى ـ ابراهيم بن سعد الزهرى ـ عن أبى صالح ـ ذكوان السمان ـ عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة قال قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لايقبله أحد ؛ حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ـ الحديث»

(٤) حدثنا ابن بكير ـ يحيى بن عبدالله ـ حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبى قتادة الأنصارى أن أباهريرة قال قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإماماً منكم » تابعه عقيل والأوزاعى . وقد رواه مسلم من عدة طرق والامام أحمد فى المسند (ج٢ ص ٢٧٢ و ص ٣٣٦)

(٥) وروى مسلم فى نزول عيسى من كتاب الايمان : حدثنا عبدالأعلى بن حماد وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب قالوا : حدثنا سفيان بن عيينة ح وحدثنا حرملة بن يحيى أخبرنا بن وهب قال حدثنى يونس ح وحدثنا حسن الحلوانى وعبد بن حميد عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد حدثنا أبى عن صالح كلهم عن الزهرى بهذا الاسناد . وفى رواية ابن عيينة « إماماً مقسطا» كما قال الليث وفى حديثه من الزيادة

« وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب ليؤمنن به قبل موته) الآية . ورواه الامام أحمد فى المسند (ج ٢ ص ٢٩٠)

(٦) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله ﷺ « والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا ، فليكسر الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يُسعَى عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد » ورواه أحمد (ج ٢ ص ٤٩٤)

(٧) حدثنى حرملة بن يحيى أخبرنا بن وهب اخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى نافع مولى أبى قتادة الأنصارى أن أبا هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم »

(٨) وحدثنى محمد حاتم حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن أخى ابن شهاب عن عمه قال أخبرنى نافع مولى أبى قتادة الأنصارى انه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وأمكم »

(٩) وحدثنى زهير بن حرب حدثنى الوليد بن مسلم حدثنا ابن أبى ذئب عن ابن شهاب عن نافع مولى أبى قتادة عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال « كيف انتم اذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم » فقلت لابن ابى ذئب : إن الأوزاعى حدثنا عن الزهرى عن نافع عن أبى هريرة « وإمامكم منكم » قال ابن ابى ذئب تدرى ما أمكم منكم ؟ قلت : تخبرنى . قال : فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ

(١٠) حدثنا الوليد بن شجاع وهارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر قالوا : حدثنا حجاج وهو ابن محمد عن ابن جريج قال اخبرنى ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون

على الحق ظاهرين الى يوم القيامة . قال: فينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فيقول أميرهم : تعال صل بنا فيقول : لا ، ان بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الأمة » ورواه احمد (ج ٣ ص ٣٤٥ و ٣٤٨)

(١١) وروى مسلم فى كتاب الفتن (ج ١٨ ص ٢٢٠) : حدثنا زهير بن حرب حدثنا معلى بن منصور حدثنا سليمان بن بلال حدثنا سهيل عن أبيه عن ابى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لاتقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فلما تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ؛ فيقول المسلمون : لا والله لانخلى بينكم وبين اخواننا فيقاتلونهم ، فينهزم ثلث لايتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عندالله ، ويفتتح الثلث لايفتنون أبداً ، فيفتتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : ان المسيح قد خلفكم فى أهليكم ، فيخرجون وذلك باطل . فاذا جاءوا الشام خرج ؛ فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى ابن مريم فأمهم . فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته »

(١٢) وروى مسلم (ج ١٨ ص ٦٣) والامام أحمد فى المسند (ج ٤ ص ١٨١) : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا الوليد بن مسلم حدثنى عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر حدثنى يحيى بن جابر الطائى قاضى حمص حدثنى عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير الحضرمى أنه سمع النواس بن سمعان الكلابى ح وحدثنى محمد بن مهران الرازى - واللفظ له - حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائى عن عبد الرحمن بن جبير عن نفير عن أبيه جبير ابن نفير عن النواس بن سمعان قال : « ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل . فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا - الحديث

إلى أن قال : ـ فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ؛ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد ، فيقتله ، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله الى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لايدان لأحد بقتالهم ؛ فحرز عبادي الى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الأرض فلا يجدون موضعاً في الأرض إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ـ الحديث » .

(١٣) وروى مسلم (ج ١٨ ص ٧٥) والامام أحمد (ج ٢ ص ١٦٦) : حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل ، فقال : « ماهذا الحديث الذي تحدث به ، تقول : ان الساعة تقوم الى كذا وكذا ؟ فقال : سبحان الله ، أو لا إله إلا الله ، أو كلمة نحوهما ، لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً . انما قلت : انكم سترون بعد قليل أمراً عظيما ، يحرق البيت ويكون ويكون . ثم قال : قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين ، لاأدري أربعين يوما أو أربعين شهراً أو أربعين عاما . فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين

ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ؛ فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه ـ الحديث » .

(١٤) وروى الأمام احمد فى المسند (ج ٢ ص٤٠٦ و٤٣٧) : حدثنا عفان قال حدثنا همام قال أخبرنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال « الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى ، وانه نازل ؛ فاذا رأيتموه فاعرفوه : رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض ؛ عليه ثوبان ممصران ؛ كأنه رأسه يقطر وان لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ويقتل الخنزير و يضع الجزية و يدعو الناس الى الاسلام فيهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الاسلام ، ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال ، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الابل ؛ والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لاتضرهم ، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ، ويصلى عليه المسلمون » .

(١٥) وروى الامام أحمد (ج ٣ ص٣٦٧) : حدثنا محمد بن سابق حدثنا ابراهيم بن طهمان عن أبى الزبير عن جابر انه قال : قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال فى خفقة من الدين وادبار من العلم ـ الحديث إلى أن قال ـ : ثم ينزل عيسى ابن مريم ، فينادى بالسحر فيقول : ياأيها الناس ، مايمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون : هذا رجل جنى ، فينطلقون، فاذا هم بعيسى بن مريم عليه السلام فتقام الصلاة ، فيقال له : تقدم ياروح الله ، فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم . فاذا صلى صلاة الصبح خرجوا اليه قال : فحين يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء ، فيمشى اليه فيقتله ، حتى ان الشجرة والحجر ينادى : ياروح الله هذا يهودى ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً الا قتله »

(١٦) حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا الزهرى عن عبيدالله بن عبيدالله بن ثعلبة

عن عبد الله بن يزيد قال : سمعت مجمع بن جارية الأنصارى ، وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن ، « أن النبى ﷺ ذكر الدجال فقال : يقتله ابن مريم بباب لد »

(١٧) حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث يعنى ابن سعد حدثنا ابن شهاب أنه سمع عبد الله بن ثعلبة الأنصارى يحدث عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصارى من بنى عمرو بن عوف يقول : سمعت عمى مجمع بن جارية يقول سمعت النبى ﷺ يقول « يقتل ابن مريم الدجال بباب لد »

(١٨) حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعى عن الزهرى عن عبد الله الخ

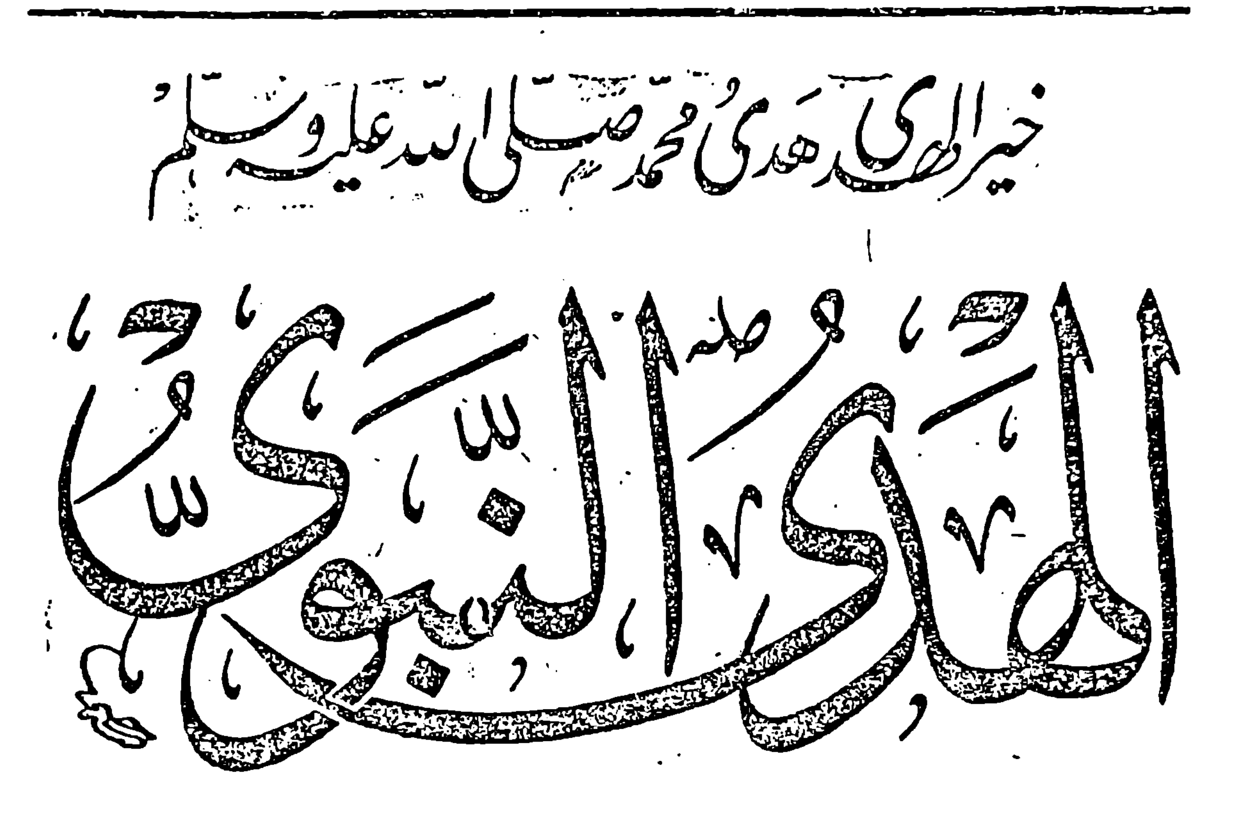
(١٩) حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبد الله بن عبيد الله ابن ثعلبة عن عبد الله بن يزيد عن مجمع بن جارية قال سمعت رسول الله ﷺ الخ

(٢٠) حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن على بن يزيد عن أبى نضرة قال «أتينا عثمان بن أبى العاص فى يوم جمعة لنعرض عليه مصحف ـ الحديث الى أن قال ـ : وينزل عيسى بن مريم عند صلاة الفجر ، فيقول له أميرهم : روح الله تقدم صل ، فيقول : هـذه الأمة أمراء بعضهم على بعض ، فينقدم أميرهم فيصلى . فاذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فيذهب نحو الدجال ، فاذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حربته بين ثندوته فيقتله وينهزم أصحابه ، فليس يومئذ شىء يوارى منهم أحـداً ، حتى ان الشجرة لتقول : يامؤمن هـذا كافر ، ويقول الحجر : يامؤمن هذا كافر »

وأرجو أن يكون فى هذه الأحاديث كفاية لاثبات ما ادعيناه من أن نزول عيسى عليه السلام ثابت بالسنة الصحيحة . ولست أدعى لنفسى العصمة من الخطأ ، فأرجو من يرى فى قولى شيئاً من البعد عن الحق أن يردنى الى الصواب بحجة صحيحة من كلام الله أو سنة رسول الله ﷺ أو قول صاحب أو تابع أو امام معتبر . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ونسأله سبحانه أن يهدينا سواء السبيل . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

محمد حامد الفقى

القعدة سنة ١٣٦١ العددان ٢١ و ٢٢ السنة السادسة



مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية)

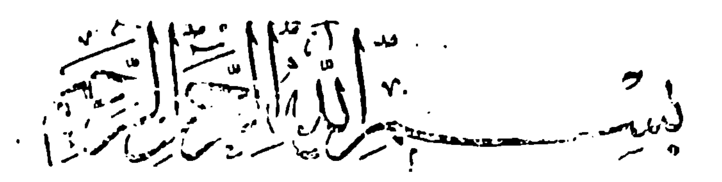
تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقي

عدد خاص بكتاب الدارمي

مطبعة أنصار السنة المحمدية



الحمد لله الذي هو كما وصف نفسه العلية وفوق ما يصفه خلقه، لا نحصي ثناء عليه. هو كما أثنى على نفسه، لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الذي ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى. وعلى أصحابه وآله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعد، فاني حين فرغت من طبع كتاب « رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد » قامت شرذمة من الناس تحت راية رجل أعماه التقليد الجاهلي، وأصمته العصبية لنفسه، لا كما يدعي زوراً للامام أبي حنيفة رضي الله عنه. فان أبا حنيفة واخوانه الأئمة اعداء أولئك الأدعياء الذين يحاولون الالتصاق بالأئمة، كما تحاول الحشرة أن تلتصق بجسم الانسان فتؤذيه أشد الأذى. قامت تلك الشرذمة وتنادت بالويل والثبور، لأن حامداً رئيس أنصار السنة المحمدية نشر في الناس رد الدارمي الذي مزق أديم داعيـة الجهمية في زمانه ـ المريسي ـ والمريسي زعم رئيس الشرذمة أنه مثله، لصيق بأبي حنيفة الامام، وإن تمزيق أديمه تمزيق لأديمه وأديم الاصدقاء اشباهه، فأخذته الحمية لنفسه، والخوف عليها. فدعا عصابته، ونادى شرذمته هلموا إليّ بأقلامكم وألسنتكم لعلنا أن ننال من أديم الدارمي وناشر كتابه مثل ما نال الدارمي من المريسي وشيعته الجهمية المعطلة لصفات رب العالمين. فأتوه عجلين ثم شمروا عن سواعدهم وأراقوا عدة قوارير من الحبر سوّدوا بها مجلدات، فكان أديم الامام الدارمي وأديم ناشر كتابه أقوى بالايمان والعمل الصالح والسيرة المحمودة والمكانة عند الأمة الاسلامية من أن يخدشه شيء من كل هذه الأقلام والألسنة، وانجلت المعركة عن خيبة عميقة لأولئك الجهمية المساكين، كشأن أسلافهم من حزب المريسي واخوانه المأفونين. فلما رأوا أن الله قد ملأ أيديهم من

الخيبة وأن الناس قد أقبلت على كتاب الدارمى تشتريه ، وعلى نادى انصار السنة تسمع لناشره وتأخذ عنه العقيدة الصحيحة فى الأسماء والصفات كما أوحاها الله تعالى لرسوله وكما بلغها رسوله الصادق الأمين . راحوا متصنعين الفزع على الدين ، ومتكالبين الخوف على عقيدة المسلمين . يطرقون باب الأزهر ، ويستعدونه على كتاب الدارمى وناشره ومناصره . ثم أخذوا يرجفون بأن مشيخة الأزهر ستقتل الدارمى وتمحوا اسمه من سجل العلماء بمصادرة كتابه ، وستسلخ عن ناشره ثوب العالمية ، وعجب الناس لهذه الأراجيف ، ودهشوا للكتابات والتقريرات التى تنشر عن الكتاب وما وجه اليه من تهم مرة وعن الناشر ومقدمته مرة أخرى بعد حين .
ثم مالبث أن طلع عليهم تقرير العلامة الجليل الأستاذ الشيخ شلتوت فمحا غياهب الأراجيف ، وجلا الحقيقة التى كان يتلهف عليها الناس من الأزهر وعلمائه الغيورين على الاسلام والذابين عن حياضه بصدق واخلاص ، ثم انتهت مرحلة الدارمى وكتابه وناشر كتابه فى جلسة جماعة كبار العلماء الموقرين وقالت كلمتها التى طالما انتظرها الناس ثلاث سنوات ، فكانت تلك الكلمة خيبة وخزياً جديدا المرجفين وشيعة المريسى وجهم من المعطلين . فان جماعة كبار العلماء حفظهم الله قالوا « إن الكتاب لايصادر » وهذه هى الصاعقة التى أحرقت كل أفاك يحاول أن يتحكم فى عقائد المسلمين ويريد أن يعيد محاكم التفتيش المسيحية ، التى كانت تعذب الناس أن لا يقولوا فى الدين إلا مايهواه الرؤساء والأحبار والرهبان . فجاءت كلمة كبار العلماء عنوانا ضخما لكتاب العصر الذى سيقرأ الناس فيه الاسلام من جديد فى مصادره الأصلية من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح رضى الله عنهم . وسيتحررون به من قيود قال فلان ورأى فلان ، ليكونوا مسلمين بعقيدة تخالط حلاوتها بشاشة قلوبهم لا آلات عتيقة صماء تدار بأيدٍ بعيدة لا تعرف عن الدين شيئا ولا تتصل من الدين إلا بالاسم والدعوى فقط

وليس الامام الدارمى بحاجة الى دفاع مثلى : وقد ضمنت كتب التاريخ والسير

بالثناء عليه وتفخيم شأنه ؛ خصوصاً ابن السبكي في طبقات الشافعية ؛ وقد كان حامل راية المعارضة للامام ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه . قال ابن السبكي رحمه الله قال فيه ماذكره التقرير الثاني في ص ٢٦ من هذا العدد بعنوان (منزلة المؤلف)

واني أرد على أولئك المرجفين زعمهم - كذبا وزورا - أني تناولت في مقدمتي أئمة الدين بما لا ينبغي ، وان كلامي لبيّن واضح في أني انما أعني من عنام الشيخ على بن على الغزى الحنفي المتوفى سنة ٧٤٦ هـ إذ قال في شرحه للطحاوية :

وأخبر الله أن المنافقين يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ، وأنهم اذا دعوا الى الله والرسول - وهو الدعاء الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ صدوا صدودا ، وأنهم يزعمون أنهم انما أرادوا إحسانا وتوفيقا ، كما يقوله كثير من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم : انما نريد ان نحس الأشياء بحقيقتها ، أى ندركها ونعرفها ، ونريد التوفيق بين الدلائل التي يسمونها العقليات ، وهي في الحقيقة جهليات ، و بين الدلائل النقلية المنقولة عن الرسول ﷺ - إلى أن قال - فكل من طلب أن يحكم في شيء من أمر الدين غير ماجاء به الرسول ، ويظن أن ذلك حسن وأنه جمع بين ماجاء به الرسول ﷺ وبين مايخالفه ، فله نصيب من ذلك ، بل ماجاء به الرسول كاف كامل يدخل فيه كل حق . وانما وقع التقصير من كثير من المنتسبين اليه فلم يعلم ماجاء به الرسول ﷺ في كثير من الأمور الكلامية الاعتقادية ، ولا في كثير من الأحوال العبادية ؛ ولا في كثير من الأمور السياسية ؛ أو نسبوا الى شريعة الرسول بظنهم وتقليدهم ماليس منها وأخرجوا عنها كثيراً مما هو منها . فبسبب جهل هؤلاء وضلالهم وتفريطهم ؛ ولبس وعدوان أولئك وجهلهم ونفاقهم ، كثر النفاق ودرس كثير من علم الرسالة ، بل انما يكون البحث التام والنظر القوى والاجتهاد الكامل فيما جاء به الرسول ﷺ ليعلم ويعتقد ويعمل به ظاهراً وباطنا ؛ فيكون قد تلى حق تلاوته - الى أن قال - : وأن لايهمل منه شيء ، وان كان العبد عاجزاً عن معرفة بعض ذلك أو العمل به فلا ينهى عما عجز عنه مما جاء به الرسول بل حسبه أن يسقط عنه اللوم

البقية على صفحة ٥١

التقرير الأول

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس جماعة كبار العلماء . تنفيذاً لخطاب فضيلتكم المؤرخ فى ١٤ من ذى القعدة سنة ١٣٥٨ المبلّغ فيه ماقررته جماعة كبار العلماء بجلستها المنعقدة فى يوم الثلاثاء ٨ من ذى القعدة سنة ١٣٥٨ من ندبنا لبحث موضوع السؤال المقدم من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان عضو الجماعة . وتقديم تقرير عنه مشتمل على الأسانيد الشرعية ـ قد اجتمعنا عدة جلسات وبحثنا الموضوع ـ وأنه ليؤسفنا أن المرحوم حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد نصر شيخ المالكية قد عاقه قبل وفاته مرض شديد عن أن يشارك اللجنة فى عملها ، فنسأل الله تعالى له الرحمة والرضوان .

وقد وصلنا الى النتيجة المبينة بهذا التقرير فنتشرف بتقديمه لفضيلتكم للتفضل بالنظر

« السؤال » ماقول سادتنا أعلام الأمة جماعة كبار العلماء فيمن قال : « إن الملائكة حملة العرش الثمانية أوعال ذات قرون لها كعوب ككعوب القنا مابين أخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ، ومن كعبه الى ركبتيه مسيرة خمسمائة عام ، ومن ركبتيه الى ترقوته مسيرة خمسمائة عام ، ومن ترقوته الى موضع القرن مسيرة خمسمائة عام » . ومن قال : « حملة العرش منهم من صورته على صورة النسر ، ومنهم من صورته على صورة الثور ، ومنهم من صورته على صورة الأسد » هل من قال ذلك مؤمن أم لا ؟ وإذا قلتم بأنه مؤمن فكيف يكفر بنص القرآن من قال : أن الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناث ، ولم يكفر من قال أنهم تيوس ، مع أن النساء أشرف من التيوس وأحسن حالا منها . وهل إذا وجد ذلك فى أثر من الآثار تصح نسبته الى رسول الله ﷺ أو لا تصح ؟ فيكون مكذوبا على رسول الله ﷺ ، وكيف تصح نسبته مع أنه جاء على خلاف مايقتضيه القرآن الكريم ، وكل حديث خالف مقتضى كتاب الله فهو رد مدسوس على رسول الله ﷺ . وما تقولون أثابكم الله فيمن ناصر هذه الفكرة هل يكفر أو يفسق أو لا ولا ، وما وجه ذلك مفصلا ؟ أثابكم الله ونفع بكم الأنام ، والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد المجيد اللبان

هذا نص السؤال . ولما كان متعلقا بما ورد من الآثار التي اشتمل عليها كتاب عثمان بن سعيد الدارمي ؛ رأينا أن ننقل تلك الآثار بنصها من الكتاب المذكور، ونتكلم عليها من ناحيتي الرواية والدراية ، فنبحث عمن خرجها، وعن درجة رواتها للوقوف على حالها من الصحة والضعف .

ثم نذكر رأي العلماء فيما يجب اعتقاده في الملائكة ، والحكم الشرعي فيمن خالف تلك العقيدة ، ونقارن بين ذلك وبين ماتفيده تلك الآثار على فرض صحتها . وبذلك يتبين الجواب عن السؤال إجمالا ثم نتبع ذلك بالجواب عنه تفصيلا :

ذكر الدارمي في كتابه ثلاثة آثار فقال مانصه صفحة ٩١و٩٢ .

١ — حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : لحملة العرش قرون لها كعوب ككعوب القنا مابين أخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ، ومن كعبه الى ركبتيه مسيرة خمسمائة عام، ومن ركبتيه الى ترقوته مسيرة خمسمائة عام، ومن ترقوته الى موضع القرن مسيرة خمسمائة عام .

٢ — حدثنا موسى بن اسماعيل ؛ حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن عروة قال : حملة العرش منهم من صورته على صورة النسر ، ومنهم من صورته على صورة الثور ، ومنهم من صورته على صورة الأسد .

٣ — حدثنا اسماعيل بن عبد الله الرقي أبو الحسن السكري ؛ حدثنا شريك عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب في قوله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قال ثمانية أملاك على صورة الأوعال .

« التخريج » أما الأثر الأول المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما فلم نعثر على من خرجه بهذا السياق غير الدارمي ، وأخرجه غيره بسياق آخر : وقبل أن ننقل سياقاته الأخرى نتكلم عن سند الدارمي، وهو يشتمل على أربعة رجال (١) موسى بن اسماعيل (٢) حماد « والظاهر أنه ابن سلمة كما صرح به الدارمي في سند آخر » (٣) علي بن زيد (٤) يوسف بن مهران .

أما موسى بن اسماعيل فثقة من رجال الصحيح أخرج له البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن .

وأما حماد بن سلمة فأخرج له مسلم وأصحاب السنن وعلق عنه البخارى . قال البيهقى هو أحد أئمة المسلمين إلا أنه لما كبر ساء حفظه فلذا تركه البخارى . وأما مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ماسمع منه قبل تغيره وما سوى حديثه عن ثابت لايبلغ اثنى عشر حديثاً أخرجها فى الشواهد اه .

ويؤخذ من تهذيب التهذيب لابن حجر أن كثيراً من أئمة التعديل وثقوه .

وأما على بن زيد فروى عنه قتادة والسفيانان والحمادان ؛ وقال أحمد وأبو زرعة ليس بالقوى ؛ وقال أبو خزيمة سيء الحفظ ، وقال معاوية بن صالح عن يحيى ضعيف ، وقال عثمان الدارمى عن يحيى ليس بذاك القوى ، وقال ابن أبى خيثمة عن يحيى ضعيف فى كل شيء . وفى رواية عنه ليس بذاك ، وقال الجوزجانى واهى الحديث ضعيف لايحتج بحديثه ، وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال النسائى ضعيف ، وقال يعقوب بن شيبة ثقة صالح الحديث وإلى اللين ماهو ، وقال الترمذى صدوق إلا أنه ربما رفع الشيء الذى وقفه غيره . كذا يؤخذ من تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر والخلاصة للخزرجى .

وأما يوسف بن مهران فقال الميمونى عن أحمد لايعرف ولا أعرف أحداً حدث عنه إلا على بن زيد ، وقال أبو زرعة ثقة ؛ وقال ابن سعد ثقة قليل الحديث . كذا يؤخذ من تهذيب التهذيب لابن حجر .

فيؤخذ مما ذكرناه أن هذا الأثر برواية الدارمى ضعيف لايعول عليه والله أعلم .

وفى تفسير السيوطى بالمأثور المسمى بالدر المنثور عند تفسير قوله تعالى : « ويوم تشقق السماء بالغمام » مانصه : أخرج عبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى الأهوال وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قرأ هذه الآية الى قوله تعالى : «ونزل الملائكة تنزيلا» فقال : يجمع الله تعالى الخلق فتشقق السماء

الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى الأرض من الجن والانس وجميع الخلق ، فيحيطون بجموعهم فيقول أهل الأرض أفيكم ربنا ؟ فيقولون لا ، ثم تنشق السماء الثانية – الى أن قال بعد ذكر باقى السموات السبع – ثم ينزل ربنا فى ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع والانس والجن وجميع الخلق ، لهم قرون ككعوب القنا وهم تحت العرش لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله تعالى مابين أخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ، ومن فخذه الى ترقوته مسيرة خمسمائة عام ، ومن ترقوته الى موضع القرن مسيرة خمسمائة عام ، وما فوق ذلك خمسمائة عام اﻫ . قال الألوسى بعد نقله ماسبق : ونزول الرب جل وعلا من المتشابه . وكذا قوله وحوله الكروبيون اﻫ .

وذكره ابن كثير عن ابن أبى حاتم بسنده وهو بهذا السياق ومن طريق على بن زيد عن يوسف بن مهران كرواية الدارمى ، وكذلك ابن جرير أخرجه فى تفسيره من هذا الطريق لكن بسياق آخر . فالظاهر أن هذا الأثر لم يرو إلا عن على بن زيد عن يوسف بن مهران ولذلك قال ابن كثير (فمداره على على بن زيد بن جدعان وفيه ضعف فى سياقاته غالباً وفيها نكارة شديدة ، وقد ورد فى حديث الصور المشهور قريب من هذا) اﻫ . وقد سبق القول فى على بن زيد وأن الجمهور على تضعيفه .

وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات بسنده عن ابن عباس قال : حملة العرش مابين كعب أحدهم الى أسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام . وفى سنده جعفر بن برقان . ونقل ابن حجر فى تهذيب التهذيب عن ابن خزيمة أنه لايحتج به إذا انفرد ، وعن ابن معين وابن سعد أنه ثقة ، وعن أحمد والنسائى ليس بالقوى فى الزهرى ، وعن الدارقطنى أن حديثه عن يزيد الأصم ثابت صحيح اﻫ . « وهو فى سند البيهقى عن يزيد الأصم » ويؤخذ من ذلك أنه بهذا السياق والإسناد قوى فى الجملة والله أعلم

وأما الأثر الثانى المنقول عن عروة بن الزبير فأخرجه ابن خزيمة فى كتاب التوحيد والبيهقى فى الأسماء والصفات .

أما ابن خزيمة فقال فى صفحة ٦١ حدثنا بحر بن نصر بن سابق الخولانى قال: حدثنا أسد السنة يعنى ابن موسى قال : حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة « عن أبيه » قال : حملة العرش أحدهم على صورة إنسان والثانى على صورة ثور والثالث على صورة نسر والرابع على صورة أسد اه .

وأما البيهقى فقال فى صفحة ٣٩٩ وروى هشام بن عروة عن أبيه قال : حملة العرش منهم من صورته صورة الانسان ، ومنهم من صورته صورة النسر ، ومنهم من صورته صورة الثور ، ومنهم من صورته صورة الأسد اه . ورجال سند الدارمى أربعة : اثنان منهم تقدم الكلام عليهما وأنهما ثقتان من رجال الصحيح وهما موسى بن اسماعيل وحماد بن سلمة ، والباقيان وهما هشام بن عروة وأبوه عروة بن الزبير مشهوران معروفان لا كلام فيهما .

ويؤخذ من ذلك أن هذا الأثر عن عروة ليس بضعيف ، والله تعالى أعلم .

وأما الأثر الثالث المنقول عن العباس بن عبد المطلب فأخرجه أبو داود فى سننه ، والترمذى فى جامعه ، وابن ماجه فى سننه ، وأحمد فى مسنده ، والحاكم فى مستدركه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ، وابن خزيمة فى كتاب التوحيد ، وأبو يعلى وابن المنذر وابن مردويه والخطيب .

١ أما أبو داود فقال فى سننه : حدثنا محمد بن الصباح البزار أخبرنا الوليد ابن أبى ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال : « كنت فى البطحاء فى عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال ماتسمون هذه ؟ قالوا السحاب ، قال والمزن ؟ قالوا والمزن : قال والعنان ، قالوا والعنان . قال أبو داود لم أتقن العنان جيداً . قال وهل تدرون مابين السماء والأرض ، قالوا لاندري ، قال إن بعد مابينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين

أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله فوق ذلك .

حدثنا أحمد بن سريج أخبرنا عبدالرحمن بن عبدالله بن سعد ، ومحمد بن سعد قالا : أخبرنا عمرو بن أبي قيس عن سماك باسناده ومعناه . حدثنا أحمد بن حفص حدثني أبي حدثني ابراهيم بن طهمان عن سماك باسناد ومعنى هذا الحديث الطويل — هذا لفظ أبي داود . قال الحافظ عبد العظيم المنذرى فى تهذيب متن أبي داود وأخرجه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن غريب ؛ وروى شريك بعض هذا الحديث فوقفه اهـ . ورواية شريك هذه هى التى أوردها الدارمى فى كتابه كما سبق .

٢ — وأما الترمذى فأخرجه فى تفسير سورة الحاقة من جامعه عن عبد بن حميد عن عبد الرحمن بن سعد عن عمرو بن أبي قيس عن سماك الى آخر السند والحديث. ثم قال : قال عبد بن حميد سمعت يحيى بن معين يقول ألا يريد عبدالرحمن بن سعد أن يحج حتى يسمع منه هذا الحديث . هذا حديث حسن غريب ، وروى الوليد بن أبي ثور عن سماك نحوه ، وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث ووقفه ولم يرفعه انتهى المقصود من كلام الترمذى .

٣ — وأما ابن ماجه فأخرجه فى سننه من طريق الوليد بن أبي ثور مرفوعا .

٤ — وأما أحمد فأخرجه من طريق عبد الرزاق عن يحيى بن العلاء عن شعيب ابن خالد عن سماك وزاد فى آخره « وليس يخفى عليه من أعمال بنى آدم شىء »

٥ — وأما الحاكم فأخرجه من طريق شريك موقوفا ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقد أسند هذا الحديث الى رسول الله ﷺ شعيب بن خالد والوليد بن أبي ثور وعمرو بن ثابت المقدام عن سماك بن حرب ولم يحتج الشيخان بواحد منهم . وقد ذكرت حديث شعيب بن خالد إذ هو أقرب الى الاحتجاج اهـ . ثم ساق الحديث من طريق يحيى بن العلاء عن شعيب بن خالد عن

سماك الخ ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك إلا أنه انتقده في سياق المرفوع فقال: ساقه من طريق يحيي بن العلاء عن شعيب وهو واهٍ وحديث الوليد أجود اه .

٦ ـ وأما البيهقي فأخرجه في الأسماء والصفات مرتين : مرة في ص ٣٩٩ عن أبي داود وحكى جميع عبارته السابقة بأسانيده الثلاثه . ومرة أخرى في ص ٤١٦ من طريق ابراهيم بن طهمان فقط ، وهو السند الثالث لأبي داود.

٧ـ وأما ابن خزيمة فأخرجه في كتاب التوحيد ص٦٨ مرفوعا من طريق عمرو ابن أبي قيس ، و بعد أن ساق الحديث قال : ورواه الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس قال حدثني العباس بن عبد المطلب الخ الحديث وأخرجه في ص ٧٢ من طريق شريك موقوفا كالدارمي والحاكم

٨ ـ ١١ – وأما الباقي فننقل تخريجه عنهم السيوطي في الدر المنثور ونصه : أخرج عبد بن حميد وعثمان الدارمي وأبو يعلى وابن المنذر وابن خزيمة وابن مردويه والحاكم وصححه ، والخطيب في تالي التلخيص عن العباس بن عبد المطلب في قوله (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ثمانية أملاك على صورة الأوعال) اه

فيؤخذ مما نقلناه عن هؤلاء الأئمة أن هذا الحديث روى موقوفا على العباس ابن عبدالمطلب وروى مرفوعا . و مداره في الحالين على سماك بن حرب عن عبدالله ابن عميرة عن الأحنف بن قيس . ولذلك كان غريباً كما قاله الترمذى ، وقد رواه عن سماك ستة واحد رواه بالوقف وهو شريك عند الدارمي والحاكم وابن خزيمة وأشار له الترمذى . وخمسة رووه بالرفع الأول الوليد(١) بن أبي ثور عند أبي داود والبيهقي وأشار له الترمذى والحاكم وابن خزيمة . والثاني ابراهيم بن طهمان عند أبي داود والبيهقي . والثالث عمرو بن أبي قيس عند الترمذى وأبي داود وابن خزيمة . والرابع شعيب بن خالد عند الحاكم وأحمد . والخامس عمرو بن ثابت المقدام أشار له الحاكم.

« تاريخ الرجال » أما ابراهيم بن طهمان فأخرج له الستة وهو ثقة ، وأما شريك

فأخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة وغالب أئمة التعديل على توثيقه ، وأما شعيب ابن خالد فأخرج له أبو داود وهو ثقة ، وأما الوليد بن أبي ثور وعمرو بن ثابت فضعيفان ، وأما عمرو بن ابي قيس فأخرج له اصحاب السنن الأربعة وعلق عنه البخاري وفيه خلاف فذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البزار مستقيم الحديث . وقال عثمان بن شيبة كان يهم قليلا . وقال أبو داود في حديثه خطأ .

ثم إن أبا داود كما سبق روى هذا الحديث من طريق ابراهيم بن طهمان بواسطة احمد بن حفص وأبيه وهما ثقتان أخرج لهما البخاري والنسائي غير أبي داود . ورواه أيضاً من طريق عمرو بن ابي قيس بواسطة احمد بن ابي سريج وعبدالرحمن بن عبدالله بن سعد والأول منهما ثقة اخرج له غير ابي داود والبخاري والنسائي والثاني ثقة أخرج له اصحاب السنن الأربعة . ورواه من طريق الوليد بن أبي ثور بواسطة محمد بن الصباح وهو ثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة . ورواه الحاكم في المرفوع واحمد من طريق شعيب بن خالد بواسطة يحيي بن العلاء وهو ضعيف بل قيل انه كذاب . كذا في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر :

ويعلم منه أن السند الى هنا صحيح .

وبقي النظر في سماك بن حرب وعبد الله بن عميرة والأحنف بن قيس الذين انفردوا بروايته فإن عليهم مدار صحته أو ضعفه .

أما سماك بن حرب فأخرج له مسلم واصحاب السنن وعلق عنه البخاري . ونقل ابن ابي مريم وابن ابي خيثمة عن ابن معين انه ثقة . وقال ابو حاتم صدوق ثقة . وقال البزار في مسنده كان رجلا مشهورا لا أعلم احداً تركه وكان قد تغير قبل موته . وقال ابن عدي ولسماك حديث كثير مستقيم إن شاء الله وهو من كبار تابعي اهل الكوفة وأحاديثه حسان وهو صدوق لا بأس به . وعن الثوري وابن المبارك أنه ضعيف وعن ابن حبان أنه كان يخطىء كثيراً ، وعن ابن خراش ان في حديثه ليناً ، وعن النسائي مرة انه لا بأس به وفي حديثه شيء ومرة أخرى انه كان ربما لقن ،

فاذا انفرد بأصل لم يكن حجة لأنه كان يلقن فيتلقن . وعن جرير بن حميد أنه قال أتيته مرة فرأيته يبول قائما فرجعت ولم أسأله عن شيء . وقال يعقوب وروايته عن عكرمة خاصة، مضطربة وهو فى غيره صالح وليس من المتثبتين. كذا فى تهذيب التهذيب

وأما عبدالله بن عميرة فقال الحافظ فى تهذيب التهذيب ما نصه: روى عن الأحنف ابن قيس عن العباس حديث الأوعال وعنه سماك بن حرب وفيه عن سماك اختلاف قال البخارى لا يعلم له سماع من الأحنف، وذكره ابن حبان فى الثقات وحسن الترمذى حديثه ، قلت : وقال ابو نعيم فى معرفة الصحابة أدرك الجاهلية وكان قائد الأعشى لا تصح له صحبة ولا رؤية. ذكره بعض المتأخرين يعنى ابن منده . وقال مسلم تفرد سماك بالرواية عنه ، وقال ابراهيم الحربى لا أعرفه ، وقال ابن ماكولا روى عن جرير وغيره اه .

وأما الأحنف بن قيس فمعروف مشهور وهو الذى يضرب المثل بحلمه ، والله اعلم.

هذا ما رأينا بيانه فيما يتعلق بحال رجال هذا الحديث .

ونحن نقول إذا صح أن عبد الله بن عميرة لم يسمع من الأحنف بن قيس كان فى السند انقطاع . وعلى رأى ابراهيم الحربى يكون عبدالله المذكور مجهولا . وقد صرح الذهبى فى ميزان الاعتدال بأن فيه جهالة وعلى ذلك لا يكون الحديث صحيحاً ولا حسنا بل ضعيفا . وإذا جرينا على رأى من ضعف سماكا الراوى عنه لا يكون الحديث من هذه الجهة أيضاً صحيحا بل ضعيفا ، ولعل هذا هو السر فى قول أبى بكر بن عربى فى عارضة الأحوذى شرح الترمذى عند الكلام على هذا الحديث ما نصه : وروى غير ذلك «يعنى الأوعال» ولم يصح شيء منه وانما هى أمور تلقفت من اهل الكتاب ليس لها اصل فى الصحة . وقد روى أن النبى ﷺ أنشد قول أمية بن ابى الصلت :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

ولم يصح اه .

أما الترمذى الذى حسنه والحاكم الذى صححه فلعلهما يريان أن سماكا ثقة كما وثقه كثير من أئمة التعديل والجرح كما سبق . ولعلهما ثبت عندهما سماع عبد الله

ابن عميرة من الأحنف بن قيس . وذلك لاينافى كلام البخارى السابق نقله . فان عدم علمه بسماعه لاينافى أن غيره علمه . وثبت عندهما أيضاً أنه معروف لا مجهول وذلك لاينافى كلام ابراهيم الحربى والذهبى فان عدم كونه معروفاً عندهما لاينافى أنه معروف عند غيرهما . وأما الاختلاف الذى أشار اليه الحافظ ابن حجر فى ترجمة عبدالله بن عميرة فلعل المراد به الاختلاف فى وقفه ورفعه وذلك لايقدح فى صحته . من أجل ذلك كله حسنه الأول وصححه الثانى .

بقى النظر فى قيمة تحسين الترمذى وتصحيح الحاكم فان بعض الأئمة قد طعن فى ذلك . فقد نقل الألوسى عند تفسير قوله تعالى (وإنا لنراك فينا ضعيفا) أن بعضهم قال تصحيح الحاكم كتضعيف ابن الجوزى لايعول عليه . ونقل الزيلعى فى نصب الراية صفحة ٢١٧ من الجزء الثانى عن ابن دحية أنه قال: « وكم حسن الترمذى من أحاديث موضوعة وأسانيد واهية » وذلك يقتضى ألا قيمة لحكمهما ولا تعويل عليه.

والذى نراه أنا إذا جرينا على صحة ماقيل فى شأنهما لم يكن معناه الحكم على كل حديث أورداه بالضعف أو بالوضع بل يجب البحث فى كل حديث حسنه الترمذى أو صححه الحاكم ومعرفة حال رجاله . ونحن قد بحثنا عن رجال سند هذا الحديث فظهر لنا كما سبق أن من يجرى على الصحة له وجه ، ومن يجرى على أنه ضعيف له وجه.

وغالب الحفاظ الذين نظروا فى هذا الحديث سكتوا عليه ولم ينبهوا على ضعفه فالحافظ عبدالعظيم المنذرى سكت عليه فى تهذيب سنن أبى داود كما تقدمت عبارته. والحافظ الذهبى فى تلخيص المستدرك وافق الحاكم على أن الموقوف صحيح على شرط مسلم كما سبق أيضاً . والحافظ البيهقى رواه فى الأسماء والصفات وسكت عليه . وابن القيم فيما علقه على سنن أبى داود صححه ودافع عن صحته . ويؤخذ من كلامه أن بعضهم ضعفه ولذلك كان يرد عليه ، والله أعلم بحقيقة الحال .

هذا مايتعلق بهذه الآثار الواردة فى صفة حملة العرش من فن الحديث . ثم ان

غالب كتب التفسير المطبوعة قد تعرضت لهذه الآثار أو بعضها أو نظيرها مثل تفسير الحافظ ابن كثير . وتفسير محيي السنة البغوى وتفسير ابن جرير الطبرى . وتفسير الفخر الرازى ، وتفسير الزمخشرى ، وتفسير النيسابورى ، وتفسير الخطيب وتفسير الخازن ، وتفسير القرطبى كما نقله عنه الجمل فى حاشيته على الجلالين . وتفسير السيوطى بالمأثور المسمى بالدر المنثور ؛ وتفسير الألوسى . وجميع هؤلاء المفسرين حكواهذه الروايات أو بعضها أو نظيرها وسكتوا عليها .

وأبو حيان فى تفسيره المسمى بالبحر المحيط لم يذكرها ونبه على تكاذبها فقال مانصه: وذكروا فى صفات هؤلاء الثمانية أشكالا متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحاً اه . وحكى ذلك عنه الألوسى والله أعلم .

« حقيقة الملائكة » قال السعد فى شرح المقاصد ، جمهور المسلمين على أن الملائكة أجسام لطيفة تظهر فى صور مختلفة وتقوى على أفعال شاقة وهم عباد مكرمون يواظبون على الطاعة والعبادة لايوصفون بذكورة ولا أنوثة .

واستقر الخلاف بين المسلمين فى عصمتهم وفى فضلهم على الأنبياء ولا قاطع فى أحد الجانبين ؛ فلنذكر تمسكات الفريقين فى المقامين اه . ثم ذكر أدلة الفريقين ومدار أدلة النافين للعصمة على قصة ابليس بناء على أنه من الملائكة وعلى قصة هاروت وماروت وعلى ماوقع من الملائكة مما يوهم الاعتراض على الله تعالى حين خلق آدم عليه السلام : ومثله فى المواقف وشرحه : وفى حواشى الجوهرة أن المشهور عصمتهم .

وقال السعد فى شرح العقائد النسفية : لايوصفون بذكورة ولا أنوثة إذ لم يرد بذلك نقل ولا دل عليه عقل اه .

وقال الباجورى فى حاشيته على الجوهرة : واعلم أن الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة فى أشكال حسنة شأنها الطاعة اه .

وقال أيضاً لايوصفون بذكورة ولا أنوثة فمن وصفهم بذكورة فسق ومن وصفهم

بأنوثة كفر لمعارضته قوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) الآية. وأولى بالكفر من قال خنثى لمزيد التنقيص اهـ. ومثله فى شرح عبد السلام على الجوهرة وحاشية الأمير عليه والله أعلم.

هذا ما رأينا نقله فى هذا الموضوع. ونحن نقول لا خفاء فى أن حال الملائكة من الأمور السمعية التى لا مجال للعقل فيها بل يجب الوقوف فيها على الوارد دون المعصوم. ولا يجوز تعديه. فما ورد قطعاً كعدم أنوثتهم اعتقدناه قطعاً. وما ورد ظناً أفادنا الظن فقط وذلك يكفى إذ لم نكلف القطع فيما لا يتيسر القطع به. وما لم يرد لا يجوز القول به ولا اعتقاده.

ثم إن الشأن فيما كان طريقه مظنونا أن يقع فيه الاختلاف لعدة أسباب من أهمها ثبوت صحة الطريق عند قوم وعدم ثبوتها عند قوم آخرين.

فمن ثبت عنده بالقوانين التى بينها أئمة الحديث صحة حديث عن رسول الله ﷺ قد تضمن وصفاً مخصوصاً للملائكة كحديث الأوعال الذى ثبتت صحته لدى الحاكم أبى عبدالله وحسنه عند الترمذى فلا مانع من أن يعتقد ذلك. وهل يحتاج الى التأويل بأن يقال مثلا إن ذلك كناية عن عظم أجسام الملائكة وقوتهم أو لا يحتاج إلى ذلك؟ كل محتمل. ووجه الاحتمال الأول أن هذا الوصف يجوز أن يوهم نقصاً فى حق الملائكة أخذاً من أن الوعل هو تيس الجبل وهو وصف يقصد به الذم فى مطرد العادة، والقرآن الكريم صرح بأنهم عباد مكرمون ونعى على الكفار فى جعل الملائكة إناثا وهن أنقص العباد رأياً وأخسهم صنفا، فلأجل التوافق يؤول على نحو ما ذكرنا.

ووجه الاحتمال الثانى أن الوعل مظهر قوة وعظمة فلا نقص فيه، على أن الصورة التى بينت فى الحديث فيها من العظم والفخامة ما هو خارج عما اعتاد العقل إدراكه فيحتاج فى ذلك الى الالتفات الى قوله تعالى (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء

إن الله على كل شيء قدير) فكيف يعد نقصاً حتى يحتاج الى التأويل :

وأما من لم يثبت عنده صحة الحديث بالقوانين المعتبرة عند أئمة الحديث فلا حرج عليه أن لا يعتقد ذلك بل لا يصح ولا يجوز لأنه قول بغير علم .

وليس لأحد الطرفين الطعن على الآخر والرد عليه فى مثل هذه الأمور إلا من ناحيتين : الأولى ناحية مايتعلق باثبات الحديث وعدم إثباته بالطرق المقررة فى صناعة الحديث ، والثانية ناحية صحة الفهم والتطبيق على الأصول المقطوع بها فى الشريعة .

وهذا الذى ذكرناه إنما هو بالنسبة لأهل العلم الذين يستطيعون البحث فى الأحاديث والوقوف على الصحيح منها والضعيف بالأصول المبينة فى علوم الحديث والذين يستطيعون فهمها وتطبيقها على الأصول القطعية الشرعية ، أما العامة فينبغى لهم الاقتصار على اعتقاد أن لله ملائكة هم (عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) ، (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) ، (يسبحون الليل والنهار لايفترون) ، (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) وذلك كما هو واضح من القرآن الكريم ؛ أما ماعدا ذلك من الأوصاف الغريبة الواردة فى بعض الأحاديث فلا ينبغى للوعاظ والمرشدين تلقينها لهم لأن ذلك فوق متناول عقولهم فربما كان ذلك سبباً فى إضلالهم ، وقد ورد فى الأثر الصحيح عن على بن أبى طالب : خاطبوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله أو كما قال .

هذا مايتعلق باعتقاد ماتضمنه حديث الأوعال والآثار الواردة فى صفة حملة العرش أما مجرد ذكر هذه الآثار وروايتها فى ضمن كتاب مؤلف او قراءتها من الكتاب فلا يسع احداً الانكار عليه لأن حكمه على ذلك ينسحب على جميع الكتب المؤلفة التى ذكرت هذه الآثار أو بعضها مثل سنن ابى داود وسنن ابن ماجه وجامع الترمذى ومستدرك الحاكم والأسماء والصفات للبيهقى وغيرها من كتب الحديث والتفسير التى نبهنا عليها فيما سبق ، والله تعالى أعلم بالصواب .

إلى هنا تم البحث، وبما نقلناه من الأسانيد الشرعية، وما بيناه فى توجيهها يفهم الجواب عن السؤال إجمالا . ويحسن أن نبين الجواب تفصيلا على أساس ماذكرناه من الأسانيد فنقول :

هذا السؤال يتضمن خمسة أسئلة :

السؤال الأول : هل من قال حملة العرش الثمانية أوعال لهـا كعوب ككعوب القنا ألخ ، ومن قال حملة العرش منهم من صورته على صورة النسر ألخ مؤمن أم لا ؟

والجواب : إن كان المراد بالقول مجرد روايته وذكره بالرواية فى كتاب مؤلف او قراءته فى ذلك الكتاب فلا يسع أحداً أن يقول إنه كافر أو فاسق لأنه حكم على كل مؤلف وقارىء لكتاب من كتب التفسير والحديث التى ذكر فيها ماورد فى السؤال أو نظيره . وإن كان المراد بالقول الاعتقاد فان كان اعتقاده ناشئاً من طريق صحيح كحديث مسند إلى رسول الله ﷺ وصل اليه وعرف صحته حسب الأصول المقررة فى علوم الحديث ، فلا يكفر ولا يفسق . بل ربما يقال انه يجب عليه ذلك . وان كان اعتقاده غير ناشىء من طريق صحيح فلا يكفر بل يفسق، أما أنه لا يكفر فلأنه لم يخالف فى اعتقاده هـذا أمراً معلوما من الدين بالضرورة ، وأما انه يفسق فلأنه وصف الملائكة بما لم يدل عليه عقل ولم يرد به اليه نقل فهو قول بغير علم

السؤال الثانى : وهو مفرع على الجواب السابق عن السؤال الأول

واذا قلتم بأنه مؤمن فكيف يكفر بنص القرآن من قال : إن الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناث ولم يكفر من قال إنهم تيوس مع أن النساء اشرف من التيوس وأحسن حالا منها .

والجواب : أن من جعل الملائكة إناثا إنما كفر لمعارضته نص القرآن الكريم ، واما القـائل بأنهم على صورة الأوعال فلم يعارض نصاً فيه بأنهم ليسوا على هذه الصورة فلذلك لا يكون كافراً ، وقياس الثانى على الأول - بناء على ان العلة هى كون الانوثة صفة نقص - لا يصح لأن الوعل مظهر قوة وعظمة فوصف الملائكه بأنهم على

صورته لانقص فيه فلا يوجب كفرا بل ولا فسقا اذا كان ممن يعتقد ذلك بناء على حديث صحيح كما قدمناه . واذا فرض أن الوصف بذلك تنقيص للملائكة كان الحديث الوارد بذلك مما يجب تأويله أو تفويض معناه الى الله تعالى مع تنزيه الملائكة عما لايليق بهم .

السؤال الثالث - والسؤال الرابع .

هل اذا وجد ذلك فى أثر من الآثار تصح نسبته الى رسول الله ﷺ أو لا تصح ؟ وكيف تصح نسبته الى رسول الله ﷺ مع أنه جاء على خلاف مايقتضيه القرآن الكريم، وكل حديث خالف مقتضى كتاب الله فهو رد مدسوس على رسول الله ﷺ .

والجواب : أنه وجدت آثار بهذا المعنى و بعضها مرفوع الى رسول الله ﷺ وبعضها موقوف على بعض الصحابة . ومن اهل الحديث من حكم بصحة بعضها، ومنهم من حكم بحسنه . وبعضها بالبحث فى سنده يتضح الحكم بضعفه كما يؤخذ مما بسطناه سابقا . واذا كان كذلك فالمرفوع منها تصح نسبته الى رسول الله ﷺ ولا يكون مكذوبا عليه ﷺ لدى من ثبت له صحته او حسنه .

ثم إنه يؤخذ من الجواب عن السؤال الثانى أن ماجاء فى هذا الحديث ليس مخالفا لما يقتضيه القرآن الكريم فلا يكون مدسوساً على رسول الله ﷺ من هذه الجهة

السؤال الخامس :

ماتقولون فيمن ناصر هذه الفكرة هل يكفر أو يفسق أو لا ولا ؟

والجواب : أن من ناصر هذه الفكرة معتقداً أنها فكرة خاطئة ليس لها مستند صحيح فهو آثم لأنه قول بغير علم ، ومن ناصرها معتقداً بصحة الحديث سواء أبقاه على ظاهره أو أوله كما سبق فهو مناصر للحق . والله تعالى اعلم .

عيسى منون   محمد عبد الفتاح العنانى   محمود أبو دقيقه   ابراهيم الجبالى

التقرير الثانى

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس جماعة كبار العلماء .

بمناسبة البحث فى موضوع سؤال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان قد اطلعنا على كتاب عثمان بن سعيد الدارمى الذى اشتمل على الآثار المسئول عنها والذى قام بطبعه ونشره الشيخ حامد الفقى من علماء الأزهر فوجدناه قد تضمن عقيدة فى صفات البارى تعالى تخالف ماجرى عليه السلف والخلف من أهل السنة والجماعة ، ووجدنا لناشره مقدمة تضمنت أموراً لا ينبغى أن يقر عليها .

لذلك رأينا أن نتقدم لفضيلتكم بصفة خاصة هذا التقرير مشتملا على أمور :

(١) ما اشتملت عليه مقدمة الناشر والتنبيه على مافيها مما حاد فيه عن الجادة

(٢) منزلة عثمان بن سعيد الدارمى فى الفقه والحديث وأصول الدين وتحقيق نسبة الكتاب اليه .

(٣) موضوع الكتاب ببيان مسلك المؤلف فى فهم آيات واحاديث الصفات والتنبيه على خطئه بعد المقارنة بما نقل عن السلف وغيرهم فى ذلك .

(١) مقدمة الناشر

قال فى صفحة (ز) مانصه : (وما زال هذا شأن الناس حتى دخل فيهم الدخيل المدخول ، ولبس ثوب الاسلام اللين الجميل على قلب موتور ، وصدر موغور ، ونفس تأكلها نار العداوة للاسلام ونبى الاسلام ودولة الاسلام . فبذروا فى الناس بذور الفتنة ، وزينوا لهم الانصراف عن الكتاب والسنة ، ومنبعهما الصافى الى آراء الرجال وأهواء بنى الانسان ، وقياس العقول البشرية ، وزادوا فى الفساد حين وثقوا

من رواج فتنتهم ، أن حسنوا علوم الفرس وفلسفة الهند واليونان فى الإلهيات ، وزخرفوها بشتى الوسائل من أنها موافقة للمعقول وأنه من العار على الانسان أن يلغى عقله ولا يحكمه فى منقول العلوم . ولا بد ان يكون له السلطان على كل شىء حتى صفات الله وأسمائه والدار الآخرة وشئونها ، وما أعد فيها لأهلها . واستعانوا على ذلك ببعض المخدوعين من الحكام والولاة فاجتمع لهم الشبهات ووحى الشيطان وقوة الاسن ، وشدة المراء والجدل ، و بأس السلطان وسيفه . فقويت الفتنة ، وعم شرها ونال حماة الاسلام والذادة عن حياضه من ذلك ما الله به عليم ، وهو عليه محاسب ومكافىء أولئك الفاتنين المفتونين . وكان من نتائج ذلك أن تبدل مجرى العلم الاسلامى وتحول عن نهجه الأول وطريقه القويم الذى كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المهتدون ، ودونت الكتب والمؤلفات موسومة بأسماء إسلامية لترويج هذه الفتنة وتثبيتها ، فتلقفها الخلف المفتون عن ذلك السلف الفاتن الخادع وتوالت الأيام وكثرت المؤلفات الممزوجة بكثير من هذه السموم حتى بلغ الأمر بالعامة واكثر الخاصة أن اعتقدوا مافيها مذاهب أهل السنة والجماعة ودعوها كتب العقائد والتوحيد . وهى فى الواقع إنما وضعت — عن جهل أو علم — لزلزلة العقائد والتشكيك فى الله وإصابة القلوب بأمراض الشبهات التى تقطعها عن الله وخشيته . وتصلها بالشيطان وكفره واستكباره . وما علمنا المسلمين كانوا أذل منهم وقت أن فشت فيهم هذه الكتب ، والمؤلفات ، ولا أبعد منهم عن روح الايمان وإخلاص المؤمنين السابقين . وما تقلص ظل الاسلام ودولته إلا بعد نشر هذه المؤلفات على رغم مروجيها من أنها لتعليم المسلم كيف يقيم الدليل العقلى على وجود ربه ، وليقنع المخالف به ليرده عن ضلاله الى الاسلام . وتالله انها أوقعت المسلمين فى الضلال ، وأمرضت قلوبهم ، وفلّت من حد ايمانهم . وما سمعنا انه انتفع بها احد لا مدع للاسلام ولا غير مدع للاسلام . ولقد عم الشر والبلاء بهذه المؤلفات المشككة

فى الله وفى صفاته التى إختارها - وهو الحكيم الخبير - ووصف بها نفسه فى كتابة العربى المبين ألخ .

هـذا كلامه : وقد صور كتب التوحيد المؤلفة على طريقة أهل السنة والجماعة مطلقا بلا تفرقة بين كتاب وكتاب ، بأقبح صورة ؛ ورمى مؤلفيها أيضا بما يستدعى أشنع انواع الكفر . فقد صرح بأن الكتب موسومة بأسماء اسلامية أى وليست إسلامية ، وانها ألفت لترويج هذه الفتنة وتثبيتها - وقد فسر الفتنة فى صدر عبارته بأنها الفتنة على الاسلام ونبى الاسلام ودولة الاسلام والانصراف عن الكتاب والسنة .

وصرح أيضاً بأن مؤلفيها (وهم أئمة علم التوحيد) ما بين فاتن ومفتون ، وخادع ومخدوع وانهم انما وضعوا هذه الكتب - عن جهل أو علم - لزلزلة العقائد والتشكيك فى الله وإصابة القلوب بأمراض الشبهات ، التى تقطعها عن الله وخشيته وتصلها بالشيطان وكفره واستكباره وأنهم سبب فى انحطاط المسلمين !!.

ولا يشك عاقل فى أنه لو جاز المحال وصح ماقاله فى شأن هؤلاء الأئمة وكتبهم لكانوا كفارا بأشنع انواع الكفر ، فان من وضع -عن جهل أو علم- كتابا لايضعه إلا لزلزلة عقائد المسلمين والتشكيك فى الله يكون داعية لهدم الاسلام وإضعافه . وبالضرورة من هـذا حاله لايكون مؤمنا : ولوجب على المسلمين الانكار عليهم والتحذير من قراءة كتبهم والرد عليها وعدم تدريسها فى معاهد العلوم الدينية فاذا لم يفعل المسلمون ذلك - وهم لم يفعلوا ولن يفعلوا - التحقوا بهؤلاء الأئمة وكان حكمهم واحدا .

فالذى نراه أن كلامه هذا يعطى بوضوح تكفير أئمة التوحيد ومن حذا حذوهم. ويقتضى الحط من أهل العلم جميعاً فى هذا الزمن وغيره من الأزمان السابقة لأنهم عاكفون على دراسة هذه الكتب وتدريسها للطلاب .

ولا ندرى ما الذى ينقمه على علماء التوحيد من أهل السنة والجماعة مع أن كتبهم المعروفة تشتمل على العقائد الدينية الصحيحة على ماجاء به صريح الكتاب

الكريم ، وصحيح السنة المطهرة ؛ ومن ذلك العقيدة بما ورد في آيات وأحاديث الصفات التي تناولها صاحب الكتاب الذي نشره . فقد بين في تلك الكتب مذهب السلف والخلف ، وأنهم جميعاً متفقون على اتصاف المولى بما يليق به تعالى، وعلى التنزيه عن الشبه والمثال ؛ وعلى عدم التعطيل كما سنوضحه في الكلام على موضوع الكتاب :

والحق أننا في غاية العجب من حكمه القاسي على أئمة التوحيد ، ورميهم بأشنع مايرمى به ضال مضل : وزاد في عجبنا أنه رماهم بما رماهم به في مقدمة كتاب نشره على الناس ، وذلك الكتاب يجر من لم يكن له دراية بعلم التوحيد الى عقيدة التجسيم ؛ كأنه يدعو الناس الى ترك كتب العقائد الصحيحة الى مثل كتاب الدارمي.

وقد حاولنا بقدر المستطاع أن نجد له مايبرر كلامه ولو من بعض الوجوه وأخذنا نتلمس له المعاذير فلم نصل الى مايرفع عنه اللوم أو يبرر هذه الحملة الشديدة .

خطر على البال أمور ظننا في بادي الرأي انه اغتر بها واعتمد عليها فبحثناها ولم نجدها تصلح متكئا لما رمى به هؤلاء الأئمة . ونحن نتبرع بذكرها حتى يظهر جلياً أنه لايوافقه على هذا الطعن الشديد من يعتد به من المسلمين .

١ — نقل في آخر مقدمته أربع مقالات من تذكرة الحفاظ للذهبي ليوهم القارىء أن له فيما قاله سلفا وهو خطأ واضح ، لأن ماقاله الذهبي في الطبقة الخامسة يتلخص في ان الاسلام كان في عز تام في غالب احواله .

ونحن نقول ذلك لايخالف فيه احد ولا يفيده في طعنه على أئمة التوحيد شيئا.

وما قاله في الطبقة السادسة يتلخص في أن كتب الفلسفة اليونانية ترجمت في عهد المأمون واعتز بها فرق الرافضة والمعتزلة ، وأنه وقعت في زمنه فتنة خلق القرآن .

ونحن نقول لايخفى أن هذا هو الذي دعا أئمة الدين الثابتين على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الى التصدي لابطال نظريات الفلاسفة التي تعارض العقائد الدينية الصحيحة ؛ وهؤلاء هم اهل السنة والجماعة الذين شنع عليهم .

وما قاله فى الطبقة الثامنة يتلخص فى أن اصحاب الحديث تلاشوا فى ذلك العصر وان علماءه عكفوا على التقليد فى الفروع من غير تحرير مع الانكباب على عقليات من حكمة الأوائل وآراء المتكلمين .

ونحن نقول إن إهمال علم الحديث تقصير كما ان عدم العناية بالعقائد الدينية بعدم الاستعداد لرد عادية المضللين تقصير أشد .

وما قاله فى الطبقة التاسعة يتلخص فى أنه كان فى ذلك العصر محدثون كثيرون وكثير من اهل الرأى والفروع وعدد من أساطين المعتزلة والشيعة واصحاب الكلام الذين مشوا وراء المعقول وأعرضوا عن الآثار النبوية .

ونحن نقول هذا لاينطبق على اهل السنة والجماعة فانهم متمسكون بالآثار النبوية كما لايخفى على من اطلع على كتبهم .

٢ — علم التوحيد لم يكن مدونا فى عهد الصحابة كما ان تقرير العقائد والاستدلال عليها بالأدلة العقلية والنقلية بالطريقة المعروفة اليوم لم يكن فى زمنهم فيكون بدعة مذمومة والاشتغال به ضلالا .

ونحن نقول هذه فكرة خاطئة لأن الفقه لم يكن مدونا أيضاً فى زمنهم ؛ والسر فى ذلك أن الصحابة رضى الله عنهم ببركة صحبته عليه الصلاة والسلام ، وقرب العهد بزمانه وسماع الأخبار منه — مع قلة الوقائع والاختلافات وعدم ظهور البدع والأهواء — كانوا مستغنين عن تدوين هذين الفنين ؛ فلما كثرت الفتاوى والواقعات ، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء ، تصدى الأئمة لاستنباط الأحكام من أدلتها وتدوينها وسموا ذلك علم الفقه كما أن ارباب النظر والاستدلال بذلوا جهدهم فى تحقيق العقائد الاسلامية ، وأقبلوا على تمهيد اصولها وقوانينها ، وتلخيص حججها وبراهينها ، ودفع الشبه الواردة عليها ، وسموا ذلك علم التوحيد والصفات .

فكيف يتصور عاقل أن حفظ العقائد الصحيحة بسياج من البراهين وصونها من عبث اهل الأهواء بدعة مذمومة .

٣ - نقل عن بعض الأئمة كمالك والشافعى وأبى يوسف ذم علم الكلام وأهله وينبغى أن يحمل ذلك على كلام الفرق الضالة التى كانت فى زمنهم ، ولا يعقل أن يحمل على علم الكلام عند اهل السنة والجماعة الذين شمروا عن ساعد الجد فى حفظ العقائد الدينية التى كانت فى زمن الصحابة ومن بعدهم ، وفى رد عادية اهل البدع والأهواء الذين اعتزوا بما ترجم من الحكمة الإلهية اليونانية . وكيف يصح ذمهم لعلم الكلام على الاطلاق مع أن عقائد اهل السنة والجماعة توافق عقائد هؤلاء الأئمة كما يظهر لمن له أدنى إلمام بعلم التوحيد .

٤ - نقل عن بعض المتأخرين تحريم الاشتغال بالكتب المشتملة على نظريات الفلاسفة فى الإلهيات كالمواقف والمقاصد والطوالع ونحوها . وهذا أيضاً لايجوز أن يحمل على إطلاقه بل يجب التفصيل ، فان كان الشخص ذا فطنة وذهن وقاد ومتمكناً من الكتاب والسنة وعنده تقوى وصلاح ومتانة فى الدين جاز له الاشتغال بهذه الكتب بل يجب على سبيل الكفاية ليوجد من يحرس العقائد الدينية ويتمكن من رد الشبه الواردة عليها ، وإن لم يكن ذا فطنة ولا متمكناً من الكتاب والسنة لايجوز له النظر فى أمثال هذه الكتب بل يكتفى بمعرفة العقائد الدينيه من الكتب الخاليه من شبهات الفلاسفة وغيرهم .

هذا ماخطر على البال من الأمور التى يمكن ان تكون سنداً لهذا الناشر فى طعنة على علماء التوحيد وعلى كتبهم ، وقد ظهر أنها لاتصلح للاعتماد عليها بل لو أخذنا بظاهرها لايسوغ معها رميهم بما يقتضى كفرهم . وعلى الجملة لم نجد لصاحب هذه المقدمة مايشفع له فيما ذكره فيها .

من أجل ذلك : نرى أنه ينبغى النظر فى شأنه بما يردعه وأمثاله عن مثل هذه التشنيعات القاسية .

(٢) منزلة المؤلف فى الحديث والفقه وأصول الدين، وتحقيق نسبة الكتاب اليه

ذكر ابن السبكى فى طبقات الشافعية ص ٥٣ من الجزء الثانى مانصه : الحافظ أبو سعيد الدارمى محدث هراة وأحد الأعلام الثقات ومن ذكره العبادى فى الطبقات قائلا الإمام فى الحديث والفقه ؛ أخذ الأدب عن ابن الأعرابى والفقه عن البويطى (صاحب الامام الشافعى) والحديث عن يحيى بن معين ، وبعد ان ذكر شيوخه ومدح الناس فيه وما نقل عنه مما يتعلق بالحديث . قال توفى الدارمى فى ذى الحجة سنة ٢٨٠ ، وللدارمى كتاب فى الرد على الجهمية وكتاب فى الرد على بشر المريسى ومسند كبير . ثم قال وهو الذى قام على محمد بن كرام الذى تنسب اليه الكرامية . ثم ذكر ما كان عليه محمد بن كرام وعقيدته فى التجسيم وما آل اليه أمره .

فيؤخذ مما ذكره ابن السبكى أن منزلة المؤلف فى الفقه والحديث جليلة، وأن له كتابا فى الرد على بشر المريسى . والظاهر أنه هذا المطبوع حديثا .

وأما منزلته فى علم أصول الدين فسيظهر من بحث موضوع كتابه أنه لا يمدح عليها فقد أفرط فى حمل آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها بحالة تعطى التشبيه إعطاء يكاد يكون صريحاً ، وإن صرح فى بعض المواضع بأن الله تعالى منزه عن التشبيه والكيفية .

ومما ينبغى أن ينبه عليه أن عثمان بن سعيد الدارمى هذا غير الدارمى صاحب المسند المشهور ، لأن الثانى هو أبو محمد عبد الله بن عبدالرحمن الدارمى الحافظ عالم سمرقند . قال أبو حاتم هو إمام اهل زمانه ولد سنة ١٨١ وتوفى سنة ٢٥٥

(٣) موضوع الكتاب

موضوع هذا الكتاب هو الرد على بشر المريسى الجهمى المعطل وإثبات النزول والعلو والكرسى والعرش والاستواء عليه واليد والأصبع والوجه والضحك والرؤية بالحواس لله تعالى وغير ذلك مما يشبه ماذكرنا .

وقد استدل على ذلك بآيات وأحاديث الصفات المعروفة بالمتشابهة مثل قوله تعالى

(الرحمن على العرش استوى) (أأمنتم من فى السماء ، يد الله فوق أيديهم ، لما خلقت بيدى ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، فانك بأعيننا) وقوله ﷺ : ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا ـ الحديث ، قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ـ الحديث ، وغير ذلك .

وقد سلك المؤلف فى الاستدلال بهذه الآيات والأحاديث مسلكا غريباً متناقضا ، فقد فهمها على حسب ماتدل عليه حقيقة لا مجازاً باعتبار أنها ألفاظ عربية لها معان معروفة عند العرب ، والتزم لوازمها المحالة على الله تعالى ، مثل : المكان والجهة والحد والحركة والمس وغيرها من الأمور التى هى من لوازم الأجسام ومع ذلك صرح فى بعض المواضع بعدم التشبيه للحوادث وعدم الكيف . وإنا نذكر بعض عباراته .

١ - قال فى ص ٢٠ فى صدد الرد على معارضه الذى ادعى فى شرح حديث النزول أن الله لاينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته وهو على العرش وبكل مكان من غير زوال لأنه الحى القيوم والقيوم بزعمه من لايزول .

قال مانصه : وأما دعواك أن تفسير القيوم الذى لايزول من مكانه فلا يتحرك ، فلا يقبل مثل هذا التفسير إلا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه أو التابعين لأن الحى القيوم يفعل مايشاء ويتحرك إذا شاء وينزل ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء لأن أمارة مابين الحى والميت التحرك ، كل حى متحرك لا محالة ، وكل ميت غير متحرك لا محالة ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبى الرحمة ورسول رب العزة ، إذ فسر نزوله مشروحا منصوصاً ووقت لنزوله وقتاً مخصوصا لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لبساً ولا عويصا اهـ.

فكلامه هذا نص فى أنه فهم النزول على معناه المعروف للأجسام وهو الانتقال من مكان أعلى إلى مكان أسفل وأثبت له مايتبعها من الحركة وغيرها ، وياليته نسب هذا الفهم لنفسه واكتفى فى الاستدلال عليه بأن ذلك هو الذى فهم من هذا اللفظ

لغة لكنه ذكر فى آخر عبارته مايفيد أن الرسول ﷺ فسر النزول وشرحه شرحا على وجه النص (يعنى بما فهمه هو منه) وذلك لا أصل له ، فان الرسول ﷺ لم يزد على قوله : ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا — الحديث .

وأتى أيضاً بدليل عقلى يثبت مافهمه ، وهو أن الله حى ، وكل حى متحرك لا محالة وأنه ينزل ويرتفع ويقوم ويجلس إذا شاء ، وهذا قياس من الشكل الأول ونتيجته معروفة .

ولسنا فى حاجة الى التنبيه على سخافة هذا الدليل فان معنى الحى هو الذى يصح أن يعلم ويقدر ، وليس من لوازمه جواز التحرك والقيام والجلوس والنزول والارتفاع بمعنى الانتقال. إنما ذلك من لوازم الأجسام الحية . وليس معنى القيوم ماذكره هو ولا معارضه بل معناه دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه أو القائم بذاته المقيم لغيره ، كما أنه ليس لله مكان كما يقوله الدارمى ولا هو فى كل مكان كما يقوله المريسى ومعارضه

ومما ينبغى أن ينبه عليه أن كلام الدارمى هذا لم يعجب الناشر ، فعلق عليه بأن هذه الألفاظ لم ترد فى الكتاب ولا فى السنة فنتوقف عن وصفه تعالى بها، اه .

وكان عليه إذا كان سلفياً كما يدعى أن لا يقتصر فى انتقاده على عدم ورودها وأن لا يحكم بالتوقف عن وصفه تعالى بها فقط بل كان الواجب عليه أولا أن يقول له هذه لم ترد وهى محالة على الله تعالى فيمتنع وصفه تعالى بها ، وأن يقول له ثانياً إنك فسرت الوارد وهو النزول وحددت معناه تحديداً يجرك إلى التشبيه والتجسيم ولم يقل بهذا سلف ولا خلف سوى طائفة المجسمة .

٢ — وقال فى ص٢٩ مانصه : وكذلك الحجة عليك فيما احتججت به أيضاً فى نفى يدى الله أنه عندك كقول الناس فى الأمثال (يداك أوكتا وفوك نفخ) وكقوله تعالى (بيده عقدة النكاح) فادعيت أن العقدة بعينها ليست موضوعة فى كفه ؛ ويجوز أن يقال ذلك فى الكلام فقلت لك أجل أيها الجاهل هذا يجوز لما أن الموصوف بهما من ذوى الايدى فلذلك جاز لولا ذلك لم يجز ؛ ولولم يكن للذى بيده عقدة النكاح

ولا الموكى ولا للنافخ يدان أولم يكونوا من ذوى الأيدى كمبودك فى نفسك لم يجز أن يقال بيده . ولولم يكن لله يدان بهما خلق آدم ومسه بهما مسيساً كما ادعيت لم يجز أن يقال (بيدك الخير) ، (وأن الفضل بيد الله) ، (تبارك الذى بيده الملك) المذهب الذى فسرنا . فان كنت لاتحسن العربية فسل من يحسنها ثم تكلم ، اه . ثم فرق بين مايستعمل على سبيل المجاز مثل قتلت فلانا أى أمرت بقتله . وما يستعمل على سبيل الحقيقة مثل كتبت كتابا بيدى .

فكلامه هذا يقتضى أنه فهم اليد الواردة فى القرآن الكريم والسنة على معناها الحقيقى وهى الجارحة التى يمس بها وهذا غير مذهب السلف كما سنوضحه .

٣ — وقال فى ص ٨٠ مانصه : وأما قولك إن الله لم يصف نفسه أنه فى موضع دون موضع فان كنت أيها المعارض ممن تقرأ كتاب الله وتفهم شيئاً من العربية علمت أنك كاذب على الله تعالى فى دعواك لأنه وصف نفسه أنه فى موضع دون موضع ومكان دون مكان . ذكر أنه فوق العرش والعرش فوق السموات ، قد عرف ذلك كثير من النساء والصبيان فكيف من الرجال ، قال الله تعالى (الرحمن على العرش استوى . أأمنتم من فى السماء . وهو القاهر فوق عباده . يخافون ربهم من فوقهم . إنى متوفيك ورافعك إلى . ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه . (من الأرض السافلة) وقال : اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ولم يقل ينزل به اليه تحت الأرض . فهذه الآى كلها تنبئك عن الله أنه فى موضع دون موضع وأنه على السماء دون الأرض ، وأنه على العرش دون ماسواه من المواضع الخ اه

فكلامه هذا نص فى أنه فهم الاستواء على معنى الاستقرار المعروف وأن العرش مكان له إذ هذا هو الذى يعرفه النساء والصبيان كما تنطق به عبارته وليس هذا إلا مذهب المجسمة دون السلف كما سنوضحه .

٤ — وقال فى ص ٢٢ : أما قولك أن كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو موجود فى الخلق خطأ ، فإنا لانقول إنه خطأ بل هو عندنا كفر ونحن لتكييفها

وتشبيهها بما هو موجود فى الخلق أشد أنفاً منكم غير أنا كما لا نشبهها ولا نكيفها، لا نكفر بها ولا نكذب ولا نبطلها بتأويل الضلال كما أبطلها إمامك المريسى أ.خ اهـ.

وهذا كلام حق ويا ليته اقتصر على إثبات الصفات الواردة فى الآيات والأحاديث من غير أن يحدد معنى محالا على الله تعالى ومن غير أن يثبت اللوازم المحالة التى هى من صفات الخلق كما حدد معنى النزول والتزم لوازمه الخاصة بالأجسام بل يفوض الى الله المراد منها كما هو رأى السلف، أما مسلكه هذا الذى ذكرنا له عدة أمثلة فمتناقض كما ذكرنا، فبينما هو فى موضع ينفى التشبيه والتكييف تراه فى موضع آخر يحدد معنى الوارد تحديداً يجره الى التشبيه والتكييف فى الله عنها وعنه.

وقد جرى على مسلك الدارمى بعض المحدثين وبعض الحنابلة كالحافظ بن خزيمة والذهبى وابن تيمية وابن القيم. وعبارة ابن القيم فى أعلام الموقعين ص٢٢ من الجزء الثانى (المثال الأول) أى من أمثلة رد النصوص المحكمة الى المتشابهة) رد الجهمية النصوص المحكمة غاية الأحكام المبينة بأقصى غاية البيان أن الله موصوف بصفات الكمال من العلم والقدرة والارادة والحياة والكلام والسمع والبصر والوجه واليدين والغضب والرضا والفرح والضحك والرحمة والحكمة. وبالأفعال كالمجىء والاتيان والنزول إلى السماء الدنيا ونحو ذلك والعلم بمجىء الرسول بذلك واخباره عن ربه إن لم يكن فوق العلم بالصلاة والصيام والحج والزكاة وتحريم الظلم والفواحش والكذب فليس يقصر عنه، فالعلم الضرورى حاصل بأن الرسول أخبر عن الله بذلك وفرض على الأمة تصديقه فيه فرضاً لا يتم أصل الايمان إلا به. فرد الجهمية ذلك بالمتشابه من قوله تعالى (ليس كمثله شىء) ومن قوله تعالى (هل تعلم له سميا) ومن قوله تعالى (قل هو الله أحد) ثم استخرجوا من هذه النصوص المحكمة المبينة احتمالات وتحريفات جعلوها من قسم المتشابه اهـ. (١)

وقال فى المثال الثانى عشر الخاص برد الجهمية النصوص المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده وقد ذكر ثمانية عشر نوعاً مانصه (الثانى عشر)

التصريح بنزوله كل ليلة الى السماء الدنيا والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل اهـ .

فكلامه هذا صريح فى أنه فهم النصوص الواردة بهذه الصفات على ماتدل عليه حقيقة فقد اعتبرها نصوصاً محكمة واضحة المعنى واعتبر قوله تعالى (قل هو الله أحد) وقوله تعالى (ليس كمثله شىء) من المتشابه وذلك عكس المعروف المعقول . وكلامه صريح أيضاً فى أنه فهم النزول على معناه المعروف وهو الانتقال من علو الى سفل إذ هو المعقول عند جميع الأمم ، وان النزول بهذا المعنى فعله تعالى وكذا الاتيان والمجىء وهذا شأن الأجسام .

ثم إن هذا الفريق يدعى أن ماذهب اليه هو مذهب السلف ويشنع غاية التشنيع على من يؤول النصوص و يسميهم بالمعطلة كما أن غيرهم يشنع عليهم وينسبهم الى التشبيه والتجسيم وقد وقع بينهم فتن متعددة فى عصور مختلفة .

ولا شك أن ماجرى عليه هـذا الفريق ليس مذهب أهل السنة والجماعة لا سلفهم ولا خلفهم فان المعروف أن فى آيات الصفات والأحاديث الواردة بها مذهبين لأهل السنة والجماعة ، مذهب السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة وقيل أهل القرون الثلاثة . وهو تفويض المراد منها الى الله تعالى لايعلمه إلا هو مع القطع بأن معناها الظاهر المختص بالحوادث غير مراد لاستحالته على الله تعالى . ومذهب الخلف وهو تأويل هذه النصوص بما يليق به تعالى . فكل من السلف والخلف يصرف تلك النصوص عن المعنى الظاهر المحال على الله تعالى .

وليس كل السلف جاريا على التفويض بل منهم من جرى على التأويل، كما أن من الخلف من جرى على التفويض ومنهم من فصل .

وإنا نذكر مانقله الأئمة الاثبات عن السلف وما قرره أئمة التوحيد ونقلوه عن السلف والخلف فى هذه المسألة .

١ - قال النووى فى شرح مسلم عنـد شرح حديث النزول مانصه : هـذا

الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران سبق إيضاحهما فى كتاب الايمان ومختصرهما أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أن يؤمن بأنها حق على مايليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولا يتكلم فى تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق . والثانى مذهب أكثر المتكلمين وهو محكى عن مالك والأوزاعى أنها تتأول على مايليق بها بحسب مواطنها اه . وزاد فى كتاب الايمان مانصه : وانما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة فى العلم اه .

٢ — وقال الامام الخطابى فى شرح حديث النزول من شرحه لسنن أبى داود المسمى بمعالم السنن مانصه . قلت : مذهب علماء السلف وأئمة الفقهاء أن يجروا مثل هذه الأحاديث على ظاهرها وأن لا يريغوا لها المعانى ولا يتأولوها لعلمهم بقصور علمهم عن دركها . حدثنا الزعفرانى حدثنا ابن أبى خيثمة حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا بقيـة عن الأوزاعى قال كان مكحول والزهرى يقولان أمروا الأحاديث كما جاءت. قلت وهذا من العلم الذى أمرنا أن نؤمن بظاهره وأن لا نكشف عن باطنه وهو من جملة المتشابه الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه فقال (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) الآية . فالمحكم منه يقع به العلم الحقيقى والعمل ، والمتشابه يقع به الايمان والعلم بالظاهر ويوكل باطنه الى الله سبحانه وهو معنى قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) وإنما حظ الراسخين فى العلم أن يقولوا (آمنا به كل من عند ربنا) وكذلك كل ماجاء من هـذا الباب فى القرآن كقوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر) وقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) والقول فى جميع ذلك عند علماء السلف هو ماقلنا وقد روى مثل ذلك عن جماعة من الصحابة . وقد زل بعض شيوخ أهل الحديث ممن يرجع إلى معرفته بالحديث والرجال فحاد عن هـذه الطريقة حين روى

حديث النزول ثم أقبل يسأل نفسه عليه فقال إن قال قائل كيف ينزل ربنا إلى السماء قيل له ينزل كيف شاء ، فان قال هل يتحرك إذا نزل أم لا ، فقال إن شاء تحرك وإن شاء لم يتحرك قلت وهذا خطأ فاحش والله سبحانه لا يوصف بالحركة لأن الحركة والسكون يتعاقبان فى محل واحد وانما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون . وكلاهما من أعراض الحوادث وأوصاف المخلوقين . والله عز وجل متعال عنهما ليس كمثله شىء . فلو جرى هذا الشيخ عفى الله عنا وعنه على طريقة السلف الصالح ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول الى مثل هذا الخطأ الفاحش . وانما ذكرت هذا لكى يتوقى الكلام فيما كان من هـذا النوع فانه لا يثمر خيراً ولا يفيد رشدا . ونسأل الله العصمة من الضلال والقول بما لا يجوز من الفاسد المحال اهـ كلام الخطابى .

وكأنه رضى الله عنه عنى مثل الدارمى من شيوخ الحديث الذين برغوا فى علومه ولم يكن لديهم القـدرة على إتقان غيره فوقع منهم الخطأ فى تقرير العقائد الدينيـة غفر الله لنا ولهم .

٣ - وقال البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات ، وأما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا رضى الله عنهم كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم فى أمثال ذلك اهـ

ثم أخرج بسنده الى عبدالله بن وهب قال : كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استواؤه ، قال فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش كما وصف نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء وصاحب بدعة أخرجوه ، قال فأخرج الرجل . وأخرج بسنده إلى يحيي بن يحيي قال : كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) فكيف استوى . قال فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والسؤال عنه بدعة والايمان به واجب ، وما أراك إلا مبتدعا ، فأمر فأخرج . وأخرج بسنده الى ربيعة

الرأى ، شيخ مالك أنه سئل عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال كيف استوى ، قال الكيف مجهول والاستواء غير معقول ويجب على وعليك الايمان بذلك كله . وأخرج أبو القاسم اللالكائى بسنده الى ابن عيينة كما فى شرح الأحياء قال سئل عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق اه . وأخرج أبو القاسم أيضاً فى كتاب السنة كما فى فتح البارى من طريق الحسن البصرى عن أمه عن أم سلمة أنها قالت : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والاقرار به إيمان والجحود به كفر اه .

فيؤخذ مما نقلناه أن أصل هـذه العبارة لأم سلمة رضى الله عنها وتبعها ربيعة وتبعه ابن عيينة ومالك رضى الله عنهم . واختلفت الروايات فيما قيل فى الاستواء فأكثرها على التعبير عنه بأنه معـلوم وبعضها على أنه مجهول ، ويظهر أن المراد بمعلوم أنه معلوم الورود والثبوت لا أنه معلوم المعنى المراد ، وأن المراد بمجهول أنه مجهول المعنى المراد وإن كان معلوم الورود والثبوت فانه بذلك تتوافق الروايات فى المعنى وتتفق هذه الفقرة مع قولهم جميعاً والكيف مجهول .

٤ - وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات بسنده إلى سفيان الثورى أنه كان يقول كل ماوصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليـه . ثم قال البيهقى والآثار عن السلف فى مثل هـذا كثيرة وعلى هـذه الطريقة يدل مذهب الشافعى رضى الله عنه وإليها ذهب أحمد والحسن بن الفضل البجلى ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابى اه .

٥ - وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وأخرج البيهقى من طريق أبى داود الطيالسى قال : كان سفيان الثورى وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لايحددون ولا يشبهون ويروون هـذه الأحاديث ولا يقولون كيف . قال أبو داود وهو قولنا قال البيهقى وعلى هذا مضى أكابرنا .

٦ — وأسند اللالكائى عن محمد بن الحسن الشيبانى أنه قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن وبالأحاديث التى جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ فى صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير ، فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفة لا شىء .

٧ — ومن طريق الوليد بن مسلم قال سألت الأوزاعى ومالكا والثورى والليث ابن سعد عن الأحاديث التى فيها الصفة فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف .

٨ — وأخرج ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعى يقول : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية ولا الفكر فنثبت هذه الصفات وننفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال (ليس كمثله شىء) اهـ .

وفى رواية عنه رضى الله عنه أنه قال : آمنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله اهـ :

٩ — وقال الترمذى فى جامعه ، فقد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف ، كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف ، وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه . وقال إسحق بن راهويه إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد وسمع كسمع اهـ .

وقال الترمذى فى تفسير المائدة قال الأئمة نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير منهم مالك وابن عيينة وابن المبارك .

١٠ — وقال الخلال فى كتاب السنة : أخبرنى عبيد الله بن حنبل أخبرنى أبى (حنبل) ابن إسحق قال : قال عمى يعنى أحمد بن حنبل ، نحن نؤمن أن الله تعالى على العرش استوى كيف شاء وكما يشاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصفون أو يحدها

أحمد ، وصفات الله له ومنه ، وهو كما وصف نفسه لاتدركه الأبصار بحد ولا غاية وهو يدرك الأبصار وهو عالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب .

وقال الخلال أيضاً : وأخبرنى على بن عيسى أن حنبلا حدثهم قال : سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التى تروى أن الله ينزل إلى سماء الدنيا وأن الله قد يُرى وأن الله يضع قدمه وما أشبه هذه الأحاديث ، فقال أبو عبد الله نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئاً منها ونعلم أن ماجاء به رسول الله ﷺ حق إذا كانت أسانيد صحاح ولا نرد على الله قوله ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) اه .

هذا مارأينا نقله من كتب الحديث عن أئمة السلف رضى الله عنهم فى آيات وأحاديث الصفات المعروفة بالمتشابهة وهو قليل من كثير بهذا المعنى . ومن الواضح أن مانقلناه عنهم يدل على أنهم لايريدون بها معناها الظاهر المحال على الله تعالى . وأنهم يفوضون المراد منها اليه سبحانه، وأنهم ينهون عن الخوض فى تفسيرها وبيان معناها وهو مابيناه سابقا فى مذهب السلف .

هذا وقد قلنا فيما سبق أنه ليس كل السلف جاريا على التفويض . وسبق فى عبارة النووى أنه قال ونسب التأويل الى مالك والأوزاعى اه . ونقول الآن ان أبا بكر بن عربى قال سئل مالك عن حديث النزول فقال هو نزول رحمة لا نزول نقلة اه . وهذا تأويل واضح فصح ماقاله النووى . وقد نقل التأويل أيضاً عن أحمد ابن حنبل رضى الله عنه فقد قال ابن حزم فى كتاب الفصل ص١٧٣ من الجزء الثانى مانصه : وقد روينا عن أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه قال (وجاء ربك) إنما معناه وجاء أمر ربك اه .

وبعد تمام الكلام على مذهب السلف فى هذه الآيات والأحاديث من التفويض أو التأويل نذكر مذاهب أئمة علم التوحيد من أهل السنة والجماعة ونقتصر على بيان ماجري عليه بعض المشاهير منهم .

(١) الأشـعرى

قال ابن كثير كما فى شرح الأحياء : ذكروا للشيخ أبى الحسن الأشعرى ثلاثة أحوال ، أولها حال الاعتزال التى رجع عنها لا محالة (الحال الثانى) إثبات الصفات العقلية السبعة وهى الحياة والعلم والقـدرة والارادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الجزئية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك (الثالث) إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف وهى طريقته فى الابانة التى صنفها آخراً وشرحها الباقلانى ونقلها ابن عساكر وهى التى مال اليها الباقلانى وإمام الحرمين وغيرهما من أئمة الصحابة المتقدمين اه . وفى المواقف وشرحه أن فى الاستواء واليد والوجه ونحوها قولين للأشعرى: أحدهما أنها صفات زائدة على الذات مع القطع بأنها ليست كالمختص بالأجسام ولم يذكر القول الثانى والظاهر أنه التأويل كما حكاه ابن كثير.

(٢) إمام الحرمين

اختلف رأيه فى ذلك ففى الارشاد مال الى طريقـة التأويل كما ذكره الكمال ابن أبى شريف فى شرح المسايرة وفى الرسالة النظاميـة وهى آخر مؤلفاته جرى على طريقة السلف ونص عبارته فيها كما نقله الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : اختلفت مسالك العلماء فى هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك فى آى الكتاب وما يصح من السنن . وذهب أئمـة السلف الى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى . والذى نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة اتباع رأى السلف للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعـة . وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع اه . قال ابن حجر بعـد ذلك ، وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثورى والأوزاعى ومالك والليث ومن عاصرهم وكذا من أخذ عنهم

من الأئمة فكيف لايوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة اه .

(٣) الغـزالى

جرى على التأويل فى كتاب قواعد العقائد من كتب الأحيـاء ، وجرى فى بعض رسائله على مذهب السلف كما يؤخذ من شرح الأحياء

(٤) الامام الرازى

حكى فى كتابه المحصل مذهب السلف ومذهب الخلف فقال مانصه (تنبيها) الظواهر المقتضية للجسمية والجهة لاتكون معارضة للأدلة العقلية القطعية التى لاتقبل التأويل . وحينئذ إما أن يفوض علمها الى الله تعـالى على ماهو مذهب السلف ، وقول من أوجب الوقف على قوله (إلا الله) وإما أن يستقل بتأويلها على التفصيل على ماهو مذهب أكثر المتكلمين اه :

(٥) الكمال بن الهمام

جرى على التوسط بين أن تدعو الحاجة إلى التأويل لخلل فى فهم العوام وبين أن لاتدعو الحاجة اليه . وخلاصة ماقاله فى المسايرة : وعلى نحو ماذكرنا فى الاستواء يجرى كل ماورد فى الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية فى الشاهد كالأصبع والقدم والعين فيجب الايمان به مصحوبا بالتنزيه فان كلاً منها صفة لله تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به وهو سبحانه وتعالى أعلم به وقد يؤول كل من ذلك لأجل صرف فهم العامة عن الجسمية وهو ممكن أن يراد ولا يجزم بارادته خصوصاً على رأى أصحابنا (يعنى الماتريدية) أنها من المتشابهات وحكم المتشابه انقطاع رجاء معرفة المراد منه فى هـذه الدار وإلا لكان قد علم اه . قال شارحه الكمال بن أبى شريف وهذا بناء على الوقف على قوله (إلا الله) وهو قول الجمهور اه .

(٦) ابن دقيق العيد

جرى على التوسط أيضاً كما نقله شارح المسايرة ولكن بطريقة أخرى فقال : يقبل التأويل إذا كان المعنى الذى أوّل به قريباً مفهوما من تخاطب العرب، ونتوقف فيه اذا كان بعيدا اه .

(٧) العز ابن عبد السلام

جرى على التأويل فقال فى بعض فتاويه كما ذكره الألوسى وشارح المسايرة : طريقة التأويل بشرطه وهو قرب التأويل أقرب الى الحق لأن الله تعالى انما خاطب العرب بما يعرفون وقد نصب الأدلة على مراده من آيات كتابه لأن الله تعالى قال (إن علينا بيانه) ، (ولتبين للناس مانزّل اليهم) . وهذا عام فى جميع آيات القرآن فمن وقف على الدليل أفهمه الله مراده من كتابه وهو أكمل ممن لم يقف على ذلك، إذ لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون اه .

إلى هنا تم الكلام على موضوع الكتاب فاتضح أن مؤلفه على الرغم من جلالة قدره فى علوم الحديث لم يسلك سبيل السلف فيما جروا عليه بازاء آيات وأحاديث الصفات المعروفة بالمتشابهة . فقد أفرط فى بيان معانيها بما لا يجعل القارىء كلامه شكا فى أن الله تعالى متصف بصفات تشبه الصفات المختصة بالمخلوقين على الرغم من أنه فى بعض المواضع ينفى التشبيه عن الله تعالى وصفاته فهو حقيق بما قاله الامام الخطابى فى شأن بعض شيوخ الحديث كما سبق من أنه دخل فيما لا يعنيه وخرج به القول الى الخطأ الفاحش وقال فى بيان أحاديث الصفات وآياتها مالا يثمر خيراً ، ولا يفيد رشدا .

ونحن نقول تحسيناً للظن به أن هذا صدر منه عن حسن نية جرّه اليه شدة الرد على بشر المريسى المعطل وقوة الجدل والمناظرة معه . ومع ذلك لا نخليه من الاخلال بما يجب تنزيه الله عنه . ونرى أن كتابه هذا لا يصح أن يعتبر من كتب العقائد الدينية التى ينتفع بها لا بالنسبة لأهل العلم الذين يميزون الطيب من

الخبيث ، والفهم الصحيح من الفهم السقيم ، لأن العالم لا يجد فيه عدا ذكر الآيات ورواية الأحاديث إلا أفهاماً سقيمة ومتناقضة . ولا بالنسبة للعامة الذين لم يتمكنوا من علم العقائد لأنه يوقعهم فى الضلال .

بناء على ذلك نرى

أنه ينبغى النظر فى شأن هذا الكتاب من جهة صحة تداوله أو منعه من التداول صيانة لعقائد العامة من الزيغ والضلال ، كما يجب النظر فى شأن ناشره من هذه الجهة لأنه عالم دينى عهد إليه وعظ العامة وإرشادهم ، وكوّن جمعية سماها جماعة أنصار السنة المحمدية ، وجعل نفسه رئيساً لها ، فبنشره لهذا الكتاب يعتبر داعية لما اشتمل عليه وهو مخالف لما عليه جمهور المسلمين من عهد الصحابة الى الآن .

عيسى منون　　محمد عبد الفتاح العنانى　　محمود أبو دقيقه　　ابراهيم الجبالى

التقرير الثالث

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس جماعة كبار العلماء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فانى درست التقرير الذى وضعته لجنة جماعة كبار العلماء عن كتاب عثمان بن سعيد الدارمى ، الذى قام بطبعه ونشره والتقديم له ، الشيخ حامد الفقى من علماء الأزهر ، كما درست الكتاب نفسه والمقدمة التى يدور عليها التقرير .

وإنى أتشرف بأن أرفع إلى فضيلتكم رأيى عن هذا التقرير مفصلا لتتفضلوا بعرضه على الجماعة الموقرة عند بحث الموضوع .

وتفضلوا بقبول فائق احترامى وإجلالى .　　　　محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء

(مقدمة) يتضمن التقرير أمرين جديرين بالعناية والاهتمام:

أحدهما: الكلام على مقدمة الناشر، والتنبيه على ما فيها مما حاد فيه عن الجادة «على تعبير التقرير»

والثاني: الكلام عن موضوع الكتاب، وبيان مسلك المؤلف في فهم آيات وأحاديث الصفات، والتنبيه على خطئه بعد مقارنته بما نقل عن السلف وغيرهم في ذلك.

واشتمل التقرير بعد ذلك على أمر متوسط بين الأمرين هو الكلام عن منزلة المؤلف في الفقه والحديث وأصول الدين.

ويسرني - قبل أن أدخل في تفاصيل البحث - أن أسجل موافقتي وإعجابي بالمبدأ الذي اتخذته اللجنة أساساً لبحث المسألة، حيث قالت ما نصه:

«وقد حاولنا بقدر المستطاع أن نجد له (يريدون الناشر) ما يبرر كلامه ولو من بعض الوجوه، وأخذنا نتلمس له المعاذير، فلم نصل الى ما يرفع عنه اللوم»

فهذا المبدأ السامي جدير بجماعة كبار العلماء، وهو مبدأ يجب أن يسير عليه جميع الباحثين الذين يلتمسون الحق، ولا سيما في بحث هذه المسائل الدقيقة التي يترتب عليها نتائج ذات آثار، ولو عمّ العمل بهذا المبدأ لتقاربت وجهات النظر المختلفة، ولتصافح المتخاصمون، ولظهرت الحقيقة سافرة ليس من دونها حجاب!

١ عن موضوع الكتاب:

تحدث التقرير عن موضوع الكتاب حديثاً مسهباً، قارن فيه بين آراء صاحب الكتاب وآراء العلماء من السلف والخلف، ثم قال ما نصه:

«إلى هنا تم الكلام على موضوع الكتاب، فاتضح أن مؤلفه على الرغم من جلالة قدره في علوم الحديث لم يسلك سبيل السلف فيما جروا عليه بإزاء آيات وأحاديث الصفات المعروفة بالمتشابهة، فقد أفرط في بيان معانيها بما لا يجعل لقارىء كلامه شكاً في أن الله تعالى متصف بصفات تشبه الصفات المختصة بالمخلوقين على الرغم من أنه في بعض المواضع ينفي التشبيه عن الله وصفاته»

ثم قال « ونحن نقول تحسيناً للظن به : إن هذا صدر منه عن حسن نية جره اليه شدة الرد على بشر المريسى المعطل وقوة الجدل والمناظرة ... »

وهذه النتيجة عينها هى التى يقررها الناشر فى مقدمته بالنسبة الى الكتاب وموضوعه ، حيث يقول مانصه :

« وأثنى على كتابه هذا كثير من أئمة السلف ، وقرظوه بعبارات فخمة ، وهو فى الواقع كما قالوا ، لولا أنه أتى فيه ببعض ألفاظ دعاه اليها عنف الرد وشدة الحرص على إثبات صفات الله وأسمائه التى كان يبالغ بشر المريسى الضال المارق وشيعته فى نفيها ، غير أنه كان الأولى والأحسن أن لا يأتى بها وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة كمثل الجسم والمكان والحيز ، فانى لا أوافقه عليها ، ولا أستجيز إطلاقها ، لأنها لم تأت فى كتاب ولا فى سنة صحيحة ، وأهل السنة انما يعيبون على من يقول فى صفات الله وأسمائه بالعقل وبالاستنتاج والقياس ، ولذلك قال الامام الحافظ الذهبى فى كتاب العلو بعد أن نقل من كتابه هذا مستدلا على إثبات صفة العلو لله تعالى ، وعده من أئمة أهل السنة والجماعة - « قال فى كتابه بحوث عجيبة مع المريسى يبالغ فيها فى الاثبات ، والسكوت عنها أشبه بمنهج السلف فى القديم والحديث »

ومن هنا يتبين أن التقرير لم يختلف مع الناشر فى شأن واضع الكتاب ، ولا فى موضوع الكتاب ، فكلاهما يعتذر عن المؤلف فيما صدر منه من المبالغة بعذر واحد وهو شدة الرد على بشر المريسى المعطل ، وكلاهما لا يوافقه على ما استجاز إطلاقه على الله من صفات تشبه صفات المخلوقين ، مع الاعتراف بجلالة قدره وعلو كعبه .

ولعلنا لو قارنا مقارنة حرفية دقيقة بين ما عبر به الناشر ، وما عبر به التقرير ، لوجدنا الناشر أشد فى إنكار ما اتفقا على إنكاره ، وفى الحملة عليه ، والتبرؤ منه .

فلنترك إذن هذه المسألة التى ليست من مواضع الخلاف بين التقرير و بين الناشر ، ولننظر فى مسألة أخرى : يقول التقرير فى ص ٩ : « وقد جرى على مسلك الدارمى بعض المحدثين وبعض الحنابلة كالحافظ الذهبى وابن خزيمة وابن تيمية وابن القيم .. »

وبعد أن يسوق أمثلة لابن القيم فى أعلام الموقعين تدل على أنه يسلك مسلك الدارمى فى الآيات والأحاديث الواردة فى الصفات ، يقول :

« ولا شك أن ماجرى عليه هذا الفريق ليس مذهب أهل السنة والجماعة ، لا سلفهم ولا خلفهم . . . »

هذا هو رأى التقرير يجمع فيه بين الدارمى والحافظ بن خزيمة والذهبى وابن تيمية وابن القيم ونحوهم ، ثم يحكم على كتاب الدارمى فى ص١٤ بهذا الحكم ، إذ يقول :

« ونرى أن كتابه هذا لايصح أن يعتبر من كتب العقائد الدينية التى ينتفع بها ، لا بالنسبة الى أهل العلم الذين يميزون الطيب من الخبيث والفهم الصحيح من الفهم السقيم ، لأن العالم لايجد فيه عدا ذكر الآيات ورواية الأحاديث إلا أفهاما سقيمة ومتناقضة ، ولا بالنسبة للعامة الذين لم يتمكنوا من علم العقائد لأنه يوقعهم فى الضلال ، وأنه ينبغى النظر فى شأن هذا الكتاب من جهة صحة تداوله أو منعه من التداول صيانة لعقائد العامة من الزيغ والضلال »

فلا ندرى : أيريد التقرير تطبيق هذه النتيجة على هذا الكتاب وحده ، أو عليه وعلى سائر الكتب التى تسلك مسلكه ككتب الحافظ ابن خزيمة والذهبى وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من المحدثين وبعض الحنابلة ؟

وهل يطلع جماعة كبار العلماء على الناس بقرار يقضى بمصادرة كتب هؤلاء الأعلام جميعاً لأنهم نهجوا فى آيات الصفات وأحاديث الصفات نهجاً لم ترتضه لجنتهم الموقرة ، وإن كان موضع خلاف بين العلماء ؟

٢ - عن منزلة المؤلف :

لقد نقل التقرير ما كتبه ابن السبكى عن المؤلف ثم قال :

« ويؤخذ مما ذكره ابن السبكى أن منزلة المؤلف فى الفقه والحديث جليلة، وأن له كتابا فى الرد على بشر المريسى ، والظاهر أنه هذا المطبوع حديثا »

ثم قال بعد هذا استنتاجا :

« وأما منزلته فى علم أصول الدين فسيظهر من بحث موضوع كتابه أنه لا يمدح عليها ، فقد أفرط فى حمل آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها بحالة تعطى التشبيه إعطاء يكاد يكون صريحاً ، وإن صرح فى بعض المواضع بأن الله تعالى منزه عن التشبيه والكيفية ! »

هكذا يقول التقرير عن المؤلف ، مع اعترافه « بأن موقفه ذلك جره اليه شدة الرد على بشر المريسى . . . الخ »

ألم يكن الأجدر بالتقرير أن يطبق مبدأ التماس المعذرة لهذا العالم المحدث الجليل ؟ ألا إنه لو التمس له المعاذير لوجدها ، ولوجدها من جهات متعددة :

١ـ فهو يصرح بنفى التشبيه والكيفية

٢ـ وهو يكثر من إيراد قوله تعالى « ليس كمثله شىء »

٣ـ وهو شديد الحرص على الرد على بشر المريسى

٤ـ وهو عالم جليل القدر فى الفقه والحديث

٥ـ وهو ، الى مكانته العلمية ، شديد الغيرة على الدين والعقائد مما دعاه الى أن يشتد على ابن كرام ، ولا يزال به حتى يخرج طريداً من هراة .

فهذه اعتبارات يكفى بعضها ليكون من أشد المعاذير وأقواها .

٣ — عن مقدمة الناشر :

ينبغى أن نرجع الى مقدمة الناشر فى الكتاب لا فى التقرير ، ونحددها تحديدا ينطبق على واقعها كما وضعها صاحبها .

إن الناشر يقف فى هذه المقدمة موقف المؤرخ المستعرض لأحوال الأمة الاسلامية والعهود التى مرت بها منذ بدأ التشريع الاسلامى الى زمن التقليد والانحطاط العلمى والتفكك السياسى والمدنى .

يقف الناشر هذا الموقف ، ويسجل على كل عهد ما كان فيه ، ويشرح ماكان من آثار ذلك فى الاسلام والمسلمين ، فهو لا يقصد طائفة من العلماء بعينها ، ولا يقصد

أشخاصاً بخصوصهم من المؤلفين ، ولا يوجه سهام نقده الى نوع معين من الكتب

وصف أولا عهد التشريع ، وثنى بعهد الأصحاب ومن تبعهم من السلف الصالح والأئمة المهتدين ؛ ثم ذكر عهد الدخلاء على المسلمين ؛ الذين لبسوا ثوب الاسلام على قلب موتور ، وصدر موغور ، هـذا العهد الذى وضعت فيه بذور الفتنة ، وزين فيه للناس أن ينصرفوا عن الكتاب والسنة الى آراء الرجال وأهوائهم ؛ وأخذ يصف هذا العهد بصفاته المعروفة للباحثين فى تاريخ العلم الدينى وتطوراته ، حتى قال :

« وكان من نتائج ذلك أن تبدل مجرى العلم الاسلامى ، ودونت الكتب والمؤلفات موسومة بأسماء إسلامية لترويج هذه الفتنة وتثبيتها »

والى هنا ينتهى كلامه عن العهد الذى قال عنه « إن بذور الفتنة قد وضعت فيه » ومن الظاهر أنه لا يقصد بهذه الكتب التى قال عنها انها موسومة بأسماء اسلامية إلا كتب دعاة الفتنة وغارسى بذورها ، وهم كثيرون معروفون فى التاريخ ، لا صلة لهم بكتب التوحيد والعقائد التى يتداولها الناس ويعرفونها باسم كتب أهل السنة والجماعة ، فان التاريخ يثبت لكل ناظر فيه أن كتب أهل السنه والجماعة ماجاءت إلا بعد هذا العهد ، وما كانت إلا مقاومة لما كان قبلها من معتقدات وآراء ألفت فيها مؤلفات ، ووضعت لتأييدها كتب ورسائل ، وانبث للترويج لهـا دعاة فى جميع أمصار المسلمين .

وعلى الرغم من وضوح هذا المعنى يقول التقرير :

« إنه قد صور كتب التوحيد المؤلفة على طريقة أهل السنة والجماعة بلا تفرقة بين كتاب وكتاب بأقبح صورة ، ورمى مؤلفيها بما يستدعى أشنع أنواع الكفر وقد صرح بأن الكتب موسومه بإسلامية أى وليست إسلاميه ، وأنها ألفت لترويج الفتنة وتثبيتها ... ألخ »

ومن هذا يتبين أن التقرير فى واد ، ومقدمة الناشر فى واد آخر .

ومما يؤيد ذلك أن الناشر يقول فى مقدمته بعد كلامه عن هذا العهد الذى

دونت فيه الكتب والمؤلفات موسومة بأسماء اسلاميه لترويج الفتنة وبذر بذورها ، يقول الناشر بعد هذا مانصه :

« فتلقفها الخلف المفتون عن ذلك السلف الفاتن الخادع ، اوتوالت الأيام ، وكثرت المؤلفات الممزوجة بكثير من هذه السموم حتى بلغ الأمر بالعامة وأكثر الخاصة أن اعتقدوا مافيها مذهب أهل السنة والجماعة ، ودعوها كتب العقائد والتوحيد ، وهى فى الواقع انما وضعت عن جهل أو علم لزلزلة العقائد والتشكيك فى الله ... ألخ »

ففى هذه العبارة ينص الناشر على أن المؤلفات الممزوجة بكثير من هذه السموم قد كثرت ، فلا شك أنه يفرق بين الكتب فى العهد السابق فيجعلها كتباً ألفت لترويج الفتنة ، وبذر بذورها ، ويصف مافيها بأنه سموم وزرع خبيث ، وبين الكتب فى العهد الذى يليه فيجعلها كتباً ممزوجة بكثير من هذه السموم التى اندست الى الناس من كتب العهد السابق ، وشتان بين كتب كلها سموم وزرع خبيث ، وكتب سرى اليها شىء من هذه السموم فامتزجت به .

ثم هو يقول فى العبارة نفسها : « وهى فى الواقع انما وضعت عن جهل أو علم . ألخ» فهو يردد بين الجهل والعلم فى هذه الكتب مع أنه يقطع فى كتب العهد السابق بأنها كتب أريد بها بذر بذور الفتنة ، ووسمت بأنها إسلامية زوراً وبهتانا .

فواضح من هذا أن المؤلف ينظر الى طائفتين مختلفتين من الكتب ويعطى كل طائفة حكمها ، ولكن التقرير لايفرق بينهما ، فيرجع كل كلام الناشر الى طائفة واحدة ، ويفرض أن هذه الطائفة الكتب التى يقصدها الناشر هى كتب أهل السنة والجماعه .

بقى أنه جاء فى تعبيره قوله عن هذه الكتب « إنها وضعت عن جهل أو علم لزلزلة العقائد والتشكيك فى الله »

والتقرير يفهم من هذه العبارة أن المؤلف يقصد أن الغرض الذى وضعت من أجله هذه الكتب هو زلزلة العقائد والتشكيك ألخ ، ويرتب على ذلك أن من يضع

كتابا لايضعه إلا لزلزلة العقائد ، والتشكيك فى الله ، يكون داعية لهدم الاسلام وإضعافه ، وبالضرورة من هذا حاله لايكون مؤمنا .

وليس هـذا الفهم بصحيح ، ولا هو بمقصود للناشر ، فان هـذه اللام فى قوله (لزلزلة العقائد) هى اللام المعبر عنها بلام العاقبة ، على حد قوله تعـالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا) فالمعنى أن هـذه الـكتب قد وضعت ممزوجة عن علم أو جهل بكثير من السموم فكانت عاقبتها زلزلة العقائد والتشكيك فى الله ألخ

ولسنا نقول ذلك من باب الدفاع فقط ، وانما نقوله وفى يدنا دليل واضح يدل عليه وهو قوله « وضعت عن جهل أو علم » فلا يعقل أن تكون اللام للتعليل ثم يقال «عن جهل أو علم» لأنه اذا كان الواضعون قد وضعوها بقصد التشكيك وزلزلة العقائد يكونون قد وضعوها عن علم ، ولا يصح أن يفرض فيهم أنهم قد يكونون جاهلين بأنها سموم ؛ فقوله «عن جهل أو علم» قرينة مانعة من إرادة المعنى الذى أراده التقرير .

فالناشر إذاً لم يكفر علماء التوحيد ، وانما نقد فعلهم ، وجوّز أن يكون هذا الفعل عن جهل وحسن نية ، ولا شك أنه لا حرج على أحد من الناس فى أن ينقد رأى غيره ، وفى أن يحكم على أساوبه فى علم من العلوم بأى حكم يراه .

وليس الناشر فقط هو الذى يحكم بأن كتب التوحيـد قد فتحت على الناس أبوابا من الشكوك وزلزلت كثيراً من العقائد الراسخة فان هذا رأى مشهور يقول به كثير من العلماء ، بل إن هذه الفكرة نفسها هى التى حدت بالسلف الصالح الى طريقتهم المعروفة التى تعتمد التسليم والقبول بدون تأويل أو توسع فى تدليل على طريقة المتأخرين . فليس فى الأمر إذاً أكثر من نقد على لطريقة من الطرق .

هـذا كله واضح ؛ ولذلك عجبت جـداً حين رأيت التقرير يخرجه عن هذا الوضع الذى يريده صاحبه، ويصوره بصورة رجل يقف وفى يده كلمة الـكفر يقذف بها فى وجوه علماء التوحيد وأئمة الكلام، ويقول مستدلا على هذه الصورة التى يصور بها الناشر ما نصه :

« وقد صرح أيضاً بأن مؤلفيها ـ وقد فسر التقرير كلمة مؤلفيها أنهم أئمة علم التوحيد وأوردها بين قوسين للاشارة الى ان هذا التفسير من واضعيه لا من الناشر ـ بين فاتن ومفتون ، وخادع ومخدوع »

وكان على التقرير أن يقترح سؤال الناشر إذا غمض الأمر ليستوضح منه رأيه عن درجة مؤلفى هذه الكتب من علماء التوحيد وأئمة الكلام .

وأعجب من ذلك أن التقرير يقول بعد هذا :

« فالذى نراه أن كلامه هذا يعطى بوضوح تكفير أئمة التوحيد ومن حذا حذوهم »

ثم يقول زيادة فى التحريض على الناشر :

« ويقتضى الحط من أهل العلم جميعاً فى هذا الزمن وغيره من الأزمان السابقة ، لأنهم عاكفون على دراسة هذه الكتب وتدريسها للطلاب . »

يقول التقرير هذا وينسى أن رأيه فى كتاب الدارمى يقتضى أيضاً الحط من كتب الذهبى وابن خزيمة وابن القيم وابن تيمية وغيرهم من علماء الحديث والكلام ويقتضى أيضاً النظر فى منع تداولها بين الناس ، كما يقترح فى شأن كتاب الدارمى .

والناشر بعد ذلك يصف حالة الاسلام التى تزلزلت بسبب هذه الكتب التى امتزجت بكثير من السموم السارية اليها من كتب العهد الذى وضعت فيه بذور الفتنة ، ثم يبين أثر الكتاب والسنة فى عهد الصحابة ومسلكهم فى فهم الآيات التى عرفت بعد باسم المتشابه ، وانهم كانوا يؤمنون بها من غير استفسار ولا سؤال ؛ بل يعدون السؤال عنها بدعة ، ويكتفون بما يدل عليه لفظها العربى المنزل من العليم الحكيم ، ويؤمنون بها على مايليق بالله « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »

ينقل الناشر بعد ذلك جملا من تذكرة الحفاظ للذهبى يبين فيها حالة الاسلام التى تطورت فى العصور المتتابعة على نحو ماتحدث به الناشر فى مقدمته .

وقد جاء فى التقرير مايفهم منه أن الناشر نقل مقالات الذهبى ليستدل بها على ماقاله من الطعون فى أئمة التوحيد وعلماء السنة والجماعة ، فجعل التقرير يفند دلالة

هـذه الجمل على الخط من مقام علماء التوحيد ؟) فاته أن غرض الناشر الذى يدل عليه سياق كلامه هو بيان ضعف الاسلام بعـد قوته ؛ ووقوع المسلمين فى التفرق والشتات بعد العزة والاجتماع .

ونحن لانريد أن نعلق على شيء مما جاء فى التقرير عن هذه المقالات، لأن التقرير صرفها عن مقصدها ومقصد الناشر من الإتيان بها فى هذا المقام، وانما نقول بالنسبة لما جاء فى التقرير ص ٥ رقم ٢ :

نقل التقرير عبارة صاحب المقدمة التى يقول فيها « علم التوحيد لم يكن مدونا فى عهـد الصحابة ، كما أن تقرير العقائد والاستدلال عليها بالأدلة العقلية والنقلية بالطرق المعروفة اليوم لم يكن فى زمنهم ، فيكون بدعة مذمومة، والاشتغال به ضلالة»

نقل التقرير هذه العبارة ثم علق عليها بقوله :

« ونحن نقول : هذه فـكرة خاطئة . . . إلى أن قال : « فكيف يتصور عاقل أن حفظ العقائد الصحيحة بسياج من البراهين ، وصونها من عبث أهل الأهواء بدعة مذمومة »

هكذا يقول التقرير ، ونحن نقول : إن النـاشر لايريد تدوين علم التوحيـد بالبراهين ، ولا حفظه بسياج دون عبث الأهواء ؛ إن الناشر لايريد هـذا النوع من التدوين ، وانما يريد التدوين الذى خلطت فيه الفلسفة والنظريات الإغريقية بعقائد التوحيد ؛ حتى أصبح الناظر فى كتب التوحيد يعتقد أن الكل من العقائد حتى الجزأ الذى لايتجزأ ؛ والهيولى والصورة ، والصفات عين الذات أو غير الذات ، وما إلى ذلك من المباحث التى شككت الناس فى عقائدهم ، وكل ذلك يدل عليـه قول الناشر « بالطريقة المعروفة اليوم »

أما بعد : فقد كان أولى بنا ـ بدل أن نقرأ هذا التقرير الذى يُنظر فى مقدمة الناشر نظرة تخرجها عن واقعها ، وتحولها عما أراده منها صاحبها ـ كان أولى بنا أن

تقريراً آخر ينظر فى الكتاب وما تضمنه من الآيات والأحاديث وما فيه من انحراف ، لينبه على هذا كله ويناقش فيه ، ويبين للناس وجه الحق ، ثم يطالب من الجماعة العمل على إلزام ناشر الكتاب بنشر هذا البيان . وقد سبق مثل ذلك يوم أريد نشر كتاب تاريخ بغداد فوجد فيه طعن باطل على الامام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه ، فصودر الكتاب حتى وضع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير مفتى الديار المصرية تعليقا فى تفنيد ماجاء فى الكتاب خاصاً بالطعن على أبى حنيفة وألزم ناشر الكتاب بنشر هذا التعليق معه ، وكان هذا سبباً فى الافراج عن الكتاب .

ألا إن جماعة كبار العلماء لو فعلت هذا لقامت بواجبها من غير أن يؤول عملها بأنها تصادر حرية التأليف والنشر .

لهذا أقترح على الجماعة الموقرة أن تصرف النظر عن هذه المسألة ، لئلا تثير مشاكل لافائدة للاسلام والمسلمين من إثارتها ، لا بالنسبة الى الكتاب ، ولا بالنسبة الى ناشر الكتاب .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء

لعجزه ، لكن عليه أن يفرح بقيام غيره به ويرضى بذلك ويود أن يكون قائما به ، وأن لا يؤمن ببعضه ويكفر ببعضه ، بل يؤمن بالكتاب كله ، وأن يصان عن أن يدخل فيه ما ليس منه من رواية أو رأى ، أو يتبع ما ليس من عند الله اعتقاداً أو عملا ، كما قال تعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) وهذه كانت طريقة السابقين الأولين وهى طريقة التابعين لهم باحسان الى يوم القيامه . فعن أبى يوسف رحمه الله أنه قال لبشر المريسى :

« العلم بالكلام هو الجهل ، والجهل بالكلام هو العلم ، واذا صارا لرجل رأساً فى الكلام قيل زنديق » وعنه أيضاً أنه قال « من طلب العلم بالكلام تزندق . ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ومن طلب غريب الحديث كذب » وقال الامام الشافعى رحمه الله « حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » وقال ايضاً رحمه الله :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه فى الدين
العلم ما كان فيه قال : حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وذكر الأصحاب فى الفتاوى : انه لو أوصى لعلماء بلده لا يدخل فيهم المتكلمون . وأوصى انسان ان يوقف من كتبه ما هو من كتب العلم . فأفتى السلف ان يباع ما فيها من كتب الكلام . ذكر ذلك بمعناه فى الفتاوى الظهيرية . فكيف يرام الوصول الى علم الأصول بغير اتباع ما جاء به الرسول — إلى ان قال — ولهذا لا تجد عند اهل الكلام من اليقين والمعرفة ما عند عوام المؤمنين ، فضلا عن علمائهم ، ولاشتمال مقدماتهم على الحق والباطل كثر الكلام وانتشر القيل والقال ؛ وتولد لهم عنها من الأقوال المخالفة للشرع الصحيح والعقل الصريح ما يضيق عنه المجال . آه

وأعنى بكلامى ما عناه امام العصر الشيخ المراغى مد الله فى عمره موفقا للاصلاح فى خطبه ومحاضراته التى ينشرها على الناس ، ومنها فى أول عدد من مجلة النهار :

« وطريق القرآن فى الاقناع والهدى هى أقوى طريق لمن يقدر على احتذائها والاقتداء بها ؛ وقد دلت التجارب على أن طريق علم الكلام لاتوصل الى الغرض عند الجماهير ، فهى وإن انتفع بها أقوام فقد أضلت أقواما وأبعدت آخرين »

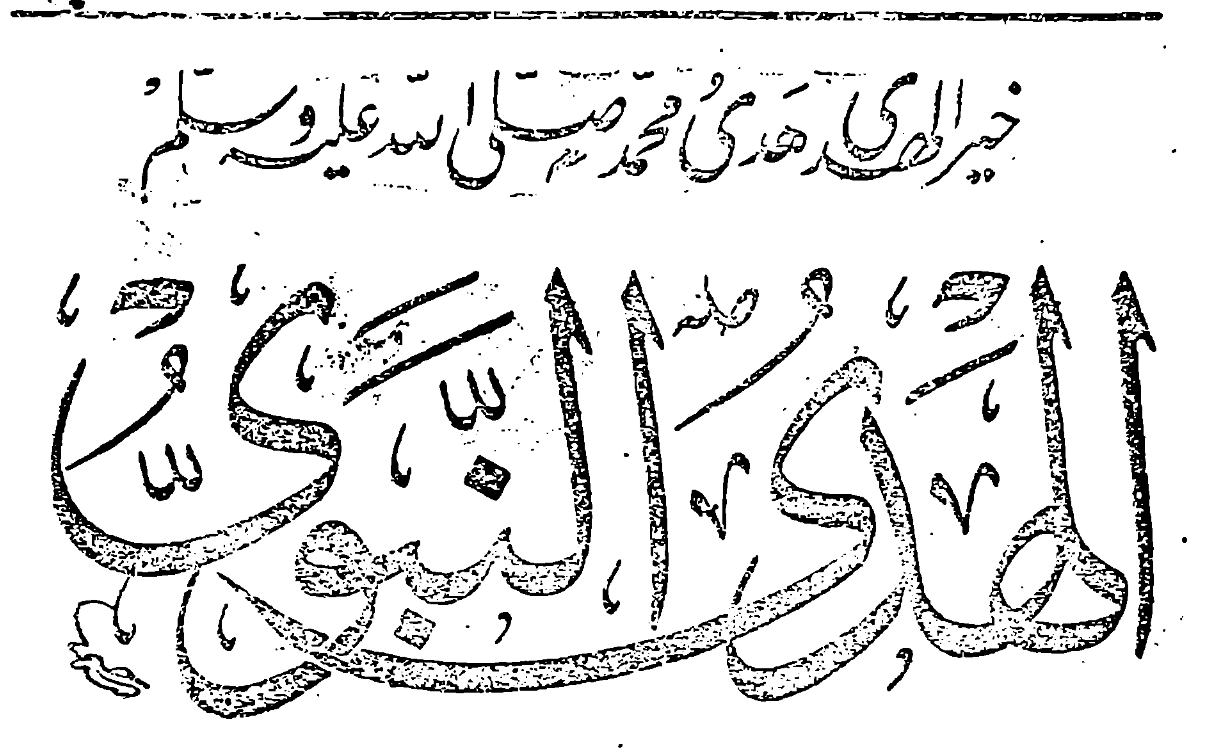
وفى تفسيره لسورة لقمان : « هذه الآيات وأمثالها من الآيات المتعلقة بالكون هى التى يعتمد عليها القرآن دائما فى الاستدلال على الخالق وقدرته وعلمه وتفرده بالايجاد واستحقاقه للعبادة، وفى الحق أنه لايوجد شىء غيرها يمكن ان يقنع . واذا انحرفت الأدلة عنها أضلت وأظلمت البصائر . وكل مافى كتب الكلام والفلسفة لايمكن أن يهتدى به جمهور المسلمين ، ونحن فى شك من أن العلماء اهتدوا به »

وفى هذا وأمثاله كثير عن السلف والخلف فى ذم علم الكلام وأهله ، الدلالة البينة ، أنى إن شاء الله لم أرم احداً من خيرة هذه الأمة وعلمائها المهتدين ، وانما قصدت الى أولئك المذمومين ، الذين هم سلف زعيم الشرذمة المتعادية على الدارمى وكتابه وناشره ومناصره ، وليس ذلك ببدع من هذا اللصيق بأبى حنيفة ، فانه لم يسلم من لسانه عالم من السلف ولا من الخلف ، وحسبك بمالك بن أنس إمام دار الهجرة رضى الله عنه وأرضاه ، فانه ماسلم من لسان هذا اللصيق ؛ دع اعلام الهدى ومصابيح الظلام فى عصرنا الذين هم مرجع الأمة فى فتاواها ، وهم بحمد الله رغم أنف هذا اللصيق محل الثقة التامة من أرفع رأس واعلاها فى هذه الأمة الى أقل مؤمن فيها ؛ فلحامد الفقى ناشر كتاب الدارمى القدوة بأولئك المهتدين رضى الله عن السابقين منهم واطال عمر المعاصرين ليطول النفع بهم ؛ ويقطع الله دابر الدجالين والمتجرين بالدين

ولما كان مادار حول كتاب الدارمى أخذ قدراً عظيما من تفكير الناس فى مشارق الأرض ومغاربها، احببت أن أجعل هذا العدد خاصاً بما قيل وما انتهى اليه امره لتكون تلك فائدة اعتقد أن القراء الكرام سيسرون بها مع تقديم المعذرة عن تأخر هذا العدد بسبب قهرى ، اسأل الله الكريم أن يزيله بعافية ولدى الطاهر، كما أسأله سبحانه ان يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه .

محمد حامد الفقى

الحجة سنة ١٣٦١ العددان ٢٣ و ٢٤ السنة السادسة



مجلة دينية علمية إسلامية (نصف شهرية)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقي

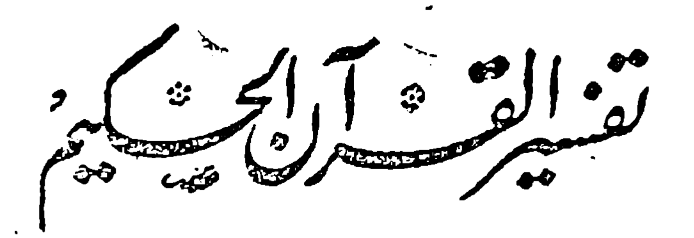
جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ١٥ قرشا داخل القطر المصري والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية



تفسير القرآن الحكيم

﴿منهج الاسلام فى تدريب جنده﴾

للأستاذ الكبير مدير المجلة



قال تعالى من سورة التوبة « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم : التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين »

* * *

كلما تطاول عمر الدنيا فتعقدت مشاكلها ، واستحكمت أزماتها ، كلما ظهر صدق القرآن الكريم فى كل قضية قررها ، وشرعة دعا اليها ، ووضحت صلاحيته لحل كل مشكلة ، وتفريج أية أزمة تعترض الناس أينما كانوا ، وفى أى زمان وجدوا ، واستبان معنى قوله تعالى (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون)

وما ادعى قوم لأنفسهم ما ادعاه أبناء هذا القرن من أنهم تسنموا غارب المدنية واقتعدوا ذروتها ، وانهم أوتوا هذه المدنية على علم عندهم لا يعترفون فى تحصيلها لدين، ولا يتتلمذون لرسول ، فلقد سخروا العلم فغاصوا به تحت الماء ، وسبحوا به فى جو السماء ، وانزوت به لهم الأرض فأصبحت قاراتها الخمس كأنها قارة واحدة ليُسر

الوصول الى أقطارها ، وصار التخاطب بين أقصاها شمالا إلى أقصاها جنوبا كلمح البصر أو هو أقرب ، وابتدعوا لأيام السلم ملاهى أغنتهم عن الجنة وما أعد فيها المتقين ، واخترعوا لأيام الحرب مدمرات لم تخطر ببال الأولين .

وهذه دعوى لا مبالغة فيها من حيث تبريزهم فى المدنية المادية ولكنها عندما أفلتت من أيديهم فلم يقيدوها بزمام من عقل أو دين انقلبت عليهم فحطمتهم تحطيما وأذاقتهم عذابا أليما ، حتى كادوا يكونون بعد قليل كما قال الله تعالى فى امثالهم : (فأصبحوا لا يُرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين) أو كما قال جل شأنه : (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون)

وإن لنا فى هذه الحرب لعبرة ، فأنت تعلم أن الذى أوقد نارها هم سادة أهل الأرض اليوم الذين يدعون أنهم فوق طبقة البشر فى كل ناحية من نواحى شئونهم ؛ ولون من ألوان حياتهم ، وانهم الذين ابتكروا جميع نظم الحياة فى السلم والحرب ، فقلدهم الناس فيها طوعا أو كرها ، فانظر كيف يقاتل بعضهم بعضا ، وانظر كيف تمزق ذلك الغشاء الانسانى الكاذب الذى كانوا يخدعون به الناس وظهرت من ورائه الغرائز الحيوانية الثائرة والطباع الوحشية المكبوتة ، فعرف الناس وجهة نظرهم فى هذه الحرب وكيف أوقدوها لاذلال الشعوب وامتلاك بلادهم ظلماً وعدوانا ، لايبالون فى سبيل تحقيق الغاية بنوع الوسيلة ، بل كلما أوصلهم إلى غايتهم فهو الحلال المشروع ؛ وحسبك دليلا على فظاعة ماياتونه ماتطالعك به الصحف عنهم صباح مساء .

ومن يقوم بتنفيذ هذه المآسى غير الجندى ، الذى ربوه كما يريدون ، ودربوه على تقتيل العباد ؛ وتخريب البلاد ، وصيروه كريح عاد العقيم التى (ماتذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم) . نعم إن الذى يترجم عن اخلاق هذه الأمم المتمدنة هو (جنديها) الذى اخذ بتلابيب أمته فى الانسانيه فلا يدع احدهما اخاه إلا صريعاً لا لغاية ، إلا لاختطاف اللقمة من فيه ، واستعباد بلده ومن فيه .

كل أمة من هذه الأمم المتمدنة ـ بزعمها ـ ربّت جنديها على منهج وحشى خال من كل معانى الانسانية ، فحرّق وأغرق وأتلف فأسرف ؛ فى نظير ماسحرته به من حب الوطن ، واكتساب الذكر الحسن ، وله عليها أن تمده بكل مايشتهى من مأكل ومشرب وما إلى المأكل والمشرب من شهوات النفس الجامحة التى يغنى التلميح فيها عن التصريح !!

فهو كبش الفداء تسمنه ثم تسوقه الى المذبح ولها عليه حق الطاعة العمياء تسوقه فينساق ولا يسألها فيمَ أو لِمَهْ . ؟

أما وقد علمت أن خلاصة اخلاق هذه الأمم تركزت فى جنديها الذى عرفت بعض صفاته فتعال معى ننظر كيف يدرب الاسلام (جنـديه) على أقوم المناهج وأطهر الأخلاق ، وأرفع الآداب ؛ وذلك لاختلاف الغايتين ، وللبون الشاسع بين الغرضين .

أما هذه الأمم التى تصدر فى تصريف امورها عن مدنية كاذبة ، فقد أيقنت ان قتال بعضها بعضا انما هو لمجرد القهر والجبرية واستعباد الناس وانتهاب مافى ايديهم ، لا لمثل عال . لا لقصد شريف ، إذ الكل فى الظلم تجمعهم قافلة ، وهم فى العقيدة على شاكلة ، ولكن الاسلام لم يفرض القتال حباً فى قهر الناس والتصرف فى شئونهم ؛ ولكنه فرضه للضرورة وعلى قدر الحاجة . وتوضيح ذلك ان الاسلام جاء لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور بعد ترديهم فى بؤر المخازى طوال القرون التى سلفت قبله ، واختار الله عبده ورسوله محمد ﷺ للاضطلاع بهذه المهمة ، فحمل مشعل الهداية ليستضيء به الناس ، ثم تعاقب فى حمله من بعده صحابته ومن بعدهم تابعوهم باحسان ومشوا به ، فمن وقف فى سبيله صاداً عن نوره زُحزح بالحسنى وإلا فبالقوة حتى يكون الدين لله وذلك معنى الجهاد فى الاسلام ؛ لا يبادىء بالشر أخذاً ولكن يجب ان تسير دعوته فى الدنيا حُرَّة طليقة ، تعرض بضاعتها على الناس فمن قبلها كان من اهلها ، ومن أبى من غير صد ولا مناهضة ، أقر على

ماهو عليه ، ومن أبى معاجزاً فله جـزاء الظالمين .

وكذلك يريد من جُنديه أن يحمل هـذا المشعل أنى توجه ؛ وبالتالى يريده غازياً للقلوب والأرواح قبل أن يكون فاتحا للبلاد غازيا للأشباح ، فهو يريد منه أولا جهاداً فى سـبيله ، ومن خصائص الجهاد الدعوة الى سبيل ربه بالحـكمة والموعظة الحسنة ، فان أعجزته الوسائل السلمية برز فيه مضطراً معنى القتال .

ولأن الاسلام يمد جنديه لأنبل غاية وأشرف مقصـد ، تراه قد شرط عليه شروطا كثيرة وشديدة لايستقل بها إلا أولو العزم ، فهو ما اكتفى منه باقرار الصفقة التى تمت بينه وبين ربه ببذل روحه وماله فى سبيله فى مقابل دخوله الجنة مع تسجيل هذا العقد فى كتبه المقدسة الثلاثة . نعم ما اكتفى منه بذلك فحسب بل أوجب عليه أن ينفذ بقية المنهج الوارد فى عجز الآية : (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) وباختتام هذه الآية الكريمة بقوله « وبشر المؤمنين » يكون قد أتم تدريبه العسكرى الصالح الذى صار به مرشـداً للناس وقدوة عملية يقتدون بها اذا دخل بلداً من بلادهم فى الأمانة والعفة وإتمام العقود والوفاء بالعهود وفى صدق القول وحسن المعاملة والقيام بالقسط وتحريم الظلم وما إلى ذلك مما يجب أن يتوفر فيمن ورث حمل المشكاة بعـد محمد ﷺ ومشى بها فى الناس ، وما المشكاة إلا القرآن يتمثل فى حامله أولا ثم يفيض منه بعد ذلك على الناس هداية وعرفانا .

هذا هو منهج الاسلام فى الجندية ، ذلك الدين الذى تنكر له أهله وعقـه أبناؤه وجعلوه وراءهم ظهريا ، ثم لجأوا إلى الأمم الأجنبية يستجدون منها العلوم والشرائع ، ولو أنهم أحيوا من تفكيرهم ما أماتوه ، واستعملوا من عقولهم ما عطلوه ؛ لاستدلوا بتناحر هذه الأمم بهذه الـكيفية الشنيعة على فساد نظمها ونقص شرائعها ولرجعوا إلى إلى نظم دينهم يصلحون به مارث من حالهم ، ويجددون به ماضى عزهم :

فانه لن يعود العز ثانيـة أو يرجعوه عزيزاً مثل ماكانا

ونحن إذا ضربنا لهم مثلا نظام الجندية فى الاسلام فقد عرفناهم كيف عالج دينهم بالرفق والأناة أخطر حالة تعترض البشرية فى حياتها وهى حالة الحرب ، فتزل أمامها أثبت الأقدام ، وتطيش عندها أرجح الأحلام ، حيث جعل من ممارستها أداة بناء وتعمير ، لا معول خراب وتدمير بتدريبه على الأخلاق الفاضلة والآداب العالية وفى مقدمتها التضحية ونكران الذات .

أما بعد ، فان القرآن حجة الله على الخلق أجمعين ـ مسلمين كانوا أو غير مسلمين ـ إن اهتدوا به كانوا من الناجين ، وإن خاصموه فقد مضت سنة الأولين ، وما أصدق وعيده اليوم فى قوله : « سيريكم آياته فتعرفونها ، وما ربك بغافل عما تعملون » .

محمد صادق عرنوس

عدل عمر

عن أبى فراس قال : خطب عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال : « يا أيها الناس ألا إنا إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرانينا النبى ﷺ وإذ ينزل الوحى وإذ ينبئنا الله من أخباركم ، ألا وإن النبى ﷺ قد انطلق وانقطع الوحى ، ألا وإنما نقول بما نعرفكم ، نقول لكم من أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه ، سرائركم بينكم وبين ربكم ، ألا إنه قد أتى على حين وأنا أحسب من قرأ القرآن يريد الله وما عنده فقد خيل لى بآخرة إن رجالا قد قرءوه يريدون به ما عند الناس فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم ، ألا وإنى والله ما أرسل عمالى إليكم ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلىّ .

أحاديث الأحكام

﴿ للأستاذ الكبير محمد عبد العزيز الخولى رحمه الله ﴾

عن أبى بكرة نفيع بن الحارث الثقفى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار . فقلت : يارسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » رواه الشيخان وأبو داود والنسائى .

اللغة : البال الحال التى يهتم بها ، يقال : ماباليت بكذا بالة أى ما اهتممت به ، ويطلق على الخاطر ، وعلى القلب . والحرص فرط الشره ، وفرط الارادة

الشرح : القتل العدوان إثم كبير ، وجُرْم عظيم ، توعد الله عليه بالعذاب الشديد فى قوله « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعدّ له عذابا عظيما » وما كانت يد المؤمن الذى ملأ الايمان قلبه لتمتد الى أخيه بسفك دمه ، وازهاق حياته « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » وقد بيّن الرسول ﷺ فى هذا الحديث أنه اذا تلاقى مسلمان بسيفيهما أو ببندقيتيهما ، أو مسدسيهما ، أو مُديتيهما ، أو نبُّوتيهما ، أو غيرها من آلات القتل — فذكر السيف على سبيل التمثيل — وأعمل كل منهما مافى يده للقضاء على صاحبه ، والايداء بحياته فالقاتل والمقتول فى النار ، فسأل أبو بكرة رسول الله ﷺ قائلا : هذا القاتل الذى أودى بحياة صاحبه يستحق النار كما نطق بذلك القرآن ، ولكن ماشأن القتيل الذى أريق دمه حتى يكون مع قاتله فى النار ؟ فقال ﷺ إنه كان حريصاً على قتل صاحبه ، وشارعا فيه ، ومتلبساً بأسبابه المباشرة ، ولولا أن

ضربة صاحبة عجّلت بحياته ، وجندلته مضرجا بدمائه لكان هو السافك ، وقرينه القتيل ، فكل منهما باء بإثمه ، واستوجب النار بجرمه .

فان رفعت سيفك بحق على من رفعه عليك عدوانا وظلما ، أو حسداً وبغيا ؛ فلا حرج عليك ولا ملامة ، ولن تمسك النار ، بل ربما كنت مأجوراً اذا قضيت به على المجرمين السفاكين ، فاذا قام نزاع بين طائفتين من المسلمين ، حتى اشتعلت نار الحرب بينهما ، وعملنا ما نستطيع للقضاء على الخصومة ؛ وإحلال السلم محل الحرب ، فأبتا أو أبت إحداهما وجب علينا الانضمام المحقة ، وقتال الباغية ، وإشهار سيوفنا على سيوفها حتى نفلها ؛ ونذهب بشوكتها ، وتفيء الى أمر الله ؛ « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين ، انما المؤمنين إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » واذا أرادك باغ على نفسك ، أو مالك أو عرضك فدافعته بسيفك فلست للنار بأهل ، اذا كنت لاتستطيع دفعه الا بالسيف ، ولكن استعمله بنية الدفاع لا بنية القتل ، فان قضت عليه ضربة الدفاع فعلى شر قضيت ؛ وان أصابتك ضربة ففي سبيل الله قتلت ، وفي سجل الشهداء كتبت . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة « أنه جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يارسول الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال : فلا تعطه ، قال : فان قاتلني ؟ قال : فاقتله ، قال : فان قتلني ؟ قال : فأنت شهيد ، قال : أرأيت ان قتلته ؟ قال : فهو في النار » ، وفي حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود والترمذي وصححه « مَن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد »

وظاهر الحديث أن درجة القاتل والقتيل في العذاب بالنار سواء ، لأن كلاً منهما بذل منتهى جهده لقتل صاحبه ، غاية الأمر أن ضربة أحدهما [illegible] قبل

الآخرى ، وقيل : بل درجتهما مختلفة ، فالقاتل يعذب على القتال والقتل، والقتيل يعذب على القتال فقط ؛ فعذاب القاتل أطول أو أشد .

وقد اختلف العلماء سلفا وخلفا فى القاتل اذا تاب أتنفع توبته ؛ فتدرأ عنه العذاب أم لاتنفع ؟ قال جماعة بالثانى منهم ابن عباس وزيد بن ثابت ، مستدلين بقوله تعالى فى سورة النساء « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم . . ألخ » وقال كثيرون بالنفع لقوله تعالى فى صفة عباد الرحمن « ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب ، وآمن ، وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما » وقالوا : إن هذا الاستثناء مراعى فى آية النساء ، وكذلك اختلفوا فى القصاص ، فمن قائل : إنه لايدفع الاثم مستدلا بقوله تعالى «ولكم فى القصاص حياة » فانه يفيد أن القصاص لمصلحة الناس فحسب ، وذلك بردع بعضهم عن بعض ، أما القتيل المظلوم فلا يزال حقه باقياً يأخذه يوم القيامة ؛ ومن قائل: انه يدفع الاثم لأن جزاء السيئة سيئة مثلها ، ولقوله ﷺ فى حديث عبادة بن الصامت بعد ذكر القتل وجرائم أخرى « ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له » رواه البخارى .

وقد استدل بالحديث على أن قصد الجريمة ، والعزم عليها والتصميم يعاقب به المرء وان لم تقع منه الجريمة ، إذ علل عقاب القتيل فى الحديث بأنه كان حريصاً على قتل صاحبه ، والحرص فرط الارادة كما بينت لك فى اللغة . وفى رواية : انه أراد قتل صاحبه ؛ وقد اعترض على هذا الاستنباط بما جاء فى حديث ابن عباس عند البخارى « ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة » ومثل ذلك ماجاء فى حديث أبى هريرة عند البخارى أيضاً « اذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فان عملها فاكتبوها له بمثلها ، وان تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة » فلم يجعل فى الهم بالسيئة عقابا اذا لم يقترن بعملها ، وجعل فى تركها

خشية الله ثوابا ، اذ جاهد باعث الشر حتى غلبه « وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » ، وقد دفع هذا التعارض بعض العلماء بالمفرقة بين الهم والعزم ، فالأول مرور الفكرة بالنفس من غير استقرار فيها ، والثانى التصميم على المعصية وتوطين النفس عليها ، فالعقاب على الثانى ، دون الأول ، وهو دفع مدفوع ، وتفريق مردود ، لم يقم عليه دليل ، ثم انه صُرِّح بالارادة فى حديثنا وفى حديث أبى هريرة المعارض ، فالصواب من القول أنه لا تعارض أصلا ، فان حديثنا لم يرتب العقاب فيه على مجرد الحرص أو الارادة بل هو مرتب على أمرين : الأخذ فى تنفيذ الجريمة برفع السيف والتقاتل به ، وسبق الاصرار عليها ، وبعبارة أخرى : الشروع فى الجريمة والقصد الجنائى ، كما يقول رجال القانون . أما مجرد العزم بدون تنفيذ فلا يدل حديثنا على المؤاخذة به ، وظاهر حديث ابن عباس وحديث أبى هريرة أنه لا عقوبة فيه بل التعبير بصيغة الافتعال فى جانب الشر دون جانب الخير فى قوله تعالى « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » يشعر بأن الشر لا بد فيه من المعالجة والمخالطة ليحسب على المرء ، فلا يكفى فيه مجرد النية ، أما الخير فالنية فيه لها ثواب بقدرها ، ويؤيد هذا حديث أبى هريرة عند الشيخين « ان الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ، ما لم تعمل به أو تتكلم » .

وقد احتج بالحديث من لم ير القتال فى الفتن ، كسعد بن أبى وقاص وعبد الله ابن عمر ومحمد بن مَسْلمة وأبى بكرة وغيرهم ممن لم يتدخلوا فى الشجار الذى كان بين علىّ وشيعته وعائشة وانصارها ، وقدمنا لك واجب المسلمين فى الفتن ، الذى أمر به القرآن فى جلاء لا غموض فيه وهو الاصلاح بين الطائفتين المقتتلتين ، فان أبتا الصلح أو أبته احداهما فواجب قتال التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله .

عن كتاب الأدب النبوى

داؤنا ودواؤنا

٤ - الجهل الداء ، والعلم الشفاء

جاء الاسلام فنهض بالأمم التي دانت به إلى مستوى من العلم سبقت اليه من يعاصرها من الامم الأخرى جميعاً ، فأفاض عليها العلم قوة وعظامة (١) رهيبة ، ومكن لها في الأرض ، وآتاها من كل شيء سببا ، وشق لهـا طريقا الى الفنون والصناعات فبلغت فيها الذروة ، وانتهت إلى حد غبطتها عليه الأمم التى لها فيها سابقة وقدم . ولكن لم تكد تنسلخ القرون الخيّرة ، حتى أخذت الأمة الاسلامية تنغمس فى جهل عميق لايدرك له قاع ، ولا يعرف له قرار .

وأول ماظهر من أعراض هذا الداء الوبيل ، الجهل بأمور الدين ، دفعت الأمة اليه دفعا ، وحملت عليه حملا ، أكثرَ العلماءُ من تشقيق المسائل ، وتفريع الفروع ، وتنافسوا في ذلك تنافساً دفعهم الى وضع المؤلفات الضخمة ، والأسفار الكبيرة ، حرصاً على أن يعرف كلٌّ بأنه أرسخ من أخيه في العلم قدما ، وأطول باعا ، وأغزر مادة ، وأوسع اطلاعا ، وأكثر تصنيفا ، وأضخم تأليفا . ثم حظروا على الأمة أن تستهدى بالقرآن الكريم أو السنة المطهرة ، وزعموا لها أنها أضعف إدراكا ، وأقصر باعا ، من أن تنظر في الكتاب أو السنة ، نظر المستهدى أو المستبصر المستفيد ، وأوجبوا عليها أن تقلد حبراً منهم ، وأن تطفىء نور عقلها ، وأن تضع غشاوة على بصيرتها . وخيلوا اليها أن عقولها مهما تتسع آفاقها فلن تبلغ عقول الأولين . كأن الله الذى خلق عقول الأولين عجز عن أن يخلق مثلها للآخرين أو كأن خزائن فضله نفدت فلم يبق فيها مايمنحه للآخرين .

رأت الأمة نفسها أمام جبال من العلم لايتهيأ لها أن تضطلع بحملها ، ووقر في

---

(١) العظامة والعظم ضد الصغر

نفسها أنها لم تهيأ لهذا العلم ولم تخلق له ، فانصرفت عنه لاعتقادها أن تحصيله من المستحيل إلا على فئة قليلة تنصرف اليه عن كل شيء ، وتفنى حياتها فى الاقتصار عليه والتوفر على تحصيله . ثم تتخذه مرتزقا تكسب منه قوت اليوم من لقمة الخبز وجرعة الماء .

جهلت الأمة أمر دينها، وأصبحت الكثرة الكثيرة منها عالة فى أمر دينها على شرذمة قليلين تصدر عن رأيهم، وتعمل بقولهم ؛ وتتمثل بهم فى اعتقاداتها وعباداتها،

جهلت أمر دينها ففسدت عباداتها ، وساءت اعتقاداتها . أصبحت عباداتها صوراً واشكالا لا روح فيها ولا حياة . حتى الصلاة التى هى عماد الدين أصبحت مجرد حركات وهيئات لا تصدر عن علتها الصحيحة ولا تثمر ثمرتها المرجوة .
وحتى عقيدة التوحيد التى هى أصل الايمان ، وأساس دعوة القرآن ، فسدت فساداً لم يبرأ من دائه كثير من العلماء الذين كانت الأمة ترجوهم لاصلاح فسادها، وتنوط بعلمهم أملها فى رأب ما أثأته يد الجهالة .

بالملح نصلح مانخشى تغيره فكيف بالملح إن حلت به الغير ؟؟

أصبح المسلمون - إلا قليلا ممن عصم الله - يدعون غير الله ؛ ويستغيثون الموتى والأحياء فى أمور لايقدر عليها إلا رب العزة ، وما ذلك إلا للجهل الذى ران على عقول كثير من العلماء ؛ فحجب عن بصائرهم نور الحق فضلوا عن سواء السبيل.

إن آيات الأحكام فى القرآن الكريم لاتزيد على خمسين ومائة آية، وإن احاديث الأحكام لاتتجاوز خمسمائة وألف حديث . وهى من السهولة واليسر والوضوح ، بحيث لو سمعها سواد الأمة لفهموها وأحاطوا بمعناها علما . ولكن أنى لهم أن يسمعوها وقد حرم عليهم العلماء النظر والاستهداء !!

لو اقتصر المسلم على استقاء التوحيد من منهل القرآن الكريم، ذلك النبع الصافى النمير ، مافسدت عقيدته ، ولا تسربت اليها أوضار الشرك وأقذاره ، ولو تعاون العلماء على أن يضعوا للناس كتباً موجزة يجمعون فيها صحاح الأحاديث الواردة فى

العبادات والمعاملات مازهدت الأمة فى طلب العلم ولا نفرت من التحصيل والاطلاع ولأقبلت على هذه الكتب توسعها درساً وفهماً وحفظا .

« * »

لم يقف الجهل بنا عند حد الدين ، بل امتد إلى كل شيء نافع .

جهلنا العلوم الكونية التى امرنا الله أن ننظر فيها وأن نستمد منها العظة والعبرة . قال تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) وقال تعالى (أفلم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ؟) وقال تعالى (إن فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)

جهلنا هذه العلوم فجهلنا كثيراً من اسرار الطبيعة وقوى الكون التى سخرها لنا مدبر الكائنات لننتفع بها فى حياتنا الدنيا ، وعرفها غيرنا فخضعت لهم العناصر وذلت لهم قوى الوجود ، عرفوا البخار وأسراره فسخروه فى إدارة الآلات المتفرقة عرفوا الكهرباء فانتفعوا بها فى شتى المنافع ، وأحدثوا بها المعجزات ولم ينتهوا بعد من الغوص على اسرارها ، وما برحوا يكشفون كل يوم من نواميسها غريباً ، ويهتكون من اسرارها عجيبا . حتى لقد نقلوا أخفى الاصوات الى أقصى الجهات ، ونقلوا الصور والرسائل الى أبعد الأقطار ، من وراء البحار ، ولا يزالون يواصلون البحث عن أعمق من هذه الأسرار .

جهلنا تدبير المنزل فأصبحنا ننفق أكثر مما نكسب ، حتى رزحنا تحت أوقار الدَّين . والدين هم بالليل ومذلة بالنهار ، وخرجت الثروة من ايدينا ، ورسفنا فى قيود الافتقار .

جهلنا الصناعات المهمة التى يقتضيها نظام العمران ، وأصبحنا عيالا على الأجانب إذا حبسوا عنا وارداتهم ، حرنا فى أمرنا ، ووقفنا لا نبدى ولا نعيد .

الكثير من بلاد الاسلام لايحسنون نسج الثياب التى يلبسون ، ولا صنع الآنية التى فيها يأكلون ويشربون .

ثيابنا وفرشنا وأغطيتنا ، وأثاث بيوتنا وأدوات طعامنا وشرابنا وآلات صناعنا ، وأقلامنا ومدادنا وأوراقنا ، كل هذا من صنع غيرنا . حتى الأبرة والخيط والقارورة ، بله السيارة والطيارة ، والقاطرة والماخرة .

جهلنا الزراعة فلا نزل نصطنع الآلات القطرية التى كان يصطنعها آباؤنا الأولون قبل أن تكتب صحائف التاريخ . جهلنا استغلال الأرض ولا زال الكثير من أرضنا بطاحا جرداء ، فى وسعنا أن نحيلها الى حدائق غناء أو خمائل غبياء أو غابات شجراء ، لو أننا عرفنا كيف نستخدم القوى المعطلة فى أجسامنا وأموالنا وأرضنا .

جهلنا التجارة فلا يزال تاجرنا على بداوته وسذاجته ، يشترى السلع ليبيعها ويكسب فرق الثمن وهذا مبلغ علمه بالتجارة ، وهو لايدرى كيف ينسقها فى متجره ، ولا كيف يغرى المشترين بإحسان عرضها ، ولا كيف ينظم وضعها فى حانوته ، حتى تكون السلع فى متناول يده كلما أراد ، ولا كيف يكسب ثقة الناس بصدقه وأمانته وحسن معاملته وبشاشته ولطفه وكياسته .

ما أقل التجار الذين نرى تجارتهم تنمو وترفع رءوسها . وما أكثر الذين ينفقون كل مايكسبون ، وكأن أموالهم أقسمت لتبقين حيث وضعها الجهل لاتزيد درهما ولا سحتونا . لا أحدثك عن التجار الذين يدفعهم الجهل الى أكل مكاسبهم وتعلم من رءوس أموالهم ، فتأخذ تجارتهم فى الذبول والاضمحلال كأنها المصابيح تبدو ضئيلة ثم تصغر ، ثم يقضى بهم الأمر إلى المصير المحتوم ، وهو الافلاس الذى يترددون فى هوته والذى ينتظره كل تاجر يحترف التجارة وهو يجهل قواعدها وأصولها .

ولو رحت أعدد صنوف الجهل الذى اصابنا لملأت صفحات وصفحات فلأقف عند هذا الحد وفى الاشارة مايغنى عن العبارة :

نصيب المرأة من الميراث وشهادتها

يتساءلون عن نصيب المرأة من الشهادة ومن الميراث ومن الدين ، ويقولون :
إنها بنصف شهادة وبنصف ميراث وبنصف دين ؛ ويستدلون بذلك على بخس الاسلام إياها بعض حقوقها ، بعدم مساواتها للرجل من هذه النواحي الثلاث ؛ وللطاعنين من هذه الجهات ومن غيرها كلام طويل . وهو كله غير صحيح ولا برىء ، بل هو هضم لحق الاسلام نفسه . وعقوق له صادر من بعض من يدعى أنه من أهله ، وأوهام وشبهات تعرض لبعض الطلاب والطالبات ، وسببها ظاهر وهو عدم التوفر على الدراسة الدينية ، أو قلة العناية بها . ونحن نوجز القول الآن فى بيان هذه المسائل:
شهادة المرأة تارة تكون نصف شهادة الرجل ، وطوراً تكون معادلة لشهادته ؛

هذا هو الداء فما الدواء ؟
دواؤنا أن نتعلم ، وأن نحارب الجهل ، وأن نشن عليه غارة شعواء لا هوادة فيها حتى نجليه عن بلادنا ونشق لأنفسنا طريقا الى الحياة السعيدة بين الأمم الرشيدة .
دواؤنا أن نتعلم ديننا قبل كل شىء وأن نصحح عقيدتنا وعبادتنا ، وأن نعرف بقدر الامكان اسرار هذا الدين الحنيف الذى اكمله الله وأتم به علينا النعمة ورضيه لنا دينا .

ولست الآن بسبيل تقرير منهاج للتعليم فى الدين والعلوم الكونية والصناعة والزراعة والتجارة . ولكنى أوجز القول وأشير إشارة عامة الى ان العلم أقوم سبل الرقى واهداها وأمثلها ، ولا يتسنى لأمة ان تسير فى طريق المجد والقوة والعظامة مالم يكن العلم أمضى أسلحتها .

أرونى أمة بلغت مناها　　بغير العلم أو حد الحسام

أبو الوفا محمد درويش

وأحيانا تقبل شهادة النساء منفردات عن الرجال، بل تتعين عليهن الشهادة وحدهن؛ وذلك فى الأمور النسائية التى لا تعلم إلا من جهتهن . وقد راعى الاسلام فى ذلك كله، الحكمة، ومشى مع المصلحة العامة التى تراعى فى كل زمان ومكان . وسنبحث فى ذلك إن شاء الله تعالى .

أما الميراث فيقال فيه ماقيل فى الشهادة ايضاً ؛ وهو أنه يكون لها نصف ميراث تارة ويكون ميراثاً كاملا كميراث الرجل تارة أخرى ، ولكن الذى يريد ان يبحث فى مسألة الميراث من الوجهة الاسلامية ينبغى أن يذكر قبل كل شىء أن الاسلام لم يخرج بالمرأة عن طبيعتها ويحملها أعباء الحياة الخارجية ، بل حافظ على عملها الفطرى ونظامها المنزلى ؛ ففرّغها لادارة شؤونها المنزلية ، وتدبير مملكتها الداخلية ، وجعل الرجل كافلا لها ، فهى ليست مجبرة على الكسب والنفقة بنتاً ولا زوجاً ولا أماً ، بل الرجل هو الذى ينفق عليها وعلى اولادها زوجاً وأباً ؛ وأما مالها الذى يتكون من الارث والمهر والاستثمار فهو يبقى لها (رأس مال) احتياطى تنفق منه إذا اضطرت اليه :

ثم إن ميراثها الذى هو نصف ميراث الرجل هو فى الحقيقة خير لها وأبقى من ميراثه الكامل ؛ واذا عُرِف السبب بطل العجب ، واليك البيان : قال تعالى فى إحدى آيات المواريث من سورة النساء (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقال فى آخر هذه السورة (فللذكر مثل حظ الأنثيين) فكانتا الآيتين الكريمتين صريحة فى أن للذكر مثل حظ الأنثيين ، ولكن أمر هذه المرأة يؤول الى مساواته أو الزيادة عليه، فلو أن والداً هلك وترك لولديه الذكر والأنثى خمسة عشر ألفا مثلا لكان نصيب الولد عشرة وأخته خمسة . ثم اذا تزوج كان عليه دفع المهر ونفقة زوجه فيبقى له من المبلغ أقل من نصفه ، واذا رزق أولاداً كان عليه وحده نفقتهم ، وهكذا ينقص سهمه الى خمسة أو عشره ، واذا تزوجت هى كان لها مهرها وعلى زوجها نفقتها ونفقة أولادها منه ، وكان ميراثها ومهرها لها وحدها لا لزوجها ولا لولدها.

أفرأيت كيف كان نصيب الرجل مقسما مابين زوجته وولده وكيف كان نصيبها لها وحدها كاملا غير منقوص ؟ ولكن الاسلام لم يظلمه فى ذلك لأنه هو العامل الكاسب ، أما هى فيعوقها عن الكسب تلك العوائق الزوجية ، كالحمل والولادة والأمومة والحضانة . وأما مالها الخاص فمال احتياطى تنفق منه متى احتاجت اليه ، على أنها أحيانا يكون لها مثل الرجل كما اذا خلف الميت ولداً فأكثر ، وكان له والدان أيضاً فلكل واحد منهما السدس وهما سواء فى هذه الفريضة لايتفاضلان فيها كالتفاضل بين الذكور والأناث من الأولاد والأخوات والأزواج ؛ وذلك لعظم مقام الأم حيث تساوى الأب بالنسبة الى ولدهما ، وإن كانا يتفاضلان فى الزوجية وغيرها ، قال تعالى (ولأبويه لكل منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) وكما اذا كان للميت أخ أو أخت من أم فقط ، فلكل واحد منهما السدس ؛ فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث ، على المساواة التامة بين ذكورهم وإناثهم ؛ وهذا فى الرجل الذى يورث كلالة أو المرأة الموروثة كلالة ، والكلالة من ليس له والد ولا ولد . فالأخ من الأم يأخذ من الكلالة السدس ، وكذلك الأخت ، وإذا كانوا متعددين أخذوا الثلث وكانوا فيه سواء لا فرق بين ذكورهم وإناثهم . والحكمة فى ذلك أن كل واحد منهم حل محل أمه فأخذ نصيبها ، قال تعالى فى آية الكلالة من سورة النساء (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث)

وجملة القول إن المرأة تارة يكون نصيبها نصف نصيب الرجل ؛ وتارة يكون مثله ، وهى على كل حال زوجته أو ابنته أو أمه ، وعليه وحده المشقة والنفقه ، ولها الراحة والهناء ، وعليه الغرم والغنم . فأنى تكون مهضومة أو مظلومة ؟ وواحسرتاه للرجل فلسان حاله ينشد قول المتنبى :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه ... أنى بما أنا شاك منه محسود

محمد بهجت البيطار

ليلة النصف من شهر شعبان

جاءنى السؤال الآتى من حضرة الفاضل صاحب الامضاء وهو بعد الديباجة :

هل من السنة أن يجتمع المسلمون فى المساجد بعد صلاة المغرب فى ليلة النصف من شهر شعبان ليقرءوا دعاء خاصاً يلقيه عليهم الأئمة كلمة كلمة أو جملة جملة وهم يرددونها بعدهم ؟ وهل هذا الدعاء الخاص وارد فى السنة ؟ محمود الشرقاوى

وكيل بنك التسليف بجرجا

أيها الأخ الكريم ، أدام الله توفيقك ، وهدى قلبك ، ووقفك على حقائق الأمور . وجنبك الشبهات ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة سبباً وحبب اليك التثبت ، وأودع صدرك برد اليقين .

كتبت تسألنى عما يعمل العامة وأشباههم بعد صلاة المغرب فى ليلة النصف من شهر شعبان فى المساجد من الاجتماع والدعاء : هل هو من السنة ؟ فاعلم - علمت الخير - أن هذا الاجتماع لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد خلفائه الراشدين ولا على عهد السلف الصالح . وإنما هو من البدع ومحدثات الأمور التى حذرنا رسول الله ﷺ إياها .

فقد صح أن رسول الله ﷺ قال « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »

وقد جاء فى صحيح البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها . أن رسول الله ﷺ قال « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »

ولا شك أن أمر رسول الله وصحابته وخلفائه لم يكن على هذا ولم يكونوا يجتمعون فى هذا الوقت من هذه الليلة لقراءة هذا الدعاء ولا غيره ، ولم يأت بذلك حديث

صحيح ولا حسن ولا ضعيف . ولا رواه أحد من رواة الحديث ولا جاء فى كتاب من كتب السنة .

فما حد من المسلمين على عمل مردود عليهم لا يقبله الله ولا يثيب فاعليه ؟ وما ثمرة عبادة يعلم صاحبها أنها لا تفتح لها أبواب السماء ، ولا تنال حظاً من القبول ؛ لأنها ليست مما كان عليه أمر الرسول ﷺ وكل ما لم يكن عليه أمره من العبادات فهو مردود لا يظفر بشرف القبول .

هذا الاجتماع وما فيه بدعة ابتدعها المسرفون وأذاعوها ، وطوع الجهل للناس قبولها ، ففشت فيهم كما يفشو الوباء . وحتى صاروا يعتقدون أن هذا الدعاء يطيل العمر ، ويوسع الرزق ، ويكشف البلاء . وحتى صار من لم يتمكن من قراءته متشائما يتوقع حلول الأرزاء والنكبات فى كل حين ، وقد بلغ من حرص الناس عليه أن تاركى الصلاة الذين لم تخط أقدامهم أعتاب المساجد يؤمونها فى هذه الليلة لا للصلاة ولكن للدعاء .

وما هذه الليلة إلا كسائر ليالى العام لا تمتاز منها بشىء ، والأحاديث الواردة فى شأنها ليس فيها شىء يرتقى الى درجة الحسن فضلا عن الصحيح ، بل كلها إما ضعيف واه ، وإما موضوع كما قرره أئمة هذا الشأن .

قال الحافظ أبو بكر بن العربى « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه » .

وأما الدعاء الذين يدعون به فلم يرد عن رسول الله ﷺ ولا عن صاحب ولا أحد من أهل العلم يعرف ، وفيه أكاذيب تحمل المؤمن على أن يربأ بنفسه عن أن يدعو بها ، وإليك البيان :

من عبارات هذا الدعاء قولهم : (فى ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم) وهذا معنى باطل ؛ لأنهم يقصدون (ينقض فيها كل أمر حكيم ويبرم) والأمر الحكيم لا ينقض .

ولا شك أن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة القدر ، لا ليلة النصف من شعبان . والمعنى: يفرق بينه وبين الأمر الباطل بالعلم والقرآن الذى هو الفرقان . فمن أسند هذا الفضل الى هذه الليلة فقد افترى على الله الكذب ، وكفى بها إثما مبينا .

وليلة القدر فى رمضان يقيناً وليست فى شعبان .

برهان ذلك قوله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدًى للناس وبينات من الهدى والفرقان)

وقوله تعالى : (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم)

وقوله تعالى : (إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر)

فاذا ألفت بين هذه النصوص علمت علم اليقين أن القرآن أنزل فى ليلة مباركة فيها يفرق كل أمر حكيم .

وانه أنزل فى ليلة القدر

وانه أنزل فى شهر رمضان

وإذاً تكون الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة القدر

وإذاً تكون هذه الليلة فى شهر رمضان وإحدى لياليه

وإذاً يبطل الدعاء بأن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة النصف من شهر شعبان .

وإذاً يثبت كذب من يدعى ذلك .

ولا ينبغى لعبد مؤمن أن يوجه الى الله دعاء مكذوبا فانه إثم ، والله لا يقبل الدعاء بإثم ولا عدوان .

هذا وللدعاء آداب تنبغى مراعاتها :

منها: أن يكون بذلة وضراعة وانكسار ، ومنها : ان يكون خُفية بين العبد وربه ، قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين) وقد فسر العدوان برفع الصوت بالدعاء ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « أربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائبا وانما تدعون سميعاً بصيرا وهو معكم أينما كنتم »

فأين مراعاة هذه الآداب فى هذا الدعاء ؟

وقد بيّن لنا رسول الله ﷺ أحوالا وأوقاتا يكون فيها الدعاء أقرب الى الاجابة فلنتحرّها، ولنكثر من الدعاء فيها فذلك قمَن أن يحقق لنا الاجابة . قال رسول الله ﷺ « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » رواه مسلم .

وروى الترمذى من حديث أبى أمامه قال : قيل لرسول الله ﷺ أى الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبات »

والله تعالى يستجيب كل دعوة من العبد المسلم متى كانت خالصة بريئة من الاثم والكذب فقد روى الترمذى من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال « ماعلى الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله اياها أو صرف عنه من السوء مثلها مالم يدع بإثم او قطيعة رحم »

وخير الأدعية ما أثر عن رسول الله ﷺ وأنا مورد لك ذرواً منها لعلك تدعو به حين تصفو نفسك وتسمو روحك :

عن أنس قال « كان أكثر دعاء النبى ﷺ : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » متفق عليه .

وعن ابن مسعود ان النبى ﷺ كان يقول : « اللهم انى اسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » رواه مسلم

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر اصحابه ان يدعو بهذا الدعاء « اللهم اغفر لى وارحمنى، واهدنى وعافنى وارزقنى » وهذا دعاء جامع يجمع الدنيا والآخرة

ومن أدعيته عليه الصلاة والسلام : « اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، واصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، واصلح لى آخرتى التى اليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى من كل خير ، واجعل الموت أماناً لى من كل شر »

وإن أردت المزيد من هذا الخير فارجع الى كتب السنة ففيها الكثير الذى يشفى الصدور.

هذا وفى ذلك الدعاء مآخذ أخرى لا أرى مايدعو الى الافاضة فيها ، فحسبى ماقدمت . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو الوفا محمد درويش

نقيب جماعة أنصار السنة المحمدية ـ فرع سوهاج

(الهدى النبوى) اضطرتنا ظروف قاهرة الى تأخير هذا المقال القيم عن وقته المناسب ، فنعتذر للاستاذ الكبير وقرائه الحريصين على آثاره أن يفوتهم شىء منها، وندعو لهم بدوام التوفيق وله بالصحة السابغة .

القطيع والراعى

مرّ القطيع بأرض طاب منهلها ... وعشبها ، فاستقى من مائها ورعى

فصاح راعيه : هيّا يا قطيع [illegible] ... [illegible] من [illegible] ان اللص قد طلعا

قال القطيع له : ما الفرق بينكما ... كلاكما يبتغى من خيرنا شبعا

دعنا له إنّ أن أجبت منفردا ... فلست أكثر زهداً منه أو ورعا

نعم الفرار الذى أقبلت تنشده ... لو كان ينقذنا منه ومنك معا

محمود غنيم

من صور الحياة المصرية

٢١ كيف ينفق بعض المسلمين أموالهم

« يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شىء مما كسبوا ، والله لايهدى القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطلّ ، والله بما تعملون بصير »

« قرآن كريم »

بنى ممثل مشهور — من الذين اغنتهم المحسوبية — عمارة فخمة ضخمة فى شارع من شوارع القاهرة المعروفة ، جعل طبقاتها العليا للاستغلال بطريق السكنى وجعل من طبقتها السفلى نادياً يرتاده علية القوم كما يسميهم العرف الخاطىء ، وحشد فيه ماحشد من وسائل اللهو وانواع المباذل التى تهراق عليها الأموال من غير حساب .

هذا الممثل الذى أذهب طيباته فى حياته الدنيا واستمتع بها ، أراد أن يقلد من هم على شاكلته فى الجهالة من الأغنياء ، فبنى فى أخريات عمره فى القرافة مدفناً أو « حوشاً » كما يسميه العامة ، قيل انه أنفق فى بنائه فوق الثلاثين ألفا من الجنيهات !! فاهما كما فهموا أن ذلك من القربات وعلى الخصوص اذا سار فى تقليدهم الى النهاية ، فوقف بعض الأعيان التى ينفق من ريعها (على فقهاء يقرءون القرآن عند قبره وعلى ثمن خوص وريحان يوضعان على القبر وعلى ثمن خبز قرص يفرق هناك فى المواسم والأعياد) ألخ ما كان يفعله أولئك الطغاة الظلمة بعد وفاتهم معتقدين

أن ذلك مكفر لما اقترفوه من السيئات وما اجترحوه من المنكرات ، وبهذه الحيلة يضمنون سعادة الدنيا والمغفرة فى الآخرة ، ألا ساء مايظنون .

ولا يقعن مافعله ذلك الممثل من انفاقه هذا المبلغ الضخم على مدفنه موقع الغرابة عند القارىء الكريم ، فان كثيراً من الناس يحتفل ببناء هذه المدافن أكثر من احتفاله ببناء بيته ، فتراهم يشيدونها ويزخرفونها ويجلبون لها الرياش الثمينة والماعون الفاخر ، وكيف لايفعلون ذلك وهم قد اتخذوها دار إقامة فى كثير من أيام السنة بحجة زيارتهم لموتاهم ، حتى لقد أباحوا فيها لأنفسهم من القصف والمجون واختلاط النساء بالرجال مالم يبيحوه لها فى دورهم فربما منعتهم عن فعل شىء من ذلك فى البيوت بعض الاعتبارات أو التقاليد أو خوف القيل والقال . أما هنا فجانب الموتى مأمون والسكوت على فجراتهم مضمون !!

والذى حمل هذا الممثل ينفق مثل هذا المبلغ الكبير على (أهرامه) انه ـ كما قيل ـ بناه ذا جناحين ، جناح للصيف وآخر للمشتى ولم يقصد بذلك إلا راحة زائريه بعد موته ، فأقام لهم هذا «الفندق» وحاطه بوسائل الراحة بحيث لايشعرون عند زيارته بأى عنت ، وإلا لو عنى بذلك نفسه لكانت عقيدته مثل عقيدة قدماء المصريين الذين يدينون بالرجعى الجسدية ولذلك تراهم نبغوا فى فن التحنيط لحفظ أجسامهم من البلى ، وملأوا كذلك نواويسهم بالمآكل والفواكه المحنطة وانواع الحلى والملابس حتى اذا عادوا ـ بزعمهم ـ كما كانوا قبل فى الدنيا ، وجدوا هذه الأشياء حاضرة فاستعملوها !! ولذلك تراهم يُعْنون بتشييد قبورهم أكثر من عنايتهم ببناء دورهم ، وتلك هى الاهرامات شاهدة على هذه العقيدة الفاسدة والفكرة التى كانت سائدة . وأخشى أن أقول ان المعنى الذى قصده المصريون القدماء على ضعته وبطلانه وإغراقه فى الخرافة أشرف من المعنى الذى قصد لأجله المصريون المحدثون (والمسلمون أيضا) بناء مدافنهم على هذه الصورة التى تنداعى عندها كل الخلال المرذولة من تبذير وصل الى درجة السفه ، فيما لايصح أن يصرف فيه إلا اللازم

الضروري على قبر يشق فتواري فيه جثة ميت إكرامه في تعجيل دفنه . ومن جهل فاضح بالشرع وأحكامه والسنة وآدابها في هذا الأمر أداهم الى هذا الاستهتار الشنيع ، ومن اتخاذ أماكن العظة والتذكير بالموت أماكن لهو ولعب وما الى اللهو واللعب مما لا يخفى أمره ولا يجمل ذكره .

ومن عجائب تصاريف القدر أن هذا الممثل لم يدفن في هذا الصرح حيث أوصى في آخر لحظة أن يدفن مع أخ له ممثل مات قبله في قبر متواضع فحرم بذلك أقاربه وأصدقاءه من التمتع بالاقامة في ذلك الصرح والله غالب على أمره .

لقد كان إثراء ذلك الممثل مأساة أخلاقية مات من اشتركوا فيها وكان منهم من تعده الأمة من خيرة أبنائها ـ ولقوا جزاءهم ، فقد مهدوا له أسباب الثراء من أموال هذه الأمة البائسة بممارسة ذلك الحنث الذي قضى على أخلاقها وأماع آدابها وغيرتها ، في حين أنه كان من أجهل الناس حتى في ذلك الفن الذي انتهب به الأموال حتى صار من كبار الأثرياء ، وحسبك دليلا على ثرائه ما أنفقه في بناء مدفنه من الأموال الطائلة ، فليت الذين مهدوا له أسباب سرقة هذه الثروة الضخمة من أموال الأمة المسكينة فلوا من حد جنايتهم فعلموه كيف يردها اليها بعد موته ـ خصوصاً وقد مات من غير زوج ولا ولد ـ على أية صورة من صور البر : بمستشفى يبنيه، أو مصنع يدر على الفقير ما يحييه أو مسجد يعبد الله فيه . ولكن أراد الله تعالى أن يبوءوا بإثمه ويحملوا فوق أوزارهم من وزره .

ليت شعري متى يرجع المسلمون في تصريف أمورهم الى تحكيم العقل السليم وسلطان الدين القويم ؟

أمن العقل والدين في شيء أن تنفق الأموال جزافا على الموتى وشئون الموتى من جنازات ومآتم وتشييد مدافن وما الى ذلك مما هم ليسوا في حاجة الى شيء منه ثم يترك أقاربهم الأحياء يتضورون جوعا ويتوارون من العري خجلا ؟

أمن العقل والدين في شيء أن تشيد القباب على النكرات والمعارف من الناس

ونكسى بفاخر اللباس . تبذل فى ذلك الأمة أفراداً وحكومات مئات الألوف من الجنيهات ، ولا شكا لهم الدفين برداً ولا حراً ولا ادعى لنفسه نفعاً ولا ضراً

ياقوم : إن حسابنا على إهدار العقول سيكون أعسر من حسابنا على إهدار الأموال لو كنتم تعلمون .

إن الذى ينفق ماله على كأس يحتسيها أو شهوة يقضيها أو قدح فى الميسر يجيله ، أو عدو منافس يزيله ، لهو عندى أنهض حجة وأقبل عذراً ممن ينفق على الموتى بسخاء ويبخل بالدرهم على الأحياء

وإن قوماً عجز وازع الدين أن يصل الى ضمائرهم ونور العقل أن ينفذ الى بصائرهم فعاد الحق عندهم باطلا ، وناصحهم بغيضاً جاهلا ، لهم قوم قد تودع منهم .

محمد صادق عرنوس

﴿ إلى الذى أنفق ٤٠٠٠٠ جنيه ثمناً لمقبرته ﴾

لمناسبة هذه الصورة من صور الحياة ننشر القصيدة الآتية للأخ الفاضل الأستاذ مصطفى بهجت بدوى الضابط بسلاح المدفعية الملكى تحت العنوان المذكور الذى اختاره لها ـ مع اختلاف فى القيمة حسب الروايات المختلفة ـ ولقد أرسلها الينا من زمن فاحتفظنا بها حتى جاءت مناسبتها ، قال وفقه الله :

ياجنونٌ لقيتَ صيداً ثميناً	مسَّ بالمالِ ـ فاحكمِ اليومَ فينا
قد قرأنا ـ وياله من زمان ـ	أنّ قبراً يصير كنزاً دفينا
يكتسى بالنضار ـ هلاَّ سمعتم	أم من الجوع انتمُ تسمعونا
يكتسى بالفنون فى شر عصرٍ	مثل عصر الفراعن الأقدمينا
يكتسى بالحرير والناسُ لهفى	لرداءٍ ولو يكونُ مهينا
ينفق الغرب ماله فى سلاحٍ	صاحبَ الموتَ حده والمنونا

لكنَّ الشرقُ قال إنى بأمنٍ ... فاعذرونى إذا لزمت الجنونا
ودعونى أنامُ فى قرب سلمٍ ... وإذا متُّ شيّدوا لى الفنونا
ضلّلَ الشرق .. ليس فيه أمانٌ ... وهو مازال مطمعَ الغاصبينا
ضيّعَ الله أرضه بانتقام ... إذ أضاعت شعوبه اليومَ دينا
قولهم «مسلمون» كذبٌ وإلا ... أنبئونى أفى الدنيا كافرونا ؟
كل يوم نرى أعاجيبَ قومٍ ... من رجالٍ وآه لو يعقلونا
أو نساءٍ وجنّبونى نساءً ... قد تعرّت فبالطريق [illegible]
ما أمنتُ النساءَ يسببنَ دينى ... عند صُحُفٍ [illegible]
أو أمنتُ الرجال يبغون قتلى ... كى أرى القبر [illegible] لا ثمينا
مرحباً بالقبور تُبنى بأمرٍ ... من سنى الشرع لا هوى المسرفينا
مايفيدُ النضارُ فى القبر فرداً ... مات إن صمّ عن بكا المعسرينا.
لو رعى الدينَ مؤمناً نال خيراً ... من نضارٍ بجنّة المؤمنينا
من رضى العيشَ دون قلب سليم ... ان يُنادَى بمالِهِ أو بنينا

مصطفى بهجت بدوى
الضابط بسلاح المدفعية الملكى

« الفلاح »

شاهدت لؤلؤة كالماس تأتلق ... على جبين أمير سار مختالا
فقلت: ما أنت؟ قالت: انى عرق ... من جبهة الزارع المسكين قد سالا
الكل ينعم والفلاح يحترق ... وليس يحرز لا جاهاً ولا مالا
امتصه الناس حتى ما به رمق ... [illegible]

محمود غنيم

حول نظام العالم المستقبل

اتجه تفكير بعض الناس فى هذه الأيام الى مابعد الحرب ، فخاضوا فى حديث السلم وما يجب أن تكون عليه أوضاع الأمم من النواحى الصناعية والاقتصادية والحزبية ؛ وليس على إنسان حرج فى أن يكتب مايشاء أو يعلن مايريد مادامت المصلحة رائده والاخلاص قائده ، بل ان الواجب ليقتضى ذلك — فى هذه الظروف خاصة — كى نستبين سبيل الحياة ويستنير الرأى العام بما عسى أن يكون من رأى صائب وفكرة نافعة ، بعد أن تخبط العالم فى دياجير الظلام التى دفعه اليها سوء القصد وجنون الطمع وحب الاعتداء .. وما دام فى ميدان الرأى متسع لراغبى الاصلاح فان على رجل الدين أن يقول أيضاً كلمته . بل انى لأراها اليوم ألزم وأوجب منها فى أى وقت آخر بعد أن برهنت الحوادث على أن ما نال العالم من شرور وآفات لم يكن إلا لبعده عما رسم الله سبحانه لعباده من مبادىء قويمة وتشريعات حكيمة لو سار عليها ماحلت به تلك النكبة القارعة والنقمة الواسعة .

نعم إن صوت الدين يجب أن يعلو ويرتفع فى هذه الأيام الحلوالكة على جميع الأصوات ليرسم للناس طريق المستقبل نيراً لا عوج فيه. فقد أفلست كل الأوضاع البشرية فى إصلاح المجتمع الانسانى ولم تزد حياته إلا خبالا وتعقيداً واشكالا .

امتلأ العالم أخيراً بصنوف شتى من العلوم والمعارف . وتهيأت له كل وسائل الرقى والنهوض ولكنه كلما قارب الانتفاع بها انقلب على نفسه وارتد الى أمسه . وهاهو الآن يهدم كيانه وينقض بنيانه ولن يزال كذلك دَوَالَيْك مادام ينقصه أمر واحد ، هو الدين ، ذلك الامر الذى أهملته الأمم والشعوب واعتقدته قيوداً فى الأرجل وأغلالا فى الأعناق ؛ فانطلقت فى بيداء المآرب والشهوات ؛ تصدمها الحوادث وتُرْديها النكبات، وهى لو فكرت لم تفارقه لحظة ، ولم تحد عنه قيد شعرة ، لأنه الهداية الحقة وصراط الله المستقيم .

لست أقصد بالدين قيداً جائرا من قيود الحياة ، ولا نوعا من التعبد قاصراً على الأنوف والجباه ؛ كما أنني لا أعني جموداً عكف عليه المتنطعون ، أو طقوساً رسمها الجهلة الجامدون . إنما أردت ذلك النور الوضاء الذى أرسله الله من السماء ، فسلط أشعته على كل بقعة من الارض تخرج داءها الدفين ، وتخط بها الطريق المستبين .

عنيت تلك الهداية الإلهية التى أعدت لكل داء دواءه ، وكفلت للمستطب برءه وشفاءه ، وهيأت للناس وسائل الحياة بكل مافى الحياة من معنى صحيح .

عنيت تلك الحدود المرسومة والقواعد المفهومة التى تنهض بابن آدم الى الانسانية الكاملة التى يشعر فيها بواجبه نحو ربه ونفسه والناس ، فيؤدى لكل ذى حق حقه كاملا غير منقوص فى حدود الطاقة وعلى قدر الاستطاعة .

علم الله لم أقصد ماعليه العالم اليوم عامة والمسلمون خاصة من اعتقادات منسوخة وعادات ممسوخة ، قلبوا بها أوضاع الدين وزادوا بها أسلحة الملحدين ، وقد قامت الأدلة الكافية — فى الحق والواقع — على أن هذه الأشكال والألوان لاتصلح علاجا للبشرية من أدوائها ؛ بل انها من الفساد فى الصميم ، وفى التفرقة خطبها جسيم .

على أنه قد قامت الأدلة الكافية أيضاً على أن الأمة التى أسست مجدها على الدين الصحيح كانت أعدل الأمم وأرحمها وأهداها وأقومها — والتاريخ شاهد عدل على ذلك — فيامن تطلبون بناء العالم من جديد وتعديل نظامه فى المستقبل على الرأى السديد . دعوا المعاهدات والاتفاقات والمحالفات ؛ وتعالوا نفتش جميعا عن خير دين للبشرية يضم الأبيض والأسود والقوى والضعيف ، ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر ، ولنعتنق جميعا مبادئه على أساس التوحيد ونبذ التقليد . فى صدق وإحسان ويقين وإيمان . بذلك وحده تنجو البشرية من المهالك وتطهر من الآفات وتتم لها السعادة ، وبغيره لايستقيم لها حال ولا يصلح مآل .

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

علي السيد جعفر — الواعظ بالقاهرة

البر

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام بك

وردت كلمة البر في القرآن على معان شتى، تحددها القرينة ، فهو الصدق والخير، والاحسان على أوسع معانيه ، وطاعة الله يقول تعالى (ولكن البر من اتقى)

ونقصد بالبر في هذا الحديث معنى الاحسان والمواساة للفقراء والمساكين ، ومن تخلف من إخواننا في المجتمع عن السير معنا الى حياة مرضية مستغنية ، لعجز به أو يتم أو مرض أو جهل، أو غير ذلك مما يعرض من اسباب الضعف والفقر .

وقد سبقت الدعوة المحمدية جميع الدعوات الصالحة الى تحديد البر وتنظيمه ، والى تعيين واجبات الأفراد والأمة والدولة في هـذا الشأن . وهي من هذه الناحية نظام اجتماعي شامل يستحق من أهل الرأي والنظر في جميع الملل عناية ودرسا . وهذه الحرب القائمة بين النظم الفاشستية والشيوعية والديمقراطيـة ، داعية الى المسارعة في بيان القواعد الاسلامية ، والسنن المحمدية ، لعل في ذلك هدى ومخرجا مما اختلف الناس فيه.

ولننظر الآن كيف عالج الاسلام مشكلة الفقر ، وهي اعظم آفات المجتمع البشري ، لم يجعل الاسلام الفقر سبباً لازدراء صاحبه ، بل جعل أقرب الناس الى الله أتقاهم . فالفقير على حاجته قد يكون في نظر الاسلام أعلى من أي رجل آخر مهما كان ماله او جاهه ، وبهذا ابتدأ المواساة الأولى للفقير .

ثم نظر في حال الفقير ، فاما ان يكون هذا الفقير عاجزاً عن الكسب لعلة به، واما ان يكون عاجزاً عن الكسب لفقدان الوسيلة الى العمل .

فأما الذي يعجز لعلة لا علاج لها فقد جعل مواساته حقاً على المجتمع لا تبرعا

وتطوعا . قال القرآن : « وفي أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » فصان بذلك كرامته الانسانية .

وأما الذي يعجز لفقدان الوسيلة الى العمل فقد أوجب على الدولة ايجاد الوسيلة لتكسبه . وقد قبح الاسلام السؤال ودعا المسلم للترفع عنه ، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، وقد أعطى رسول الله ﷺ سائلا درهماً وأمره أن يشتري به فأساً وحبلا ويحتطب ، ولا يتعرض لذل السؤال .

والأصل في الاسلام هو العمل والتكسب . ولقد حض عليه بجميع الوسائل حتى فضله على الانقطاع لعبادة الله . ولكنه كذلك أنصف المجتمع بالزام الدولة أن تعين على ايجاد العمل لمن لا يجده وأن تحمي من يعجز عنه .

وقد أراد الاسلام أن يجعل مستوى المعيشة متناسقا ومتقاربا ، فحارب الترف في أعلى الهيئة الاجتماعية ، وطارد البؤس في أسفلها ، واتخذ لذلك وسيلتين : وسيلة الضمير وهي أقواها ، ووسيلة القانون . فجعل الحياة السعيدة الخالدة لا تنال إلا بالانفاق على المستحقين من الأهل والأقربين والمساكين ، ولا ينال متاعها المسرفون الذين جعلوا شهواتهم في هذه الحياة أهدافهم .

جعل ضمير المسلم لا يستريح إذا طعم ولبس وتمتع ، وجاره ومن حوله قد عجزوا عن القوت . وحضه حضاً قويا على البذل والقناعة ، والحد من شهواته في سبيل إغاثة الملهوفين والمحتاجين ، حتى لقد أمر أن يطعم السيد الخادم مما يطعم ويكسوه مما يكتسي قال المعرور بن سويد : رأيت أبا ذر رضي الله عنه عليه حلة وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم عليه »

ولم يكتف الاسلام بايقاظ الضمير لهذا ، بل جعل الدولة تقتضي من فضلة مال الفرد مبالغ لا يستهان بها لتكفل بوسائلها هي أيضاً حاجات الفقراء والمساكين ،

وفى الحقيقة حين يحارب الاسلام الترف والاكتناز والربا و يقول (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ؛ هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون) وحين يقول (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) وحين يقول (يمحق الله الربا و يربى الصدقات) وحين يفرض الزكاة على الأموال المكنوزة ويحرم الربا إنما يريد بذلك كله أن يرفع مستوى الطبقات الفقيرة ويخفض من مستوى المترفين ليجعل حياة الجميع سعيدة متناسقة

فتحريم الترف يوجه الأموال الى إنتاج أكثر فائدة للجميع ، وتحريم كنزها يوجب تداولها ؛ ، وتداولها من غير ربا يؤدى الى المشاركة فيها . واذا لم يجد الناس فى الترف لذتهم وجاههم وجدوها فى الاحسان والبر . واذا لم يجدوا فى الكنز ضمانا لهم وجدوه فى ضمانة المجتمع الاسلامى المتكافل الذى لم يهمل أحداً ولم يحتقر أحدا ، واذا لم يجدوه فى الربا وجدوه فى لذة الكسب والمشاركة مع إخوانهم الذين يعملون فى أموالهم .

هـذا الاسلام الذى حارب آفة الفقر بإيقاظ الضمير وبالتشريع ، جعـل العمل أس المقاصد ، فأمر بالسعى وفضله على الانقطاع للعبادة ، وأمر بالجـد والاتقان ، وذلك لاشك أفضل الوسائل لمحاربة الفقر . ولم يجعل جزاء العمل مقصوراً على هذه الحياة بل وعد به فى الآخرة .

والاسلام يدفع الفقر بالدعوة الى الأخـلاق الفاضلة ويقاوم بالحجة والحـدود الشرور والرذائل : فلو أن وسائله استخدمت فى ردع أرباب الشرور والآثام ومنها الدعوة للفضيلة والخـير لتماسكت الأسرة الاسلامية وأدرك كل عضو فيها واجبـه ؛ وحدّ من نزعاته ، وكان ذلك من أمضى الأسلحة فى مقاومة الفقر ، إذ أن اعظم أسباب الفقر من الاسراف فى الشهوات وارتكاب المحرمات كتعاطى الخمور والمخدرات وإهمال صحة البدن والأوامر الدينية التى من شأنها تقويم الارواح والابدان ، ولو اتخذنا

وسائل الاسلام فى التراحم والتعاطف ومبادئه فى الاخوة والتعاون ، وأيقظنا ضمير الأمة الدينى فى هذه الناحية لطعنا الفقر طعنة تعجزه عن أن يدخل أكثر البيوت .

ولو قامت الدولة بواجبها فى كفالة المتخلفين من إخواننا لما يصيبهم فى أنفسهم أو أبدانهم أو لما يصيبهم من انقطاع السبل مع رغبتهم فى العمل وذلك بأن تكون سياستها قائمة على الاسلام الذى يقول رسوله «المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا» فوزعت الصدقة على من لا سبيل له غير الصدقة ، ووزع العمل على الناس بقصد الخير العام ولو على سبيل الاجبار على عمل معين للقادر عليه ، لقاتلت هى أيضاً بوسائلها الفعالة الفقر .

وقد جعل الاسلام فى هذا سلطات واسعة لولى الأمر ، فله فى سبيل الصالح العام أن يحدث أقضية بقدر مايحدث من المشاكل . وله أن يكيف الأحوال لتسير وفق الغرض الأساسى للاسلام وهو الاحسان .

وقد قرر الاسلام فى وضوح وعزم مبدأ المساواة وهو أعظم المبادىء فى مقاومة الشرور الاجتماعية وأخصها الفقر، وجعل هذه المساواة مستقرة فى ضمير المسلم ومالكة لزمام تصرفاته فى العبادة والمعاملة والأدب .

نقلا عن مجلة الاخوان المسلمين

عدد خاص بكتاب الدارمى

طبعنا من العدد الماضى الخاص بما دار حول كتاب الدارمى أكثر من العدد المعتاد لعلمنا ان هناك من سيطلبه ممن لم يعتادوا قراءة المجلة ، ولا يزال لدينا منه بقية فمن أراد الاطلاع عليه فليطلبه من الادارة . وثمنه قرش صاغ لمن يطلبه فى القاهرة وقرش ونصف فى الأقاليم خالص أجرة البريد

زيادة اشتراك المجلة وزيادة ثمن العدد

ابتداء من السنة السابعة

تنتهي بظهور هذا العدد من مجلة الهدى النبوى سنتها السادسة ، والحمد لله الذى وفّق وأعان حتى أمكن الاستمرار فى إصدارها فى هذه الأزمة الطاحنة والوقت العصيب الذى بلغت فيه أثمان الحاجات أضعافا مضاعفة حتى أن ثمن الرزمة من الورق الذى تطبع منه المجلة قد ارتفع الى عشرة أمثاله قبل الحرب ؛ فقفز من عشرين قرشا الى مائتين ولا زال فى صعود مستمر لا ضابط له ولا نهاية ، وهو غلاء فاحش شعرنا بوطأته كما شعر بها غيرنا من أصحاب الصحف والمجلات ، نسأل الله أن يلطف بعباده ويعاملهم بفضله ورحمته .

ولذلك فقد اضطرت إدارة المجلة إزاء ضغط الغلاء الشديد أن تجعل اشتراك المجلة السنوى عشرين قرشا بدل خمسة عشر وثمن العدد الواحد منها خمسة عشر مليما بدل عشرة ابتداء من المحرم سنة ١٣٦٢ هجرية أى من أول سنتها السابعة

ولقد نعلم أن هذا الأمر ربما شق على بعض النفوس ولكننا وصلنا الى حالة نحن أمامها بين أمرين : إما أن يتحمل القراء هذا الفرق البسيط مراعاة لظرف الحاضر ولهم ثواب ذلك عند الله وتستمر مجلتهم سائرة تؤدى الرسالة التى أنشئت لأجلها من الدعوة الى دين الله الحق ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام . وإما أن يتخلوا عنها فتتعطل ويخبوا ذلك المصباح الذى ظل ينير الطريق للمدلجين ست سنين كاملة ؛ إذ أنه لا يمكن مع بقاء الحالة كما هى أن يغطى ايراد المجلة مصروفها بالنسبة لغلاء الورق الفاحش حتى لقد استنفدت ما كان لديها من احتياطى مدخر لغاية العدد الأخير ، ثم استنجدت بالجمعية فأنجدتها بالرغم من ايرادها المحدود .

وما أظن أحداً من حضرات القراء يرضى أن تحتجب هذه المجلة التى هى لسان

حالهم فى نشر الدعوة والذود عنها كما أنها هى الصلة الروحية التى تربط الاخوان بعضهم ببعض فى مختلف البلاد ، وقد لمسنا حرصهم جميعاً على اقتنائها حينما كانت تتأخر قليلا عن صدورها فى موعدها ولا يفتأون يسألون عنها حتى تصل الى أيديهم فيطمئنوا

فنرجو من إخواننا المشتركين الذين انتهت مدة اشتراكهم بانتهاء السنة السادسة أن يبادروا بارسال قيمته على أساس عشرين قرشاً وأن يكون إرسال الاشتراك على مكتب بريد باب اللوق باسم مدير المجلة محمد صادق عرنوس بعنوانه المعروف : كما نلفت نظر إخواننا المتعهدين الى أن ثمن العدد الواحد من المجلة أصبح خمسة عشر مليما كما سبق التنويه الى ذلك .

ولا يفوتنا قبل أن نختم كلمتنا أن نشكر لحضراتهم — مشتركين ومتعهدين — هذه المعاونة الصادقة التى لقيناها منهم والمساهمة القلبية فى ترويج المجلة لدرجة أن أحدهم — وهو الأستاذ أحمد القصير — كتب مرة فى بدء تعارفه بنا « انى سأتبع فى ترويج المجلة الطريقة التى كان يتبعها رسول الله ﷺ فى نشر دعوته أول الأمر من عرض نفسه على القبائل فسأبشر بالمجلة فى البلاد » وقد برّ بوعده جزاه الله خيراً بلغ من اشتركوا فيها بواسطته قرابة الاثنى عشر مشتركا ، أجزل الله مثوبة الجميع وأصلح دنياهم وآخرتهم .

كما لا يفوتنا أن نذكر لحضرات الكتاب الكرام مساهمتهم فى جعل هذه المجلة فى مقدمة المجلات الاسلامية فى دسم المادة وبلاغة التحرير ، فضلا عما امتازت به عنهن جميعاً فى تحرى الحق والعلم الصحيح . نسأل الله لهم جزاء الحسنى بما قدّموا ونرجوا منهم استمرار هذه المعاونة لتبلغ المجلة بثمرات أقلامهم المستوى الذى نرجوه لها إن شاء الله .

إدارة المجلة

سافر وفد من جماعة أنصار السنة المحمدية يزيد على الثلاثين عضواً الى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وعلى رأسهم فضيلة الرئيس : أعادهم الله الينا سالمين .

صندوق الإحسان

لجماعة أنصار السنة المحمدية

من القول المعاد أن ننوه بما كان لانشاء هذا الصندوق من [illegible] بعيد وفضول جاء حميد فى إعانة كثير من إخواننا الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف . فلقد سد هذا الصندوق من بعد إنشائه فراغا كبيراً وقام بقسط [illegible] بأولئك الفقراء وحفظ كرامتهم ؛ وكلما وجد من كرام الاخوان معيناً [illegible] وسع فى تأدية رسالته ، فلقد تضاعف هذا العام ما أنفقه على الفقراء كما [illegible] فى كسوتهم فى عيد الفطر أكثر من ضعف ما صرفه فى العام الماضى

ولقد سبق لكثير من الاخوان أن تعهدوا بمده بما يقدرون عليه شهريا [illegible] بعضهم وتخلف البعض .

لذلك ، فإنا ندعو إخواننا جميعاً ـ لا فى القاهرة وحدها ـ بل فى [illegible] وغيرها من البلاد ، خصوصاً أهل الميسرة منهم ، أن يمدوا هذا الصندوق بما آتاهم الله من فضله ، فلئن كان الانفاق بالأمس مندوبا فلقد أصبح اليوم واجباً لما يلاقيه أهل المتربة ـ وكثير ماهم ـ من عنت هـذه الأزمة وشـدة وطأتها ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

صلاة عيد الأضحى

عزم جماعة أنصار السنة المحمدية على تأدية صلاة عيد الأضحى فى هـذا العام بنادى الكشافة النوبيه بشارع التمساح خلف قشلاق الحرس الملكى بحى عابدين

أعاد الله هذا العيد على المسلمين بالسلامة والاسلام والأمن والايمان والتوفيق .